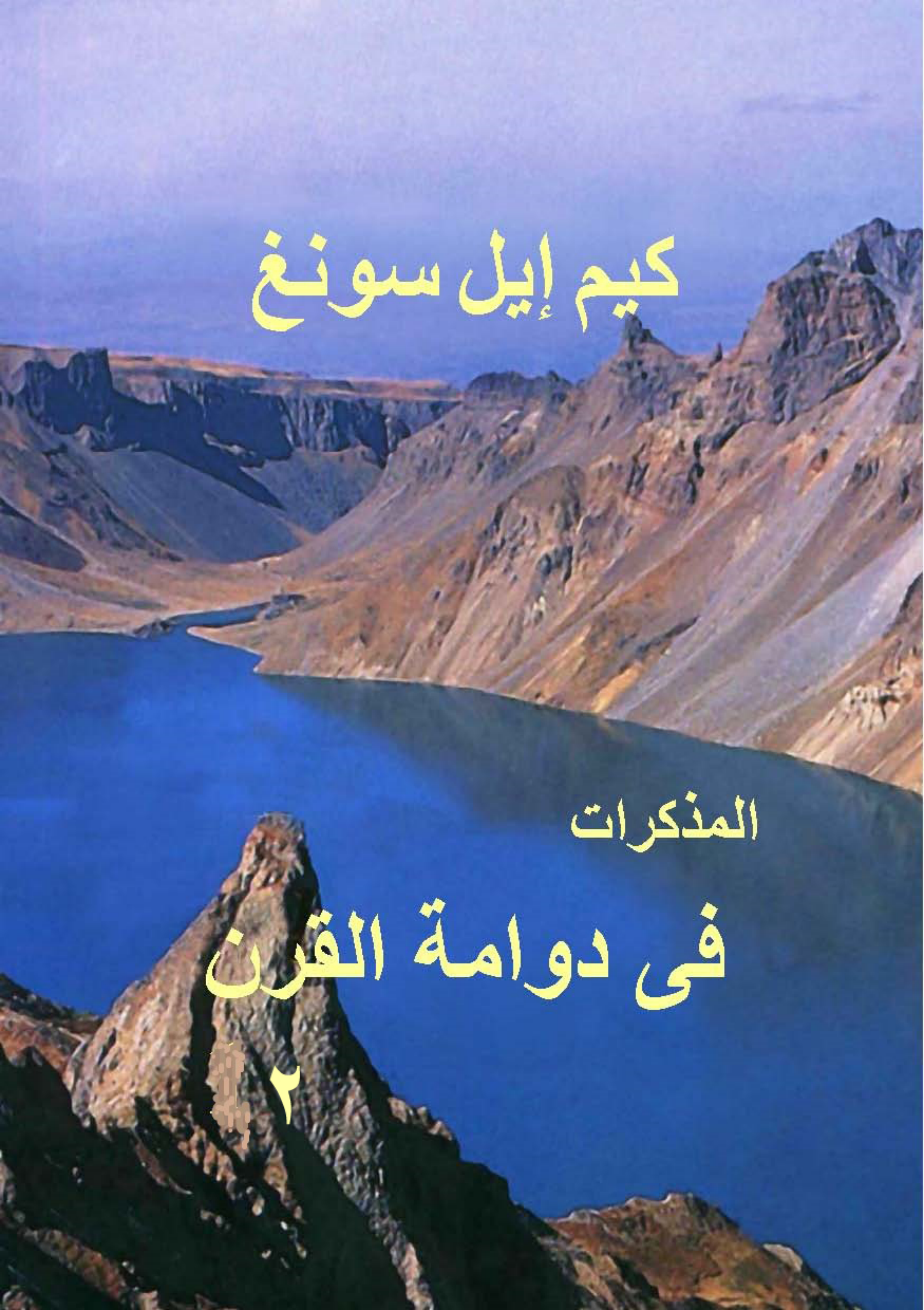


كيم إيل سونغ

المذكرات

فى دوامة القرن

٢

كيم إيل سونغ

في دوامة القرن

٢

دار النشر باللغات الأجنبية
بيونغ يانغ . كوريا
١٩٩٤



الجزء الأول

الثورة المناهضة لليابان

(٢)

민족의 운명은 나라를
사랑하고 민족을 귀중히
여기는 모든 애국력량의
단합과 거족적인 투쟁에
의해서만 구원될수 있다.

김일성

ترجمة الكلمة المخطوطة فى الصفحة السابقة

لا يمكن انقاذ مصير الامة الا باتحاد ونضال جميع القوى الوطنية التى تحب البلاد وتعتز بالامة.

كيم ايل سونغ



مع اصدقاء من مرحلة كيلين (ايار ١٩٩١)



حديقة بيشان التى صعدت اليها قبل مغادرتى جيلين فى صيف ١٩٣٠



ابنة القس سون زونغ دو امام بيته

صيف عام ١٩٣٠





الام سونغ غى سيم
وابنها كو زاى بونغ



شارع تونهوا

وثائق عن وحشية الامبريالية اليابانية ونهبها





هان يونغ آى التى ساعدتنى
فى النضال السرى



هاربين



أخى الصغير تشول جو مع تشانغ وى هوا



هايلونغ



朝鮮〇〇軍

男女三名被捉

길림성 이통현에서 잡혀

武器도押收되엇다

تقرير فى جريدة "دونغآ ايلبو" عن اعتقالى (عدد ٢٦ آذار ١٩٣١)



البيت الذى اقمت فيه فى كارون



"بلشفيك" لسان حال اول منظمة حزبية



دسكرة جياجياتون حيث عقد اجتماع كارون وتأسست اول منظمة حزبية



محطة كارون



منظر عام لليجياتون فى غويوشو حيث جرى تشكيل الجيش الثورى الكورى



تشاى تشانغ غول



كيم وون وو



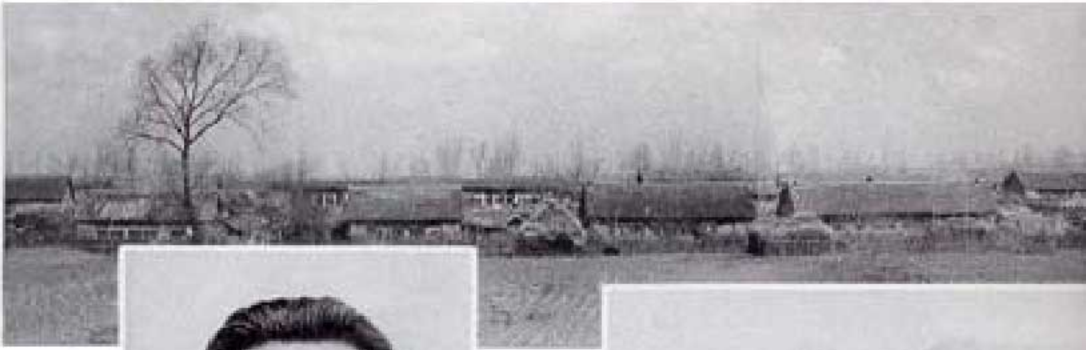
غى يونغ تشون



باك كون وون



تشانغتشون





تيلينغ



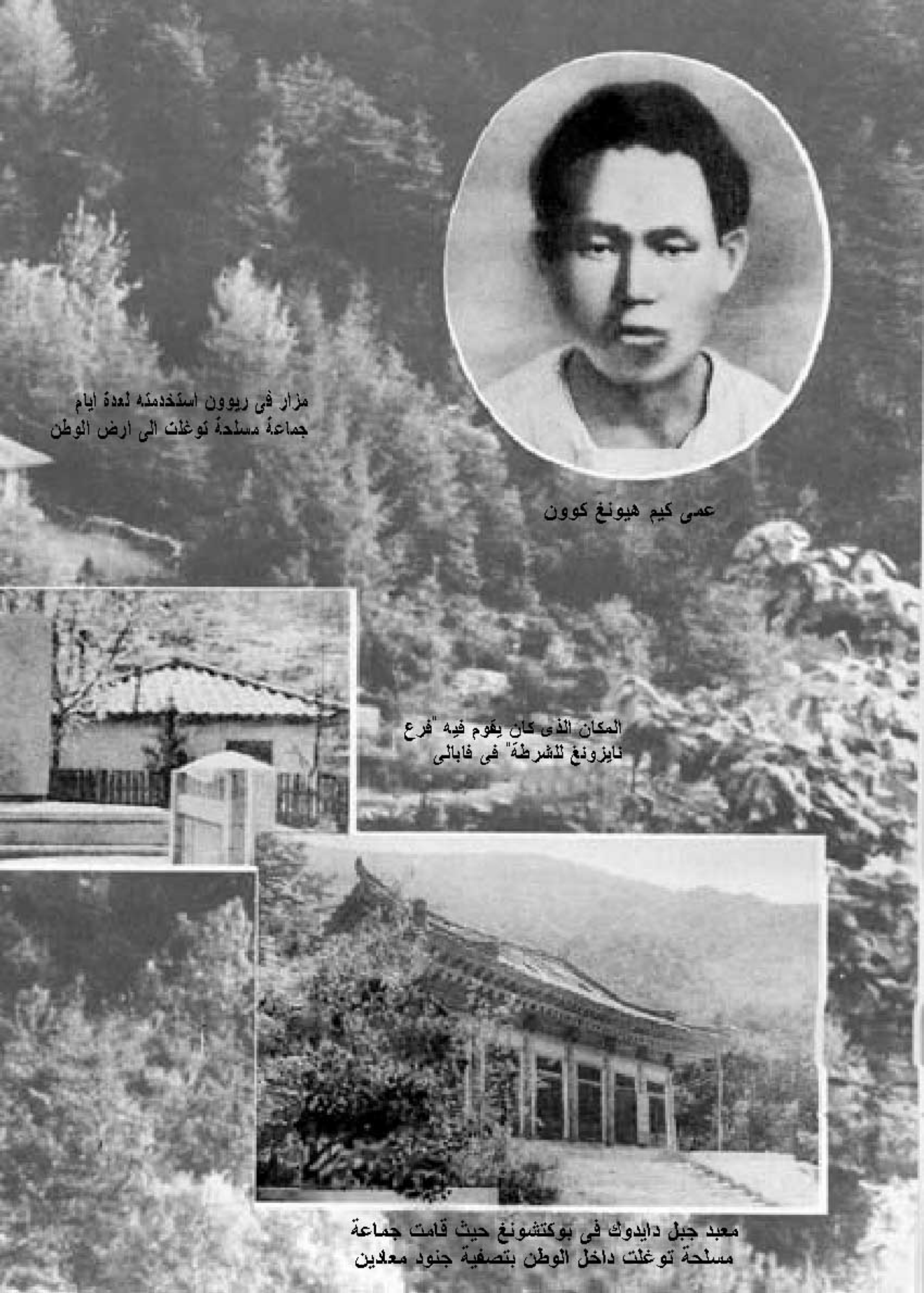
كيم هيوك



كونغ يونغ



كونغتشولينغ



مزار فى ريوون استخدمته لعدة ايام
جماعة مسلحة توغلت الى ارض الوطن

عمى كيم هيونغ كوون

المكان الذى كان يقوم فيه "فرع
نايزونغ للشرطة" فى فابالى

معبد جبل دايدوك فى بوكتشونغ حيث قامت جماعة
مسلحة توغلت داخل الوطن بتصفية جنود معادين



تشای هیو ایل



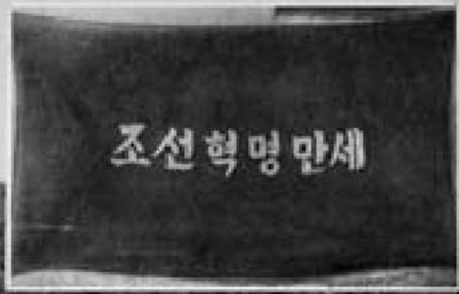
السيارة "هامنام رقم ٢٦٨" التى انتزعها اعضاء الجماعة المسلحة من العدو واستقلوها



豐山에突現한武裝團四名
巡査部長射殺逃走
自働車를빼서타고山中潛跡
武裝警官二十名急行

節婦岩路上에怪靑年
詰問하자拳銃發射
負傷警官은重態
豐山拳銃團暴擧當時光景

معلومات عن تقدم الجيش الثورى الكورى الى داخل الوطن





رابيةً دورو، وفيها عقد لاول مرة فى كوريا، اجتماع لتأسيس المنظمة الحزبية. راية علقت على الواجهة فى ذلك الحين



زون زانغ وون



او زونغ هوا



تشاى سو هانغ



مدرسة زينميونغ الخاصة، حيث التقيت بثوريين من داخل البلاد فى تشرين الاول ١٩٣٠





بيون داى وو وبيته



بيون دال هوان



كيم بو آن، آمر سرية فى جيش الاستقلال



ووتشازى التى تحولت الى قرية ثورية



هيون ها زوك
(هيون زونغ كيونغ)



كيم سون اوك



تشاى ايل تشون وزوجته سونغ سو اوك





اوعية الطعام
والرحى التى لا انساها





طاولة وقرن لحفظ مسحوق
الفلفل الاسود كنت
استخدمهما فى ووتشازى



فى فترة تنظيم الوحدة المسلحة (١٩٣٢)

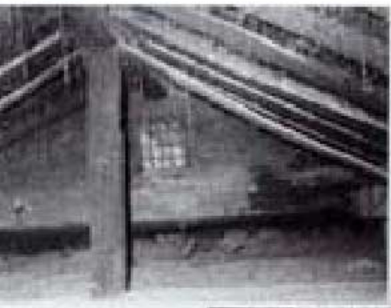


حادثة ١٨ ايلول، شمال شرقى الصين يغرق فى بحر من الدماء

الرد على السلاح بالسلاح



منظر عام لآنتو

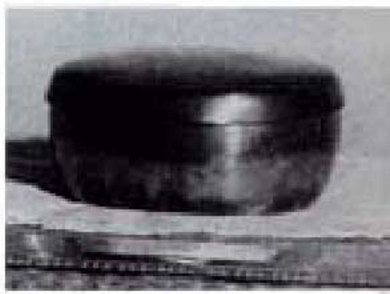






موقع اتصال سرى جرى الاعداد
فيه لتأسيس جيش حرب العصابات





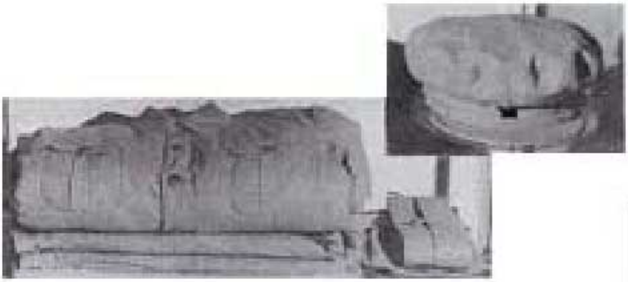
وعاء نحاسى وسرج فرس استخدمتهما فى تلك الفترة



المسدس الذى خلفه لى والدى

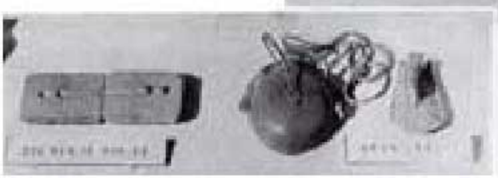


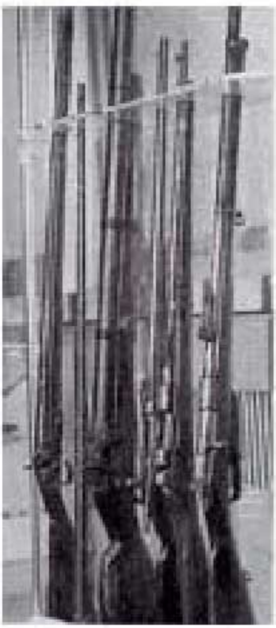
اول علم رفعته قوات
حرب العصابات



الزى العسكرى لجنود جيش حرب العصابات
الشعبى المناهض لليابان واسلحتهم









الشارع الذى اقام فيه جيش حرب العصابات استعراضه
فى آنتو بمناسبة الاول من ايار



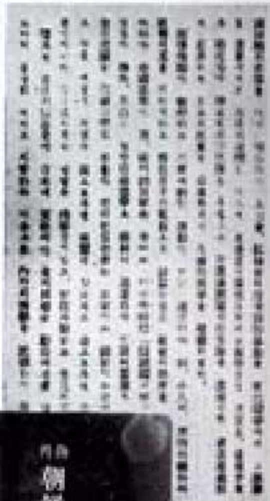
منظر عام لدسكرة موتياوتون فى سياوشاهى، حيث اعلن تأسيس جيش حرب العصابات



كيم زونغ كوون



لى كوانغ





كيم زونغ ريونغ



او بين



مطبوعات



ليانغجيانغكو



موقع الاتصال السرى حيث كان اخى الصغير تشول جو
يوجه عمل اتحاد الشباب الشيوعى



منظر عام لسينغلونغتشون



المكان الذى كانت تقود منه امى جمعية النساء



البيت الذى توفيت فيه امى فى سياوشاهى

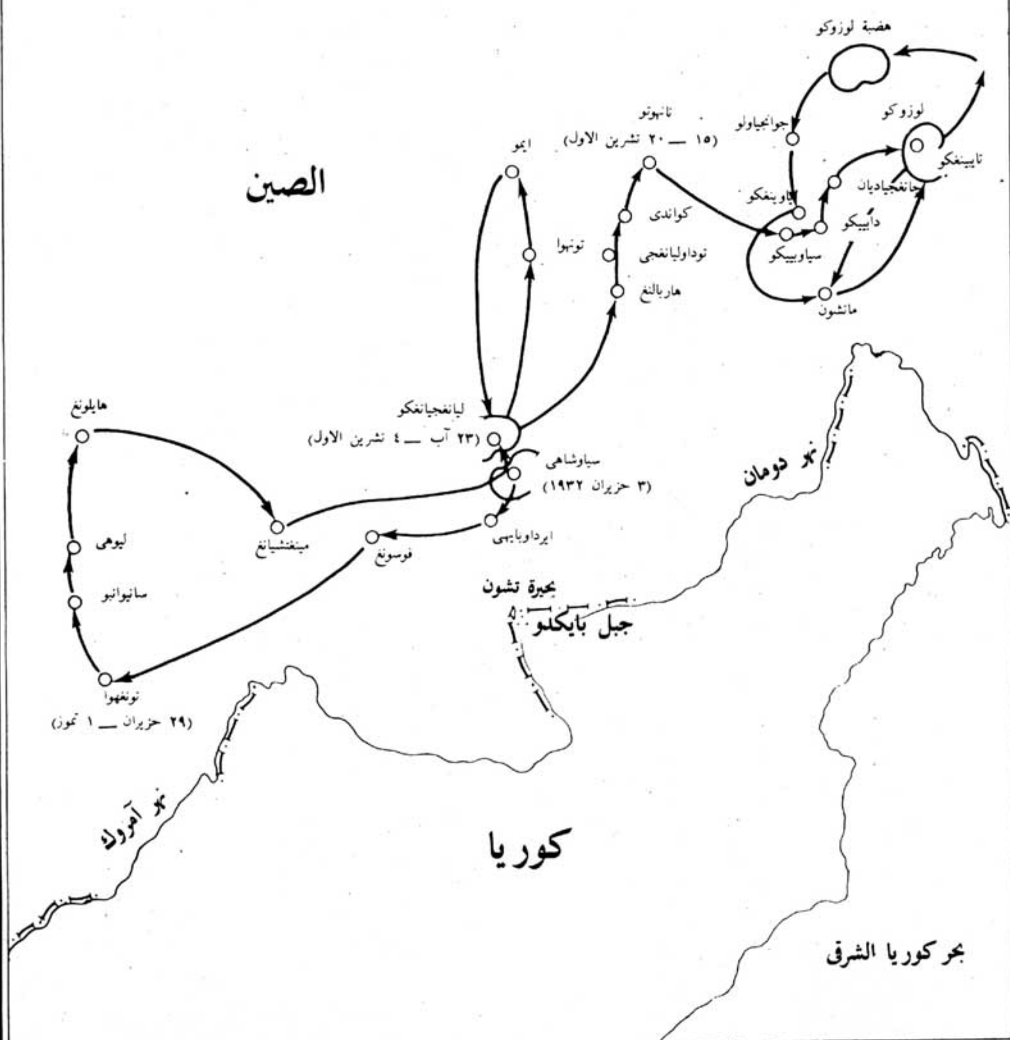


معلومات عن مطاردة الامبرياليين
اليابانيين لأخى الاصغر يونغ جو



نصب على قبر امى فى سياوشاهى

طريق مسيرة جيش حرب العصابات الشعبي المناهض لليابان الى منشوريا الجنوبية والشمالية





مع زوجة ريانغ سى بونغ (الاولى الى اليمين فى الصف الامامى)
ومناضلات اخريات مناهضات لليابان (آب ١٩٥٨)



ريانغ سى بونغ



نصب على قبر ريانغ سى بونغ

فهرس

الفصل الرابع   بحثا عن طريق جديد

الفصل الخامس   الشعب المسلح

الفصل السادس سنة المحن

الفصل الرابع

بحثا عن طريق جديد

القس سون زونغ دو

ربيع عصيب

اجتماع كارون

اول منظمة حزبية – جمعية تلاحم الرفاق

الجيش الثورى الكورى

الشاعر الثورى كيم هيوك

صيف عام ١٩٣٠

عبر نهر دومان

التحويل الثورى ل"القرية المثالية"

أناس لا أنساهم

الفترة: ايار ١٩٣٠ – كانون الاول ١٩٣٠

١ـ القس سون زونغ دو

اطلق سراحى من السجن فى وقت كان يسود منشوريا فيه وضع بالغ الصعوبة.

فقد كانت تطغى على شوارع جيلين اجواء تذكر باجواء حالة الطوارئ فى خريف عام ١٩٢٩، عندما انقلبت المدينة كلها رأسا على عقب بسبب حادثة حلقة المطالعة المناهضة لليابان. فعند مفارق الطرق وقرب الابنية الحكومية كان دركيو الادارة العسكرية يستجوبون المارة ويفتشونهم. وكان يظهر هنا وهناك جنود وشرطيون يفتشون البيوت وهم يحملون البنادق.

فبسبب خط لى ليسان اليسارى، كانت منشوريا بأسرها تمر بظروف مؤلمة، وفى اجواء اكثر من قاتمة، فقد كانت منشوريا حينذاك مسرحا لانتفاضة الثلاثين من ايار.

هذه هى التسمية التى اطلقها مؤرخو بلادنا على تلك الانتفاضة، لكن الصينيين اسموها "نضال ايار الاحمر". وهذه التسمية تعزى الى ان الانتفاضة التى بدأت بمناسبة الذكرى الخامسة لمذبحة ٣٠ ايار فى شنغهاى بلغت ذروتها فى هذا اليوم بالذات .

فاحياء لذكرى النضال البطولى الذى خاضه سكان شنغهاى فى ايار ١٩٢٥، اصدر لى ليسان الذى كان يقود الحزب الشيوعى الصيني حينذاك، امرا الى كل صفوف الحزب لاعلان الاضراب فى ثلاثة قطاعات: العمال، والطلاب، والاهالى على

طول البلاد وعرضها، وان يجرى فى الوقت نفسه تشكيل فرق انصار على الطريقة السوفييتية من خلال النضال على شكل انتفاضة.

وفور صدور هذا القرار، سارعت المنظمات الثورية التابعة للجنة الحزب فى اقليم منشوريا الى تعبئة الجماهير فى اجتماعات حاشدة واثارت العصيان فى كل مكان تحت شعار: "تحقيق الانتصار اولا فى مقاطعة واحدة او فى عدة مقاطعات" الذى اطلقه لى ليسان. وظهرت فى مدن وقرى منشوريا الشرقية منشورات ونداءات تدعو الى الانتفاضة.

مع بداية انتفاضة ٣٠ ايار، اشتد هجوم العدو على الشيوعيين بشكل لم يسبق له نظير.

وكانت امواج ذلك الهجوم تقترب شيئا فشيئا من جيلين.

بعد اطلاق سراحى من السجن، زرت اولا بيت القس سون زونغ دو فى شارع نيوماسيانغ. فقد كان افراد اسرته يحملون الى الطعام والملابس دون كلل، طوال سبعة شهور امضيتها فى السجن. ورأيت ان الواجب الاخلاقى يفرض على ان اشكرهم قبل ان اغادر جيلين.

استقبلنى القس سون زونغ دو بسعادة بالغة وكأننى ابنه:

"لقد كنا مغمومين خشية ان يسلمك امراء الحرب الى اليابانيين. لقد اخلى سبيلك لحسن الحظ دون ان يصدر حكم بحقك".

"لم تكن حياة السجن قاسية على بفضل مؤازرتكم الطيبة ايها السيد القس. اعرف انكم قد رشوتم السجانين بمبلغ محترم من المال. ولست ادرى كيف يمكننى الرد على جميلكم. لن انسى هذا مدى الحياة".

كان القس يستعد آنذاك للانتقال الى مناطق الصين الداخلية. فسألته عن السبب الذى دفعه الى التفكير فى مغادرة جيلين فجأة.

تنهد القس ثم ابتسم بمرارة :

"حتى تشانغ تسو سيانغ فقد القدرة على التأثير. لم تعد هناك فى جيلين قوة يمكنها حمايتنا ومساعدتنا. فاذا لم يساعد تشانغ تسو سيانغ الكوريين، فان الامور ستصبح صعبة جدا حين يأتى الجيش اليابانى. كنت اظن ان حركة الاستقلال ستندفع بقوة مثل حصان مجنح اذا ما تم دمج المجموعات الثلاث، ولكن ذلك لم يحدث فى الواقع. بل ان النزاعات الداخلية لم تتركنا نعيش يوما واحدا مطمئنين. لا اريد البقاء يوما واحدا آخر فى هذا المكان".

كان فى مناطق الصين الداخلية شخصيات ارتبط بها بعلاقات حميمة اثناء توليه منصب نائب رئيس، ثم رئيس المجلس التشريعى لحكومة شنغهاى المؤقتة(١)، وكان له اصدقاء من فترة رابطة هونغسا. واظن انه قد قرر الانتقال الى هناك لاعادة هذه العلاقات والتفرغ اكثر للعمل فى حركة الاستقلال.

سألنى القس سون زونغ دو عما سأفعله، لاسيما وان الامبريالية اليابانية ستشن عدوانا على منشوريا بين لحظة واخرى.

"سأنظم جيشا كبيرا واصفى الحساب مع الامبرياليين اليابانيين. ليس امامى سبيل آخر".

نظر الى سون زونغ دو بدهشة، وقال:

"أتريد مجابهة اليابان بالسلاح؟"

"نعم، لا يوجد مخرج آخر".

"يجب ان تضع نصب عينيك ان اليابان هى احدى القوى العظمى الخمس فى العالم. لقد انهار أمام أسلحتها الحديثة جيش المتطوعين الفاضلين وجيش الاستقلال. ولكن، اذا كنت مصمما على هذا القرار، فاعمل بجرأة".

جلت بنظرى فى أنحاء بيت القس. بدا لى انه فى فوضى واضطراب بالمقارنة مع ما كان عليه فى الشهور الاولى من مجيئى الى جيلين، فأحسست بالحزن. لقد كان يصدح فيه الحاكى من قبل، وتسمع اصوات الاستقلاليين المتحمسة وهم يتناقشون حول الوضع السياسى. وكان المرء يرى فيه وجوه رجال الدين الورعين الذين كانوا يزورونه، ويسمع الانغام الحزينة لاغنية "لا تهبى ايتها الرياح" التى ينشدها اعضاء رابطة الاحداث الكوريين.

غير ان ذلك كله قد تلاشى تماما، ولم يبق اى اثر له، كما غادر جميع نزلاء هذا البيت الذين كانوا يطوفون حول القس وذهبوا الى ليوهى وسينغجينغ وشنغهاى وبكين، وصمت الحاكى الذى كان يرسل الاغنيتين الكئيبتين: "اطلال القصر الملكى" و"المهاجر."

وذهب القس سون زونغ دو نفسه ايضا الى بكين لبعض الوقت، حيث كان يعمل دان زاى – سين تشاى هو، المؤرخ والاديب المشهور الذى كان القس يشاطره الغايات فى الفترة الاولى لحكومة شنغهاى المؤقتة. وكان له هناك عدد كبير من الرفاق.

عندما وصل القس الى بكين، كان سين تشاى هو معتقلا فى سجن ليوشون. اذ القى القبض عليه لدى وصوله بحرا الى تايوان التى ذهب اليها لتسوية مسألة مع التحالف الشرقى. بدت له بكين دون سين تشاى هو مقفرة وقاتمة جدا. فقد كانت تربط بينهما صداقة حميمة.

لقد عمل سين تشاى هو طويلا وبذل جهودا كبيرة فى كتابة تاريخ كوريا، لكى يعرف الاجيال الصاعدة على تقاليد امتنا الوطنية العريقة وثقافتها الباهرة ويغرس فيهم روح الوطنية. وعكف لبعض الوقت على الطباعة والنشر بحماسة لتنوير الشعب. وقد حظيت جريدة "هايزو سينمون" بشعبية واسعة عندما اصدرها فى منفاه فى فلاديفوستوك. وكان باك سو سيم يرسل مقالاته احيانا الى "هايزو سينمون"، لان اسم صاحبها سين تشاى هو كان مشهورا على نطاق واسع فى اوساط جاليتنا وكان الكثيرون يقدرون شخصيته وكتاباته.

كان سين تشاى هو من دعاة خط المقاومة المسلحة. وقد اعتبر دعوة سينغمان رى(٢) الى الدبلوماسية ودعوة آن تشانغ هو الى التحضير خطين خطرين وغير واقعيين. واكد انه يتوجب على العشرين مليون كورى ان يتحدوا فى كتلة واحدة ويسلكوا طريق العنف والتخريب، بموجب الظروف القائمة، حيث يقف الشعب الكورى فى جانب وقطاع الطرق اليابانيون فى الجانب الآخر، وتفرض المواجهة ان يلحق احدهما الهزيمة بالآخر.

عندما قدمت بعض الشخصيات سينغمان رى لرئاسة حكومة شنغهاى المؤقتة، ابدى سين تشاى هو سخطه وعارض ذلك مباشرة، لانه كان معارضا فى الاصل للوصاية والحكم الذاتى اللذين بشر بهما سينغمان رى.

وقد قال فى المكان الذى كان يجرى فيه تشكيل الحكومة المؤقتة فى شنغهاى، كلمة شهيرة كان لها دوى القنبلة:

"ان سينغمان رى اكثر خيانة من لى وان يونغ، فاذا كان هذا الاخير قد باع البلاد حين كانت قائمة، فان الاول باعها وهى ضائعة".

كما انتقده بقسوة ايضا فى "بيان الثورة الكورية" الذى اصدره بعد انفصاله عن الحكومة المؤقتة.

كان القس سون زونغ دو يتذكر تلك الاحداث احيانا ويقول:

"كان سين تشاى هو رجلا ذا طبع حاد مثل موسى الحلاقة وكان تصميمه متينا كالحديد. وعندما سمعته يقول ان سينغمان رى اكثر خيانة من لى وان يونغ، لم استطع ان اخفى سعادتى. فقد كانت كلماته تعبر عن الرأى العام السائد. لقد كانت مشاعرنا متطابقة. ولهذا السبب قطعنا علاقتنا بالحكومة المؤقتة معا".

وعلى ضوء هذه الكلمات، يمكن تقويم آراء القس سون السياسية. لقد اعتبر الوصاية والحكم الذاتى على السواء وهما. اما بالنسبة لنظرية آن تشانغ هو حول تنمية القدرة العملية، فقد اتخذ موقفا متشككا، بينما اعرب عن تأييده المطلق لرأينا حول تحقيق استقلال البلاد بتعبئة الامة كلها فى النضال ليشارك الشعب بأسره فى المقاومة. هذا الموقف الراديكالى جعله يدرك ضرورة الاستقالة من منصبه كوزير فى حكومة شنغهاى المؤقتة التى يترأسها سينغمان رى، الرجل الجشع والمرتهن للقوى العظمى، قد توصل القس فى نهاية المطاف الى اتخاذ قرار قطع علاقته بالحكومة المؤقتة ونقل مسرح نشاطه الى جيلين.

وقد اقام فى هذه المدينة علاقات من رجالات الاتجاه الراديكالى، الذين كانت الشرطة

اليابانية تعتبرهم "القوة الثالثة" وساهم فى حركة الاستقلال بنشاط. وقد تفاهم تماما مع شباب الجيل الجديد وآزرهم بكل اخلاص فى كل ما كانوا يعملونه. ان الكنيسة الواقعة خارج بوابة دادونغ حيث كان يمارس مهامه الدينية، كانت اشبه بمكان اجتماع خاص بنا وكنت اتردد عليها بكثرة للعزف على الارغن وتوجيه تدريبات فرقة الدعاية الفنية. وقد تبعت القس سون زونغ دو واحترمته كما لو كان والدى، لانه كان يقدم لنا كل ما نطلبه ويدعم من صميم قلبه، نشاطاتنا الثورية.

وقد احبنى القس سون زونغ دو بدوره كابن حقيقى له. فعندما سجنت، بادر هو بالذات الى توجيه حملة المطالبة باطلاق سراحى، بل وقدم رشوة الى تشانغ تسو سيانغ.

ولم يعاملنى القس كابن صديقه وحسب، بل كذلك كثورى يملك وجهة نظره الخاصة. وقد صارحنى دون تردد وطلب نصيحتى حول مشكلة صعبة كانت تواجه اسرته ولم يستطع حلها رغم ان الاستقلاليين قاموا ببحثها.

كان القس سون آنذاك يعانى الهموم بشأن زواج ابنته الكبرى سون زين سيل من يون تشى تشانغ. فقد عارض جميع الاستقلاليين فى جيلين دون استثناء ذلك الزواج بشدة. وحتى القس سون نفسه كان متضايقا ويرى ان ابنته اخطأت فى اختيار شريك حياتها. وكان يعتقد ان اقتران ابنته بيون تشى تشانغ سيكون عارا لاسرته. فالعريس هو الاخ الاصغر لعميل اليابان والرأسمالى الكومبرادورى يون تشى هو. وبينما كان القس قلقا لانه لم يستطع ان يقنع ابنته، احتجزت جماعة محافظة من جيش الاستقلال يون تشى تشانغ مدة اسبوع بهدف انتزاع المال منه. فسألنى القس:

"ما رأيك فى هذا الامر يا رجل؟"

ترددت لبعض الوقت فى الاجابة لان التدخل فى شؤون الكبار بدا لى ضربا من التهور، ثم قلت بحذر:

"كيف يمكن الفصل بينهما اذا كان كل منهما يحب الآخر؟ من الافضل تركهما يتصرفان حسب مشيئتهما".

ثم اقنعت المحافظين بعد ذلك باطلاق سراح يون تشى تشانغ.

انتقل القس سون الى بكين، ولكنه عاد الى جيلين، على ما اذكر، فى العام التالى. وقد قال بعضهم انه عاد بناء على طلب او اين هوا وكو وون آم وغيرهما من شخصيات الاتجاه الراديكالى. ولكن لم يكن هناك ما يؤكد صحة هذه الاقوال. على كل حال، فان بقاء القس فى

جيلين حتى اللحظة الاخيرة من حياته يشير كما يبدو الى عدم تفاؤله من وضع حركة الاستقلال فى منطقة بكين، اضافة الى ان حالته الصحية لم تكن على ما يرام.

حين قابلت القس سون زونغ دو بعد خروجى من السجن، ابدى قلقه لشحوب وجهى، ولكننى لمحت عليه بالمقابل علائم المرض، وقد اقلقنى ذلك كثيرا. فمرضه المزمن تفاقم الى حد لم يعد يتناول معه الطعام كما يجب.

قال لى القس:

"اننى اطلق الزفرات ليل نهار، لاننى مريض، ولان بلادى قد دمرت. ان (الرب) العليم بكل شىء والقادر على كل شىء لا يتلطف بى. وقد كلفنى هذا المنفى غاليا".

فى عام ١٩١٢، وبينما كان يمارس نشاطاته التبشيرية فى منشوريا، اتهم بالمشاركة فى مؤامرة اغتيال كاتسورا دارو واعتقل ونفى مدة سنتين الى جزيرة زين. ويبدو انه اصيب بالمرض هناك. ومما يبعث على الاستغراب – وهذا ليس خرافة – ان الامراض تهاجم بسهولة اولئك الذين تحبهم الجماهير وتقدرهم.

فى ربيع العام التالى لخروجى من السجن، فاجأنى فى مينغويكو خبر موت القس سون زونغ دو. وقد قال من نقل لى الخبر ان القس توفى فى مستشفى دونغيانغ بجيلين.

ظننت اول الامر ان الخبر كاذب. ولم استطع ان اصدق موته المفاجئ. كنت افكر انه لا يمكن لقرحة معوية ان تطفئ حياته بسهولة وكأنها شمعة وهو الذى كان قبل ستة اشهر فقط يناقش حول مستقبل حركة الاستقلال دون ان يلزم فراش المرض. الا ان الخبر كان صحيحا لسوء الحظ. وقد علمت من خلال المنظمة السرية، انه تقيأ دما وتوفى يوم دخوله المستشفى.

فى ذلك الحين، كان فى اوساط جاليتنا عدد غير قليل ممن يرون موت القس سون قتلا متعمدا. والسبب الاول فى ذلك هو ان حالة مرضه قبيل دخوله المستشفى لم تكن خطيرة الى حد تهديد حياته. والسبب الآخر المقنع هو ان مستشفى دونغيانغ يديره اليابانيون. وكان الرأى السائد بين مواطنينا هو ان هؤلاء اليابانيين الخساس الذين لا يتورعون عن استخدام الكوريين كاهداف اختبار للحرب الجرثومية، يمكنهم ان يقدموا، ليس على القتل المتعمد وحسب، بل وعلى تدبير اكثر المكائد انحطاطا وشراسة.

ولكن الحجة الاكثر وضوحا هى ان الضحية كان وطنيا مشهورا. فالشرطة اليابانية تضع اسمه فى القائمة السوداء، ولا تتوقف عن مراقبته لحظة واحدة. وفضلا عن اتهامه باغتيال

كاتسورا دارو، كان رئيسا للمجلس التشريعى ومديرا عاما للمواصلات فى حكومة شنغهاى المؤقتة، وعضو جمعية الاعلام السياسى، وعضوا فى رابطة هونغسا وفى جمعية العمال والجنود. وبسبب هذه السوابق فى مناهضة اليابان، كانت الشرطة تعتبره شوكة فى عينها. ومن الادلة الواضحة على المراقبة العنيدة التى فرضها اليابانيون على القس سون زونغ دو، ان القنصل العام اليابانى فى جيلين، سارع فور موت القس المفاجئ الى ارسال وثيقة خاصة الى وزير خارجية بلاده بعنوان "قضية موت الكورى الكريه سون زونغ دو."

كان البعض يقولون ان لقب هاى سوك (حجر البحر) الذى كان يدعى به القس سون زونغ دو يعكس تماما ميزاته الشخصية. فقد كان استقلاليا راسخ المبدأ وطاهر الذمة كرس حياته كلها لقضية مناهضة اليابان المقدسة تحت ستار عمله ككاهن مع انه لم يكن يحب البروز امام الناس. وحتى بعد مجيئه الى جيلين، بذل جهودا دؤوبة، مع شخصيات من الاتجاه الراديكالى فى مجموعة زونغوى، لتحقيق تحول فى اتجاه حركة الاستقلال وتوحيد القوى الوطنية بما يتفق مع الوضع المتغير. وفى الوقت الذى كنا ننظم فيه رابطة جيلين للاحداث الكوريين ورابطة ليوكيل للطلاب الكوريين، بادر الى تشكيل جمعية التعاون المتبادل بين الفلاحين فى منشوريا. وبذل مساعى حثيثة فى ذلك.

وكان قد اشترى كذلك خمسين شانغ من اراضى منطقة بحيرة جينغبوهو بمحافظة ايمو باسم اخيه الصغير سون كيونغ دو، واقام فيها مشروعا زراعيا.

يمكن القول ان تلك المنطقة كانت جانبا من "القرية المثالية" التى تصورها آن تشانغ هو، فقد كان يضع عينيه على منطقة بحيرة جينغبوهو لبناء المجتمع المثالى. وكان القس يفكر باستخدام عائدات المشروع الزراعى فى دعم حركة الاستقلال.

اقيم للقس سون زونغ دو جناز مهيب على الطريقة البروتستانتية فى نادى فينغتين. وقد قيل لى انه بسبب تدخل الشرطة اليابانية، شارك نحو اربعين شخصا فقط فى تشييع من ناضل من اجل الاستقلال مكرسا عشرات السنين المليئة بالشدائد، منذ ما قبل ضم كوريا الى اليابان.

وكان الوداع صامتا وكئيبا جدا، خصوصا اذا اخذنا فى الاعتبار انه كان محاطا فى حياته باناس كثيرين ممن غرس فيهم دون كلل الروح الوطنية. وهل استطاع من شيعوه ان يذرفوا الدموع ويبكوا بحرية، تحت مراقبة الشرطة، وهم الذين لم يتمكنوا من عمل ذلك حسب مشيئتهم حتى يوم موت ملك البلاد؟

لقد رفعت عينى وانا فى ارض تشينتاو واتجهت بهما وانا اذرف الدموع نحو سماء جيلين، متوسلا الراحة الابدية لنفس الراحل.

بكيت بحزن وانا اتذكر القس سون ووالدى. وعقدت العزم الاكيد على استعادة البلاد مهما كلف الثمن من اجل الراحة لارواح آبائنا الراحلين والثأر للمظالم التى انزلت بهم.

فكرت فى ان استعادة البلاد هى السبيل للرد على افضال المحسنين الى وتهدئة ارزائهم وانتزاع الاصفاد من ايدى الشعب واقدامه.

بعد ذلك، سلكت وافراد اسرة القس سون زونغ دو طريقين مختلفين. ان مأساة انقسام البلاد التى ما زالت قائمة حتى الآن بالرغم من اقتراب القرن الراهن من نهايته، تفصل بيننا دون رحمة بالاسلاك الشائكة واسوار الاسمنت المسلح وامواج الاوقيانوس الهائجة. فمنذ اكثر من نصف قرن نعيش متباعدين دون ان نتبادل حتى الرسائل، انا فى بيونغ يانغ وسون اين سيل فى سيؤول وسون وون تاى فى اوماها بالولايات المتحدة الامريكية.

مع ذلك، لم انس القس سون زونغ دو وافراد اسرته يوما واحدا. وذكرياتى عنهم لم تبهت ولم تذو على الرغم من تصرم السنين وترامى المسافات، بل بقيت ماثلة بوضوح فى ذاكرتى.

بقدرما تتعمق مأساة الامة وترتفع الحواجز التى تفصل بيننا، تزداد اشواقى الى المحسنين والشهداء الذين اراقوا الدموع والدماء لاسترداد هذه الارض.

ولكن التاريخ لم يدر ظهره لهذا الحنين.

ففى ايار من عام ١٩٩١، زار بلادنا بدعوة من وزارة شؤون المغتربين، سون وون تاى الابن الاصغر للقس سون زونغ دو الذى يشتغل طبيبا متخصصا بالباثولوجيا فى مدينة اوماها بولاية نبراسكا فى الولايات المتحدة، وقد رافقته فى الزيارة زوجته لى يو سين. لقد كان من قبل تلميذا ضعيفا وهو فى حدود العاشرة من عمره. وعندما كان اعضاء رابطة الاحداث او اعضاء رابطة ليوكيل للطلاب يلعبون لعبة الحرب منقسمين الى جماعتين، احداهما "الارض" والاخرى "البحر"، على ضفاف نهر سونغارى الرملية، كان يصر دائما ان يكون مع الطرف الذى انضم اليه انا. ولكنه ظهر امامى الآن شيخا على عتبة الثمانين. ولكن انقضاء ستة عقود منحوسة لم يستطع محو الآثار التى طبعته بها مرحلة جيلين، وان كان الشيب قد غطاه.

عانقنى سون وون تاى صارخا "سيادة الرئيس!" وانهمرت من عينيه دموع تعبر عن

آلاف وآلاف الكلمات، وما لا حصر له من الذكريات. لقد كانت القلوب تدمى شوقا طوال تلك السنين. ولكن، لماذا لم نلتق الا الآن عندما اصبحنا نسرح شعرنا الشائب؟ ما الذى منعنا من اللقاء خلال اكثر من نصف قرن؟

ستون عاما هو زمن طويل يساوى عمر الانسان. وفى عصر الحضارة هذا، حيث تذرع الفضاء طائرات تفوق سرعتها سرعة الصوت، عدنا نحن الذين كنا فى العاشرة وبضع سنوات، لنلتقى ونحن فى الثمانين من عمرنا. فكم هو قاس وغير مجد انقضاء الزمن هذا الذى فرض علينا الشيخوخة!

"كيف ملأ الشيب رأسك هكذا ايها السيد سون؟"

وجهت السؤال بنبرة رسمية ليس الى من كان فيما مضى عضوا فى رابطة الاحداث الكوريين، وانما الى عالم اليوم المسن الذى يحمل الجنسية الامريكية.

نظر سون وون تاى الى وقد علت وجهه مسحة من التدلل، كما فى ايام جيلين.

"شوقى العارم لرؤيتكم ايها السيد الرئيس كيم هو الذى ملأ رأسى بالشيب".

ثم طلب منى ألا اناديه بلقب "السيد"، لانه كان يتبعنى فى ايام جيلين وكأننى اخوه الكبير، ولانى كنت اعامله مثل اخى الصغير.

فقلت مبتسما:

"حسن، سأدعوك وون تاى فقط، كما فى الماضى".

تلاشى الوضع المربك فى برهة. واحسسنا كما لو اننا نعيش ايام جيلين. بل وخيل الى اننى اقابل سون وون تاى فى غرفة قديمة مستأجرة فى جيلين وليس فى صالة استقبال فى بيونغ يانغ. ففى ايام جيلين، كنت اتردد على منزل القس سون فيما كان سون وون تاى يأتى بكثرة لرؤيتى فى غرفتى المستأجرة.

لقد كان شخصا ضئيل البنية وقليل الكلام، يمشى دائما ورأسه مائل الى احد جانبيه مثل تشا كوانغ سو، وحين كان يفتح فمه، يطلق سلسلة من المزاح والفكاهات الذكية التى تثير قهقهات مستمعيه. وقد ادهشنى ان ذلك التلميذ فى مدرسة المقاطعة الابتدائية الرابعة قد اصبح طبيبا متخصصا بالباثولوجيا. ولكن ما ادهشنى اكثر هو انه بات عجوزا فى مرحلة الافول. وقد اذهلنى انقضاء كل هذا الزمن الطويل. كان يبدو لى اننا افترقنا امس بالذات فى جيلين، ولكن ايام الطفولة الحالمة ولت، وتحولنا الآن الى مسنين، نتذكر تلك الايام وكأنها حكايات.

لم يكن ثمة نهاية لذكرياتنا عن مرحلة جيلين. ولم يقتصر حديثنا على نشاطات رابطة الاحداث الكوريين، بل تعداها الى باعة الحلوى الذين كانوا يفرغون جيوب الصبية فى الشوارع.

كم كان باعة الحلوى اولئك مخادعين! كانوا اذا رغبوا فى اكل الحلوى، تناولوا واحدة من الطبق ودسوها في فمهم ومصوها عدة مرات، ثم اعادوها بعد ذلك الى مكانها فى الطبق ليبيعوها. ولكن الاولاد ما كانوا لينتبهوا الى ذلك.

جعلتنا الذكريات ننسى كل همومنا، ورحنا نضحك ملء اشداقنا.

اكد سون وون تاى اننى اتمتع بصحة جيدة، على عكس ما يقال فى الغرب، ثم امسك يدى دون تكلف وراح يتأمل راحتى مطولا، بينما انا مذهول جدا. ثم قال مبتسما:

"يا لروعة خط الحياة! اننى واثق من انكم ستعيشون عمرا مديدا وبصحة جيدة. ولكن، يا لوضوح خط الرئاسة! هذا هو سبب تمتعكم بالاحترام البالغ كرئيس للبلاد".

كانت المرة الاولى فى حياتى التى سمحت فيها بقراءة كفى، وسمعت للمرة الاولى كذلك ان فى كفى خط رئاسة. اظن تأكيده بان طالعى يشير الى حياة مديدة، هو تعبير عن رغبة سون وون تاى وتمنياته لى ذلك، اما حديثه عن خط الرئاسة فاعتقد انه اراد الاعراب بذلك عن تأييده لقضيتنا.

ودون اى احساس بالجو الرسمى للقاء مع رئيس دولة، تقدم سون وون تاى الى بالطلب التالى:

"يا سيادة الرئيس، متى تشترون لى (جيانغتشيكوجى)؟ وارغب ايضا فى ان اتناول (بينغتانغهولو) التى كنا نتناولها معا فى جيلين".

فاجأتنى هذه الكلمات وغمرت قلبى موجة دفء كاسحة. فهو طلب لا يمكن التقدم به الا الى اخ شقيق. وهو يعتبرنى اخاه حقا. وتذكرت فجأة ان اخاه سون وون ايل الذى تولى لبعض الوقت منصب وزير الدفاع فى جنوبى كوريا، قد توفى قبل بضع سنوات.

ومهما بلغت عنايتى فى تكريم سون وون تاى، فاننى لن اصل الى مستوى ذلك الحب الذى كان يحيطه به اخوه الاكبر سون وون ايل.

ولكن مع ذلك، لماذا لا البى رغبته فى تناول "جيانغتشيكوجى" او "بينغتانغهولو"؟ و"جيانغتشيكوجى" هو طبق صينى يشبه الحلوى، يقدم مع مرق الصويا.

حين كنت فى جيلين، كنت اجوب الشوارع مع سون وون تاى وسون اين سيل واشترى

لهما هذا الطبق احيانا فيأكلانه بشهية كبيرة. وعرفانا منى بجمائل القس سون زونغ دو، فقد كنت اود لو اشترى لهما كل ما يرغبان فيه، ولكن ما كنت املكه من النقود كان لا يكاد يكفى لنفقات دراستى.

لا اظن ان سون وون تاى طلب منى ذلك لانه يرغب فعلا فى تناول ذلك النوع من الطعام. وانما جاء على ذكره تعبيرا عن حنينه الى فترة جيلين، حين كانت علاقتنا حميمة جدا كالعلاقة بين اخوين.

"اذا اردت ان تتناول (جيانغتشيكوجى)، فسأعمل على اعدادها لك فى فرصة اخرى".

لقد طلب سون وون تاى منى هذا الطعام مازحا، الا اننى احسست برغبة عارمة فى تلبية طلبه، ليس فى وقت آخر، وانما فى ذلك الوقت بالذات. فقد ترك طلبه غير المتكلف اعمق الاثر فى نفسى.

وبعد مرور يومين، اعد طهاتنا "جيانغتشيكوجى" لسون وون تاى وزوجته وحملوه اليهما قبل الفطور. وقد علمت ان سون وون تاى قال والدموع فى عينيه حين رأى ذلك الطبق: لقد احببت هذا الطبق كثيرا فى طفولتى. وها انذا اعود لتناوله الآن بفضل الرئيس كيم.

ان العواطف اقوى بكثير من الزمن. فالزمن يجعل كل شىء باهتا وذاويا، باستثناء هذه الخاصة الانسانية. لان الصداقة والحب الحقيقى لا يضمحلان ولا يتبدلان.

ان صداقتنا التى انقطعت مؤقتا بسبب اختلاف الدروب التى سلكناها، تجددت مرة اخرى بعد ستين سنة من القطيعة.

دندنا معا اغنية "الحنين الى الموطن"، التى كنا ننشدها فى ايام جيلين. وقد فوجئنا مذهولين باننا ما زلنا نحفظ كلماتها.

قال لى سون وون تاى انه يشعر بالخجل وهو يلتقى بى، لانه لم يفعل شيئا ذا شأن من اجل الامة. لكن ذلك كان تواضعا منه. فاثناء دراسته الجامعية فى بكين، شارك فى الحركة الطلابية كرئيس لقسم المراقبة فى جمعية الطلاب، كما شارك ايضا فى حملة مقاطعة البضائع اليابانية. فقد كان شابا وطنيا. وكان هذا هو السبب فى زجه فى سجن ناغازاكى فيما بعد.

ولكنه لم يعد يهتم بالسياسة منذ ذلك الوقت. الا ان ملامح النزاهة والبراءة التى كان عليها فى جيلين، ما زالت تومض فى سلوكه حتى الآن. ليس من السهل العيش بنزاهة واستقامة

دون فقدان ملامح الانسان ذى الضمير فى ظروف التنافس على الوجود، حيث يفرض خيار "انا او انت."

اعرب سون وون تاى عن اعجابه الصادق بكل ما قمنا به من اعمال، واطرى على وطننا قائلا انه "بلد جميل ونبيل، وبلد يبنى من اجل الاجيال الآتية."

وقد رأيت من جانبى انه من حسن الحظ ان التقى بسون وون تاى ولو متأخرا، وان نتذكر معا ايامنا فى جيلين.

ان سلوك سون وون تاى المفعم بمحبة الوطن والامة والانسان، ذكرنى بسون زونغ دو وسون اين سيل. كان كلما قابلنى يقول: "يا سيادة الرئيس، يجب ان تعيشوا عمرا مديدا دون ان تشيخوا". وكان اهتمامه الصادق بصحتى يذكرنى بصورة ابيه الذى رأيته للمرة الاخيرة قبل ستين عاما.

قال لى القس سون فى ذلك اليوم وهو يودعنى:

"ان الوضع خطير، فلا تبق فى جيلين التى تمر باوقات عصيبة وحرجة. ولا بد لك من التزام الحذر اينما ذهبت فى ظل هذه الظروف. اننى انصحك، بعد ذهابك الى تشينتاو، بان تختفى لبعض الوقت فى قرية نائية، وان تحاول استعادة عافيتك".

اعربت عن امتنانى لتلك العواطف وذلك الاهتمام بى. وقد اثبت الوضع فى منشوريا بعد حادثة ١٨ ايلول مدى صحة وملاءمة نصيحة القس.

فقد بدأ الجنود والشرطة اليابانيون الذين احتلوا جيلين بالبحث عنى اولا. ذلك انهم راجعوا قائمة المعتقلين فى سجن المدينة، وطالبوا بتسليم كيم سونغ جو اليهم. ولو لم اكن قد خرجت من السجن فى الوقت المناسب بفضل مساعدة القس سون زونغ دو واستقلاليين آخرين مثل كو وون آم واو اين هوا وهوانغ بايك ها، لواصل الامبرياليون اليابانيون اعتقالى ولبقيت فى السجن نحو عشر سنوات اخرى، ولما كنت استطعت شن الكفاح المسلح.

لهذا السبب، اعتبر القس سون منقذا لحياتى.

ولو اردت ان اذكر اولئك الناس الذين ساعدونى وايدونى من اعماق قلوبهم فى نشاطى الثورى فى اثناء فترة جيلين فان القائمة ستطول الى ما لا نهاية. فقد كان من بينهم رجال من الجيل السابق، مثل تشاى مان يونغ، او سانغ هون، كيم كى بونغ، لى كى بال وتشاى ايل، ورواد معاصرون من امثال تشاى زونغ يون، سين يونغ كون، آن سين يونغ، هيون

سوك زا، لى دونغ هوا، تشاى بونغ، هان زو بين، ليو زين دونغ، تشاى زين وون، كيم هاك سوك، وو سوك يون، كيم اون سون، لى دوك يونغ، كيم تشانغ سول، تشاى كوان سيل وليو سو كيونغ، واحداث وطنيون مثل لى دونغ سون، لى كيونغ وون، يون سون هو، هوانغ كوى هون، كيم بيونغ سوك، كواك يون بونغ، زون وون سيم، آن بيونغ اوك، يون اوك تشاى، باك زونغ وون، كواك كى ساى، زونغ هاينغ زونغ وغيرهم.

على ضوء تحول الوضع، ادركت انه لا يجوز لى البقاء فى جيلين اكثر. وهو ما كنت قد خمنته فى السجن الى حد ما. ابدى القس سون اسفه الشديد لانه سيتركنى امضى قبل ان استعيد عافيتى تماما فى منزله. الا اننى شكرته على نصائحه، وغادرت جيلين بعد تناول الغداء مباشرة، متوجها الى سينانتون.

٢-ربيع عصيب

فوجئت وانا فى طريقى الى سينانتون بمقابلة تشا كوانغ سو. كانت عينا هذا الشاب "المتهور" تتألقان مرحا وابتهاجا تحت نظارتيه السميكتين واحسست انا ايضا بسعادة كبيرة واستقبلته بصيحات الفرح.

احتضننى تشا كوانغ سو وحملنى بذراعيه ودار عدة دورات وهو يقول لى انه كان ذاهبا الى بيت القس سون زونغ دو لمعرفة اخبارى .

وبعد ان حدثنى لبعض الوقت عن اخبار جيلين، قال لى انه كان على وشك الجنون لانه لم يطق الوحدة بعد ان جرى اعتقال جميع من كانوا يعملون من اجل الثورة. ثم قال فجأة:

"ان الحركة العمالية الكورية، يا سونغ جو، تشهد تطورا استثنائيا على كافة الصعد .ان شعاراتها ومناهجها واساليبها فى النضال... وباختصار، كل شىء فيها جديد وناضر. يبدو لى ان حركة التحرر الوطنى فى الثلاثينات ستحقق تحولا كبيرا، وخصوصا فى اسلوب النضال. فما هو رأيك فى ذلك؟ الا يتوجب على ثورتنا ان تتقدم الآن تحت راية جديدة تمشيا مع الظروف المتغيرة سريعا؟"

وكانت عيناه المحتقنتان تحدقان فى وجهى بانتظار الجواب.

لقد كان يسود فى ذلك الحين وضع مريع، حيث كان يصعب على المرء الحفاظ على حياته، ناهيك عن مثله الثورية العليا. ولكنه لم يرتعد مع ذلك ولم يخف امام الهجمة المعادية، بل على العكس من ذلك تماما، فقد كان يتنكر ويمضى بحثا عن الرفاق، ويواصل التفكير من موقف شيوعى. فأحسست بتأثر بالغ حيال صلابته.

فحدثته بما كنت قد فكرت فيه وانا فى السجن:

"انى اوافق على رأيك، يا رفيق كوانغ سو، فى ضرورة تقدم ثورتنا تحت راية جديدة. لكن، ما هى تلك الراية؟ حين كنت فى السجن، فكرت بعمق فى هذه المسألة. فتوصلت الى الاستنتاج بانه يجب علينا نحن الشيوعيين الشباب ان نؤسس حزبا من نمط جديد وننتقل الى النضال المسلح. هذا هو السبيل الوحيد لانقاذ البلاد وتحرير الامة. ينبغى لجميع النضالات التى يخوضها الشعب الكورى ان تتطور الى حرب مقاومة تشارك فيها الامة كلها تحت

قيادة الحزب الموحدة وان يكون محورها النضال المسلح".

عبر تشا كوانغ سو عن تأييده المطلق لرأيى. وقد ناقشت هذه المسألة فى سينانتون مع الرفيقين كيم هيوك وباك سو سيم لاعرف رأيهما، فأيدانى هما الآخران ايضا. وكانت وجهة النظر التى اجمع عليها الشيوعيون الشباب انه دون حمل السلاح لن يكون بالامكان انقاذ كوريا، وانه دون الاستناد الى خط جديد، لا يمكن التقدم بالثورة الى الامام.

كان النضال المسلح مطلبا ناضجا ينشأ من واقع كوريا الملموس. فقد بلغت السيطرة الاستبدادية الفاشية للامبريالية اليابانية ذروتها فى هذه الفترة، وبلغ بؤس الامة الكورية وحرمانها من الحقوق اقصى حدوده. كما ان امواج الازمة الاقتصادية التى راحت تكتسح العالم منذ عام ١٩٢٩ اثرت على اليابان ايضا. ورأت الامبريالية اليابانية ان مخرجها من الازمة الكبرى هو فى غزو القارة الآسيوية، فعجلت استعداداتها للحرب وكثفت قمعها ونهبها الاستعماريين فى كوريا.

واذا كانت الامبريالية اليابانية قد وجدت السبيل الى اغناء بلدها وتقوية جيشها فى نهب الامة الكورية واضطهادها، فقد وجدت امتنا ان السبيل الى انبعاثها هو فى النضال ضد الامبريالية اليابانية. وليس من باب المصادفة على الاطلاق ان الحركات الجماهيرية بما فيها العمالية والفلاحية، التى كانت تركز اساسا على النضال الاقتصادى، راحت تتخذ بالتدريج طابعا انتفاضيا.

وقد لاحظت باهتمام كبير اضراب عمال منجم سينهونغ للفحم، الذى تحول فى نهاية المطاف الى انتفاضة. فقد قام مئات العمال تحت قيادة لجنة الاضراب باقتحام وتدمير مركز مراقبة الفحم والمكاتب وعنابر الآلات والمولدات الكهربائية ومنزل المدير، وقطعوا كافة اسلاك الكهرباء فى منطقة المنجم، وحطموا الرافعات ومضخات الماء وكل التجهيزات الانتاجية الموجودة. وقد بلغت فداحة الخسائر التى الحقها العمال المضربون بالشركة حدا جعل اصحابها اليابانيين يعلنون متحسرين انهم يحتاجون مدة شهرين لعودة العمل فى المنجم الى حالته الطبيعية.

هزت الانتفاضة البلاد كلها، واتخذت ابعادا مذهلة لم يكن بالامكان تهدئتها الا بتدخل فرقة الشرطة المسلحة واعتقال مئة وبضع عشرات من العمال.

ولان ذلك الحادث ترك اعمق الانطباعات فى نفسى، فقد توغلت الى منطقة سينهونغ فيما بعد مجازفا بحياتى، فى اثناء النضال المسلح، لكى التقى بقادة الحركة العمالية.

كان نضال الطبقة العاملة الكورية يشهد تطورا نوعيا ايضا بالمقارنة مع الفترات السابقة من ناحية القدرة التنظيمية والوحدة والمثابرة والتضامن.

فتحت قيادة اتحاد العمال فى وونسان، خاض اكثر من الفى عامل اعضاء فى الاتحاد اضرابا عن العمل وواصلوه بثبات خلال عدة اشهر مع اكثر من عشرة آلاف شخص من افراد اسرهم.

وحين تلقى العمال والفلاحون فى طول البلاد وعرضها نبأ الاضراب العام فى وونسان، ارسلوا من مختلف الاماكن برقيات ورسائل التشجيع واموال المساعدة، واوفدوا ممثلين عنهم للاعراب عن تأييدهم وتضامنهم مع المضربين.

ولم يقتصر ارسال المساعدات على التنظيمات النقابية فى هونغوون وهويريونغ وغيرهما من مناطق البلاد، بل ان اعضاء رابطة هانسونغ التابعة لجمعية العمال المناهضة لليابان التى شكلناها فى جيلين الواقعة على بعد عدة آلاف رى من وونسان، قد جمعوا تبرعات التعاطف وارسلوها الى اتحاد العمال فى وونسان. وهذه الواقعة وحدها تشير الى مدى ارتفاع مستوى وعى طبقتنا العاملة آنذاك.

لقد كان ذلك الاضراب، بضخامته، حدثا يمثل ذروة الحركة العمالية فى بلادنا فى العشرينات، وقد سجلت فى حوليات تاريخ الحركة العمالية العالمية على اثره، القدرة الكفاحية والروح الثورية للطبقة العاملة الكورية.

مذ كنت فى السجن، تابعت باهتمام كبير سير هذا الاضراب. وفكرت فى انه يستحق مكانة خاصة فى تاريخ الحركة العمالية فى بلادنا، والخبرات المكتسبة فيه جديرة بان تؤخذ كلها فى الاعتبار من قبل رجال الحركة الاجتماعية فى كوريا.

ولو ان القيادة التجديدية لاتحاد العمال واصلت الاضراب حتى النهاية، ولم تصدر الامر بالعودة الى العمل، او لو خاض العمال والفلاحون والمثقفون فى البلاد كلها عمليات واسعة النطاق فى دعمهم للاضراب، لتكللت تلك الانتفاضة بالظفر.

وحيال اخفاق الاضراب العام فى وونسان، احسست مرة اخرى بالضرورة الملحة لتأسيس حزب ماركسى لينينى قادر على تنظيم وقيادة نضال الطبقة العاملة الكورية الى النصر باسرع وقت ممكن. وتوصلت فى الوقت نفسه الى القناعة بانه عندما يصبح النضال المسلح بكل زخمه هو محور حركة التحرر الوطنى، يشتد تحت تأثيره زخم النضال الجماهيرى للعمال والفلاحين وغيرهم من قطاعات المجتمع.

ففى ظل ظروف قمع العدو الوحشى بقوة السلاح لحركة التحرر الوطنى، كان لا بد لنضال الشعب الكورى من ان يتخذ شكل العنف. فالعنف الثورى تحديدا يشكل انجع وسيلة لهزيمة العنف المضاد للثورة الذى يمارسه العدو المدجج بالسلاح حتى الاسنان. وما دام العدو يلوح بالسلاح، فان الامة الكورية وجدت نفسها مضطرة للتسلح ايضا. كان عليها ان تجابه السلاح بالسلاح.

لم يكن بالامكان تحقيق الاستقلال بمجرد "حملة انماء القدرة" من خلال الارتقاء التعليمى والثقافى والاقتصادى او عن طريق تمردات جماهير العمال والفلاحين النقابية او المساعى الدبلوماسية. لقد عمق الاضراب العام فى وونسان وانتفاضة عمال منجم سينهونغ ثقتنا بالطبقة العاملة الكورية الى ابعد الحدود، وشعرت فى هذا السياق بمحبة واعتزاز كبيرين بعظمة طبقتنا العاملة وبأمتنا المكافحة حقا.

لقد كانت المشكلة تتمثل بالخطوط والقيادة. وكنت متأكدا تماما من اننا سنكون قادرين على الحاق الهزيمة بأى عدو، مهما كانت قوته، اذا ما توفرت القيادة الصائبة والتوجهات الملائمة للعصر.

كنت اتحرق لهفة لاعادة انعاش وبناء المنظمات المدمرة بأسرع وقت والقيام بتوعية الجماهير وتنظيمها لاعدادها بسرعة للمعركة الحاسمة ضد الامبريالية اليابانية.

وفى اثناء ذلك، وبعد انتشار خبر خروجى من السجن، بدأ الرفاق الذين تشتتوا يجتمعون حولى واحدا بعد آخر.

اجتمعت مع العناصر الطليعية فى اتحاد الشباب الشيوعى واتحاد الشباب المناهض للامبريالية وجمعية العمال المناهضة لليابان واتحاد الفلاحين فى منطقة جيلين وناقشنا كيفية اعادة بناء المنظمات وانعاشها بأسرع وقت ممكن وجمع شمل الجماهير فى ظروف تشديد العدو لارهابه الابيض.

كلمة "السلاح" التى اثارت حماس تشا كوانغ سو من قبل، حظيت بتأييد الشباب فى هذه الجلسة ايضا، مما شجعنى كثيرا.

كما ناقشنا اجراءات تكثيف عمل اتحاد الشباب الشيوعى فى تشينتاو ومناطق الحدود الشمالية من كوريا وتثوير هذه المناطق على جناح السرعة، ومهمة دفع الاستعدادات الفعالة لتأسيس الحزب ومجموعة اخرى من المهام العاجلة. ثم اوفدنا بعد ذلك عاملينا السريين الى اماكن مختلفة من اجل انجاز تلك المهام.

وغادرت انا ايضا نحو تونهوا توا، بعد ان امضيت ليلة فى سينانتون.

ان سبب اختيارى تونهوا كمنطقة لنشاطاتى هو توفر الشروط المؤاتية للاتصال مع محافظات اخرى فى منشوريا الشرقية، اضافة الى وجود عدد من الاصدقاء الذين يمكننى الاعتماد على مساعدتهم. كنت اريد البقاء فى تونهوا لبعض الوقت كى اصوغ برنامج عمل للمنظمات يأخذ بعين الاعتبار الوضع السائد فى منشوريا الشرقية حيث تنتشر الانتفاضة كالنار فى الهشيم، واتخذ اجراءات ملموسة لنقل الخطة التى انضجتها فى السجن الى حيز الواقع.

ان ما حز فى نفسى وانا اغادر جيلين هو عدم تحقيق مشيئة والدى الاخيرة بأن انهى حتى لو دراستى الثانوية.

نصحنى باك ايل فا بان انهى مرحلة الدراسة الثانوية مؤكدا انه سيحمل اباه على ان يرتب مع سلطة ثانوية يووين امر اعادة التحاقى بها.

وباك ايل فا هو ابن القومى باك كى بايك الذى كان يصدر مجلة "دونغوو" فى جيلين. وكان اسمه المستعار هو باك وو تشون.

حين كنت ادرس فى مدرسة يووين الثانوية، كان هو طالبا فى المعهد العالى للحقوق فى المدينة، وكان يقدم المساعدة لعمل رابطة ليوكيل للطلاب. كان يحلم بان يعمل فى عالم القانون. وقد اقام صداقة مع ضابط روسى ابيض لتعلم اللغة الروسية منه، فاعتبر رفاقى تصرفه ذاك عملا خيانيا بحق روسيا الفتية ونصحونى بقطع العلاقة معه.

ولكننى اجبتهم : "ان تعلم اللغات الاجنبية يمكن ان يفيد الثورة كثيرا. ولهذا فان نبذه لمجرد انه يلتقى بضابط من البيض هو امر ينطوى على قصر نظر."

واذا كان باك ايل فا قد نقل الى لغتنا بعد التحرير رواية أ. تولستوى "درب الآلام" وعددا كبيرا من الاعمال الشهيرة وقدمها الى القراء، فاننا نستطيع القول ان ذلك كان نتاج مثابرته على تعلم اللغة الروسية فى فترة دراسته.

ومثل باك ايل فا، نصحنى كيم هيوك وباك سو سيم ايضا بان اواصل الدراسة لمدة سنة وانهى المرحلة الثانوية بأية وسيلة اذا كان بالامكان اعادة التحاقى بالمدرسة. وكانا يريان ان ناظر المدرسة لى كوانغ هان، متفهم للشيوعية ولن يرفض طلب تلميذه السابق كيم سونغ جو بالعودة الى الدراسة.

لم اوافق على اقتراحهم، واوضحت لهم موقفى بالقول اننى قادر تماما على ان اعلم نفسى

بنفسى، وان الشعب والمنظمات المخربة بانتظارنا، وانه صار من المستحيل بالنسبة لى ان اعود الى الحياة الطلابية مديرا ظهرى للثورة فى هذا المنعطف الصعب.

ولكننى عندما حزمت امرى على التخلى عن الدراسة الثانوية ومغادرة جيلين، تناهبتنى ذكريات كثيرة: تذكرت والدى عندما ارسلنى وحيدا الى مسقط رأسى فى الشتاء القارس كى ادرس فى الوطن، وتذكرت المرات الكثيرة التى اجلسنى فيها الى الطاولة فور عودتى من المدرسة ليعلمنى تاريخ كوريا وجغرافيتها، وكلماته الاخيرة الى امى بان غايته هى تعلمى حتى ولو لنهاية المرحلة الثانوية، وان ترسلنى الى المدرسة الثانوية حتى ولو اضطرت من اجل ذلك الى التغذى بالاعشاب وحدها.

لقد اثارت هذه الافكار القلق فى نفسى.

وفكرت ايضا : لقد اضطرت امى للعمل خلال ثلاث سنوات فى غسل الثياب والخياطة حتى تقصفت اظفارها لكى ترسل لى نفقات الدراسة كل شهر. ولكن، كم سيكون يأسها شديدا حين تتلقى خبر هجرى الدراسة قبل سنة واحدة من التخرج؟ وكم سيتحسر اخواى الصغيران لذلك؟ وكم سيتألم زملائى واصدقاء والدى الذين احبونى وكأننى ابنهم وساعدونى فى نفقات الدراسة؟

الا اننى اعتقدت ان امى على الاقل ستفهمنى، فعندما هجر والدى الدراسة فى مدرسة سونغسيل الثانوية ليصبح ثوريا محترفا، وافقته هى نفسها على هدفه وايدته دون قيد او شرط. ولان امى كانت هكذا، فقد كنت واثقا من انها لن تعارض انصراف ابنها ليس عن الدراسة الثانوية فحسب، بل عن الدراسة الجامعية ايضا اذا كان ذلك فى سبيل الثورة والبلاد.

يمكن القول ان هجرى مدرسة يووين الثانوية وتغلغلى بين الشعب شكل نقطة تحول فى حياتى. فمنذ ذلك الحين بدأ نشاطى السرى وحياتى الجديدة كثورى محترف.

كان مزاجى منحرفا الى اقصى الحدود لذهابى الى تونهوا دون ان اتمكن من ارسال رسالة واحدة الى البيت منذ خروجى من السجن. وكنت فى بعض اللحظات الوم نفسى واتساءل اذا ما كنت حقا لا استطيع كتابة تحية من بضع كلمات مهما كانت درجة انهماكى فى الثورة، الا ان ما يثير استغرابى هو اننى لم استطع كتابة اى رسالة.

وحتى عندما كنت مسجونا، لم اخبر امى بما جرى لى، خشية ان اسبب لها القلق. لكن رفاقى الذين قضوا عطلة شتاء عام ١٩٢٩ فى بيتى اخبروا امى بكل ما حدث.

مع ذلك، لم تأت امى الى جيلين. ان الامهات عادة، ما ان يسمعن خبر اعتقال ابنائهن حتى يحملن حزما من اشياء مختلفة ويهرعن الى السجن ولو كان على بعد الف رى، ويتوسلن الى السجانين للسماح لهن بمقابلتهم. لكن امى لم تتصرف على هذا النحو. وكان عليها من اجل ذلك ان تبدى قدرا مذهلا من الصبر. ويمكن للمرء ان يستغرب اذا ما عرف انه حين كان والدى سجينا فى سجن بيونغ يانغ، ذهبت امى اليه عدة مرات، بل واخذتنى معها ايضا، لكنها لم تزر مرة واحدة ابنها وهو فى السجن بعد مرور عشر سنوات من ذلك.

ولم تحدثنى عن سبب عدم مجيئها لزيارتى فى السجن، حتى عندما التقينا فى آنتو فيما بعد.

ولكننى كنت ارى مع ذلك الحب الامومى الحقيقى فى تصرفها ذاك بالذات.

لا بد انها قد فكرت كما يلى : سيتألم سونغ جو اكثر حين يرى امه من وراء القضبان الحديدية. وذهابى لزيارته لن يواسيه ولن يساعده. وطالما ان امامه الكثير من المصاعب التى ينبغى له ان يعبرها فلن يستطيع ان يسلك الطريق الصائب فى المستقبل اذا ما ترك العواطف تسيطر عليه منذ الخطوة الاولى. ان عدم زيارته اكثر جدوى حتى ولو كان يشعر بالوحشة فى زنزانته.

من خلال هذا الموقف، اكتشفت ان لى اما فولاذية الارادة، تطورت من مجرد مرأة عادية الى ثورية كاملة.

عندما استعدت حريتى ووجدت نفسى فى العالم الفسيح، فكرت بان الواجب يقتضى ان اذهب الى البيت لقضاء بضعة ايام مع امى ما دمت غير مرتبط بالمدرسة. ولكننى مضيت بخطوات ثابتة نحو تونهوا.

على بعد حوالى ٦٠ رى الى جنوبى غرب تونهوا، تقع قرية جبلية تسمى سيداوهوانغكو. كانت هذه القرية بالذات هى ميدان نشاطى.

بعد حبسى فى السجن، هاجرت عدة اسر كانت تنضوى فى منظمات اتحاد الشباب الشيوعى واتحاد بايكسان للشباب وجمعية النساء الى نواحى آنتو وتونهوا وذلك تحسبا من توسع حملة الاعتقالات التى بدأت من جيلين الى فوسونغ. وقد انتقلت امى نفسها الى ارض آنتو فى ايام الشتاء القارس مع عمى هيونغ كوون واخوى الصغيرين.

بين عشرات الاسر التى هاجرت الى منشوريا الشرقية فى ذلك الحين، استقرت ست اسر منها فى سيداوهوانغكو، ومن ضمنها اسرة كو زاى بونغ.

كان كو زاى بونغ قد اشتغل معلما فى مدرسة بايكسان بعد انهاء دراسته فى دار فوسونغ للمعلمين على نفقة مجموعة زونغوى، ثم خدم فى جيش الاستقلال كآمر للمفرزة المستقلة فى منطقة فوسونغ. وكان احد ابرز نشطاء التنظيمات الجماهيرية المناهضة لليابان.

وكان اخوه الصغير كو زاى ريونغ زميلا لى فى مدرسة هواسونغ. وبعد ذلك انتسب الى وحدة جيش يانغ جينغ او واستشهد فى احدى المعارك فى مينغتشيانغ او رينتشيانغ.

اما اخوه الاصغر كو زاى ريم فقد شاركنى فى نشاطات اتحاد الشباب الشيوعى اثناء دراسته فى مدرسة يووين الثانوية فى جيلين وذلك بعد فراغه من الدراسة فى مدرسة بايكسان. وفى ربيع عام ١٩٣٠ درس فى مدرسة خاصة بالطب ترعاها شركة منشوريا المغفلة لسكة الحديد. وكان قد ساعدنى كثيرا فى نشاطاتى اثناء وجوده فى جيلين.

كان آل "كو" على علاقة طيبة بأسرتنا منذ عاشوا فى فوسونغ. فلم يضنوا بشىء لمساعدة والدى، وقدموا اليهما مساعدة كبيرة حين كانوا يديرون نزلا.

فى ذلك الحين، كان عدد كبير من المناضلين الوطنيين والاستقلاليين يزور بيتنا فى شارع سياونانمين، وكان بعضهم يمكثون فيه عدة ايام وهم ينامون ويأكلون. وكانت امى تقوم على خدمتهم طوال الوقت، دون ان تجد متسعا للراحة، فهى مشغولة بشؤون المطبخ على الدوام، تعد الارز حينا وتخرج الماء من البئر حينا آخر. ولم يكن هناك مفر من ان تسترعى هذه الزيارات انتباه امراء الحرب.

حين علمت سونغ غى سيم، والدة كو زاى بونغ بان الشرطة تراقب والدى، جاءت ذات يوم الى بيتنا وقالت:

"ايها السيد كيم، يجب الا تستقبل احدا فى بيتكم منذ الآن .اذا بقى هذا العدد من الناس يتوافد عليكم كما هو الآن فقد تقع لكم مصيبة ايها السيد كيم. سنستقبل فى بيتنا كل الاستقلاليين الذين يأتون الى فوسونغ. فارسل الينا كل نزلاء (عيادة موريم الطبية".(

منذ ذلك الحين اصبح والدى يثق ثقة كبيرة بهذه المرأة، كما ارتبطت بدورى بعلاقات حميمة مع ابنها كو زاى بونغ.

بعد اغلاق مدرسة بايكسان، كانت امى تركض من مكان الى آخر بحثا عن مبنى لاعادة فتح المدرسة فيه. فلم يتردد آل كو فى هذه المناسبة ايضا فى تقديم غرفة من بيتهم لاستخدامها كغرفة للدرس.

كان كو زاى بونغ قد استقر قبل اقل من ستة شهور فى سيداوهوانغكو، الا انه تمكن

خلال هذا الوقت القصير من فتح مدرسة دونغهونغ وتعليم الاولاد فيها، كما استغل من جهة اخرى منصبه كنائب عميد مئة اسرة وانشأ في سيداوهوانغكو والقرى المجاورة لها منظمات اتحاد الشباب الشيوعي واتحاد بايكسان للشباب، ودفع بعد ذلك الاستعدادات لتأسيس جمعية النساء المناهضات لليابان واتحاد الفلاحين.

استقبلتني والدة كو زاي بونغ بسعادة بالغة ودموع الفرح تملأ عينيها وهي تسترجع ذكرى السنوات الماضية في فوسونغ. وعندما اخبرتها بانني قادم مباشرة من السجن حيث اعتقلت منذ خريف العام الفائت، قالت لي وهي تمعن النظر في وجهي، ان ملامحي لم تتغير تقريبا، ولكنني مع ذلك متورم وتبدو على اعراض المرض، وان امي ستتألم كثيرا اذا علمت بذلك.

قضيت في بيتها مدة شهر تقريبا، وقد بذلت هي خلال هذه الفترة جهودا كبيرة لاسترد عافيتي.

فقد كانت تعد لي في كل وجبة مائدة منفردة تضع عليها الشعير المطبوخ من الدخن والبقول البرية المتبلة جيدا. ولم تكن تتوقف عن ابداء اسفها لانها لا تستطيع ان تقدم لي وجبات افضل من تلك.

لقد كانوا يعيشون في ضائقة شديدة. فبعد انتقالهم الى هذه القرية النائية وغير المطروقة، لم يستطيعوا فتح نزل فيها، وكانوا قد بدؤوا لتوهم ممارسة الزراعة، اضف الى ذلك ان ابناء ابنتهم قد جاؤوا للاقامة معهم. ولهذا كنت اجد صعوبة في ابتلاع الطعام على مائدة هذه الاسرة وانا افكر في صعوبة وضعها.

كانت الام سونغ غي سيم تعرف جيدا ما احب من انواع طعام منذ ايام فوسونغ، فأحضرت الى بيتها ماكنة صنع الشعيرية الوحيدة في القرية لكي تعد لي الشعيرية. كما ذهب كو زاي بونغ الى تونهوا عاصمة المحافظة لشراء السلمون المملح وتقديمه لي على المائدة. وكان زوج اخته يخرج الى ينبوع الماء كل صباح لجمع السانغول الذي يقال ان له فعالية خاصة في علاج الاورام. وبفضل عنايتهم المخلصة، استعدت صحتي بسرعة.

بل ان كو زاي بونغ ذهب حتى الى آنتو وقابل امي. وكانت سيداوهوانغكو تبعد نحو ٢٠٠ ري تقريبا عن آنتو، وقد قطع هذه المسافة خلال يوم واحد. وكان من عادته ان يفاخر بالقول انه يقطع في اليوم ٣٠٠ ري، مثل هوانغ تشون وانغ دونغ احد شخصيات رواية "ليم كوك زونغ."

وعندما تلقت اسرتى خبر اطلاق سراحى ووجودى فى منطقة تونهوا، جاء تشول جو الى سيداوهوانغكو بصحبة كو زاى بونغ. وقد احضر معه رسالة وملابس داخلية ارسلتها امى.

وقد اخبرونى فى الرسالة ان اسرتى عاشت بعد مغادرتها فوسونغ فى غرفة فى بيت ما تشون ووك خارج البوابة الغربية فى جيوآنتو(سونغجيانغ)، وانها استقرت الآن فى سينغلونغتشون. وجاء فى الرسالة ان امى قد عملت حتى الاجهاد وهى فى جيوآنتو لخياطة الملابس بالاجرة مستخدمة آلة خياطة استأجرتها من ما تشون ووك، وانها تعمل بعد انتقالها الى سينغلونغتشون دون ان تستريح لتأمين ما يسد الرمق.

لم يكن تشول جو قد تآلف حتى ذلك الحين مع المكان الجديد. فقد كان معتادا على العيش فى مدن تخترقها انهار كبيرة مثل زونغكانغ وريننتشيانغ وباتاوكو وفوسونغ، بينما كانت آنتو البعيدة عن السهول وخطوط سكة الحديد تعتبر قرية نائية ومعزولة، ومكانا غير مألوف لا بد من البدء باعداده وتكييفه للحياة.

"هل ذهبت يا اخى الى فوسونغ بعد اطلاق سراحك من السجن؟"

كان سؤال تشول جو مفاجئا.

"كنت ارغب فى الذهاب الى هناك، ولكننى لم استطع. وكيف يمكننى عمل ذلك طالما اننى كنت مضطرا الى المجيء فورا الى تونهوا، دون ان اعرج حتى على بيتنا؟"

"اهالى فوسونغ مشتاقون جدا الى رؤيتك يا اخى. كان الاخ وى هوا يأتى الى بيتنا كل يوم ليعرف اخبارك. ان اهالى فوسونغ اناس طيبون حقا، أليس كذلك؟"

كان صوت اخى الصغير مفعما بالحنين الى ايام فوسونغ الماضية.

"اجل، انهم اناس طيبون".

"يغلبنى دائما الشوق الى اصدقائى فى فوسونغ. اذا سنحت لك فرصة الذهاب اليها فلا تنس ان تنقل اليهم تحياتى. هل تعدنى بذلك؟"

"نعم، اعدك. هل وجدت اصدقاء كثيرين فى آنتو؟"

"لم اتعرف الى الكثيرين بعد. فالاولاد الذين فى مثل عمرى قليلون هناك".

لمست ان تشول جو ما زال يحن الى ايام فوسونغ حتى بعد انتقاله الى مكان آخر، ولهذا السبب بالذات، لم يستطع ان ينغمس فى الحياة فى آنتو وسيطر عليه احساس بعدم الاستقرار. وكانت نظرته الكئيبة وتعابير وجهه الحزينة تشى بذلك. ربما امكن اعتبار ذلك تعبيرا عن النفور من الواقع، وهى ظاهرة تبدو بكثرة بين مراهقين فى مثل سنه محرومين

من ارض مولدهم. وقد اقلقنى عدم استقرار الحالة الروحية لاخى الصغير.

"يا تشول جو، كما انه لا فرق لدى الفلاح المجتهد بين ارض خصبة وارض مجدبة، كذلك فانه ليس لدى الثورى الجيد مكان يعجبه وآخر لا يعجبه. لا يمكن الا يكون هناك فى آنتو اصدقاء طيبون. كل شيء يتعلق بطريقتك فى البحث عنهم. الا تذكر ما كان يقوله لنا والدنا دائما؟ ان الرفاق لا يسقطون من السماء تلقائيا، بل يجب البحث عنهم باهتمام من يستخرج الجواهر من باطن الارض. حاول العثور على الكثير من الاصدقاء المخلصين وستحقق بذلك عملا باهرا فى ارتياد آنتو. لقد اصبحت فى عمر يؤهلك للانضمام الى اتحاد الشباب الشيوعى".

كررت عليه مرات عديدة بانه يجب ان يستعد بجدية للانضمام الى اتحاد الشباب الشيوعى.

"فهمت يا اخى، اعذرنى لما سببته لك من ازعاج".

قال ذلك وهو يتطلع الى بنظرة مهيبة. وقد انضم بعد وقت قصير من ذلك الى اتحاد الشباب الشيوعى.

اثناء اقامتى فى سيداوهوانغكو، ساعدت كو زاى بونغ وكو زاى ريونغ على تنظيم فرقة الاطفال الكشافة واتحاد الفلاحين وجمعية النساء المناهضات لليابان، وعملت جاهدا فى الوقت نفسه لاقامة الاتصال مع اعضاء المنظمات الثورية المنتشرة فى مختلف ارجاء منشوريا الشرقية والجنوبية. وعن طريق كو زاى بونغ ارسلت رسائل الى نقاط الاتصال فى كل من لونغجينغ وهيلونغ وجيلين. وعندما تسلمها الرفاق، جاء منهم الى سيداوهوانغكو اكثر من عشرة رفاق، بمن فيهم كيم هيوك، تشا كوانغ سو، غى يونغ تشون، كيم زون، تشاى سو هانغ وكيم زونغ كوون. وكانوا جميعهم اعضاء قياديين فى اتحاد الشباب الشيوعى واتحاد الشباب المناهض للامبريالية.

ومن خلالهم، عرفت ان الانتفاضة التى تهز منشوريا الشرقية تتخذ ابعادا اعنف مما هو متوقع.

كانت القوى الاساسية فى هذه الانتفاضة تتألف من الكوريين المقيمين فى منطقة منشوريا، وكان من حرضهم وقادهم الى الانتفاضة اشخاصا من امثال هان بين وباك يون ساى. فقد دعوا الجماهير الى المشاركة فى الانتفاضة قائلين ان الانتساب الى الحزب الصينى يتطلب نيل الاعتراف منه بتحقيق المآثر فى ممارسة النضال عمليا.

فى ذلك الحين، كان الشيوعيون الكوريون فى شمال شرقى الصين قد تخلوا عن حملة اعادة بناء الحزب طبقا لمبدأ الكومنترن بوجود حزب واحد فى البلد الواحد، وكانوا يقومون باجراءات محمومة للانتقال الى الحزب الصينى.

وقد اعلن الحزب الصينى من جهته، انه سيقبل الشيوعيين الكوريين فى صفوفه على اساس مبدأ الانضمام بشكل افرادى بعد اختبارهم فى النضال العملى وتفحص كفاءة كل منهم على انفراد.

فى هذا الوقت بالذات، كان مبعوثو الكومنترن ايضا يتجولون من مكان الى آخر محرضين الجماهير على المشاركة فى الانتفاضة. وقد حث ذلك الشيوعيين الكوريين التابعين لادارة منشوريا العامة الذين كانوا يسعون للانتقال الى الحزب الصينى، الى دفع الاهالى الى انتفاضة متهورة تلبية لمطامحهم السياسية واهدافهم الجشعة.

وقاموا بتصفية حتى اولئك الذين لا يجوز الحاق الاذى بهم، بل انهم احرقوا كذلك المدارس ومحطات توليد الكهرباء.

اعطت انتفاضة ٣٠ ايار الامبرياليين اليابانيين وامراء الحرب الرجعيين الصينيين مبررا قويا لقمع الحركة الشيوعية والنضال الوطنى المناهض لليابان فى منطقة منشوريا. وبذلك بات الشيوعيون والثوريون الكوريون فى منشوريا ضحايا للارهاب الابيض القاسى.

وجدت الجماهير نفسها مضطرة الى اللجوء فى المناطق الريفية والاماكن الجبلية النائية، معانية خسائر فادحة فى الارواح. ففى كل مكان من منشوريا الشرقية جرت مذابح تذكر بالحملة "التأديبية" الكبرى فى عام كيونغسين(٣). وكانت المحابس والسجون مكتظة بالجماهير الثائرة. واقتيد عدد كبير من المشاركين فى الانتفاضة الى كوريا حيث حكم عليهم بالاعدام واحكام قاسية اخرى فى سيؤول.

وانقادت زمرة امراء الحرب فى فينغتين لمكائد الامبرياليين اليابانيين، وقمعت بكل فظاظة جموع الثائرين. وبغية زرع بذور الشقاق ما بين الشعبين الكورى والصينى، روجت الامبريالية اليابانية ان الكوريين اثاروا الانتفاضة فى منشوريا الشرقية بهدف السيطرة على اراضى منشوريا.

صدق زعماء امراء الحرب تلك الجعجعة، فاعلنوا ان الكوريين شيوعيون، وانهم بالتالى عملاء للامبرياليين اليابانيين ولا بد من قتلهم. وبالفعل، راحوا يقتلون الجماهير الثائرة دون تمييز. لقد كان اولئك البلداء يعتبرون الشيوعيين وعملاء الامبريالية اليابانية شيئا واحدا.

بلغ عدد الذين اعتقلوا وقتلوا خلال انتفاضة ٣٠ ايار آلاف الاشخاص وكان اغلبهم من الكوريين. وحكم على عدد كبير من المعتقلين بالاعدام. وقد لحقت بمنظماتنا الثورية نتيجة الانتفاضة اضرار فادحة، كما ساءت العلاقات ما بين الكوريين والصينيين.

وفيما بعد، اعتبر الحزب الشيوعى الصينى ان الخط الذى تقدم به لى ليسان هو "خط ارعن" و"جنون برجوازى صغير."

كما كانت الدعوة الى تشكيل جيش السوفييتات الاحمر التى طرحها لى ليسان ذات طابع مغامر لا تتناسب مع الواقع فى منطقة شمال شرقى الصين.

انتقدت الدورة الكاملة الثالثة للجنة المركزية السادسة للحزب الشيوعى الصينى التى انعقدت فى ايلول ذلك العام، خط لى ليسان المغامر اليسارى نقدا شديدا.

كما رفضه الكومنترن ايضا فى "رسالة ١٦ تشرين الثانى."

وتصرفت على النحو ذاته المنظمة الحزبية فى اقليم منشوريا فى اجتماع موسع للجنتها وفى اجتماع مشترك.

ومن جهتنا، فندنا خط لى ليسان فى اجتماع مينغويكو الربيعى الذى عقد فى ايار عام ١٩٣١، واتخذنا اجراءات ترمى الى تجاوز اخطائه اليسارية المغامرة.

الا ان العواقب المشؤومة للمغامرة اليسارية لم تتم تصفيتها تماما، بل ظلت تؤثر لسنوات عدة على النضال الثورى فى منطقة شمال شرقى الصين.

كان الشباب الذين جاؤوا الى سيداوهوانغكو يتحسرون قائلين: "من المحزن رؤية دماء الامة الكورية تراق"، و"الى متى ستواصل ثورتنا التخبط وسط هذه الفوضى؟"

فكرت انه لا بد لى من ان اشجعهم، فقلت لهم مؤكدا:

"صحيح ان نتائج الانتفاضة باهظة. ولكن، ما جدوى الاكتفاء باطلاق الزفرات؟ كفانا تحسرا ورثاء. فلننطلق الى كل الانحاء لاعادة بناء المنظمات ومعالجة اوضاعها. المهم هو تعرية مطامع الفئويين وابعاد الجماهير عن تأثيرهم. وهذا يستدعى بالضرورة ارشاد الجماهير الى طريق تقدم الثورة الكورية. رغم اخماد الانتفاضة بالدماء، الا ان الجماهير قد تفولذت واكتسبت الكثير من الوعى. لقد اظهرت الامة الكورية من خلال الانتفاضة قدرتها الكفاحية وروحها الثورية دون تحفظ. وقد امدتنى هذه الروح النضالية العظيمة والمتفانية لامتنا بقوة مضاعفة. فاذا ارشدنا هذا الشعب الى اساليب النضال والتكتيكات العلمية واوضحنا له طريق التقدم، فان تحولا جديدا سيطرأ على ثورتنا دون ريب".

لم يكن لندائى هذا تأثير كبير على رفاقى. فقد راحوا يتطلعون الى بملامح محزونة، وقال بعضهم : "كلامك صحيح يا الرفيق هان بيول، ولكن اين هو هذا الطريق الجديد الذى تتقبله الجماهير؟"

فاوضحت لهم : "هذا الخط لا يسقط تلقائيا من السماء، ولن يصوغه احد ويقدمه لنا على طبق، ويجب علينا ان نضعه بانفسنا. ولدى فكرة خطرت لى وانا فى السجن، واود ان اعرف رأيكم بشأنها".

وهكذا ناقشنا خلال عدة ساعات مسألة توجه الثورة الكورية التى كنت قد ناقشتها من قبل مع تشا كوانغ سو وكيم هيوك وباك سو سيم. وكان هذا هو اجتماع سيداوهوانغكو. فى هذا الاجتماع ايضا حظيت وجهة نظرى بتأييد الرفاق.

ان سفك الدماء المروع على امتداد منشوريا الشرقية قد استثارنى وايقظنى مرة اخرى. كنت اتصور الناس الذين يخرون صرعى فى دوامة هذا الشغب وهم يضغطون بأيديهم على صدورهم، وافكر : "كيف استطيع انقاذ الجماهير الثورية الكورية من بحر الدماء؟ وكيف اتمكن من ان اخرج نضال التحرر الوطنى الكورى من هذا الوضع المريع واحوله الى ثورة مظفرة؟."

كانت الثورة تنتظر امتلاك السلاح. تنتظر الاعتماد على جيش ثورى وشعب منظم ومدرب جيدا. وتنتظر برنامجا يمكنه ان يوجه العشرين مليون كورى الى طريق النصر، وهيئة اركان سياسية قادرة على تنفيذ ذلك البرنامج.

كان الوضع الداخلى والخارجى يستدعى من الشيوعيين الكوريين ان يحدثوا تحولا فى الحرب المقدسة من اجل تحرير الامة. ودون احداث ذلك التحول يمكن لامتنا ان تتعرض للمزيد من سفك الدماء ولنكبات اشد فظاعة.

لقد صممت على ان نقوم نحن بشق الطريق الى هذا التحول، وان نحقق ذلك فى صيف عام ١٩٣٠. وكنت اسجل فى مفكرتى النقاط الاساسية من التأملات التى تخطر فى ذهنى.

تعاهدنا مع اعضاء المنظمات والنشطاء السريين الذين يغادرون سيداوهوانغكو على اللقاء فى كارون فى النصف الثانى من شهر حزيران وذلك بعد انجاز المهام المسندة اليهم فى اسرع وقت ممكن.

وبعد فترة من ذلك عقدنا فى تونهوا اجتماعا للمنظمة الحزبية فى منطقة جيدونغ. وجرت فى هذا الاجتماع مناقشة مسألة الانتفاضة. كان الفئويون يخططون حينئذ لانتفاضة اخرى

مشابهة لانتفاضة الثلاثين من ايار.

لكننى عارضت مخططهم مؤكدا ان انتفاضة الثلاثين من ايار كانت عملا متهورا.

هكذا، اختبرت فى ربيع ذلك العام اشياء كثيرة بحيث تكونت لدى تجربة واسعة سواء خلف قضبان السجن او فى اثناء محنة انتفاضة الثلاثين من ايار.

حقا، لقد كان ربيع عام ١٩٣٠ فترة نمو ومحن لا استطيع نسيانها فى حياتى. وقد اعدت ثورتنا العدة فى ذلك الربيع للتحول الجديد.

٣ـ اجتماع كارون

فى النصف الثانى من شهر حزيران، بدأ الرفاق يتوافدون على كارون كما اتفقنا. وكانت قد تمت هناك اقامة منظماتنا الثورية. فمنذ عام ١٩٢٧ تقريبا، احسسنا بالحاجة الى اعداد مركز للنشاط فى نقطة تقاطع طرق يمكن الانتقال منها بسهولة الى مناطق مختلفة من منشوريا، ولهذا السبب اوفدت الى هناك عناصر من نواة اتحاد الشباب الشيوعى لتهيئة الاوضاع.

قررت عقد الاجتماع فى كارون آخذا فى الاعتبار موقعها فى مكان ملائم للتنقل وكونها مركز نشاطات خفية يمكن فيها ضمان الاسرار وحماية امن المشاركين فى الاجتماع.

كانت كارون مكانا يتردد عليه الاستقلاليون المناهضون لليابان بكثرة، ولكنها لم تكن معروفة للعدو. كما كان سكانها يقدمون لنا المساعدة فى نشاطاتنا دون تحفظ. ولهذا كانت تعتبر مكانا مثاليا لعقد الاجتماع.

حين وصلت الى كارون، استقبلنى زونغ هاينغ زونغ، مسؤول فرقة الاطفال الكشافة. وكان ينتظرنى فى محطة القطار ويرافقنى كلما ذهبت الى كارون.

كانت اجواء كارون هادئة نوعا ما بالمقارنة مع تونهوا او جيلين.

ففى ذلك الحين، وبعيد مرور عاصفة انتفاضة الثلاثين من ايار، كانت تسود تشينتاو اجواء اكثر من وخيمة. والادهى من ذلك، ان الوضع فيها ازداد توترا لان الجيش اليابانى كان يوشك على القيام بحملته على منشوريا الشرقية. فقد كانت الامبريالية اليابانية تحاول دفع جيشها الى تشينتاو لخنق الحركة الثورية التى كانت تتوسع بسرعة فى هذه المنطقة، ولتحتل منشوريا ومنغوليا وتؤمن رأس جسر للاعتداء على الاتحاد السوفييتى.

لهذا الهدف، كان الجنرال كاواسيما آمر الفرقة التاسعة عشرة فى الجيش اليابانى المرابطة فى رانام يتفقد مناطق لونغجينغ وآنزى وبايتشاوكو وتوداوكو. وفى الوقت نفسه، كان رئيس هيئة اركان جيش الكومنتانغ المرابط فى جيلين ورئيس مديرية الشؤون المدنية يقومان بجولة تفتيشية فى منشوريا الشرقية.

فى هذا الوقت بالذات، دعت المنظمات الثورية فى منطقة تشينتاو لطرد جميع هذه الشخصيات من منشوريا الشرقية.

لقد نزلت لدى وصولى الى كارون فى منزل ريو يونغ سون ثم فى منزل زانغ سو بونغ، وكلاهما معلم فى مدرسة زينميونغ.

وبينما كان زانغ سو بونغ يقوم بتعليم الاولاد فى المدرسة، كان يتولى فى الوقت نفسه منصب رئيس فرع جريدة "دونغآ ايلبو". وكان يكتب جيدا مثله مثل تشا كوانغ سو، ولديه معارف واسعة، ويعمل بحماسة عالية، مما جعله محط تعاطف الرفاق ومحبتهم.

لكن عيبه انه كثيرا ما كان يتشاجر مع زوجته فى المنزل. فاذا ما لامه الرفاق على ذلك، تذرع بان طريقته فى التفكير تختلف عن طريقة زوجته لانها ذات اصول اقطاعية. فحاولت اقناعه وانتقدته فى عدة مناسبات لكى يتمسك اكثر بحياته العائلية. ولكننى لم اتوصل الى النتائج المنشودة.

وبعد تشكيل الجيش الثورى الكورى، ذهب زانغ سو بونغ الى تشانغتشون بغية الحصول على السلاح، فاعتقلته الشرطة هناك وتخلى عن مبادئه وصار مرتدا. وقيل لى انه عبئ ذات وقت فى عملية لاجبارى على الاستسلام.

لقد حقق كيم هيوك وزانغ سو بونغ كثيرا من المآثر الخاصة فى تثوير كارون. فانهما اقاما مدرسة للصغار واخرى مسائية بمضافرة قواهما مع المتنفذين فى المنطقة وقاما بنشاطات تعليمية متخذين من المدرستين مركزا لها، واعادا تشكيل المنظمات التنويرية السابقة، مثل جمعيات الفلاحين والشباب والاحداث والنساء، وحولاها الى منظمات ثورية على غرار اتحاد الفلاحين واتحاد الشباب المناهض للامبريالية وفرقة الاطفال الكشافة وجمعية النساء، وقاما من خلال هذه المنظمات باعداد الجماهير من كل الفئات للاضطلاع بالثورة المناهضة لليابان على نحو جدير بالاكبار.

وفى كارون بالذات، صدرت مجلة "بلشفيك" تحت اشراف كيم هيوك.

وهناك ايضا، كما فى سيداوهوانغكو، مضيت فى التفكير فى طريق تقدم الثورة الكورية. وجمعت خلاصة الملاحظات التى دونتها خلال شهر تقريبا، فكانت النتيجة مقالا كبيرا نسبيا.

لقد كتبت ذلك المقال لانى احسست حتى النخاع بالحاجة الملحة لنظرية هادية جديدة فى نضال التحرر الوطنى. فبدون هذه النظرية لم يكن ممكنا التقدم فى الثورة ولو خطوة واحدة

كانت الانطلاقة الثورية للشعوب المضطهدة المطالبة بالاستقلالية قد اتخذت ابعادا اكبر على نطاق العالم مع مطلع ثلاثينات القرن العشرين. وكانت قارة آسيا مسرحا لاشد معارك النضال التحررى ضراوة بين تلك التى خاضتها الشعوب المضطهدة ضد الامبريالية على الكرة الارضية.

وقد غدت آسيا مسرحا مركزيا لنضال التحرر الوطنى فى المستعمرات لان الامبرياليين قاموا فى تلك الفترة بطريقة اكثر سفورا باعتداءاتهم الرامية الى اغتصاب الامتيازات من بلدان آسيا المتخلفة، فنهضت شعوب مختلف بلدان الشرق ببسالة لخوض المعارك الضارية دفاعا عن السيادة الوطنية.

ولم يكن بامكان اى قوة كبح نضالها العادل فى سبيل طرد القوى الخارجية والعيش فى مجتمع جديد حر وديمقراطى.

ومع تقدم الثورة فى الاتحاد السوفييتى ومنغوليا، اندفع مد الثورة العارم فى الصين والهند وفيتنام وبورما واندونيسيا وغيرها من البلدان الآسيوية. وحين كانت انظار العالم بأسره تتجه الى الهند وحملة العصيان المدنى واللاعنف التى انتهجتها، جابت شوارع ذلك البلد مظاهرات عمال النسيج وهم يرفعون الراية الحمراء.

اما الشعب الصينى فقد استقبل عقد الثلاثينات وسط لهيب الحرب الاهلية الثانية.

ان النضالات الثورية التى كانت تدور فى الصين وغيرها من بلدان آسيا، والانطلاقة الدينامية للشعب داخل الوطن، اثرت فينا وحفزتنا بصورة لا حدود لها.

لقد استحوذت على قلبى القناعة الراسخة بانه اذا ما اسسنا الحزب ووضعنا نظرية هادية سديدة، فانه سيكون بمقدورنا تعبئة الشعب والخروج منتصرين فى النضال ضد الامبريالية اليابانية.

فحتى ذلك الوقت، كانت تهيمن على مسرح نضال التحرر الوطنى فى بلادنا مختلف النظريات والمزاعم التى تمثل مواقف ومصالح شتى الاحزاب والجماعات، والتى تقود الجماهير فى هذا الاتجاه او ذاك. ومع ذلك، كانت كل تلك النظريات تعانى محدودية عصرية وطبقية متعددة الجوانب.

كنا نعتبر النضال المسلح الذى يشنه جيش الاستقلال اعلى شكل من اشكال معركة التحرر الوطنى فى ذلك الحين، فقد اشترك فى ذلك النضال اشد الوطنيين والاستقلاليين

المناهضين لليابان اندفاعا فى المعسكر اليسارى من الحركة القومية. وقد نظم هؤلاء وحداتهم العسكرية وهم مقتنعون بانه لا يمكن استرداد البلاد الا بخوض حرب من اجل السيادة الوطنية.

كان البعض يفكر بانه لا يمكن احراز الاستقلال الا بالعمليات الحربية التى تقوم بها وحدات عسكرية كبيرة، بينما رأى آخرون ان تكتيك الارهاب المباشر هو انجع وسيلة لطرد الامبرياليين اليابانيين، واصر فريق ثالث على ان الاستراتيجية الملائمة لواقع كوريا هى فى الاعداد الجيد لجيش يستطيع تحقيق الاستقلال عن طريق التحالف مع الدول الكبرى مثل الاتحاد السوفييتى والصين والولايات المتحدة الامريكية اذا ما خاضت هذه الدول حربا ضد اليابان.

لقد كانت جميع هذه التصورات ترمى الى خوض حرب دامية ضد الامبريالية اليابانية.

ومع ذلك، لم تكن عمليات جيش الاستقلال تستند الى استراتيجية وتكتيكات علمية يمكنها تحقيق تلك المفاهيم الاولية، كما لم يكن لدى ذلك الجيش قيادة مجربة ومقتدرة تستطيع خوض هذه الحرب حتى النهاية، ولم يكن قد هيأ القاعدة الجماهيرية المتينة القادرة على دعم نضاله بشريا وماديا وماليا.

ومن بين النظريات الاصلاحية المتداولة فى احاديث الاستقلاليين، كانت نظرية آن تشانغ هو حول "الاعداد" اى "نظرية انماء القدرة."

لقد احترمنا آن تشانغ هو باعتباره وطنيا نزيها وواعيا كرس حياته كلها لحركة الاستقلال، ولكننا لم نرحب بنظريته.

كما ان خط اللاعنف فى حركة الاستقلال لم يحظ بتأييد وتعاطف الجماهير حين طرحته حكومة شنغهاى المؤقتة. واذا كانت هذه الحكومة قد خيبت آمال الناس منذ تشكيلها، فان ذلك يعود الى انها امضت الوقت فى التشبث على الدوام بخط دبلوماسية اللاعنف الذى لا امل فيه. وكان هذا هو السبب فى ان جيش الاستقلال الذى يعطى الاولوية المطلقة للخط العسكرى، عارض حكومة شنغهاى المؤقتة بحزم.

اما بالنسبة لالتماس سينغمان رى بوضع كوريا تحت وصاية عصبة الامم، فانه لا يمكن اعتباره خطا بأى حال، كما ان "نظرية الحكم الذاتى" التى نادت بها الفئة اليمينية من الحركة القومية لا تعدو كونها وهما يتناقض مع روح استقلال الامة.

اما الحزب الشيوعى الكورى الذى تأسس عام ١٩٢٥، فقد جرى حله دون ان يقدم

الاستراتيجية والتكتيكات العلمية التى تتناسب مع واقع كوريا.

خلاصة القول، ان نقطة الضعف العامة التى تعتور استراتيجيات وخطوط الاجيال السابقة هى عدم ثقتها بقوة جماهير الشعب وصدوفها عنها.

فجميع نشطاء الاجيال السابقة، دون استثناء، تجاهلوا حقيقة ان جماهير الشعب هى صاحبة الثورة ولديها القوة لدفعها. ومن اجل هزيمة الامبريالية اليابانية كان لا بد من الاستناد الى القوى المنظمة لملايين الناس، الا ان نشطاء مناهضة اليابان فى بلادنا كانوا يظنون انه يمكنهم القيام بالثورة وحرب الاستقلال بالاعتماد على عدد محدود من الرجال الخاصين.

وانطلاقا من موقف مماثل، قام اتباع الحركة الشيوعية ايضا بانشاء حزبهم بطريقة اعلان لجنته المركزية من اشخاص من الفئة العليا، بدلا من اعداد القاعدة كما يجب، وانقسموا الى فئات كل واحدة تضم ثلاثة او خمسة اشخاص، وراحوا يتنازعون على الهيمنة طوال عدة سنوات، دون ان يتغلغلوا عميقا فى اوساط الشعب.

كما كان فى خطوط واستراتيجيات الاجيال السابقة نقطة ضعف خطيرة تتمثل فى عدم مطابقتها للواقع الملموس فى كوريا.

ولم اتأخر فى اتخاذ القرار بانه من اجل صياغة نظرية هادية سديدة تتفق مع هذا الواقع، يجب التفكير بكافة المسائل بصورة مستقلة وحلها بطريقة اصيلة، بما يتلاءم مع وضعنا، دون اعتبار الكلاسيكيين او تجارب الآخرين شيئا مطلقا. كان علينا الا ننقل خبرات ثورة اكتوبر كما هى بحجة اننا نصوغ دليلا نظريا، كما كان علينا الا ننتظر مكتوفى الايدى لتقدم لنا الاممية الشيوعية وصفة باكسير لكل امراضنا.

وكانت تدوى فى ذهنى بكثرة صيحة تقول: "يجب الا نثق الا بقوة الجماهير الشعبية، علينا ان نخوض حربا دامية ضد الامبرياليين اليابانيين بالثقة بالعشرين مليون مواطن وحشد قواهم."

بهذا الالهام، عملت جاهدا لتضمين الافكار التى نسميها اليوم "زوتشيه" فى كل فقرة من فقرات التقرير. كانت كل المفاهيم التى رغبت فى تضمينها جدية ومتعلقة بمستقبل ثورتنا.

وقد فكرت مطولا، بشكل خاص، بقضية النضال المسلح.

طرحت فى مشروع التقرير مسألة خوض الحرب الشاملة ضد اليابان بالسلاح على انها خط رئيسى لنضال التحرر الوطنى المناهض لليابان والمهمة الاولى امام الشيوعيين

الكوريين.

وقد استغرقت وقتا طويلا لاتخاذ قرار الشروع بالنضال المسلح وتحديده كتوجه. وليس من المبالغة القول اننا كنا عزلا من السلاح عندما تبنينا خط النضال المسلح فى كارون. وفى ظل تلك الظروف، كنت اصر على ان تعلم النضال المسلح يفرض على الشيوعيين الشباب ان ينظموا بانفسهم جيشا من نمط جديد.

وكان هناك اشخاص يخالفوننى الرأى قائلين انه لا حاجة لتشكيل قوات اخرى، وانه يكفى العمل ضمن جيش الاستقلال الموجود فعلا، لان تشكيل جيش آخر يعنى تشتيت القوى المسلحة المناهضة لليابان.

لقد كان من المستحيل وغير المعقول ان نخوض عمليات مسلحة من خلال جيش الاستقلال وتحويل هذا الجيش من الداخل، فى الوقت الذى كان يتحول فيه الى اليمينية والرجعية.

ففى عام ١٩٣٠، كانت اوضاعه اكثر من مزعزعة. فتحت تصرف مجموعة كوكمين كانت توجد تسع سرايا فقط. اضف الى ذلك ان هذه السرايا التسع كانت منقسمة ما بين موالين ومعارضين لمجموعة كوكمين من جراء انقسام قادتها.

كانت جماعة انصار كوكمين تمثل القوى المحافظة التى تدافع بالمطلق عن التوجه الذى كان جيش الاستقلال يتمسك به منذ عشر سنوات ونيف، بينما كانت الجماعة الاخرى الجذرية تعارض ذلك الخط وتطالب بخط آخر جديد. وكان اعضاء هذه الجماعة الاخيرة يتعاطفون مع الشيوعية ويحاولون التعاون مع متبنيها. وقد حدد الامبرياليون اليابانيون اولئك الاشخاص على انهم من "القوى الثالثة"، بمعنى انهم من القوى الوسطية الجديدة غير القومية وغير الشيوعية. ان ظهور "القوى الثالثة" مثل المعارضين لمجموعة كوكمين داخل الحركة القومية اثبت ان الشروع فى تحول هذه الحركة عن مسارها الى الحركة الشيوعية قد ولج مرحلة التطبيق عمليا.

وبسبب المواجهة بين الجماعتين المذكورتين، انقسمت وحدات جيش الاستقلال ونشأت حالة من الفوضى والاضطراب داخل الحركة القومية.

كانت سرايا جيش الاستقلال ترابط عموما فى قرى المناطق السهلية غير المؤاتية لشن حرب العصابات. وفضلا عن سوء تسليحها، كانت تلك السرايا سيئة الانضباط والتدريب، ولم تكن تقيم علاقات جيدة مع الاهالى.

كان جيش الاستقلال يمضى فى طريق الانحلال تدريجيا، خلافا لمرحلة ازدهاره فى اوائل العشرينات، حين كان ينجح فى هزيمة وحدات كبيرة من قوات الامبريالية اليابانية مثلما جرى فى معركتى تشينغشانلى(٤) وفينغويكو(٥).

حين ذهبت الى وانغتشينغمين لحضور مؤتمر اتحاد الشباب العام فى منشوريا الجنوبية، تبادلت الرأى مع هيون موك كوان حول مجموعة كوكمين. وكان من الاسئلة التى وجهتها اليه:

"هل انت متأكد ايها السيد من انكم ستنتصرون على اليابان بقوة مجموعة كوكمين وحدها؟"

وقد اردت استفزازه بهذا السؤال، لانه كان يكثر من التبجح بهذه المجموعة.

"لا، لست متأكدا. ولكننا سنصمد الى ان تمد لنا الدول الكبرى يد المساعدة لتحقيق الاستقلال".

ادهشتنى اجابته. وفكرت بما يستطيع عمله جيش يناضل بصورة عمياء دون ان تكون لديه قناعة بالنصر، وهو ينتظر مساعدة الدول الكبرى. لذا، قلت له وكأننى امزح : ألا تنوون تسليمنا كل ما لدى مجموعة كوكمين من اسلحة؟ اذا فعلتم ذلك فسنطرد اليابانيين خلال ثلاث او اربع سنوات.

ولان الارهاب ضد اعضاء اللجنة التحضيرية للمؤتمر لم يكن قد بدأ بعد، فقد كان لدينا متسع لتبادل المزاح دون تحفظ. وكان هيون موك كوان معتادا على قبول مزاحى منذ ايام جيلين.

ولكنه لم يقل شيئا فى ذلك اليوم، وانما اكتفى برسم ابتسامة مريرة. وربما اعتبر ما قلته مجرد وهم طائش.

لقد كان من الصعب الحفاظ على قوات مجموعة كوكمين. لهذا فكرت بضرورة انشاء جيش من نمط جديد.

كنت مقتنعا بان نضالا مسلحا يقوده الشيوعيون فقط يمكن ان يتخذ طابع مناهضة اليابان الاشد حزما وثورية. ذلك لانه ليس فى وسع سواهم ان يحشدوا فى هذا النضال العمال والفلاحين والقوى الوطنية العريضة المعادية لليابان، وان يسيروا بذلك النضال على مسؤوليتهم حتى النهاية وفق استراتيجية وتكتيكات علمية تعكس على نحو صائب مصالح الجماهير، ويقودوا بذلك الثورة الكورية بمجملها الى النصر.

فالامبريالية اليابانية التى علينا هزيمتها كانت قوة عسكرية عظمى حديثة النشوء، خرجت ظافرة بسهولة فى حربيها مع تشنغ وروسيا اللتين تزيد مساحة اراضيهما عشرات المرات عن مساحة اراضيها.

لم يكن من السهل الحاق الهزيمة بهذه الدولة القوية واستعادة البلاد من مخالبها.

فهزيمتها تعنى بالضبط الانتصار على القدرة العسكرية اليابانية المعترف بها عالميا، والانتصار على هستيريا روح "يامادو" لديها، ويعنى الخروج ظافرين من معركة الاستنزاف ضد موارد بشرية ومادية ومالية راكمتها اليابان الصاعدة خلال ما يقرب من سبعين عاما بعد اصلاح ميجى.

بالرغم من ذلك كله، فقد فكرت باننا نستطيع بالنضال المسلح ان نهزم اليابان خلال ثلاث او اربع سنوات. ولم يكن لى ان اجرؤ على التفكير بذلك لو اننى لم اكن شابا. ولو ان العسكريين اليابانيين سمعوا ما قلته لاستغرقوا فى الضحك من ظرافتى.

ولو سألنا احد عن الضمانة التى تدفعنى لتأكيد ذلك، لما كان لدى اى جواب. فاى ضمانة لدينا ونحن لا نملك الا ايدينا العزلاء؟

لم يكن لدينا سوى الوطنية وحماسة الشباب. ولم نقل ما قلناه لاننا نحتقر قوة اليابان، بل لاننا كنا نؤمن بان وطنيتنا اكثر قوة واننا على حق. واذا كانت هناك ضمانة فهى قوة العشرين مليونا من ابناء الشعب. كنا موقنين من اننا اذا دربنا الشعب كما يجب ووضعناه فى حالة حرب فى كل مكان ليوجه الضربات الى الجيش والشرطة اليابانيين، فاننا سنتمكن من تحقيق استقلال البلاد.

لهذا السبب، اعتبرنا ان دفع النضال المسلح بعنفوان يستدعى توطيد قاعدته الجماهيرية.

ويمكن القول انه من هنا نشأ مشروع الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان. فاذا كنت قد ادركت لاول مرة ضرورة بناء المنظمة وانا فى مدرسة هواسونغ، فان الحدث الذى جعلنى اشعر بقوة الامة ونقشها فى ذهنى هو انتفاضة اول آذار الشعبية. اما قرار التوغل بين الشعب وجمع شمله والقيام بالثورة استنادا الى قوته فقد اتخذته فى جيلين.

لقد كان من المستحيل التخلص من نير العبودية الاستعمارية دون مقاومة وطنية يشارك فيها العشرون مليونا من ابناء الشعب. واكدنا بانه لو كان الامر يتعلق بثورة طبقية محضة، لاستطعنا تكوين قوتها المحركة من جماهير العمال والفلاحين وحدها، ولكن بما ان طابع ثورتنا هو كونها ضد الاقطاعية والامبريالية، فان قوتها المحركة يجب الا تقتصر على

العمال والفلاحين، بل ان تضم كذلك الشباب والطلاب والمثقفين ورجال الدين الوطنيين والرأسماليين القوميين. كان مبدؤنا يرتكز على حشد وتعبئة جميع القوى الوطنية والمناهضة لليابان التى لها مصلحة فى التحرر الوطنى.

عندما تقدمنا بهذا الخط، كان هناك من هزوا رؤوسهم قائلين ان مثل هذه الصيغة لا وجود لها فى الاعمال الكلاسيكية. واكدوا انه من الوهم محاولة اقامة تحالف بين الشيوعيين وقطاعات اجتماعية اخرى سوى العمال والفلاحين، وانه لا يمكنهم مد ايديهم الى المتدينين ورجال الاعمال. وبسبب هذا المفهوم، قامت جماعة هوايو(٦) بطرد كيم تشان من منصب مسؤول ادارة منشوريا العامة التابعة للحزب الشيوعى الكورى لانه اقام اتصالا فى وقت ما مع بضعة اشخاص من مجموعة كوكمين.

وكان عدد كبير من القوميين ايضا يعاملون الشيوعيين بفتور. فداخل الحركة الشيوعية كان يفرض حظر على القومية والعكس بالعكس. وكانت نتيجة هذه النزعة انقسام القوى الوطنية الى معسكرين: شيوعى وقومى.

جميع العاقلين كانوا يتألمون لذلك. وبفضل جهودهم، اطلقت فى بلادنا فى اواسط العشرينات حملة ترمى الى تعاون كلا المعسكرين، واعطت تلك الحملة ثمارها فى انشاء جمعية سينكان عام ١٩٢٧. ولما كان ظهور جمعية سينكان الى حيز الوجود حدثا يشير الى انه يمكن للشيوعيين والقوميين ان يتحدوا من اجل مصلحة الامة مهما اختلفت افكارهم، فقد رحبت جماهير الشعب به احر ترحيب.

غير انه، بسبب المؤامرات التخريبية المتواصلة التى كان يقوم بها الامبرياليون اليابانيون ومن جراء الاعمال التفكيكية التى قام بها الاصلاحيون المأجورون، اضطرت هذه الجمعية الى الاعلان عن حل نفسها فى عام ١٩٣١.

لو ان القوتين اندمجتا اندماجا متينا تحت الشرط المسبق الكبير المتمثل فى حب الوطن لما جرى حل الجمعية بهذه السهولة مهما كانت اعمال التخريب من الداخل والخارج.

لقد شعرنا بأسف شديد حين رأينا حل جمعية سينكان واجهاض التعاون بين الشيوعيين والقوميين الذى كلف جهودا كبيرة. ان اعتبار المثل العليا شيئا مطلقا وعدم وضع الامة فوق كل الاعتبارات، يجعل من المستحيل تحقيق تعاون حقيقى. وكان رأيى فى ذلك الحين انه اذا اعطيت الاهمية الاولى للشرط المسبق الكبير المتمثل فى التحرر الوطنى، فانه يمكن التحالف مع اى فئة كانت.

انطلاقا من هذا الموقف، تعاونا بعد التحرر مع السيد كيم غو الذى عاش حياته معارضا للشيوعية، وما زلنا حتى الآن نتوجه الى عقول جميع مواطنينا من اجل تحقيق الوحدة الوطنية الكبرى. وعندما تتحقق هذه الوحدة فستؤدى الى عزلة القوى الخارجية والخونة وحدهم.

وحيث ان الوحدة الوطنية الكبرى هى المهمة الجوهرية والمقصد الاول لنا، فقد استقبلنا بمشاعر اخوية فى بيونغ يانغ السيدين تشاى هونغ هى وتشاى دوك سين(٧) دون ان نسألهما عن ماضيهما، مع انهما وجها اسلحتهما الينا وامضيا جل حياتيهما فى الجبهة الامامية المعادية للشيوعية.

عند لقائى بالسيد تشاى دوك سين اشرت الى انه يجب على كل امرئ سواء أكان فى الشمال او الجنوب ان يفكر فى مسألة التوحيد واضعا الامة فى المقام الاول. فعندما توجد الامة يمكن للطبقات والمعتقدات ان توجد. فما هى الحاجة الى الشيوعية او القومية او حتى الى الايمان"بالرب" اذا كانت الامة غير موجودة؟

لقد دعوت الى الشىء نفسه منذ اكثر من ٦٠ عاما، حين كنا نبحث عن خط الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان فى كارون.

يجب على السياسة ان تكون شمولية، وعلى السياسى ان يتحلى برحابة الصدر. وبدون ذلك لن تستطيع السياسة استيعاب كافة الجماهير، وسيتعرض السياسى للنبذ والصدود من قبل الجماهير.

لقد اشرت فى التقرير الى مسألة تأسيس الحزب وطابع الثورة الكورية ومهامها والموقف الرئيسى الذى يجب على الشيوعيين الكوريين ان يتمسكوا به فى نضالهم.

ما ان انتهيت من صياغة مشروع التقرير حتى طرحته للنقاش امام الكوادر القياديين لاتحاد الشباب الشيوعى واتحاد الشباب المناهض للامبريالية الذين جاؤوا من مختلف الارجاء للمشاركة فى اجتماع كارون. كنا نناقش التقرير نهارا على تخوم الحقول اثناء قيامنا بالعمل او فى ايكة اشجار الصفصاف على ضفة نهر ووكايهى، وندرس فى الليل التقرير فقرة فقرة ونناقش الآراء التى طرحت فى النهار وذلك فى غرفة المناوبة بمدرسة زينميونغ.

وفى سياق هذا النقاش الجماعى، طرحت افكار كثيرة على جانب كبير من الاهمية والواقعية.

دار الجدال، اولا وقبل كل شيء، حول تحديد طابع الثورة الكورية، ونوقش بحماس تعبير الثورة الديمقراطية المناهضة للامبريالية والاقطاعية الذى اوردناه فى التقرير. كانت بؤرة الجدال تتركز حول امكانية تناقض هذا التحديد الجديد للثورة الذى لم يرد فى الاعمال الكلاسيكية ولم يطرحه اى بلد آخر، مع المبادئ العامة للثورة وقوانينها. كان الشباب فى ذلك الحين لا يعرفون سوى ان الثورة البرجوازية او الثورة الاشتراكية قد سجلت تبدلا فى التاريخ الحديث. ولهذا اظهروا الريبة حين طرح عليهم المفهوم الجديد عن الثورة الديمقراطية المناهضة للامبريالية والاقطاعية التى تختلف عن الثورة الاشتراكية والثورة البرجوازية.

لقد حددنا طابع الثورة الكورية على هذا النحو نظرا للعلاقات الطبقية فى بلادنا وللمهمات المطروحة على الثورة. فأكثر المهمات الثورية التى تواجهها الامة الحاحا هى الحاق الهزيمة بالامبريالية اليابانية، وتصفية العلاقات الاقطاعية التى تكبل الامة، وتحقيق الديمقراطية. ومن هنا، حددنا طابع الثورة الكورية على انها ثورة ديمقراطية مناهضة للامبريالية والاقطاعية.

اذا جرى تحديد طابع الثورة من خلال وضعه قسرا فى قوالب الغير الجاهزة فان ذلك يعنى الوقوع فى نزعة الجمود العقائدى. فليس القالب هو الاساس، وانما الواقع الملموس. فاذا كان ثمة صيغة تتفق مع وضع البلد المعنى، لكونها علمية، فان الواجب يفرض على الشيوعيين ان يتقبلوها دون تردد، حتى ولو كانت غير واردة فى الاعمال الكلاسيكية ولم يطبقها الآخرون من قبل .

هذا موقف خلاق من الماركسية اللينينية.

هكذا شرحت الموضوع. وعندئذ فهمنى المندوبون، بل واعربوا عن دعمهم الكامل.

لقد اثارت مسألة الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان اشد النقاشات حماسة. كانت قضية استراتيجية هذه الجبهة حينذاك معترفا بها عموما، ولكنها كانت شديدة التعقيد فى الوقت نفسه، بحيث لم يكن بالامكان معالجتها على المستوى النظرى والعملى. فبعض الاشخاص فى الكومنترن كانوا يصمون المؤيدين لسياسة الجبهة المتحدة على انهم اصلاحيون وذلك بسبب اخفاق التحالف بين الحزب الشيوعى والكومنتانغ فى الصين. ولهذا اتخذ رفاقنا هم الآخرون موقف الحذر عموما فى تناول هذه المسألة.

وما لم يتمتع المرء بالجرأة والاقدام، لم يكن بوسعه ان يطرح سياسة الجبهة الوطنية

المتحدة كخط، ذلك لان طرح هذه المسألة قد يعد تحديا لموقف الكومنترن.
وقد اقترح الرفاق كثيرا من القضايا:
—اذا كان الاب ملاكا عقاريا، وابنه مؤيد للثورة فكيف ننظر اليه؟
—اذا دفع رأسمالى مبالغ طائلة من امواله لاستقلال البلاد وقدم مساعدة مادية كبيرة الى جيش الاستقلال لكنه يدير ظهره للشيوعيين دون مبرر، فكيف يجب معاملته؟
—وهل بالامكان ضم عمد النواحى الى الثورة مع العلم انهم يقيمون اتصالات مع اليابانيين ومع الاهالى على السواء؟
فقلت لهم بكلمة واحدة انه يجب تقييم الناس اساسا بناء على توجهاتهم الفكرية.
وفيما بعد، تبلورت وجهة نظرنا هذه فى برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن، وبعد التحرر ضمنت فى البرنامج السياسى ذى النقاط العشرين لتكون سياسة للدولة.
وقد تأكدت تماما من خلال الممارسة العملية فيما بعد صحة هذا الخط الذى طرحناه فى كارون.
وشكلت آراء رفاقى مساهمة كبيرة فى اكمال نص التقرير.
انعقد اجتماع كارون رسميا فى ليلة ٣٠ حزيران من عام ١٩٣٠.
هيأ الرفاق فى كارون احدى غرف مدرسة زينميونغ كمكان للاجتماع. ففرشوا ارضية الغرفة بالحصائر وعلقوا على السقف عدة قناديل من اجل راحة المندوبين.
انتهت الجلسة الاولى بتقديم التقرير. ومنذ اليوم التالى ناقشنا الاجراءات لتنفيذ المهام المطروحة فى التقرير، وكانت المناقشات تتم باشتراك جميع المندوبين او ضمن جماعات، على ضفة النهر حينا وفى ايكة الصفصاف حينا آخر، او فى الحقول اثناء مساعدة الفلاحين فى عملهم حينا ثالثا. كان هذا اسلوبا فريدا فى الاجتماع.
وقد عقدنا الاجتماع باطمئنان، لان المنظمات الثورية فى كارون فرضت حراسة صارمة. وقد تولى اعضاء فرقة الاطفال الكشافة بشكل خاص، توفير الحماية لنا طوال جلسات الاجتماع.
علمت الامبريالية اليابانية ان مجموعة كبيرة من الشيوعيين الشباب من الجيل الجديد قد احتشدوا فى المنطقة الوسطى من منشوريا، فأوفدت عددا كبيرا من عملائها الى المناطق التى كنا ننشط فيها، مثل محافظات تشانغتشون وهوايدى وايتونغ. وكان بين اولئك العملاء من يفتشون عنى تحديدا ومعهم صورتى الفوتوغرافية.

ومن خلال عملاء القنصلية اليابانية المعتمدة فى منشوريا وجواسيس مديرية الشرطة التابعة لمقر الحاكم العام فى كوريا، كانت الامبريالية اليابانية تعرف انه قد ظهر فى منشوريا، وفى جيلين كمركز، شيوعيون من جيل جديد، وانهم يوسعون قواهم بسرعة، وان اصولهم واسلوب عملهم تختلف تماما عن الشيوعيين السابقين. ولهذا، راحت تطارد نواتهم القيادية باصرار واعصاب متوترة لاعتقالها. ويبدو انهم كانوا ينظرون الينا بجدية، لاننا كنا نعد ميدانا فسيحا لعملنا وتوغلنا فى اعماق ابناء الشعب دون ان نثير ضجة.

كان كيم وون وو فى ذلك الحين مسؤولا عن تنظيم حراسة القرية وقيادة اعضاء فرقة الاطفال الكشافة واتحاد الشباب المناهض للامبريالية. وكان يخرج من غرفة الاجتماع خلسة بين حين وآخر لكى يتفقد مواقع الحراسة فى القرية. وحين كنت لا استطيع الذهاب الى مبيتى واقضى الليل ساهرا فى قاعة مدرسة زينميونغ لانشغالى بالاعمال، كان هو الآخر يقضى الليل ساهرا فى الخارج لحماية امننا. ذات يوم، شوى البطاطا على موقد غرفة المناوبة وقدم لى منها وجبة ليلية.

لقد قدم كيم وون وو مساهمات كبيرة فى ريادة كارون وغويوشو وووتشازى وغيرها، كما انجز اعمالا تستحق التقدير اثناء مشاركته فى الحركة الطلابية فى جيلين.

فى ربيع عام ١٩٢٨، اوفدناه الى منطقة تشانغتشون فى مهمة تثوير فلاحى قراها. فتستر بعمله كمعلم فى مدرسة زينميونغ فى كارون، وقام بتربية الشباب فى محيط كارون وغويوشو.

ومنذ ربيع عام ١٩٣٠، شارك فى العمل التحضيري لتشكيل الجيش الثورى الكورى بمساعدته تشا كوانغ سو. ولانه كان وسيما جدا، فقد البسناه فى احدى المرات ثياب النساء وارسلنا مع هيون كيون كزوجين للقيام بعمل سرى فى احدى المناطق.

بعد تنظيم الجيش الثورى الكورى، اعتقل العدو كيم وون وو اثناء تجواله للحصول على اسلحة. وقد امضى عدة سنوات فى السجن، حيث ناضل ايضا بثبات ودون تردد.

مات كيم وون وو غيلة على ايدى الفئويين وهو يناضل دفاعا عن خطوط الحزب فى المناطق المحلية عندما كان وضعنا الداخلى والخارجى معقدا فى فترة ما بعد الحرب. آنذاك قام الفئويون بالتجنى بوسائل مختلفة على اناس مخلصين للحزب.

الاسم الاصلى لكيم وون وو هو بيون موك سونغ.

واذا كانت كارون قد تحولت الى قاعدة موثوقة لنشاطنا وقرية ثورية لتحقيق مثلنا العليا،

فان ذلك يرجع الى الجهود المضنية التى بذلها كيم وون وو وكيم لى كاب وتشا كوانغ سو وكيم هيوك وغيرهم من شيوعيى الجيل الجديد.

قبل وصولنا الى هذه المنطقة، كان السكان فيها يعيشون حالة مواجهة منقسمين الى جماعة الجنوبيين وجماعة الشماليين. وبلغ بهم الامر فى احدى المرات حد الاقتتال من اجل مياه نهر ووكايهى. فاذا ما سدت جماعة الجنوبيين النهر لحراثة حقول الارز، كانت جماعة الشماليين تهرع بالرفوش لازالة السد قائلة ان حقول ارزها قد اصابها الجفاف. ووصلت الامور بينهم الى حالة مؤسفة انقسم معها اطفالهم الى جماعتين، ولم يعودوا يختلطون ويلعبون معا.

وقد بذل كم هيوك وكيم وون وو وكيم لى كاب وزانغ سو بونغ وغيرهم جهودا كبيرة لتسوية هذا الوضع. وتوصلوا الى اقناع السكان بوجوب التخلص من هذا النزاع، واقاموا عدة منظمات جماهيرية وانشأوا المدرسة، حيث مارسوا التعليم المجانى.

واصل المندوبون الاجتماع ليلة الثانى من تموز فى المكان نفسه. وفى تلك الليلة، وزعت عليهم المهمات والقيت كلمة الختام.

وعند انتهاء الاجتماع، هب تشا كوانغ سو الذى كان يتولى رئاسته والقى خطابا مثيرا. لقد كانت له طباع غريبة. وكان يتصرف عادة باندفاع مما اكسبه لقب "المتهور"، وكثيرا ما كان يظهر الانفعال، الا انه لم يفقد السيطرة على نفسه فى ذلك اليوم، وتكلم بحماس مثيرا اعجاب مستمعيه. فقد صرخ وهو يلوح بقبضته:

"بينما يتحسر آخرون بصوت عال على اخفاق الشيوعيين الكوريين، اطلقنا هنا فى كارون صيحة تاريخية معلنين الانطلاقة الجديدة للثورة الكورية. ومع اعلان الفجر هذا، سيتقدم الشيوعيون الكوريون باندفاع على الطريق الجديد. ايها الرفاق، لنحمل السلاح فى الحال وننطلق الى المعركة المصيرية ضد الامبريالية اليابانية".

وقد اطلقنا جميعنا الهتافات اثر خطابه وانشدنا "اغنية الثورة."

وهكذا، اعلنا فى كارون الطريق الجديد للثورة الكورية، والفضل فى ذلك يرجع الى اننا قد اتخذنا، منذ فترة جيلين، موقفا وسلوكا اصيلين من الثورة الكورية، وتولينا مهمة شق طريق جديد للحركة الشيوعية من خلال نشاطاتنا الطلابية والشبابية. واكتفيت بنشر تلك الافكار والمواقف التى تولدت فى ايام النضال ونضجت فى السجن، تحت عنوان "طريق تقدم الثورة الكورية."

وقد اصبحت تلك الافكار هى الخط والفكرة الهادية لثورتنا.

واستطيع التأكيد ان نواة مضمون ذلك المقال هى فكرة زوتشيه.

لقد تطورت هذه الفكرة واغتنت دون توقف فى بوتقة النضال العملى الشاق والمعقد عبر مراحل متعددة من الثورة، وخصوصا مرحلة النضال الثورى المناهض لليابان، لتصبح اليوم مذهبا فلسفيا لمنظومة متكاملة من الافكار والنظريات والمناهج .

وقد شددنا بعد التحرر بشكل خاص على ضرورة اقامة زوتشيه، وخصوصا اثناء بناء قاعدة الاشتراكية فى فترة ما بعد الحرب.

فى عام ١٩٥٥، تحدثت الى الكوادر الحزبيين فى ميدان الدعاية والتعبئة حول موضوع تجاوز التبعية للدول الكبرى والجمود العقائدى واقامة زوتشيه، وقد نشر هذا الحديث فيما بعد تحت عنوان "حول تصفية الجمود العقائدى والشكلية واقامة زوتشيه فى العمل الايديولوجى."

وكلما سنحت لى فرصة فيما بعد كنت انوه بضرورة اقامة زوتشيه.

وفى عدد من احاديثى مع الاجانب، اشرت الى جوهر فكرة زوتشيه وسيرورة ابداعها وتطبيقها على الواقع.

ومع ذلك، لم افكر فى ان اصوغ هذه الفكرة بشكل منهجى فى كتاب. بل اكتفيت بان شعبنا يتقبلها كفكرة عادلة ويجسدها فى الممارسة الثورية.

فيما بعد، قام الرفيق كيم جونغ إيل بصياغة منهجية شاملة لتلك الفكرة ونشرها فى مقال بعنوان "فى فكرة زوتشيه."

وفى خضم النضال المسلح المناهض لليابان الذى خضناه بعد اجتماع كارون، تأكدت لنا صحة الخط الذى تبنيناه فى ذلك الاجتماع. ومع ان العدو كان يقول اننا "قطرة فى البحر"، الا انه كان وراءنا محيط هائل من الشعب الذى يملك قوة لا تنضب. وما ان طرحنا خطنا حتى فهمه الشعب بسهولة وتبناه، ومد صفوفنا بالآلاف وعشرات الآلاف من ابنائه، وقدم لنا العون المادى والروحى على السواء.

واذا استطعنا الخروج منتصرين فى نضال الخمسة عشر عاما ضد عدو قوى مدجج بالسلاح، رغم وطأة برد منشوريا القارس، حيث تهبط الحرارة الى ما دون ٤٠ درجة تحت الصفر، فان السبب فى ذلك هو استنادنا الى معقل حصين هو الشعب، ومحيط غير متناه من الجماهير الشعبية.

٤ـ اول منظمة حزبية ـ جمعية تلاحم الرفاق

لقد تم الاعلان منذ عدة سنوات عن حقيقة تأسيسنا اول منظمة حزبية من نمط جديد فى ٣ تموز عام ١٩٣٠، اى اليوم التالى لاختتام اعمال اجتماع كارون، كما صدر خطابى الذى القيته فى ذلك الاجتماع.

من المعروف للجميع ان الحزب يؤدى دور هيئة الاركان فى الثورة، وانتصار الثورة او اخفاقها مرهون بدور الحزب. ويمكن القول انه اذا كانت الثورة هى قاطرة التاريخ، فان الحزب هو قاطرة الثورة. لهذا السبب، يعلق الثوريون اهمية كبيرة على الحزب ويكرسون جهودا كبيرة لبنائه.

فبعد ان وضع ماركس النظرية الشيوعية العلمية، اقدم على الخطوة العملية الاولى بتأسيسه رابطة الشيوعيين واصداره "البيان الشيوعى" وهو الامر الذى ما زال يعتبر حتى اليوم المأثرة الكبرى فى نشاطاته، لان رسالة الحزب ودوره يكتسبان اهمية بالغة فى نضال الشيوعيين لتحويل العالم.

ويمكن القول ايضا ان مختلف اشكال الانتهازية والاصلاحية التى تبدت فى الحركة الشيوعية والحركة العمالية العالميتين هى فى نهاية المطاف نتاج توجهات ومواقف خاطئة تجاه الحزب.

ان التحولات الباهرة التى حققها الشيوعيون على الكرة الارضية منذ ظهور الشيوعية على حلبة الحركة العمالية كتيار جديد للعصر وحتى يومنا هذا، مرتبطة كلها بالاسم النبيل للحزب.

ولتحقيق المهام التى طرحناها فى اجتماع كارون، باشرنا اولا وقبل كل شىء العمل لبناء المنظمة الحزبية.

لقد قررنا تأسيس حزب من نمط جديد، وبدأنا البحث الواسع عن السبيل لتحقيق ذلك، عندما سمعنا خبر شطب الحزب الشيوعى الكورى من قائمة الاممية الشيوعية (الكومنترن.(

لقد تم تأسيس الحزب الشيوعى فى بلادنا فى نيسان ١٩٢٥. ان واقع تنظيم حزب شيوعى فى بلادنا المحرومة من حريات وحقوق النشاطات السياسية، تمشيا مع الاتجاه العالمى، حيث توالى فى جميع البلدان ظهور احزاب سياسية تمثل مصالح الطبقة العاملة وتقود الجماهير، هو دليل على مدى حساسية الكوريين وتقبلهم السياسى للتيارات الفكرية الجديدة وتوجهات العصر.

كان تأسيس الحزب الشيوعى الكورى نتيجة حتمية، وثمرة شرعية لتطور الحركة العمالية وحركة التحرر الوطنى الكوريتين.

بعد تأسيسه، نشر هذا الحزب المذهب الاشتراكى بين العمال والفلاحين وقطاعات عريضة اخرى من الجماهير، ومارس قيادته للحركة العمالية مسجلا بذلك صفحة جديدة افسحت المجال لقيادة الشيوعيين لنضال التحرر الوطنى فى بلادنا.

خلال فترة وجود الحزب الشيوعى الكورى، قاد الشيوعيون الكوريون نضالا واسعا تجلى فى مظاهرة العاشر من حزيران الاستقلالية، لاظهار عظمة روح الامة، كما اسسوا التنظيمات الجماهيرية كجمعية سينكان بالائتلاف مع القوميين، مساهمين بذلك فى لم شمل القوى الوطنية المناهضة لليابان.

لقد كان تأسيس الحزب الشيوعى الكورى وانتشار الحركات العمالية والفلاحية وغيرها من قطاعات الجماهير تحت قيادته، حدثا تاريخيا شكل بداية الحركة الشيوعية فى بلادنا ودفع الى حد ما تقدم حركة التحرر الوطنى.

ومع ذلك، فقد تلاشى الحزب الشيوعى الكورى كقوة منظمة فى عام ١٩٢٨ وذلك من جراء قمع الامبريالية اليابانية القاسى والنزاعات الفئوية بين شخصيات فئته العليا.

وفى مؤتمره السادس الذى انعقد فى صيف عام ١٩٢٨، اعلن الكومنترن سحب اعترافه بالحزب الشيوعى الكورى، وهو ما يعنى اقصاءه من صفوفه.

صحيح اننا حين كان الحزب الشيوعى الكورى موجودا، كنا ننظر باشمئزاز الى فئته العليا المنهمكة فى النزاعات الفئوية، غير اننا حين سمعنا خبر اقصاء الحزب من صفوف الكومنترن لم نستطع ان نكبح مشاعر السخط والخزى. وقد اعتبرنا اجراء المنظمة الدولية غير عادل. ومنذ ذلك الحين، وبالرغم من صغر سنى وقلة خبرتى فى الحركة الشيوعية، قررت ان اخوض بحزم، ومن موقف السيادة، النضال لتأسيس حزب من نمط جديد.

ومن اجل تأسيس حزب نقى واصيل، كان على ان اتغلب على مختلف العقبات

والمصاعب.
وكانت اكبر العقبات تتمثل فى بقاء الفئوية بين الشيوعيين الاوائل. ولهذا السبب لم يستطيعوا القيام بحركة اعادة بناء الحزب بشكل موحد، وانما بانقسامهم الى فئات متعددة.
بعد اخراج الحزب الشيوعى الكورى من الكومنترن، قام الشيوعيون الكوريون بحركة دينامية داخل البلاد وخارجها لاعادة بناء الحزب. الا ان ايا من الفئات لم تستطع تحقيق هذا الهدف، بسبب قمع الامبريالية اليابانية العشوائى ومؤامراتها لعرقلة ذلك. وبعد ان تخلت جماعة هوايو وجماعة م . ل(٨) عن حركة اعادة بناء الحزب واعلنتا حل الادارة العامة فى منطقة منشوريا، اثارت جماعة سوسانغ حملة لاعادة بناء الحزب داخل البلاد، لكن هذه الحملة انكشفت ايضا، وانتهت بزج عدد كبير من اعضاء الحزب فى السجن.
من هنا، قدرنا انه من المتعذر علينا تأسيس حزب ثوري عن طريق اعادة بناء حزب جرى حله او بالاعتماد على الجيل السابق الملوث بعادات الفئوية البغيضة.
والعقبة الاخرى التى واجهتنا فى تأسيس الحزب هى انه بسبب مبدأ نظام الحزب الواحد فى البلد الواحد الذى اقره الكومنترن، كان من المستحيل ان يؤسس الشيوعيون الكوريون حزبا مستقلا لهم فى منطقة منشوريا.
ففى المبادئ العامة للنظام الداخلى الذى اقره المؤتمر السادس، حدد الكومنترن مبدأ نظام الحزب الواحد فى البلد الواحد الذى مفاده ان كل حزب ينتسب الى الكومنترن يحمل اسم الحزب الشيوعى فى بلده (فروع الكومنترن) ولا يمكن وجود سوى حزب شيوعى واحد كفرع للكومنترن فى كل بلد.
فى شهر ايار عام ١٩٣٠، نظم قسم الدعاية المسؤول عن الشرق فى الكومنترن اجتماعا لممثلى الشيوعيين الكوريين والصينيين فى خاباروفسك، واطلعهم على قرار الكومنترن بشأن القضية التنظيمية المتعلقة بالحزب الشيوعى الكورى، وكلف ذلك القرار الشيوعيين الكوريين المقيمين فى منشوريا بمهمة الانضمام الى الحزب الصينى والعمل كأعضاء فيه.
وهكذا، فان اولئك الشيوعيين الذين كانوا منهمكين فى حملة هائجة لاعادة بناء الحزب، بدلوا موقفهم واصدروا بيانات بحل انفسهم، وهبت بينهم ريح حقيقية للانتقال الى الحزب الشيوعى الصينى، وكان ذلك سببا فى اجتياح لهيب انتفاضة ٣٠ ايار منشوريا الشرقية.
كان لا بد لمسألة انضمام الشيوعيين الكوريين الى الحزب الصينى من ان تكون حافزا قويا للشيوعيين الشباب من الجيل الجديد الذين يعتزون بكرامتهم الوطنية اكثر من الجميع.

وقد خاض رفاقنا جدالا متحمسا حول هذا المبدأ. فاستنكر بعضهم قرار الكومنترن معتبرينه عملا غير مسؤول وقرارا لا يمكن فهمه، ورأى فيه آخرون اجراء عادلا وغير منحاز، وكان هناك من اخذوا ينوحون لانهم لم يستطيعوا كبح سخطهم، متذمرين من ان مطلب الكومنترن هذا بانضمام الشيوعيين الكوريين الى الحزب الصيني يعنى استبعاد امكانية اعادة بناء حزبهم الى الابد.

وقد رغب رفاقى فى معرفة موقفى من هذه المسألة التى اصبحت محط الاهتمام.

اوضحت لهم ان مطالبة الكومنترن للشيوعيين الكوريين بالانضمام الى الحزب الصيني بموجب مبدأ نظام الحزب الواحد فى البلد الواحد عمل لا يستدعى الاستنكار، كما انه لا يعنى حجب امكانية اعادة بناء الحزب، واضفت:

"ان مطالبة الكومنترن هى امر حتمى الى حد ما فى الظروف الراهنة. اذا كان لدى الشيوعيين الكوريين حزب سياسى مستقل فلماذا يطلب الكومنترن منهم ان يعيشوا فى منزل الآخرين؟ لذا، يجب علينا ان نحترم قراره. هذا موقف اممى. وحتى لو اعتمرنا قبعة عضو الحزب الصينى، يكفى الا ننسى كوريا وان نكافح من اجل الثورة الكورية. ومع ذلك، لا يمكن لنا، بحجة التزام قرار الكومنترن، ان نتخلى عن بناء حزبنا المستقل والعيش الى ما لا نهاية فى غرفة من منزل الآخرين. لا بد ان يكون للكوريين حزبهم الخاص".

كانت هذه هى وجهة نظرى وموقفى من قضية انتقالنا الى حزب آخر.

لكنى لم استطع التأكد من توافق وجهة نظرى هذه مع تفسيرات الكومنترن حول مبدأ نظام الحزب الواحد فى البلد الواحد.

لكى اعمق فهمى لهذا المبدأ واحدد خط بناء حزبنا فى اسرع وقت ممكن، قابلت كيم كوانغ ريول (كيم ريول) مراسل الكومنترن فى جياجياتون فى النصف الثانى من حزيران عام ١٩٣٠. كان كيم كوانغ ريول مثقفا ذهب الى الاتحاد السوفييتى بعد ان درس فى جامعة واسيدا فى اليابان، ثم جاء بعد ذلك الى الصين. وكان يقيم اساسا فى مناطق نشاطنا، مثل غويوشو ووتشازى وكارون. وقد سعى من موقعه كمراسل لاقامة اتصال لنا مع الكومنترن. وكان زانغ سو بونغ ولى زونغ راك يمتدحانه كثيرا قائلين انه رجل تعمق جدا بالاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى، ولذا قابلته بأمل كبير. وقد وجدته ضليعا بالفعل كما قيل. فهو يتكلم الروسية واليابانية بطلاقة، ويرقص الرقصات الروسية بمهارة لا تقل عن مهارة الروسيين انفسهم، اضافة الى اتقانه فن الخطابة. وقد قال لى كيم كوانغ ريول خلال

اللقـاء : اذهـب بنفسـك الـى الكـومنترن بـدلا مـن الاسـتماع الـى وجهـة نظـرى الشخصـية، سأعرفك على نقطة الاتصال بالكومنترن فى هاربين لتناقش هناك مبدأ نظام الحزب الواحد فى البلد الواحد.

بعد لقائى مع كيم كوانغ ريول، واصلت الجدال حول هذا المبدأ مع رفاقى.

فسرنا ذلك بانه لا يمكن انضمام حزبين شيوعيين او اكثر من بلد واحد الى الكومنترن، وانما حزب شيوعى واحد فقط، وانه يمكن تواجد مركز واحد للحزب الشيوعى فى البلد الواحد، وليس مركزين او اكثر.

ان جوهر هذا المبدأ يتلخص فى انه لا يجوز ان يتواجد فى كل بلد اكثر من مركز واحد للحزب الذى يمثل المصالح والاهداف نفسها.

واذا كان الكومنترن قد طرح هذا المبدأ وطالب مراعاته بصرامة، فان السبب فى ذلك، اساسا، هو تصفية الفئوية وجميع اشكال الانتهازية الاخرى فى الحركة الشيوعية العالمية وضمان وحدة صفوفها وتماسكها. ان العبر التاريخية للحركة الشيوعية العالمية جعلت الكومنترن يتبنى مبدأ نظام الحزب الواحد فى البلد الواحد ويتخذ جانب الحذر الكامل من تسرب مختلف العناصر المشبوهة الى الحركة الشيوعية.

وسبب آخر لاقرار هذا المبدأ يتمثل فى شراسة مؤامرات الاعداء لشق وتفكيك الصفوف الشيوعية من الداخل.

ومع ذلك، فقد اكتفى الكومنترن فى نظامه الداخلى بطرح المبدأ المذكور، ولم يشر الى اولئك الذين يقومون بالحركة الشيوعية فى بلد آخر، وكيفية انتقالهم الى حزب ذلك البلد، وكيفية تحديد مهامهم الثورية بعد انتقالهم اليه. كان هذا هو السبب فى ان مسألة انتقال الشيوعيين الكوريين العاملين فى منطقة منشوريا الى الحزب الصينى قد اصبحت محل جدال معقد. ولهذا السبب، ذهب بعض الناس الى حد التقدير بان انشاء الكوريين لمنظمة حزبية خاصة بهم على ارض الصين يتناقض مع المبدأ الذى دعا اليه الكومنترن.

فى تلك الفترة، ومن جراء اختلاف التفسيرات لهذا المبدأ، نشأ اضطراب وتردد خطيران فى نشاط الشيوعيين الكوريين الرامى الى تحرير الوطن وبرزت شكوك حول ما اذا كان لهؤلاء الثوريين الحق فى الكفاح من اجل وطنهم، وكنت فى اثناء ذلك اعمل بدأب لايجاد الطريقة لتأسيس حزبنا.

أليس هنالك من سبيل يتفق مع قرار الكومنترن ويمكن معه فى الوقت نفسه دفع عجلة الثورة الكورية بقوة؟

وكان المخرج الذى توصلت اليه بعد هذا البحث المضنى هو التالى: توطيد الاسس التنظيمية والفكرية لتأسيس الحزب، وبناء على هذه الاسس تأسيس الحزب القادر على اداء دور هيئة اركان ثورتنا بصورة تامة، وذلك انطلاقا من عبر الحركة الشيوعية السابقة وليس بطريقة التسرع فى اعلان تشكيل هيئته المركزية.

فلم يكن ممكنا بناء الحزب بمجرد الطموح الذاتى، دون تكوين البنية التنظيمية الواعية والمهيأة طبقيا وتأمين الوحدة الفكرية والارادية وارساء القاعدة الجماهيرية التى يمكن للحزب ان يستند اليها.

وقد قدرت ان الطريقة الاكثر عقلانية وواقعية بالنسبة لنا هى بناء المنظمات الحزبية القاعدية اولا من شيوعيى الجيل الجديد الذين لا صلة لهم بالفئوية ليكونوا عمودا فقريا، ثم توسيع هذه المنظمات وتوطيدها. وكنت مقتنعا بان تأسيسنا الحزب بهذه الطريقة سيحظى بترحيب الكومنترن ايضا.

وفكرت كذلك باننا اذا بادرنا اولا الى تشكيل المنظمة الحزبية من شيوعيى الجيل الشاب الذين اعددناهم حتى ذلك الحين، وعززنا دورها، ووسعنا ووطدنا المنظمات القاعدية المماثلة فى كل مكان نصله، فاننا سنتمكن من ضمان القيادة الصائبة للحركة الشيوعية ونضال التحرر الوطنى، وان ننجز فى الوقت نفسه واجباتنا الاممية بطريقة مرضية.

وما لم نقم على ارض الصين مركزا منفصلا لحزبنا الذى يمكنه التواجد بموازاة الحزب الصينى، فلن يتناقض ذلك مع مبدأ نظام الحزب الواحد فى البلد الواحد الذى طرحه الكومنترن.

بعد صياغتنا لهذه الافكار، طرحنا فى اجتماع كارون التوجه لتأسيس الحزب ثم شكلنا منظمته الاولى.

كان تشكيل المنظمة الحزبية الثورية مطلبا لا مفر منه لتطور ثورتنا.

ولان الحزب لم يكن موجودا فى كوريا فقد زار منظمو انتفاضة دانتشون الفلاحية حتى الكومنترن ليعرفوا آراءه بشأن المسائل التكتيكية فى الانتفاضة. ولو كان ثمة حزب ثورى يمثل مصالح العمال والفلاحين وقوى قيادية مجربة لما بددوا الاموال فى الذهاب الى الكومنترن.

لقد تطورت حركة التحرر الوطنى فى بلادنا فى اوائل الثلاثينات الى مستوى رفيع لا يمكن مقارنته مع الصراع المناهض لليابان فى الفترة السابقة سواء من حيث الاتساع او العمق.

كما تقدم نضالنا بسرعة بالمقارنة مع مرحلة بدايته. وتوسع نطاق نشاطنا الى خارج جيلين، وامتد بعيدا حتى مناطق منشوريا الشرقية والمناطق الشمالية من كوريا. واتخذ نضالنا الثورى الذى كان يقتصر على الحركة الشبابية والطلابية طابع النشاط السرى، وارتبط بالجماهير العمالية والفلاحية العريضة.

ومع اخذنا بالاعتبار انه اذا ما تراكمت الخبرات ونضجت الاستعدادات العسكرية والسياسية فانه ينبغى لنا ان ننظم الجيش الثورى الدائم ونشن حرب العصابات الشاملة بقوى وحدات كبيرة، فان اتحاد الشباب الشيوعى لم يكن قادرا على تولى قيادة كل ذلك. واذ كان هذا الاتحاد قد قاد حتى ذلك الحين العديد من التنظيمات الجماهيرية، فان ذلك كان ظاهرة انتقالية وغير دائمة.

حان الوقت لان نبنى الحزب لكى يقود ويوجه اتحاد الشباب الشيوعى ومختلف التنظيمات الجماهيرية وحركة التحرر الوطنى بمجملها، ولكى يقيم الاتصالات كذلك مع الحزب الصينى ويعمل مع الكومنترن. لانه لم يكن بالامكان التعامل مع الكومنترن بشكل مرض باسم اتحاد الشباب الشيوعى.

لما كان الشيوعيون السابقون قد ذهبوا للحصول على الاعتراف من الكومنترن وكل منهم يدعى بان فئته هى "الفئة الصميمية"، فقد اوقع ذلك الكومنترن فى البلبلة وعدم القدرة على التمييز بينهم. ولكنه راح يدرك شيئا فشيئا مع مرور الوقت، انه لا يمكن انشاء فصيلة طليعية حقيقية للطبقة العاملة فى كوريا الا بعد تصفية الفئوية، وللقضاء على هذه الفئوية وتأسيس حزب جديد لا بد من نهوض جيل جديد لا يعرف النزاعات الفئوية وخال من المطامع فى السلطة. لذا، اعار الكومنترن اهتمامه لنضالنا ومد الينا يده عبر سبل عديدة لاقامة الاتصال بنا.

وبعد سنوات عديدة من النشاطات الثورية، تمكنا كذلك من ارساء حجر الزاوية لتشكيل منظمة حزبية ثورية من نمط جديد.

كان تشكيل الاتحاد لاسقاط الامبريالية "ت . د" بمثابة نقطة الانطلاق لتأسيس هذا الحزب الثورى الذى يتميز عن الحزب السابق فى الحركة الشيوعية الكورية. لقد بدأ كل

شيء بمنظمة "ت . د" التى تطورت الى اتحاد الشباب المناهض للامبريالية واتحاد الشباب الشيوعى.

ان الفصيلة النواتية لثورتنا التى رباها اتحاد الشباب الشيوعى وقاعدتها الجماهيرية التى ارساها اتحاد الشباب المناهض للامبريالية اصبحتا الركيزة لتأسيس الحزب. فى ايام تنظيم اتحاد الشباب الشيوعى وقيام هذا الاتحاد بقيادة الحركة الثورية كمنظمة طليعية مقتدرة، تغلب الشيوعيون من الجيل الجديد على الاخطاء التى ارتكبها اسلافهم وشقوا مجالا جديدا فى كسب الجماهير وفن القيادة. ان الروح والتقاليد الكفاحية البطولية الثورية التى اظهرها شيوعيو الجيل الجديد شكلت القوة الدافعة للانتصار على الغزاة الامبرياليين اليابانيين واصبحت روح وارادة حزبنا فيما بعد.

ان بلورة الفكرة الهادية للثورة الكورية على اثر اجتماع كارون، شكلت ذروة ارتقاها شيوعيو الجيل الجديد فى نشاطاتهم. وقد اتضحت فى قرارات ذلك الاجتماع الاستراتيجيات التى ينبغى لهم ان يتخذوها مبادئ على طريق تجسيد برنامجى منظمة "ت . د" واتحاد الشباب الشيوعى. واصبحت هذه الاستراتيجيات قاعدة فكرية لتأسيس حزب من نمط جديد ومرشدا لنشاط الشيوعيين الذين تخبطوا لزمن طويل فى البحث عن طريقهم معانين آلام الاخفاق والتعثر.

يمكن القول ان الفكر الهادى والنواة القيادية والقاعدة الجماهيرية هى عوامل حاسمة لتشكيل المنظمة الحزبية، وقد كنا نملك هذه العناصر الثلاثة.

فى ٣ تموز ١٩٣٠، شكلنا فى احدى غرف مدرسة زينميونغ فى كارون، اول منظمة حزبية من الرفاق تشا كوانغ سو، كيم هيوك، تشاى تشانغ غول، غى يونغ تشون، كيم وون وو وتشاى هيو ايل. كما انضم اليها الرفاق كيم لى كاب، كيم هيونغ كوون، باك كون وون، لى زاى وو وباك تشا سوك بالرغم من غيابهم عن الاجتماع، فضلا عن لى زونغ راك الذى كنت ارشحه لقيادة الجيش الثورى الكورى.

كانت مدرسة زينميونغ فى السهل قبالة جياجياتون، على بعد ٥٠٠ متر تقريبا من القرية. وعلى الجانبين الشرقى والجنوبى للمدرسة كانت تمتد غابة صفصاف تقدر مساحتها بنحو ٥ الى ٦ هكتارات، يخترقها من الشرق الى الجنوب نهر ووكايهى ليحيط بالمدرسة. ومن الجهة الشرقية للمدرسة حتى القرية كانت هناك بركة ومستنقع. ولم يكن هناك ممر الى المدرسة الا من الجهة الغربية. فاذا ما اقام المرء حراسة صارمة على هذا الممر، لا يعود

بامكان احد معرفة ما يجرى فى المدرسة، ولا العثور على من يهرب عبر غابة الصفصاف فى حالة الخطر.

فى تلك الليلة، عقدنا الاجتماع بعد ان اقمنا حراسة ثنائية او ثلاثية عند ذلك الممر الذى قد يتسلل منه الجواسيس. ان فوضى نقيق الضفادع فى حقول الارز ما زالت عالقة فى ذاكرتى، تثير فى نفسى مشاعر فريدة.

ثمة انطباع لا ينسى تلقيته عندما كنا نشكل اول منظمة حزبية وهو انهماك كيم وون وو فى وضع راية حمراء الى جانب المنصة عند تكليفه بتهيئة مكان الاجتماع. كان لون الراية الاحمر يرمز، بكل ما فى الكلمة من معنى، الى تصميمنا على خوض النضال الثورى حتى آخر قطرة من دمائنا.

وما زلت حتى اليوم، اذا سمعت حديثا عن تلك اللحظات، اتذكر مدرسة زينميونغ، وحين اتذكرها ترد الى ذهنى صورة تلك الراية التى لا تنسى وهى تنتصب مائلة بجانب المنصة.

لم الق فى ذلك اليوم خطابا مطولا. فلم تكن هناك حاجة لتقديم شرح مسهب للهدف من انشاء المنظمة المذكورة، فقد ناقشنا الامر مطولا، واكثر من مرة فى اجتماع كارون.

اكتفيت بتحديد مهام الاعضاء، مثل مسائل توسيع المنظمات الفرعية القاعدية للحزب واقامة نظام قيادة موحد، وضمان وحدة الصفوف التنظيمية والفكرية والتلاحم الرفاقي، والتوطيد الحازم لقاعدة الثورة الجماهيرية، واضفت ان السبيل لتحقيق هذه المهام يتمثل فى تمسك المنظمة الحزبية بثبات بالموقف المستقل فى كافة نشاطاتها ودفع عملية بنائها بارتباط وثيق مع النضال المناهض لليابان.

لم نتبن برنامج الحزب ونظامه الداخلى على حدة لان برنامج منظمة "ت . د" ونظامها الداخلى يوضحان بجلاء الهدف النهائى والمهام النضالية العاجلة التى ينبغى لنا نحن الشيوعيين ان ننجزها، كما تجلت فى الخط الثورى والتوجه الاستراتيجى اللذين اقرهما اجتماع كارون تفاصيل الدرب التى يجب علينا ان نسلكها وقواعد عملنا.

وقد اطلقنا فيما بعد على اول منظمة حزبية اسما متواضعا هو جمعية تلاحم الرفاق. وهى تسمية تعكس رغبتنا وارادتنا على ما هما عليه، فى تعميق وتطوير الثورة التى بدأناها بكسب الرفاق، والوصول بها الى الانتصار النهائى عن طريق مواصلة البحث عن الرفاق الذين سيشاطروننا المصير وجمع شملهم.

نهض اعضاء الجمعية واحدا بعد آخر وتحدثوا بحماس وانفعال. وقد ارتجل كيم هيوك

يومذاك مقطعا شعريا قال فيه : "ها هو ذا مركب يغادر الميناء. ونحن فيه نتحدى الامواج العاتية، ونجذف الى عرض البحر."

ثم القى تشاى هيو ايل خطابا مطولا اختتمه بالقول:

"يا سونغ جو، لو كنا فى الجبل وليس فى غرفة الدرس لكنت اطلقت زخة من الرصاص على شرف هذه المناسبة"!

فقلت له اننا سنجابه الاعداء اليابانيين عما قريب وسيكون بامكانه عندئذ اطلاق الرصاص كما يشتهى. والحقيقة اننا كنا مبتهجين الى حد الرغبة فى اطلاق النار ليس من المسدسات وحسب، بل من المدافع ايضا، تحية لتشكيل اول منظمة حزبية. ان الكلمات لتعجز حقا عن التعبير عن سعادتنا واحساسنا بالعزة نحن الذين اقسمنا بوقار امام العصر والتاريخ على تكريس حياتنا كلها للثورة كمناضلين فى حزب كوريا.

بعد خمسة عشر عاما من ذلك، وبعد ان تم تأسيس الحزب فى الوطن المحرر، وبينما كنت استلقى على حصيرة مفروشة فوق ارضية البيت الذى شهد مولدى، والذى ما زالت فيه آثار طفولتى، نفضت عن نفسى كل الهموم، وتذكرت بانفعال عميق تلك المرحلة التى شكلنا فيها اول منظمة حزبية فى كارون.

لقد كانت جمعية تلاحم الرفاق هى جنين وبذرة حزبنا، ومنظمة ذات مغزى كبير فى انشاء المنظمات الحزبية القاعدية وتوسيعها. منذ امتلاكنا هذه المنظمة، واصلت ثورتنا مسيرتها المظفرة تحت قيادة شيوعيى الجيل الجديد، الانقياء والطاهرين مثل صفحة بيضاء، والذين لم تتسرب اليهم الفئوية. ومنذ ذلك الحين، تقدم نضال الشيوعيين الكوريين بقوة من اجل بناء الحزب المستقل، يحمله التيار الجبار للحرب المناهضة لليابان.

بعدئذ، اوفدنا اعضاء الجمعية الى المنطقة الشمالية من كوريا على ضفاف نهر دومان والى مختلف انحاء منشوريا لانشاء المنظمات الحزبية فيها.

وقد توليت انا نفسى مهمة انشاء المنظمات الحزبية داخل بلادنا. ففى خريف عام ١٩٣٠، تقدمت الى قضاء اونسونغ بمحافظة هامكيونغ الشمالية حيث كان تأثيرنا قويا نسبيا، وشكلت هناك منظمة حزبية.

شقت منظماتنا الحزبية الفتية طريق التقدم فى الحرب المناهضة لليابان مشاطرة جماهير الشعب المصير وواقفة فى مقدمتها دائما، ومن خلال ذلك تصلبت كفصيلة طليعية فولاذية ونمت كقوة قاهرة تحظى بمحبة الجماهير وثقتها المطلقة.

ومع اننا كنا نعمل كمنظمة مستقلة، الا اننا حافظنا فى نشاطاتنا على علاقات وثيقة مع الحزب الصينى. فبالرغم من اننا شيوعيون كوريون، فقد ايدنا دائما الثورة الصينية وناضلنا دفاعا عن مصالح حزبها وشعبها، وذلك انطلاقا من علاقات الصداقة التقليدية بين الامتين، وتماثل اوضاعهما وتطابق المهمات التى اناطها العصر بالثورتين. فكلما احرز الحزب والشعب الصينى نصرا فى نضالهما للتحرير الوطنى، ابتهجنا معتبرين ذلك الانتصار انتصارا لنا، وكلما عانيا اخفاقات وتعثرات مؤقتة شاركناهما معاناتهما.

فما دمنا، نحن الشيوعيين الكوريين، نمارس نشاطاتنا على ارض الصين، فاننا لم نكن لنتمكن من تلقى عون الشعب الصينى ولا الحفاظ بثبات على الجبهة المشتركة المناهضة للامبريالية، ما لم نقم اتصالا بالحزب الصينى.

واذا كنا نعلق اهمية على هذه العلاقات، فان السبب فى ذلك ايضا هو وجود كثير من الكوريين فى منظمات الحزب التابعة للجنة الحزبية باقليم منشوريا. وهو ما ينطبق كذلك على اللجنة الحزبية فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة وقيادات اللجان الحزبية فى محافظات وبلدات هذه المنطقة، حيث كان معظم اعضائها من الكوريين. وحتى عضوية الحزب فى هذه المناطق كان الكوريون يشكلون نسبة اكثر من ٩٠ بالمئة منها، وقد لعبوا دورا رئيسيا وطليعيا فى المنظمات الحزبية فى منطقة منشوريا الشرقية.

ان السبب فى كثرة اعضاء الحزب الكوريين فى منطقة منشوريا هو ان اغلب الرواد الذين شقوا طريق الحركة الشيوعية فى منطقة تشينتاو كانوا من الكوريين.

لقد بدأت الاتصال بالحزب الشيوعى الصينى منذ احتلال الامبرياليين اليابانيين لمنشوريا.

ولم اكن قد اقمت هذه الاتصالات حين اسست منظمة "ت . د" فى مدرسة هواسونغ، واثناء ممارستى نشاطاتى فى منطقتى جيلين وووتشازى.

ان تكريس المرء حياته للثورة لا يتم باملاء من الآخرين وانما بصورة مستقلة وعملا بقناعاته واهدافه. وانطلاقا من هذا المطلب، ابدعنا بانفسنا الفكرة الهادية للثورة، واسسنا باستقلالية منظمة "ت . د"، التى خرج منها حزبنا.

ان الوضع الذى نشأ مع احتلال الامبريالية اليابانية لمنشوريا بافتعال حادث ١٨ ايلول، وتحول هذه الامبريالية الى عدو مشترك للشعبين الكورى والصينى، طرح مسألة اقامة الاتصالات مع الحزب الشيوعى الصينى كمطلب ناضج.

قبل انعقاد اجتماع مينغويكو فى شتاء عام ١٩٣١ وبعده، اقمت فى بيت تشاو يا فان، وبدأت فى تلك الفترة الاتصال بمنظمة الحزب الشيوعى الصينى.

وحين كنت ادرس فى جيلين، شاركنى تشاو يا فان فى تنفيذ مهمات اتحاد الشباب الشيوعى، ثم عمل بعد ذلك معلما فى منطقة هيلونغ، وكان يحتفظ فى الوقت نفسه بعلاقاته مع الحزب الشيوعى الصينى.

وعندما نظمت فيما بعد جيش حرب العصابات وقمت بالنشاطات فى وانغتشينغ وغيرها من المناطق، اجريت اتصالات مع وانغ ريون تشينغ الذى كان يشغل منصبا رفيعا فى لجنة الحزب فى محافظة نينغآن ويضطلع حتى بمسؤولية منطقة منشوريا الشرقية. كما اقمت علاقة وثيقة مع تونغ تشانغ رونغ عند ايفاده من مدينة ديرن الى لجنة الحزب فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة.

هكذا قامت علاقتى مع الحزب الشيوعى الصينى. وفى هذا السياق، عملت ايضا ككادر فى منظمته. وبعد استشهاد تونغ تشانغ رونغ، اقمت اتصالات مع وى جين مين، وكذلك مع الرفيق بان، مفتش الكومنترن. وقد حافظت على هذه الروابط مع الحزب الشيوعى الصينى فى طوال فترة النضال المسلح المناهض لليابان، الامر الذى اسهم فى توسيع الجبهة المشتركة ضد الامبريالية اليابانية وتطوير النضال المشترك. وكان ذلك اجراء فعالا ومرنا يتفق والوضع المعقد فى ذلك الحين، حيث كان الشيوعيون الكوريون مضطرين للقيام بالنضال الثورى فى ارض اجنبية، ويتلاءم مع مطلب الكومنترن بانشاء حزب واحد فى كل بلد. وبينما كنا ندفع بنشاط نضالنا المشترك مع الحزب الشيوعى الصينى، كنا نتمسك بثبات براية تحرير الوطن والخط المستقل للثورة الكورية، وتجسيدها بنجاح باهر.

لقد مدح رفاق السلاح الصينيون من صميم قلوبهم موقفنا المبدئى هذا وجهودنا المخلصة، واعتبروها مثالا واضحا فى الدمج الصائب بين الواجبات القومية للثورة وواجباتها الاممية.

لقد ساهم عشرات الآلاف من خيرة ابناء وبنات الشعب الكورى مع الشيوعيين الصينيين فى الحرب الكبرى الشاقة والحافلة بالمحن ضد اليابان، رافعين عاليا راية الاممية البروليتارية.

وحين زار الرفيق تشاى يونغ كون الصين فى عام ١٩٦٣، اقام رئيس مجلس الدولة شو ان لاى مأدبة فى شنيانغ، تهنئة بعيد ميلاده والقى خطابا مؤثرا قال فيه ان الكوريين قد ادوا دورا اساسيا عند بدء الثورة فى شمال شرقى الصين ولذا، فان الصداقة الصينية الكورية

هى صداقة ابدية لا يمكن قطعها؛ وان الجيش المتحد المناهض لليابان كان قوات مسلحة ثورية تضم خيرة ابناء وبنات الشعبين.

وكثيرا ما تحدث الرفاق يانغ جينغ او وجو باو جونغ ووى جين مين ايضا عما حققه الكوريون من مآثر كبيرة فى مهمة بدء الثورة فى شمال شرقى الصين.

ولاننا اظهرنا النزاهة فى مساعدتهم، فقد كان الصينيون ايضا يساعدوننا فى عملنا بكل اخلاص مضحين بأرواحهم.

بعد اعادة تنظيم جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان فى جيش ثورى شعبى كوري، نظمنا فى صفوفه لجنة حزبية. وكان هذا ثمرة توسيع وتطوير اول منظمة حزبية تشكلت فى كارون. لقد مدت بذرة منظمتنا الحزبية المستقلة جذورها فيما بعد الى اتحاد التحرر الوطنى الكوري، ذراع جمعية استعادة الوطن داخل البلاد، والى النقابات العمالية والفلاحية.

واذا استطعنا انجاز قضية تأسيس الحزب خلال فترة لم تتجاوز شهرا واحدا بعد عودتنا الى الوطن ظافرين، فان الفضل فى ذلك يعود الى النجاحات والخبرات التى راكمناها فى النضال لتحقيق هذه القضية خلال مرحلة الثورة المناهضة لليابان الطويلة.

٥ـ الجيش الثورى الكورى

ببنـاء هذه المنظمـة الحزبيـة الاولـى – جمعيـة تلاحم الرفـاق، تحققت اول خطـوة لتشـكيل الحزب، وهى احدى المهمات الاساسية التى طرحت فى اجتماع كارون.

الا اننـا لـم نسـتطع الاكتفـاء بهـذا وحـده. فقـد كانـت تواجهنـا المهمـة العسـيرة للتعجيـل بالاستعداد للنضال المسلح.

وكمقدمة لهذا العمل، اسسنا فى غويوشو الجيش الثورى الكورى.

كان هدفنا من تشكيل منظمة سياسية وشبه عسكرية انتقاليـة، مثلمـا هو هذا الجيش، مـع التخطـيط المسـتقبلى لبنـاء القـوات المسـلحة الثوريـة الدائمـة بعـد مـرور سـنة او سـنتين، الاستعداد لانشاء وحدات جيش حرب العصابات الكبيرة من خلال نشاطات ذلك الجيش. لقد اردنا ارساء القاعدة الجماهيريـة للنضـال المسلح واكتسـاب الخبـرات اللازمـة لشـن النضـال المسلح من خلال النشاطات السياسية والعسكرية التى يقوم بها الجيش الثورى الكوري.

كنا فى الواقع نفتقر تقريبـا الـى المعـارف المتعلقـة بالنضـال المسلح. ولاننـا كنـا سنخوض هذا النضـال فـى ارض بلـد آخـر لا فـى ارض بلادنـا، فقد كنـا نحتـاج الـى خبـرة ملائمـة لهـذا الوضـع الخـاص. لكننـا، لـم نجـد فـى اى مكـان كتبـا فـى التـدريب العسـكرى او دروسـا تفيـدنا كمرجع.

لم يكن لدينا اى رصيد سوى بضعة رفاق منحدرين من جيش الاستقلال وعدد مـن زمـلاء الدراسة السابقين فى مدرسة هواسونغ وعدة مسدسات. ولا شـىء سـوى ذلـك. كـان لا بـد لنـا من الحصول على الاسلحة ومراكمة الخبرات العسكرية بانفسنا.

ولتحقيق هذا الهدف بالتحديد، انشأنا الجيش الثورى الكورى كمنظمة انتقالية.

كان كيم وون وو ولـى زونـغ راك هما اول مـن تـولى الاعداد لتشكيل الجيش الثـورى فـى غويوشو، ثم اوفد اليها بعد ذلك تشا كوانغ سو لاكمال الاستعدادات.

وقد جرت هذه الاعمال فى مناطق مختلفة وباساليب متنوعـة. وكـان العمـل الاساسـى هـو اختيار الشباب لضمهم الى الجيش الثورى والحصول على الاسلحة. واعتبرنـا ان احدى تلك

الطرق هى القيام بعمل فعال بين جنود جيش الاستقلال واجتذاب الجنود الاذكياء الذين يتعاطفون مع الافكار التقدمية الى جانبنا. ذلك ان عناصر كثيرة ذات سوابق عسكرية كانت منضوية الى صفوف ذلك الجيش، وكان من الممكن تماما جعلهم هيكلا للجيش لتزويد الشباب بالمعارف العسكرية التى يفتقرون اليها. ولهذا بذل رفاقنا جهودا كبيرة للعمل بين قوات جيش الاستقلال التابعة لمجموعة كوكمين. كان توجهنا يتلخص فى تثقيف واجتذاب الجنود ذوى الميول التقدمية وقبولهم فى الجيش الثورى حسب مستوى اعدادهم الفكرى.

وحتى تلك الفترة كان النزاع على السلطة ما يزال قائما فى مجموعة كوكمين المنقسمة الى موالين ومعارضين لها. وكان الموالون لمجموعة كوكمين يفرضون سيطرتهم على الكوريين المقيمين فى منشوريا فيما كان المعارضون يسيطرون على جيش الاستقلال. وقد اسفر هذا الوضع فى نهاية المطاف عن فصل المدنيين عن العسكريين. ومع بداية صيف عام ١٩٣٠، تحولت المواجهة بين الزمرتين الى شكل من اشكال الحرب الارهابية، حيث اقدمت كل منهما على اقتراف الاغتيالات ضد قادة خصومها، وشكل ذلك ذروة انشقاق قوى الزمرتين.

وحيال هذه الاوضاع، فقد امراء فصائل وسرايا جيش الاستقلال، فضلا عن عامة الجنود، الثقة بفئتهم العليا ولم يعودوا ينفذون اوامرها بانقياد. بل اصبحوا يخضعون لعاملينا السياسيين الذين اوفدناهم اكثر من خضوعهم لاوامر فئتهم العليا.

قام تشا كوانغ سو بالعمل مع جيش الاستقلال فى مناطق تونغهوا وهوينان وكوانسى بينما كان لى زونغ راك يثقف الجنود التابعين له فى غويوشو لقبولهم فى الجيش الثورى.

كان لى زونغ راك قد خدم من قبل فى السرية الاولى لقوات جيش الاستقلال التابعة لمجموعة زونغوى فى غويوشو، ثم انتسب بعد ذلك الى منظمة "ت . د" اثناء دراسته فى مدرسة هواسونغ. وكان بين طلبة هذه المدرسة عدد كبير من القادمين من السرية الاولى مع لى زونغ راك، منهم باك تشا سوك، باك كون وون، باك بيونغ هوا ولى سون هو.

وبعد اغلاق مدرسة هواسونغ، عاد لى زونغ راك الى سريته فى غويوشو، ووصل فيها الى منصب نائب آمر السرية، ثم آمرها بعد ذلك. وخلافا لما هو عليه الحال اليوم، كانت القوات المسلحة فى ذلك الوقت ضئيلة العدد، ولهذا كانت السرية تعتبر قوة عسكرية ضخمة.

فمجموعة كوكمين، على سبيل المثال، التى كانت تتباهى بانها اقوى قوة فى منشوريا،

كانت لا تكاد تملك سوى تسع سرايا. لذا، كان من الطبيعى ان يتمتع آمر السرية بين رجال جيش الاستقلال بأهمية شخصية نافذة. وكان لى زونغ راك ينعم بوضع محترم جدا فى غويوشو.

ومثلما عمل الرفاق كيم هيوك وتشا كوانغ سو وباك سو سيم بحماسة فى نشر النشاط الثورى فى منطقة ليوهى خلال عامى ١٩٢٨ و١٩٢٩ تحت حماية رجال جيش الاستقلال المتأثرين بتشاى تشانغ غول، كذلك مارس رفاقنا الذين اوفدوا الى غويوشو نشاطاتهم تحت حماية وحدة جيش الاستقلال التى يرأسها لى زونغ راك.

لقد اظهر لى زونغ راك قدرا عاليا من العزيمة والحماس للثورة فى ذلك الحين. فبعد اغلاق مدرسة هواسونغ، كما ذكرت اعلاه، عاد الى سريته السابقة وعمل جيدا بين جنود جيش الاستقلال، تماما مثلما اوصيناه فى هواتين.

ان الجسارة والحزم وسرعة التمييز والقدرة القيادية العالية هى اهم صفاته الايجابية. ولكنه كان بالمقابل يعانى من نقص فى التفكير العقلانى والذهنية الموضوعية. فهو يتصرف بعاطفية وتهور، وكثيرا ما كان يفرط فى البطولة الفردية. واظن ان نقاط الضعف هذه هى العوامل الاساسية التى دفعته فيما بعد الى خيانة الثورة.

اقترح البعض نزع اسلحة سرايا جيش الاستقلال المنتشرة فى اماكن متعددة، وتصفية رجعيى مجموعة كوكمين، لان تلك القوات كانت تفتقد لنظام قيادة منظم وتمر بمرحلة من الفوضى والبلبلة. وكانوا يرون انه لا بد من الغاء اسم جيش الاستقلال، والعمل علنا للحصول على الاسلحة ومجابهة مجموعة كوكمين ايضا.

اوقفنا هذه الميول بحزم حتى لا نرتكب اخطاء يسارية فى العمل مع جيش الاستقلال.

لقد شكل عمى هيونغ كوون ايضا جماعتى عمل، وتقدم الى منطقة تشانغباى. استقر فى قاعدة فى الجبل القريب من ديانغسى، ونظم فى عدة اماكن اخرى فروعا لاتحاد بايكسان للشباب واتحاد الفلاحين وجمعية النساء المناهضات لليابان وفرقة الاطفال الكشافة، وقام من خلالها بمهمة الحصول على الاسلحة وتوعية الشعب، كما اجتذب الشباب المحليين ودربهم عسكريا. وبفضل جهوده، انتقلت الى مجال تأثيرنا قوات جيش الاستقلال المرابطة فى منطقة تشانغباى.

فى الوقت الذى كان يتم فيه اختيار رجال الجيش واعداد الاحتياطيين منهم، جرت عمليات مكثفة كذلك للحصول على الاسلحة.

وكان تشاى هيو ايل هو الاكثر جدارة فى الحصول على الاسلحة. فقد كان يعمل فى متجر اسلحة يملكه يابانى فى تيلينغ. اذ كان اليابانيون فى تلك الفترة يتاجرون على نطاق واسع بالاسلحة النارية فى منشوريا. وكانوا يبيعونها لقطاع الطرق والاقطاعيين الصينيين على السواء. ومع ان تشاى هيو ايل لم يتلق سوى التعليم الابتدائى، الا انه كان يتقن التحدث باللغة اليابانية. فقد كان يتكلمها بطلاقة يصعب معها تمييزه عن اليابانيين. وكونه مجرد عامل فى متجر امر يدعو للاسف، لانه كان شديد الذكاء ويتقن اليابانية جيدا مما جعل صاحب المخزن يعتمد عليه ويثق به الى ابعد الحدود.

كان زانغ سو بونغ هو من كسب تشاى هيو ايل الى جانبنا. فقد تعارفا صدفة حينما كان زانغ سو بونغ يعمل على ارتياد كارون ويتردد على مناطق تشانغتشون وتيلينغ وكونغتشولينغ. وبعد عدة لقاءات بينهما، عرف زانغ سو بونغ انه شخص شريف ومستقيم، فضمه الى اتحاد الشباب المناهض للامبريالية وقدمه الى لى زونغ راك. ومنذ ذلك الحين، انضم تشاى هيو ايل الى النضال السرى فى تيلينغ. فقد حافظ على اتصاله مع لى زونغ راك وباع لسرايا جيش الاستقلال الاسلحة فى السر. وكان صاحب المخزن يعرف ان الاسلحة التى يبيعها تشاى هيو ايل تنتقل الى ايدى الكوريين، لكنه تجاهل ذلك لان ما يهمه هو زيادة مبيعاته.

فى بداية الامر، باع تشاى هيو ايل الاسلحة الى الصينيين ثم باعها الى جيش الاستقلال وفى نهاية الامر، جعل من مخزن اليابانى ذاك مكانا متخصصا بامداد الشيوعيين بالاسلحة. وفى سياق هذا العمل، تطورت نظرته الى العالم تطورا جذريا.

كلما قابلنى لى زونغ راك وزانغ سو بونغ كانا يتباهيان بتشاى هيو ايل قائلين انهما اكتسبا احد خيرة الشباب فى تيلينغ. لذا، علقت انا ايضا آمالا كبيرة عليه.

فى عام ١٩٢٨ او عام ١٩٢٩، جاء تشاى هيو ايل الى جيلين خصيصا لكى يقابلنى. ووجدته شخصا وسيما وناعم التقاطيع مثل فتيات الاسر الاقطاعية الثرية.

لكنه خلافا لمظهره الخارجى، كان يسرف فى شرب الخمر. اذا قدر ذلك بمعيار النظرة الى الثورى فانه يعتبر نقطة ضعف. فى ذلك اليوم، تناولت معه الطعام فى نزل وتحدثنا لعدة ساعات. ولم استطع منع نفسى من الانفجار ضاحكا عدة مرات خلال الحديث معه حين كان يقلد طريقة السيدات اليابانيات المتغنجة فى الكلام، وعند سخريته بكلمات حادة من الامبراطور وكبار السياسيين والعسكريين اليابانيين ومن الوزراء الخمسة الخائنين فى

بلادنا.
كانت له زوجة تستلفت انظار الرجال بجمالها الفريد، الا انه لم يكن يهتم قيد انملة بحياته العائلية بسبب طبعه الهادئ. ولكنه على النقيض من مظهره الخارجى الرقيق، كان يبدى فى النضال الثورى جرأة وارادة صلبة تبعثان على الذهول.
وقبيل اجتماع كارون، استولى تشاى هيو ايل وزوجته على اكثر من عشر قطع اسلحة من مخزن اليابانى والتجآ الى غويوشو. كنا حينئذ نعجل بالاستعدادات لانشاء منظمة عسكرية سياسية صغيرة الحجم، كمرحلة انتقالية لتشكيل القوات المسلحة الثورية الدائمة، ولهذا استقبلنا تشاى هيو ايل الهارب بترحيب كبير.
عرفت من خلال تقارير الرفاق ان الاستعدادات لتشكيل الجيش الثورى قد اكتملت. وعندما ذهبت الى غويوشو، تأكدت بالفعل من اكتمال قائمة اعضاء الجيش وكمية اسلحتهم، وقد تم تحديد مكان الاجتماع لتشكيل الجيش وعدد من سيشاركون فيه.
جرى حفل تشكيل الجيش الثورى الكورى فى ملعب مدرسة سامكوانغ فى ٦ تموز عام ١٩٣٠.
وقبل توزيع الاسلحة، القيت خطابا قصيرا حددت فيه الجيش الثورى الكورى على انه منظمة سياسية وشبه عسكرية للشيوعيين الكوريين تستهدف الاستعداد للنضال المسلح المناهض لليابان وتنظيمه، واعلنت ان هذا الجيش سيكون ركيزة لبناء القوات المسلحة الثورية الدائمة فى المستقبل.
وكانت المهمة الرئيسية للجيش الثورى الكورى تتلخص فى تثقيف الجماهير الشعبية فى المدن والمناطق الريفية لتوعيتها وجمع شملها تحت راية المقاومة المناهضة لليابان، ومراكمة الخبرات فى العمليات العسكرية فى الوقت ذاته، والاستعداد لبناء الصفوف المسلحة الحقيقية بكل اتساعها فى المستقبل.
طرحت فى خطابى كمهمات عاجلة للجيش الثورى الكورى مسألة اعداد الهياكل لبناء الصفوف المسلحة المستقبلية المناهضة لليابان، وارساء قواعد استنادها الجماهيرية، وخلق الشروط العسكرية الكافية لشن النضال المسلح.
قسمنا الجيش الثورى الكوري الى عدة جماعات، على شكل مفرزة اولى وثانية وثالثة.
وبناء على اقتراحى، جرى اختيار لى زونغ راك قائدا للجيش الثورى الكوري، لانه عسكرى مجرب يتمتع بقدرة قيادية عالية.

ثمة بين المؤرخين، من يخلط بين الجيش الثورى الكورى الذى شكلناه فى غويوشو وذاك الذى شكلته مجموعة كوكمين واطلقت عليه الاسم نفسه، وهم يتساءلون اذا ما كان الامر يتعلق بالمنظمة العسكرية نفسها. وهذا الاستنتاج ليس مغلوطا تماما اذا اخذنا بعين الاعتبار ان عددا غير يسير من رجال ذلك الجيش قد انضموا الى جيشنا الثورى ايضا.

ومع ان المنظمتين حملتا الاسم نفسه، الا انهما كانتا تختلفان فى افكارهما الهادية ومهماتهما.

فجيش مجموعة كوكمين كان فى وضع يتعذر معه الحديث عن وجوده عمليا. ففى مجرى نشاطاته العملية كانت تتكرر فى صفوفه الخلافات والنزاعات كانعكاس امين لتناقضات مجموعة كوكمين نفسها، وقد ادى ذلك الى كثرة تبديل اسمه ومناصبه القيادية.

اما جيشنا الثورى الكوري بالمقابل، فكان منظمة سياسية وشبه عسكرية تحكمه الافكار الشيوعية ويمارس العمل السياسي بين الجماهير فضلا عن العمل العسكرى.

عندما شكلناه، ناقشنا مسألة تسميته باستفاضة. وكانت المناقشات حامية جدا، لان الجميع كانوا يرغبون فى اطلاق تسمية اصيلة عليه، لانه اول قوات مسلحة ينظمها الشيوعيون الكوريون. وقد عرضت فى هذا الشأن عدة اقتراحات.

حينذاك، اقنعتهم بانه يجب تسمية منظمتنا بالجيش الثورى الكورى، مستفيدين بذلك من اسم الجيش الذى شكلته مجموعة كوكمين. وقلت لهم اننا حين شكلنا الاتحاد لاسقاط الامبريالية، لم نطلق عليه اسما تفوح منه الرائحة الشيوعية لكى لا نستفز القوميين، واذا ما اطلقنا على جيشنا الآن تسمية الجيش الثورى الكورى، فلن تكون ثمة مشاكل مع القوميين وسيكون ذلك مفيدا لنا فى نشاطاتنا.

وبالفعل، فقد استفاد جيشنا فى مهماته فائدة كبيرة من اسمه فيما بعد.

بعد تأسيس الجيش الثورى الكورى، تم تقسيمه الى عدة مفارز صغيرة جرى ارسالها الى اماكن مختلفة وارسل بعضها الى ارض الوطن.

وقد اردنا بتصرفنا ذاك اعداد قواعد الاستناد الجماهيرية للنضال المسلح واحداث نهوض فى النضال الثورى، اضافة الى اننا كنا نهدف الى التأكد من امكانية شن عمليات مسلحة داخل الوطن.

قررنا ان نشكل مفرزة سرية تعمل داخل الوطن من الرفاق الذين لم يتمكنوا من حضور حفل تشكيل الجيش الثورى الكورى، وخصوصا لى زاى وو وكونغ يونغ وباك زين يونغ.

وكلفناهم بمهمة انشاء المنظمات الثورية بين قطاعات الشعب العريضة وان يوسعوا منطقة عملهم الى محافظة بيونغآن الشمالية باجتياز سلسلة رانغريم الجبلية عبر سينغالبا. وعينا لى زاى وو رئيسا لهذه المفرزة.

وفى عام ١٩٢٨، حين كان اولئك الرفاق يعملون فى محيط فوسونغ وجبل نايدوشان، كلفناهم بمهمة نقل قاعدة العمليات الى منطقة محافظة تشانغباى حيث يعيش كوريون كثيرون. ففعل لى زاى وو ذلك، وبذل جهودا لتنظيم الجماهير وتوعيتها حتى فى مناطق فى عمق الوطن.

وقررنا ان نرسل الى الوطن مفرزة سرية اخرى يرأسها عمى هيونغ كوون وينضم اليها تشاى هيو ايل وباك تشا سوك. اسندنا الى هذه المفرزة مهمة اجتياز نهر آمروك من نقطة فى تشانغباى، والتقدم من هناك حتى بيونغ يانغ عبر فونغسان ودانتشون وهامهونغ.

وقد انضم باك تشا سوك الى هذه المفرزة بسبب عمق صداقته مع عمى هيونغ كوون. وكان قد قام قبل ذلك بتنفيذ مهمات سرية فى قرى قريبة من مدينة جيلين حين كان مدرسا. ثم ساهم فى شتاء عام ١٩٢٨ فى انشاء منظمات ثورية فى منطقة فوسونغ مع غى يونغ تشون وكو ايل بونغ . فى ذلك الحين بالضبط، ولست ادرى فى اية ظروف ارتبط مع عمى هيونغ كوون بصداقة وطيدة. وحين سمع باك تشا سوك ان عمى سيذهب الى ارض الوطن، طلب منى ان يرافقه. وقد فهمت دوافعه وضممته الى المفرزة فورا.

وما ان وصلوا الى مناطق عملياتهم، حتى بادر اعضاء الجيش الثورى الكورى الى القيام بعمليات جريئة.

وكان بين العاملين فى منطقتى سيبينغجى وكونغتشولينغ شخص يدعى هيون داى هونغ. وبينما كان يعمل بين الجماهير فى سيبينغجى فى احد الايام، اعتقله العدو واقتاده الى تشانغتشون ولكنه تمكن فى لحظة اعتقاله من تسليم المسدس الذى كان يحمله الى رفاقه دون ان يراه العدو.

وقد عذبته الشرطة بوحشية لتعرف اين خبأ سلاحه .

"فاعترف" هيون داى هونغ بانه دفن السلاح تحت شجرة حور بالقرب من محطة للقطارات، وذكر اسم المحطة. كان يحاول الحصول على فرصة للهرب. وقد انخدع رجال الشرطة بما قاله، فأخذوه فى القطار الى المكان المزعوم.

وبعد فترة من انطلاق القطار، تمكن هيون داى هونغ من ضرب حارسيه بيديه المكبلتين

وقفز من القطار المنطلق بأقصى سرعته، ثم عاد الى كارون زاحفا على كوعيه وركبتيه بحثا عن المنظمة الثورية. وقد تمكن رفاقه من تحرير يديه من الاصفاد بصعوبة بالغة بواسطة مبرد.

ورغم ما عاناه فى هذه المحنة المروعة، فقد عاد فور شفائه الى كونغتشولينغ لمواصلة عمله فيها. لكن الشرطة اليابانية اعتقلته هذه المرة لسوء الحظ. كانت كونغتشولينغ تحت اشراف اليابانيين الذين انتزعوها من الصين فى ذلك الحين. وقد واصل هيون داى هونغ النضال بصمود خلال محاكمته. وحكم عليه بالسجن المؤبد واودع سجن سودايمون فى سيؤول، حيث عانى شدائد كثيرة الى ان مات بمرض اصابه بسبب التعذيب الوحشى.

ومع الدخول فى عقد الثلاثينات، ازداد عدد اعضاء مفرزة لى زاى وو الى عشرات الاشخاص. بفضل جهودهم، ظهرت على التوالى المنظمات المعادية لليابان فى ارض تشانغباى، واقيمت فى كل القرى مدارس نهارية او مسائية، وكثيرا ما كانت تجرى فيها مسابقات الخطابة والعروض الفنية والمنافسات الرياضية وغيرها من النشاطات، مما ولد حماسة ثورية بين السكان.

فى ذلك الوقت بالذات، دبرت الامبريالية اليابانية مسرحية بارعة لاستدراج مفرزة لى زاى وو. فقد دفعت جماعة عسكرية متنكرة بزى عصابة قطاع طرق للقيام باعمال السلب والنهب فى قرية يقطنها الكوريون. ولكن مفرزة لى زاى وو لم تقع فى الشرك، لاننا كنا قد حذرناه مسبقا من تلك العصابة. فوقعت اشتباكات متفرقة لم تتوسع الى معركة شاملة، واقتصر الامر على اصابة عدد قليل جدا بجراح.

بعد ذلك، منيت مفرزة لى زاى وو المسلحة بخسائر كبيرة فى غارة مفاجئة شنتها احدى وحدات امراء الحرب الرجعيين المتواطئين مع عصابة قطاع الطرق التى دفعها الامبرياليون اليابانيون. وقد مات باك زين يونغ ميتة الابطال فى المعركة ووقع لى زاى وو لسوء الحظ فى يد العدو.

ولكى يسترد شرفه بالموت، اغمد لى زاى وو سكين مطبخ فى عنقه، ولكنه لم يتمكن من قتل نفسه لانه فعل ذلك ويداه مقيدتان. وقد تم تسليمه فورا الى رجال الشرطة اليابانيين حيث اقتيد الى سيؤول وحكم عليه هناك بالاعدام. ولكنه مات بعد ذلك بقليل، وقبل ان ينفذ به حكم الاعدام. اما كونغ يونغ فقد اغتيل اثناء عمله لتشكيل جبهة متحدة مع شيوعيين مزيفين اختلقتهم الامبريالية اليابانية بهدف استدراج واختطاف الاستقلاليين العاملين فى

منطقة منشوريا.

تلقينا خبر الموت المأسوى للرفاق كونغ يونغ ولى زاى وو وباك زين يونغ بعيد انتفاضة الفلاحين الجماهيرية فى دانتشون. حين سماعى هذا الخبر من المراسل، لم استطع ان اتمالك تأثرى لبعض الوقت. فلم يكن بوسعى، اولا وقبل كل شىء، ان ارفع رأسى لاننى احسست كما لو اننى اقترفت جريمة عقوق خطيرة بحق والدى.

فالثلاثة كانوا من احب مقاتلى جيش الاستقلال الى والدى، وكانوا اول من نقل الى الممارسة العملية مسألة تحويل اتجاه الحركة القومية نحو الشيوعية.

واذا كنت قد حزنت كثيرا للميتات المشؤومة لكل من لى زاى وو وكونغ يونغ وباك زين يونغ، فان السبب لم يكن فى فقدان جماعة مقتدرة كان عليها ان تجسد مقررات اجتماع كارون فى البلاد وحسب، بل لانهم استشهدوا كذلك فى ظروف مؤلمة وهم رواد تحويل الاتجاه الذين كانوا يسعون لتحقيق غايات والدى.

كان كونغ يونغ وباك زين يونغ فى مقدمة من حملوا نعش والدى عند وفاته. وقالا لأمى انهما سيتشحان بملابس الحداد وطلبا منها الا تلبسنى تلك الملابس. واظن انهما لم يكونا يريدان رؤيتى بثياب الحداد وانا ما ازال صبيا فى الرابعة عشرة من عمرى، لان ذلك مؤلم ومحزن. وقد اعتمر الرجلان قبعات الخيش واتشحا بثياب الحداد خلال سنوات ثلاث.

فى ذلك الوقت كان مركز تدريب جيش الاستقلال فى وانليهى البعيدة قليلا من مدينة فوسونغ. وكان كونغ يونغ يزور بيتنا مرة او مرتين فى الاسبوع ليسلم على امى، حاملا على ظهره الحطب فى الحمالة. وكثيرا ما كانت زوجته تزورنا ايضا حاملة حزما كبيرة من الاراليات واليانسون وغيرها من الاعشاب البرية التى تجمعها من الغابات. وكان كونغ يونغ يأتى الى بيتنا بين حين وآخر بزكيبة من الحبوب. وقد كانت لفتاته تلك مساعدة كبيرة فى حياتنا.

وكانت امى بدورها تعامل كونغ يونغ وزوجته وكأنهما اخواها الصغيران. ولكنها اذا لمحت خطأ تصرفاتهما، تحذرهما بصرامة كما لو انها اختهما الكبيرة حقا.

بعد ان جاء كونغ يونغ الى منشوريا للمشاركة فى حركة الاستقلال، عاشت زوجته بمفردها فى بيوكدونغ، الى ان انتقلت ذات عام الى فوسونغ فى اثر زوجها. وحين رآها كونغ يونغ وعلى وجهها ندوب حرق اصابها من حساء كانت تعده، تعكر مزاجه واراد الانفصال عنها لانها صارت دميمة.

فأنبته امى بغضب:

"كيف يمكنك قول هذا الكلام اذا كنت بكامل قواك العقلية؟ عليك ان تستقبل زوجتك على حصير من الذهب لانها قطعت آلاف الريات للقاء بك. ولكنك تتنكر لهذا كله. فاى ظلم هذا الذى تقترفه؟"

وكان من عادة كونغ يونغ، تقبل نصائح امى من كل قلبه. وفى ذلك اليوم ايضا، احنى رأسه امامها بتوقير وطلب منها المعذرة.

عرفت اول الانباء عن نشاطات المفرزة المسلحة التى تقدمت الى ارض الوطن برئاسة عمى هيونغ كوون من خلال الصحف. لا اذكر تماما اذا كنت فى هاربين ام فى مكان آخر حين قرأت الصحف التى حملها الى احد الرفاق بانفعال. وقد ورد فيها ان مفرزة مسلحة مؤلفة من اربعة اشخاص ظهرت فى ارض فونغسان وقتلت مسؤول مركز الشرطة بالرصاص ثم استولت على سيارة قادمة من بوكتشونغ وتوارت باتجاه ممر هوتشى الجبلى.

لم يتوقف ذلك الرفيق الذى نقل الى الجريدة عن القول ان سماع دوى الرصاص فى ارض الوطن هو مدعاة بهجة عظيمة. ولكننى بالمقابل ابديت قلقا وانزعاجا كبيرين لهذه الحادثة بالذات. فما الذى تسبب فى سماع صوت الرصاص فى فونغسان التى يمكن اعتبارها المدخل الاول الى ارض الوطن؟

وفكرت على الفور بطبع عمى المندفع. وراودتنى الهواجس بانه لم يتمكن من ضبط طبعه المندفع، واطلق هو نفسه تلك الرصاصات.

لقد اتسم عمى منذ طفولته بعناد رجولى، وكان يصل به الامر احيانا الى اعتبار الجدار بابا وركله بقدمه فى محاولة للخروج منه.

عندما افكر فى عمى، فان اول ما يتبادر الى ذهنى هو حادثة طبق حساء السرغوم غير المقشور. وقد وقعت تلك الحادثة حين كنت ما ازال فى مانكيونغداى، وكان هو فى الحادية عشرة او الثانية عشرة من عمره.

كان العشاء كل يوم فى بيتنا يتألف من حساء السرغوم وحده. وهو مغلى هذه الحبوب المجروشة مع قشورها. وقد كان له طعم غير سائغ بالطبع، ولكن الاسوأ من طعمه ذاك هو ما تسببه قشور السرغوم من وخز فى الحلوق عند ابتلاعها. وكنت انا ايضا اكره هذا الطعام.

ذات يوم، وعندما وضعت جدتى امامه طبقا من ذلك الحساء الساخن، نطح عمى الوعاء برأسه. وكانت النطحة قوية لدرجة ان الطبق طار من مكانه وسقط على الارض بكل محتوياته، وظهر على جبين عمى جرح نازف. لقد كان طفلا غير راشد، وقد تصرف على ذلك النحو للاعراب عن استنكاره للفقر الذى يضطره الى تناول ذلك الحساء وحده.

وبخته جدتى بقسوة :"كيف تتذمر من الطعام؟ يبدو انك لن تكون رجلا جديرا بالرجولة". لقد قالت ذلك امامه، ولكنها حين انزوت فى احد اركان البيت، بكت بحرقة من الاسى.

وكلما كبر عمى، كان يشعر بالضيق من الندبة التى بقيت فى جبينه. ومنذ جاء ليعيش معنا فى الصين، ترك ناصية شعره تنمو لتغطى تلك الندبة.

وصل عمى هيونغ كوون الى الصين حين كنا نعيش فى رينتشيانغ. وقد احضره والدى ليعيش فى بيتنا لكى يدرسه. فكون والدى مربيا، يتيح لعمى اذا ما عاش فى بيتنا، ان يتعلم حتى مستوى الثانوية دون الذهاب الى المدرسة. وكان والدى يفكر فى تربيته كثوري فيما بعد.

وحين كان والدى على قيد الحياة، كان عمى يسلك سلوكا منضبطا نسبيا تحت تأثير والدى واشرافه.

لكنه، منذ وفاة والدى، فقد السيطرة على نفسه وبدأ يتصرف وفق اهوائه. وعاودته كل تلك النزوات التى كانت لديه عندما نطح طبق الحساء. وقد اقلقنا ذلك كثيرا. كما انه غادر البيت بعد وفاة والدى وصار يقضى اوقاته مرتحلا، فمرة يذهب الى رينتشيانغ ومرة الى شنيانغ ومرة الى ديرن او الى غيرها من الاماكن.

وكان بعض من يعرفون شيئا عن اسرتنا يقولون ان سبب هياج عمى ذاك هو عدم اعجابه بالفتاة التى خطبت اليه باصرار من ابويه اثناء زيارته الاخيرة لارض موطنه.

يمكن اعتبار ذلك الامر واحدا من الاسباب بالطبع. ولكن السبب الرئيسى فى عدم استقراره هو عدم تمكنه من تجاوز مشاعر اليأس والحزن التى اثارها فى نفسه موت والدى.

وعندما رجعت الى بيتى بعدما هجرت مدرسة هواسونغ، وجدت عمى فى الحالة نفسها من عدم الاستقرار والتخبط التى تجعله اشبه بمخمور. وكانت الاسرة تعيش آنذاك فى فقر مدقع لا تكاد تكون معه قادرة على القيام بأودها بالمبلغ الزهيد الذى تحصل عليه امى من غسل الثياب والخياطة بالاجرة. وربما كان الحزن لهذا الفقر هو الذى دفع لى كوان رين

لاحضار مبلغ من النقود وكمية من الارز والبقاء فى بيتنا لتساعد امى.

لقد كان السلوك الصحيح يستدعى من عمى ان يتولى دور كبير الاسرة بدلا من والدى المتوفى. وكان هناك ما يمكن لعمى ان يعمله، فالصيدلية الصغيرة التى خلفها والدى كانت ما تزال موجودة. صحيح انه لم يكن فيها كثير من العقاقير، ولكن كان يمكن لها ان تعود بشىء من الفائدة على حياتنا لو استغلت بفعالية. الا ان عمى لم يعر اى اهتمام لتلك الصيدلية.

واقول بصراحة اننى اعتبرت سلوك عمى غير سليم. لذا، حبست نفسى فى البيت ذات يوم وكتبت رسالة مطولة كنت افكر فى تركها لعمى. من المعترف به عموما ان فترة الدراسة الثانوية هى المرحلة التى تتبدى فيها لدى المرء اقوى المشاعر نحو العدالة. وربما كان هذا هو السبب الذى جعلنى غير قادر على التهاون مع اى عمل غير عقلانى، دون ان اهتم بكون الشخص المعنى كبيرا فى السن او بأى شىء آخر. وقد تركت الرسالة تحت وسادته ورحلت الى جيلين.

غضبت امى كثيرا بسبب انتقاداتى تلك لعمى، وقالت:

"ان عمك يهيم على وجهه الآن مثل السحب فى السماء، دون ان يهتم بشىء، ولكنه سيدرك الصواب بعد حين. هذا امر لا ريب فيه. فهو لن ينسى اصله. وعندما يمل من التجوال، سيعود الى البيت. فاياك ان تقول له شيئا او ان تنتقده. اين رأيت ابن اخ يؤنب عمه؟"

لقد حاولت اقناعى بتلك الكلمات. هكذا كانت طريقتها فى التفكير.

ومع ذلك، فقد ابقيت الرسالة حيث وضعتها.

بعد ان درست سنة فى مدرسة يووين الثانوية فى جيلين، رجعت الى فوسونغ لقضاء العطلة المدرسية. وفوجئت بعمى هيونغ كوون يعيش حياة مستقرة وهادئة مثلما تنبأت امى. ومع انه لم يقل كلمة واحدة عن الرسالة التى تركتها له، لكنى عرفت انها قد اثرت فيه كثيرا. وقد انضم فى شتاء ذلك العام الى اتحاد بايكسان للشباب.

بعد ان غادرت فوسونغ، انغمس عمى تماما فى توسيع اتحاد بايكسان للشباب. وفى العام التالى، كفله الرفاق للانضمام الى اتحاد الشباب الشيوعى ايضا. وهكذا دخل عمى صفوف الثوريين، ومنذ عام ١٩٢٨ قام بتوجيه عمل اتحاد بايكسان للشباب فى مناطق فوسونغ وتشانغباى وريننتشيانغ وآنتو وفقا لاوامر اتحاد الشباب الشيوعى.

وبعد ان بدأ الجيران الذين قرؤوا الجريدة يتحدثون عن مقتل مسؤول مركز الشرطة بالرصاص فى فونغسان، عرفت اسرتنا فى مانكيونغداى بخبر اعتقال عمى هيونغ كوون.

وقد قال جدى عندما تلقى الخبر: "انه يطلق الرصاص على اليابانيين مقتديا بأخيه الكبير. لقد احسن التصرف، بغض النظر عما سيحدث بعد ذلك."

وبعد فترة من الوقت، استطعت الحصول على معلومات عن تفاصيل النشاطات التى قامت بها مفرزة العمل السرية تلك داخل البلاد.

فبعد اجتياز نهر آمروك، اتجهت المفرزة فى ١٤ آب ١٩٣٠ نحو دانتشون، وتوقفت لبعض الوقت فى حقل عنبيات فى هوانغسووان بالقرب من قرية فابالى بقضاء فونغسان. فاثار ذلك الامر شكوك مسؤول مركز الشرطة الذى كان يمر من هناك على دراجته. وقد كان رجلا خبيثا جدا، فمنذ قدومه الى ارض فونغسان سنة ١٩١٩، كبل ايدى واقدام الكوريين. ولهذا اطلق عليه اهالى المنطقة لقب "اوباسى"(٠) مع ان اسمه الحقيقى ماتسوياما. وكان الجميع يكنون له الكراهية.

وعندما مر افراد المفرزة امام مركز الشرطة، اوقفهم وادخلهم الى الموقع. وما ان تجاوزوا عتبة الباب حتى قام عمى باعدام ذلك الوغد دون رحمة. ثم القى خطابا علنيا مناهضا لليابان استمع اليه عشرات الاشخاص.

وكان بين اولئك الناس كما علمت، لى اين مو، الصحفى الحربى السابق فى الجيش الشعبى الذى عانى السجن لزمن طويل فى جنوبى كوريا لانه لم يتخل عن افكاره، واصبح اليوم معروفا على نطاق واسع فى العالم بأسره.

وبالرغم من ان العدو كان يطارد المفرزة، فقد حاول افرادها الاقتراب من الاماكن التى كان يتصاعد فيها لهيب انتفاضة الفلاحين.

لقد اعرنا اهتماما كبيرا فى ذلك الوقت لانتفاضة الفلاحين فى دانتشون. وكان من الطبيعى ان يتواجد فى المناطق التى اجتاحها اعصار الانتفاضة موجهو الحركة وفصائل كبيرة منظمة من الجماهير الثورية المتيقظة والمتأهبة سياسيا وفكريا. واذا كان العدو يسعى بجنون لاكتشاف المحرضين فى مناطق الانتفاضة، فقد كنا نحاول البحث بين جموع المنتفضين للعثور على عناصر النواة، مثل او زونغ هوا فى وانغتشينغ وكيم زون فى لونغجينغ وزون زانغ وون فى اونسونغ. لاننا اذا اقمنا اتصالا معهم واثرنا فيهم جيدا، يكون بامكاننا ان نرسى قاعدة استناد للنهوض بالنضال الثورى داخل الوطن. واذا نجحنا فى

تحويل منطقة دانتشون الى قاعدة، فاننا سنتمكن من التمدد منها باتجاه سونغزين وكيلزو وتشونغزين، والتقدم حتى الى بيونغ يانغ عبر هامهونغ وهونغنام ووونسان.

كان هذا هو السبب فى اننا اسندنا الى المفرزة السرية داخل الوطن بقيادة عمى هيونغ كوون مهمة اقامة اتصال مباشر مع القادة الرئيسيين لانتفاضة دانتشون الفلاحية .

غادر افراد المفرزة المسلحة فابالى مخلفين وراءهم صدى الرصاصات التى اطلقوها، واحتجزوا سيارة كان يستقلها مسؤول قسم القضاء فى مركز شرطة فونغسان عند مدخل وادى بونغأو ونزعوا منه سلاحه، ثم قاموا بالدعاية لمناهضة اليابان امامه وامام المسافرين الآخرين، ومضوا بعد ذلك الى قرية مونآنغ بقضاء ريوون وقاموا فيها بالعمل السياسى بين عمال الفحم الخشبى فى وادى بايدوك ووادى دايباوى واماكن اخرى. كانت ظروف عملهم صعبة، ولكنهم عملوا باندفاع دائما.

وبينما كانت المفرزة المسلحة تتقدم الى ناحية بوكتشونغ، انقسمت الى قسمين: انضم عمى هيونغ كوون وزونغ وونغ الى احدهما، وانضم الى الآخر تشاى هيو ايل وباك تشا سوك. وقد اتفق الطرفان على اللقاء فى مركز قضاء هونغوون ثم انطلق كل منهما فى اتجاه مختلف.

فى اوائل شهر ايلول، اقتحم عمى هيونغ كوون مع زونغ وونغ معبد كوانغزاى بجبل دايدوك فى قضاء بوكتشونغ حيث كانت ترابط فرقة التفتيش المعادية، وبينما كانا يتحركان نحو هونغوون وكيونغبو، اشتبكا مع العدو على مقربة من صخرة زولبو وقتلا فى ذلك الاشتباك رئيس مركز الشرطة الفرعى فى زونزين.

وفى ذلك اليوم بالذات، وصل عمى الى مركز هونغوون، واقترب من منزل تشاى زين يونغ الذى اختاروه كمكان للقاء.

كان تشاى زين يونغ قد ارتبط لبعض الوقت بحركة الاستقلال. وكنا، انا وعمى نعرفه جيدا. فعندما كان يعمل فى فوسونغ مسؤولا لمكتب آنسونغ للخدمات، كان يتردد بكثرة على بيتنا.

وعندما كان يعمل قبل ذلك عمدة لاحدى النواحى فى كوريا، اختلس مبلغا من الاموال العامة، وحين انكشف امره صار محط سخرية الاهالى، فهرب الى شمال شرقى الصين وانضم الى مجموعة زونغوى. وقد اقام فى احدى المرات عدة اشهر فى بيتنا، وكانت امى فى اثناء ذلك تقدم له الطعام. وعندما شعر تشاى زين يونغ بنوايا الامبريالية اليابانية بغزو

منشوريا، غادر فوسونغ متذرعا بانه لم يعد قادرا على خدمة جيش الاستقلال بسبب تقدمه فى السن. وقال انه سيعيش بقية حياته بنزاهة بعد الحصول على بستان اشجار مثمرة صغير، ثم ذهب الى هونغوون. لكنه سرعان ما تحول هناك الى عميل سرى للامبريالية اليابانية.

لم يكن بوسع عمى هيونغ كوون ان يعرف هذه الحقيقة. وقد خبأه تشاى زين يونغ فى ركن منزو من فناء منزله متذرعا بشدة مراقبة العدو ثم اسرع الى مركز الشرطة ليشى بوجود المفرزة المسلحة القادمة من منشوريا.

اقتيد عمى الى مركز الشرطة، وكان هناك تشاى هيو ايل. لا داعى للقول ان تشاى زين يونغ هو الذى وشى به ايضا.

عندئذ فقط، ادرك عمى ان تشاى زين يونغ عميل للامبريالية اليابانية. كانت خيانته مفاجئة وغير متوقعة على الاطلاق. لم يكن بامكان احد ان يتصور سقوط هذا الرجل فى درب الخيانة القذر وهو الذى كان يردد على الدوام، وكأنه يتلو التراتيل، بانه لن ينسى حتى بعد موته كرم ام سونغ جو التى قدمت له الطعام بكل اخلاص طوال شهور، ولم تقدم له الطعام باردا او دون جرعة من الخمر ولو مرة واحدة. لهذا، لم استطع سوى الارتياب بالامر لبعض الوقت حين سمعت انه هو الذى وشى بعمى.

لهذا السبب، ما زلت اقول حتى الآن ان الثقة بالآخرين امر جيد، ولكن دون الانسياق للاوهام فى التعامل معهم. اذ ليس للوهم من اساس علمى، واذا وقع المرء ضحية الوهم فقد يقترف اخطاء يستحيل عليه تصحيحها، مهما كان حاذقا وبعيد النظر.

الوحيد الذى استطاع الافلات من حصار العدو هو زونغوونغ. وكان عمى قد ضمه الى المفرزة ليكون دليلا عند انطلاقهم الى ارض الوطن لانه كان على معرفة جيدة بجغرافية المناطق الساحلية الشرقية حيث مسقط رأسه ريوون. الا انه اعتقل هو الآخر فيما بعد فى تشونتشون بوشاية من جاسوس.

حبس عمى هيونغ كوون، بعد اعتقاله، فى زنزانة مركز شرطة هونغوون عدة ايام، ثم جرى نقله بعدها الى سجن هامهونغ حيث اعادوا تعذيبه باساليب تعذيب القرون الوسطى.

وقد وصلتنا اخبار نضاله فى محكمة هامهونغ المحلية ايضا عبر افواه اناس كثيرين .

وقالت المعلومات ان عمى هيونغ كوون استنكر بصرامة جرائم الامبريالية اليابانية، ودعا بأعلى صوته الى النضال بالسلاح ضد قطاع الطرق المسلحين هؤلاء.

من اين انبثقت هذه القوة التى جعلت عمى يتصرف مرفوع الرأس فى المحكمة على هذا النحو؟ اعتقد ان مصدرها هو ثقته بالثورة واخلاصه لها. ولو انه كان يخاف شيئا اكثر من الموت، فان هذا الشيء هو الارتداد عن الايمان الذى يجعل الانسان كائنا عادلا وشجاعا، واعلى الكائنات كرامة فى هذا العالم.

حكم على تشاى هيو ايل بالاعدام، بينما حكم على عمى بالسجن لمدة ١٥ عاما.

وقد انشد عمى ورفاقه فى السلاح الاغانى الثورية التى ترددت اصداؤها بقوة فى قاعة المحكمة. ثم رددوا بعد ذلك الشعارات بأعلى اصواتهم.

وبهدف اطالة مدة النضال فى المحكمة، تقدم اعضاء المجموعة باستئناف الحكم امام محكمة الاستئناف فى سيؤول.

لكن الامبرياليين اليابانيين الذين ذاقوا المرارة فى محكمة هامهونغ، اجروا المحاكمة فى سيؤول وراء ابواب مغلقة. وصادقوا على الاحكام الصادرة.

نفذ حكم الاعدام بتشاى هيو ايل شنقا بعد عدة ايام من صدوره. وقد تقدم تشاى هيو ايل الى منصة الاعدام برباطة جأش، بعد ان تمنى على رفاقه ان يواصلوا النضال بثبات.

حبس عمى هيونغ كوون فى سجن مابو بسيؤول الذى لا يعتقل فيه الا السجناء الذين صدرت بحقهم احكام طويلة تزيد على عشر سنوات. وقد واصل عمى نضاله فى هذا السجن ايضا. اعتقد انه قد نشرت على نطاق واسع وقائع اعماله فى ذلك الحين. فبينما كان العدو يحوك المؤامرات لتحويل افكار"السجناء السياسيين" المحكومين بعقوبات قاسية، القى عمى خطابا حماسيا ضد هذه المؤامرات امام عدد كبير من السجناء المحتشدين، وقد اثر بخطابه هذا على مستمعيه. كما كان يقدم على اى تضحية بتصدره النضال لتحسين معاملة السجناء.

ووسط انهماك اليابانيين فى الاستعداد للحرب، اجبروا السجناء على العمل فى انتاج صناديق الذخائر. وكانوا يقدمون لهم وجبات سيئة من الدرجة السابعة ويجبرونهم على العمل بوتيرة اجرامية فى حدتها.

فنظم عمى هيونغ كوون الغاضب اضرابا عن العمل فى مصنع السجن ضد ظروف السخرة غير الانسانية، وذلك بمناسبة عيد ثورة اكتوبر. وقد اشترك فى هذا الاضراب عدد كبير من السجناء.

قرر الاعداء وضع حد لتأثير عمى بأية وسيلة، فحبسوه فى زنزانة انفرادية مظلمة، ولم

يكتفوا بذلك، بل قيدوا يديه وقدميه بأغلال كانت تنغرس فى لحمه عندما يقوم بأدنى حركة. وكانوا يقدمون له وجبة واحدة يومية هى كرة من الحبوب المخلوطة بفول الصويا لا يزيد حجمها عن حجم قبضة طفل.

وبالرغم من قسوة هذه الظروف، فقد واصل عمى نضاله، مما جعل سلطات السجن تتذمر قلقة من انه يصبغ سجن مابو كله باللون الاحمر.

ذات يوم، سمع باك تشا سوك فى اثناء عمله فى مصنع السجن باننا ننشط فى النضال المسلح فى مختلف الارجاء من منشوريا، فنقل هذا الخبر الى عمى هيونغ كوون.

وبلغنى ان عمى، حين سمع هذا الخبر، ذرف الدموع لاول مرة منذ حبسه وراء القضبان، وشد على يدى باك تشا سوك وهو يقول له بانفعال.

"يبدو لى اننى اشرفت على الموت. رجائى ان يواصل رفاقى الاحياء نضالهم حتى النهاية. اذا خرجت من هنا حيا بعد انتهاء سجنك، فأرجوك ان تزور امى فى مانكيونغداى وتحدثها عنى ... واذا قابلت سونغ جو فيما بعد فابلغه اخبارى وقل له اننى ناضلت دون اذعان حتى لفظت آخر انفاسى. هذا هو رجائى الاخير".

حدث ذلك حين سقط عمى فاقدا القوى تماما ولم يعد هناك امل فى نهوضه ثانية.

وحين لاحظت سلطات السجن انه يعيش ساعاته الاخيرة، ارسلت الى مانكيونغداى اشعارا بالسماح بزيارته.

حينذاك، اقترض عمى هيونغ روك اربعين وونا وذهب الى سيؤول مع قريبه بونغ زو وقابل هناك اخاه الصغير هيونغ كوون للمرة الاخيرة.

"حين وصلنا الى السجن ادخلنا السجان الى زنزانة المرضى. وكان السجناء جالسين، باستثناء اخى هيونغ كوون الذى كان مستلقيا. وكان هزيلا الى حد لا تكاد تبدو عليه علائم الحياة. لقد كان مجرد هيكل عظمى. آه، كم تألمت لرؤيته على تلك الحال! ... وعندما رآنى حاول ان يقول شيئا، ولكنه لم يستطع سوى تحريك شفتيه دون ان يصدر عنه اى صوت. كان من الصعب على ان اصدق انه اخى الصغير. لكنه قال لى اخيرا وهو يحاول الابتسام : (يا اخى، انى اموت دون ان احقق غايتى. لكننى واثق من دمار هؤلاء الاوغاد اليابانيين). عندها تأكدت من ان هذا المريض ما يزال رغم كل شىء جديرا بأن يكون هيونغ كوون".

كان هذا ما حدثنى به عمى هيونغ روك حين زرت بيت مولدى بعد عودتى الى الوطن. وحين استمعت اليه تخضلت عيناى بالدموع وانا افكر فى عمى هيونغ كوون. وشعرت

بالندم على النقد الذى وجهته اليه فى الرسالة.

لقد اغمى على عمى هيونغ روك وهو يرى حالة اخيه الصغير المحزنة، وعندما استعاد وعيه قال للسجان:

"اسمحوا لى ان آخذه الى البيت لعلاجه."

فرد عليه السجان : "لا، لا بد لاخيك من ان يعيش فى السجن اذا عاش وان يموت فيه اذا مات ليغدو شبح السجن. لا يمكن اخذه الى البيت بأى حال."

"سأبقى فى السجن بدلا من اخى الى ان يشفى فى البيت. وبعد ذلك يعود الى السجن، ما رأيكم؟"

"ايها الغبى، اين القانون الذى يسمح بسجن شخص بدلا من آخر".

"انتم الذين تسنون القوانين، فلماذا لا تسنون قانونا آخر؟ ارجوكم، اسمحوا لى بذلك".

"اى حماقات هذه التى تتفوه بها؟ الاخ الكبير لا يقل سوءا عن اخيه الصغير. كلكم من طينة واحدة. انصرف من هنا حالا"!

وطرده السجانون الى خارج السجن.

بعد تفكير عميق، دس عمى هيونغ روك ١٦ وونا فى يد احد السجانين وقال له: "اتوسل اليك ان تعتنى جيدا بهيونغ كوون". ثم عاد الى مانكيونغداى. كان يعرف ان ذلك المبلغ الضئيل لن يؤثر فى قلوب الجلادين القاسية، ولكنه كان كل ما يملكه.

طوال الشهر الذى تلا زيارته لم يستطع عمى هيونغ روك ان يجد الى النوم سبيلا. كان يقول انه ما ان يطبق عينيه حتى تظهر له صورة اخيه الصغير.

وبعد ثلاثة اشهر، مات عمى هيونغ كوون فى السجن فى اوائل سنة ١٩٣٦، حين كنت اتجه نحو منطقة نانهوتو مع وحدتى بعد الانتهاء من الحملة الثانية الى منشوريا الشمالية. وكان عمى آنذاك فى الثلاثين من عمره.

نتيجة وفاة ابى وامى واخى الصغير وحتى عمى، لم يبق لى احد من ذوى الذين عانوا المشقات وضحوا بكل شيء من اجل الثورة. عندما تلقيت نبأ وفاة عمى وانا فى الجبال، قررت انه يجب على الا اموت على الاقل، وان ابقى حيا مهما كان الثمن، لكى استعيد البلاد واثأر لعمى الذى مات وفى نفسه حزن المحروم من وطنه، ودفن على رابية مجهولة دون ان يهتم احد بقبره.

لقد اشرت سابقا الى وضع اسرتنا البائس، ولهذا لم تستطع نقل جثمان عمى، بالرغم من

تلقيها اشعارا بموته، بسبب افتقارها الى نفقات السفر. وهكذا دفنت جثته فى مقبرة سجن مابو.

وقبل لحظات من وفاته، حدث عمى هيونغ كوون السجناء بالسر الذى احتفظ به طول الوقت:

"ان كيم إيل سونغ هو ابن اخى. انه يناضل الآن فى منشوريا ضد الاوغاد اليابانيين على رأس وحدة كبيرة من الجيش الثورى. وسيتقدم ذلك الجيش الى ارض الوطن عما قريب. يجب عليكم ان تحملوا السلاح وتناضلوا ايضا لاستقباله. فهذه هى الوسيلة الوحيدة لطرد الاوغاد اليابانيين وتحرير البلاد".

كلما فكرت فى عمى هيونغ كوون، تتوارد الى مخيلتى صور رفاق السلاح الكثيرين الذين ضحوا بشبابهم دون تردد على طريق تجسيد قرارات اجتماع كارون.

كانت لعمى هيونغ كوون ابنة وحيدة تدعى يونغ سيل، وقد التحقت بعد التحرر بمدرسة مانكيونغداى الثورية. لقد عملت ما بوسعى لتربيتها تربية جيدة لتكون وريثة جديرة لقضية والدها. لكن هذه الابنة الوحيدة ماتت ايضا اثناء الحرب ضحية احدى الغارات الجوية.

ان المآثر التى حققها رجال الجيش الثورى الكورى لشق طريق ثورتنا بدمائهم كانت عظيمة وسامية حقا.

فاستنادا الى خبراتهم ودروسهم النضالية البطولية، وبدمائهم المقدسة، ظهر الى الوجود الجيش الثورى الشعبى الكورى كقوات ثورية مسلحة دائمة.

٦ـ الشاعر الثورى كيم هيوك

تبدأ الثورة بكسب الرفاق.

ان رصيد الرأسمالى هو المال، اما رصيد الثورى فهو الانسان. واذا كان الاول يبنى برج ثروته على اساس المال، فان الثانى يحول المجتمع ويعيد تنظيمه بالاستناد الى رفاقه.

وقد كان لى فى شبابى رفاق كثيرون. ربطتنى ببعضهم علاقات انسانية، وجمعتنى بآخرين الغايات التى شاطرونى اياها ابان النضال. وكانوا جميعهم ثمينين لا يمكن مبادلتهم بآلاف آلاف اطنان الذهب.

وكان كيم هيوك الذى تسميه الاجيال الحالية بالشاعر الثورى واحدا من اولئك الرفاق. لقد ترك لدى فى شبابى انطباعات لا تمحى، وما زال حيا فى ذاكرتى حتى اليوم، بعد مرور ما يزيد عن نصف قرن على وفاته.

فى اليوم الذى تعرفت فيه عليه، كنا قد انتهينا من درس فى تعلم رموز الكتابة الصينية، وكنت اتحدث مع المعلم شانغ وى فى الممر، وفى هذه الاثناء اتانى كوون تاى سوك واخبرنى بان ضيفا جاء لمقابلتى، وقال لى انه لم ير هذا الزائر من قبل، وانه ينتظرنى عند مدخل المدرسة مع شخص يضع نظارة ويدعى تشا كوانغ سو.

وقد وجدتهما هناك بالفعل. كان الشاب الغريب وسيم الوجه مثل فتاة جميلة. وكان يحمل حقيبة فى يده. وقد تبين لى انه كيم هيوك نفسه الذى اعتاد تشا كوانغ سو على امتداحه فى كل مناسبة باعتباره صاحب موهبة. وقبل ان يقدمه تشا كوانغ سو الى، مد يده مصافحا بدون تكلف وقال:"اسمى كيم هيوك". فصافحته وقدمت نفسى اليه.

لقد احسست بعاطفة خاصة نحو هذا الفتى، ليس بسبب"دعاية" تشا كوانغ سو المكرورة له وحسب، وانما كذلك لتشابه ملامحه بملامح كيم وون وو.

اعتذرت من كيم هيوك، وتوجهت الى تشا كوانغ سو مقترحا:

"ألا تستطيع ان تنتظرنى مع الاخ كيم هيوك ساعة واحدة فى المهجع الى ان ينتهى الدرس؟ لسوء الحظ ان الحصة التالية هى درس الادب الذى يلقيه المعلم شانغ وى. لو كان

درسا آخر لتغييت... ولكن"...

لكن تشا كوانغ سو عدل من وضع نظارته وقال مازحا:

"آه، الجميع اصبحوا مهووسين بدروس الادب التى يلقيها المعلم شانغ وى. ألا تنوى ان تصير اديبا فى المستقبل مثل كيم هيوك؟"

فأجبته :

"ولماذا لا اصير اديبا؟ لقد توصلت الآن الى ان القيام بالثورة يستدعى بالضرورة معرفة الادب. ما رأيكم ايها الاخ كيم هيوك؟ أليس هذا صحيحا؟"

تهلل وجه كيم هيوك واطلق صرخة منفعلة:

"الحقيقة انها المرة الاولى التى اسمع فيها هذا الكلام فى جيلين. لا يمكن الحديث عن الثورة بمعزل عن الادب. فالثورة بحد ذاتها هى هدف الادب ومصدره. اننى ارغب بمقابلة معلم الادب هذا الذى يتمتع بشعبية واسعة."

"سأعرفك عليه فى مناسبة اخرى"، وعدته بذلك ودخلت الى قاعة الدرس.

بعد انتهاء الدرس، وجدت تشا كوانغ سو وكيم هيوك ينتظراننى عند مدخل المدرسة وهما يتناقشان حول شىء اظنه رأس المال الثابت او المتغير.

انتقلت الى عدوى الحماسة المتأججة فى صوت الصديقين. وتذكرت اطراء تشا كوانغ سو على كيم هيوك وقوله انه شاب متحمس بالفطرة، وقلت لنفسى بسعادة اننى حصلت على رفيق جيد آخر.

"لماذا بقيتما هنا؟ قلت لكما ان تنتظرانى فى مبيتى"...

اغمض كيم هيوك احدى عينيه وهو يتطلع الى السماء حيث كانت الشمس ترسل اشعتها الذهبية، وقال:

"لماذا نحشر انفسنا بين اربعة جدران مثل صراصير فى هذا اليوم الرائع؟ وبالمناسبة، اقترح ان نتحدث طوال بقية النهار ونحن نذرع شوارع جيلين، مبتدئين من هذا المكان".

"لنتناول طعام الغداء اولا، ثم نذهب بعد ذلك الى تل بيشان او الى حديقة جيانغنان. ألا يقال ان الاستمتاع بمناظر جبل كومكانغ يجب ان يكون بعد الشبع؟ لقد جاء الاخ كيم هيوك الينا من شنغهاى، وقطع مسافة طويلة للقاء بنا. فاذا لم ادعه لتناول بعض الطعام فسوف اعتبر نفسى مهملا فى الضيافة".

"اظن اننى استطيع الصيام عن الطعام عدة ايام هنا فى جيلين، بوجود الرفيق سونغ

جو".

كان كيم هيوك متحمسا فى طبعه، وحيويا فى اعماله وكلامه.

من المؤسف اننى كنت خاوى الوفاض آنذاك. ولهذا ذهبت بهما الى نزل سانفينغ حيث يقابلوننى بالترحاب حتى ولو لم ادفع الحساب. لم يكن اصحاب ذلك النزل كرام النفس وحسب، بل كانوا ماهرين كذلك فى اعداد شعيرية لذيذة. اوضحت موقفى لصاحبة النزل، فجاءتنا بستة اطباق، اى بطبقين لكل واحد منا.

تحدثت مع كيم هيوك طوال ثلاث ليال قضاها معى فى غرفتى. وفى اليوم الرابع، غادر الى سينانتون حيث يقيم تشا كوانغ سو لكى يطلع على الوضع فى منطقة جيلين.

لاحظت منذ الوهلة الاولى انه شاب حاد الطبع. فاذا كان تشا كوانغ سو ذا طبع فوار، فقد كان كيم هيوك متأجج العواطف. كان يبدو فى الاحوال العادية وديعا وهادئا مثل فتاة، ولكنه اذا ما استفزه شىء يتحول الى مرجل يغلى ويطلق الحرارة. واذا اخذنا بالاعتبار انه كان كثير الترحال، وعرف كل تقلبات الحياة، مثله مثل تشا كوانغ سو، اثناء تجواله فى ثلاثة بلدان شرقية، الا انه كان يتصرف باستقامة. وعند تحدثى معه لاحظت انه يملك معارف واسعة ومستوى نظريا عاليا. وكان ضليعا فى شؤون الادب والفن بشكل خاص.

لقد ركزنا حديثنا على رسالة الادب والفن. وكان كيم هيوك يشدد على انه لا بد للادب والفن من ان يكونا انشودة تمجيد للانسان. ولكنه بعد ان استنشق هواء جيلين عدل وجهة نظره قائلا بانهما يجب ان يصبحا انشودة تمجيد للثورة. وكان مفهومه عن الادب شديد الراديكالية. وبالنظر الى هذه الخصائص الايجابية، كلفته فى احد الاوقات بمهمات كثيرة مرتبطة بالعمل على تنوير الجماهير ثقافيا. وهذا هو السبب فى انه غالبا ما قام بتوجيه نشاط فرقة الدعاية الفنية.

لقد كان شاعرا مجيدا، ولهذا سماه رفاقنا "اوجيين بوتيه"(٩). وسماه آخرون "هاينه". والواقع ان كيم هيوك كان يقدر هذين الشاعرين ويقدمهما على كل الشعراء. وكان لى سانغ هوا(١٠) هو شاعره المفضل بين الشعراء الكوريين.

كما كان يميل عادة الى الاشعار الثورية ذات النبرة العالية. اما فى مجال الرواية فقد اثار استغرابى بتفضيله روايات را دو هيانغ(١١) ذات المشاعر العميقة، وتقديمها على اعمال تشاى سو هاى(١٢) ذات النبرة الخطابية المؤثرة.

وعند تحليل اهواء كيم هيوك هذه، توصلت الى التفكير بأن ثمة امورا غريبة جدا فى

العالم. وفعلا، كم هى كثيرة حالات الانسجام بين اشياء متناقضة تحدث فى حياتنا! وهذا ما وصفه تشا كوانغ سو وصفا مجازيا بارعا بمقوله "العلاقة بين الضوء والظلمات". اما بالنسبة لكيم هيوك، فقد كانت شخصيته الادبية الخاصة نتاج ذلك التآلف المنسجم.

وبالرغم من ان كيم هيوك كان ينجز مهامه الثورية الشاقة والمعقدة، فقد كان يعرف كيف يكسب الوقت لكى يكتب قصائده الرائعة واحدة تلو الاخرى. وقد كانت طالبات جيلين اللواتى انضممن الى منظمتنا الثورية ينسخن تلك الاشعار فى مفكراتهن وينشدنها باعجاب.

لم يكن كيم هيوك ينظم الاشعار بكتابتها على الورق ثم محوها لكتابتها من جديد مثلما يفعل الآخرون، بل كان ينظمها ويهذبها فى ذهنه من اول سطر الى آخره حتى اذا ما ايقن من ان العمل بات متكاملا ولا يحتاج الى اى تعديل، عندها يضرب الطاولة بقبضته وينقل ما فى ذهنه الى الورق. وكلما سمع رفاقنا تلك الضربة على الطاولة، كانوا يقولون مبتهجين: "لقد وضع كيم هيوك بيضة اخرى". كان انتهاء كيم هيوك من نظم عمل شعرى يعتبر احتفالا مشتركا لنا.

وكانت لكيم هيوك حبيبة جميلة تدعى سونغ سو اوك، عضوة فى اتحاد الشباب الشيوعى. وكانت ممشوقة القوام فاتنة الملامح، ولكنها تتمتع فى الوقت نفسه بشجاعة وصلابة عظيمتين لا تتردد معهما عن الصعود الى منصة الاعدام من اجل العدالة.

وقد شاركت سونغ سو اوك بمنتهى الاخلاص فى الحياة التنظيمية لاتحاد الشباب الشيوعى.

لقد استمعت الى خطابها التحريضى فى احد الشوارع فى خريف ذلك العام الذى جرى فيه النضال الجماهيرى ضد مد الخط الحديدى بين جيلين وهويريونغ، وكان خطابا بارعا.

وكانت من اكثر الطالبات شغفا بحفظ اشعار كيم هيوك ونسخها فى مفكرتها. ولانها اعتادت ان ترتدى "تشيما" سوداء و"زوغورى" بيضاء فى جميع فصول السنة، فضلا عن مهارتها فى انشاد الاشعار والاغانى والقاء الخطب، فقد كان معظم الشباب فى مدينة جيلين يعرفونها.

كان كيم هيوك يحبها بحرارة، مثلما كان يستقبل الحياة ويصوغها شعرا. فقد كان الشيوعيون الشباب يحبون، حتى وهم يصنعون الثورة. يقول بعض الناس انه ليس لدى الشيوعيين مشاعر انسانية ولا حياة لائقة ولا غرام نبيل، وهذا هراء سببه عدم معرفتهم بالشيوعيين على الاطلاق.

لقد احب كثيرون من رفاقنا ابان الثورة، وتزوجوا تحت وابل الرصاص.

اذا ما حل موسم العطلة المدرسية كنا نسند الى كيم هيوك وسونغ سو اوك مهمات لينجزاها بين الاهالى فى غويوشو، حيث بيت ذوى سونغ سو اوك.

وفى اثناء تنفيذ تلك المهمات، كثيرا ما كانا يخرجان الى ضفة نهر ايتونغهى المغطاة باشجار الصفصاف الملتفة لكى يتمشيا معا او يصطادا السمك بالصنارة. وكانت سونغ سو اوك تجلس الى جانب كيم هيوك وهو يصطاد السمك لكى تفصل السمكة التى يصطادها عن الصنارة او تعلق الطعم. وكان حبهما يتعمق مع الثورة يوما بعد يوم على تل بيشان وعلى ضفاف نهرى سونغارى وايتونغهى ذات المناظر البديعة.

لكن سونغ تشون هاك والد الفتاة، لم يكن راضيا عن ذلك الحب، لسبب غير معروف.

كان سونغ تشون هاك مؤسس مدرسة تشانغسين(سلف مدرسة سامكوانغ) ومديرها. وكان قد عاش وتعلم عدة سنوات فى منطقة بريموريه، فى الاتحاد السوفييتى. وقد اتاح له هذا الاتصال بالحضارة امتلاك طريقة متقدمة فى التفكير بالمقارنة مع عصره. وعندما كنا نقوم بتحويل مدرسة تشانغسين فى غويوشو الى مدرسة سامكوانغ واعادة تكوين المنظمات الجماهيرية التى بناها القوميون فى منظمات شيوعية وثورية، كان سباقا فى تفهم اهدافنا وساعدنا بفعالية.

ولكن موقفه الفاتر من حب ابنته اوقع كيم هيوك فى الارتباك، وهو الرجل الناضج.

اما والدة الفتاة فكانت ترى فى كيم هيوك شخصا طيبا، ولهذا كانت تغض النظر عن زياراته وتدافع عنه امام زوجها، ولكن دون ان تواجهه مباشرة. وبعد مراقبة متمعنة وطويلة، عرف سونغ تشون هاك ان كيم هيوك ثوري ممتاز فوافق على رغبة ابنته فى الزواج منه. وفى اليوم الذى وافق فيه الوالد على زواجهما، التقط كيم هيوك وسونغ سو اوك صورة فوتوغرافية بآلة تصوير كانت فى بيت سونغ سو اوك آنذاك.

حين سمعت سونغ سو اوك نبأ استشهاد كيم هيوك، استبد بها اليأس وحاولت القاء نفسها فى نهر ايتونغهى. لكن رفاقنا جروها عن شاطئ النهر وبذلوا جهودا مضنية لتهدئتها.

وفيما بعد، انجزت سونغ سو اوك على احسن وجه نشاطات ثورية اخرى، ثم اقترنت بتشاى ايل تشون مؤلف "موجز تاريخ الحركة الثورية الكورية فى الخارج" عندما توفيت زوجته. لقد كان مثلها الاعلى كامرأة مشاركة رجل ثورى مثل كيم هيوك فى الحياة، على الرغم من انه كان عليها ان تربى اولاد زوجها.

لقد تبدى مزاج كيم هيوك الملتهب بامانة فى الممارسة الثورية. فقد كان ثوريا يتمتع بحس عال من المسؤولية والاخلاص. وبالرغم من انه كان يكبرنى بخمسة اعوام ومن انه درس فى اليابان، الا انه لم يشر الى ذلك، ولو تلميحا على الاطلاق. وكان يتقبل دائما بكل صدق ما نكلفه به من مهمات. لهذا السبب كنت اشعر نحوه بمحبة وعاطفة خاصتين.

منذ صيف عام ١٩٢٨، عمل كيم هيوك فى منطقة محافظة ليوهى مع تشا كوانغ سو. وبقيادتهما، تم انشاء جمعية دراسة العلوم الاجتماعية (صف خاص) وتنظيم فرع اتحاد الشباب المناهض للامبريالية فى مدرسة دونغسونغ فى غوشانجى.

آنذاك، تولى كيم هيوك تعليم مواد تاريخ ارتقاء البشرية والجغرافية السياسية العالمية والادب والموسيقى. فكان يتمتع بشعبية واسعة بين الطلبة والشباب فى غوشانجى.

عندما توجهت الى منشوريا الشرقية بعد خروجى من السجن، كان كيم هيوك ينفذ المهام التى كلفته المنظمة بها، متنقلا ما بين غويوشو وجيلين. وقبل ان اغادر الى تونهوا، اسندت اليه خطيا مهمة الاعداد لاصدار مطبوعة جديدة، مع مواصلته فى الوقت نفسه توجيه المنظمات الثورية فى جيانغدونغ وجيلين وسينانتون.

بعد عدة ايام، عرجت على كيم هيوك وانا على الطريق الى كارون عقب انتهائى من العمل فى تونهوا، فوجدته ينفذ المهام التى اسندناها اليه بكل اخلاص. وعندما شرحت له الفكرة التى تمعنت فيها فى السجن والمهمة التى سأنجزها فى كارون، طلب بانفعال شديد ان يذهب معى الى كارون. فقلت له انه يستطيع الذهاب الى هناك، دون تعجل، بعد ان ينتهى من انجاز مهامه. وقد احس كيم هيوك بأسف شديد، ولكنه بقى فى سينانتون كما اشرت عليه وعجل بالاستعداد لاصدار المطبوعة الجديدة، وبعد ان انهى ذلك جاء الى كارون.

بعد اجتماع كارون، عملنا باقصى سرعة لاصدار المطبوعة الجديدة. فما دام الخط الثورى الجديد قد طرح وولدت اول منظمة حزبية مكرسة لجمع شمل الجماهير ولوضع هذا الخط موضع التنفيذ، فقد كان اصدار مطبوعة جديرة باداء دور الناطق الفكرى مهمة ملحة لا يمكن تأجيلها ساعة واحدة.

ولما كان كيم هيوك مطلعا جيدا على هذا الوضع، فقد انكب على كتابة المقالات ساهرا الليالى منذ مجيئه الى كارون. وبموجب اقتراحه، اطلقنا على المطبوعة الجديدة اسم "بلشفيك."

خططنا لاخراج "بلشفيك" على شكل مجلة نثقف من خلالها الجماهير بالافكار الثورية، على ان نحولها تدريجيا الى صحيفة ونزيد من عدد نسخها بعد توفير الاستعدادات المادية الكافية. اخيرا، وفى ١٠ تموز ١٩٣٠ صدر العدد الاول من "بلشفيك."

جرى توزيع المجلة على فروع اتحاد الشباب الشيوعى واتحاد الشباب المناهض للامبريالية وعلى مختلف المنظمات الثورية المعادية لليابان ومفارز الجيش الثورى الكورى كما ارسلناها الى المدارس التى نشرف عليها لاعتمادها كمادة دراسية. وقد تضمنت المجلة كذلك شرحا للتقرير الذى قدمته فى اجتماع كارون. والحقيقة ان "بلشفيك" ادت دورا كبيرا فى توضيح الخطوط التى تبناها اجتماع كارون ونشرها. وقد صدرت لبعض الوقت على شكل مجلة شهرية، ولكنها تحولت بعد ذلك الى صحيفة اسبوعية، استجابة لوضع الثورة المتطورة ومطالب القراء.

كان كيم هيوك، بصفته اول رئيس لتحرير مجلة "بلشفيك"، يقضى معظم الليالى ساهرا وهو يكتب المقالات قبل مغادرته كارون. ولم يكن، لشدة حماسته، يستريح ولو ساعة واحدة.

وفيما بعد، فى اوائل شهر آب ١٩٣٠، ذهب الى هاربين على رأس احدى مفارز الجيش الثورى الكورى. وكانت هاربين منطقة مجهولة بالنسبة اليه، لانه عمل اساسا فى مناطق جيلين وتشانغتشون وليوهى وسينغجينغ وهوايدى وايتونغ. ولم اكن انا ايضا اعرف هذه المدينة جيدا.

لقد علقنا اهمية على هاربين منذ ان كنا فى جيلين.

فقد كان العمال يشكلون نسبة كبيرة من سكانها. ولكى نتغلغل فى اوساط الطبقة العاملة، كان علينا ان ننطلق بجرأة الى المدن الكبيرة مثل تشانغتشون او هاربين وننمى فيها قوانا. وقد تبين فى النضال ضد مد خطوط السكك الحديدية بين جيلين وهويريونغ والنضال ضد اعمال امراء الحرب الخيانية ضد الاتحاد السوفييتى بمهاجمتهم سكة حديد تشونغدونغ، ان الطبقة العاملة والطلبة الشباب فى هاربين يتحلون بروح ثورية مقدامة. فاذا ما نشرنا شبكاتنا بفعالية فى هذه المنطقة، فاننا سنتمكن من حشد جماهير غفيرة فى المنظمة.

كما اننا علقنا الاهمية على هاربين لوجود مكتب اتصال الكومنترن فيها. وكانت فيها كذلك منظمة اتحاد الشباب الشيوعى التابعة للكومنترن، التى كان يتصل بها اتحاد الشباب الشيوعى الذى نظمته فى مدرسة يووين الثانوية فى جيلين. ولكى نقيم اتصالا مع

الكومنترن، كان لا بد لنا من ان نشق طريقا تتيح لنا التردد بحرية على هاربين.

وعندما بعثنا كيم هيوك الى هاربين كنا نستهدف توسيع منظمتنا الثورية فى هذه المنطقة واقامة اتصالات مع الكومنترن فى الوقت نفسه.

ولم تنمح من ذاكرتى صورة كيم هيوك وهو يتقبل بانفعال تلك المهمة التى كلفناه بها.

وقد اعطاه كيم كوانغ ريول (كيم ريول) رسالة توصية الى الكومنترن.

وعند الوداع، شد كيم هيوك مطولا على يدى. فعلى الرغم من انه كان ينجز كل المهام التى نكلفه بها باندفاع، الا انه كان يبدى الاسى كلما اضطر للسفر وحيدا لانجاز احدى المهمات. لقد كان يحب العمل الجماعى ويكره الوحدة اشد الكراهية.

عندما سألته ذات يوم، عن سبب خوفه من الوحدة الى هذا الحد مع العلم ان الاكثار منها مفيد فى الممارسة الادبية، اجابنى بصراحة ان الوحدة كانت رفيق دربه المفضل فى الماضى، حين كان يجوب العالم مهانا، ولكنها لم تعد تعجبه بعد ان تخلى عن تلك الحياة. واعترف انه عاش متوحدا لبضعة اشهر فى جيانغدونغ، ولكنه ما ان بدأ تذوق متعة العمل مع الرفاق وسهر الليالى فى كارون، حتى يجد نفسه مضطرا الآن لمعاناة فراقهم.

امسكت بيده وقلت له كما لو كنت الاطف طفلا:

"يا كيم هيوك، ان الثورة تتطلب منا هذا الفراق. عندما تعود من هاربين سنذهب للعمل معا فى منشوريا الشرقية".

ابتسم كيم هيوك بحزن:

"لا تقلق بشأن العمل فى هاربين يا سونغ جو. سأنفذ المهام التى اسندتها الى المنظمة مهما كلف الامر وسأعود الى جانب رفاقى ظافرا. عندما تذهب الى منشوريا الشرقية، استدعينى اولا وقبل غيرى".

هكذا كان وداعى الاخير لكيم هيوك.

لقد خلف الفراق فراغا فى اعماق روحى.

كنا قد بدأنا بمد شبكة تأثيرنا الى هاربين منذ اواخر عام ١٩٢٧. فى ذلك الوقت، حدث ان عددا من الطلبة الذين كانوا يدرسون على نفقتهم فى مدرسة جيلين الثانوية الاولى تشاجروا مع معلم مادة التاريخ الرجعى الذى اهان الامة الكورية فى احد دروسه، وهاجروا الى هاربين. كان من بينهم اعضاء رابطة ليوكيل للطلاب الذين كانوا يعملون تحت قيادتنا.

لقد كلفنا اولئك الشباب بمهمة انشاء منظمات فى هاربين. فنظموا رابطة صداقة الطلاب

الكوريين وحلقة مطالعة كان اعضاؤها اساسا من الطلاب الكوريين فى معهد هاربين والمدرسة الصناعية العالية ومدرسة هاربين المتخصصة بالطب. من نواة هؤلاء الاعضاء شكلوا فرع هاربين لاتحاد الشباب المناهض للامبريالية فى خريف عام ١٩٢٨ وفرع هاربين لاتحاد الشباب الشيوعى الكورى فى بداية عام ١٩٣٠. وقد اوفدت الى هناك فى العطلة المدرسية هان يونغ آى لكى توجه عمل المنظمات.

وبفضل فعالية نشاط هذه المنظمات، تمكن الطلبة والشباب فى هاربين من خوض معركة واسعة النطاق ابان النضال ضد مد سكة حديد جيلين – هويريونغ الذى اجتاح كل ارجاء منشوريا.

كان فى المنظمات الثورية فى هاربين عدد كبير من الشباب الاكفاء. ان الرفيق سو تشول الذى يعمل الآن عضوا فى المكتب السياسى للجنة الحزب المركزية ايضا عمل فى ذلك الحين فى فرع اتحاد الشباب الشيوعى فى هاربين.

حينما وصلت مفرزة الجيش الثورى الكورى برئاسة كيم هيوك الى هاربين، كان الوضع فيها رهيبا للغاية، بحيث كان على المنظمات الشرعية مثل رابطة صداقة الطلاب وحلقة المطالعة ان تعمل فى السر. وكان لا بد لاتحاد الشباب الشيوعى وغيره من المنظمات غير الشرعية من ان تتنكر وتتخفى جيدا.

تناقش كيم هيوك مع الرفاق فى هاربين حول سبل الدفاع عن المنظمات وحماية اعضائها. وبموجب اقتراحه، انقسمت كافة المنظمات الثورية فى هذه المدينة الى عدة فرق بغية تنكرها على اكمل وجه.

تغلغل كيم هيوك مع افراد المفرزة المسلحة بين عمال الميناء والطلبة الشباب وغيرهم من القطاعات الجماهيرية ليشرح لهم بحماس الخطوط التى اقرها اجتماع كارون. كما قام بتثقيف الشباب وتوسيع المنظمات بكفاءة تنظيمية عالية وجرأة، ودفع فى الوقت نفسه بنشاط عجلة التحضير لانشاء منظمات حزبية قاعدية والعمل للحصول على الاسلحة. كما نجح فى اقامة علاقات مع مكتب اتصال الكومنترن متحديا شبكة المراقبة الصارمة التى اقامها العدو.

لقد ساهم كيم هيوك مساهمة كبيرة فى تنشيط النضال فى هاربين. فجاب فى سبيل الثورة كل ارجاء المنطقة التى عهد اليه العمل فيها، الى ان خاض فى احد الايام معركة مع العدو الذى هاجم بغتة مركز اتصال سرى فى شارع داولى فى هاربين. وقد القى بنفسه من

الطابق الثالث مصمما على الانتحار. لكن جسده القوى خان ارادته. فتم اعتقاله واقتياده حيا الى سجن ليوشون، وقد مات هناك بسبب قسوة التعذيب والمعاناة.

لقد كان كيم هيوك، مثله مثل بايك سين هان، احد ممثلى الرعيل الاول فى صفوفنا الثورية الذين كرسوا حياتهم وشبابهم من اجل الوطن والامة.

ان كل رفيق ثورى اثمن من آلاف اطنان الذهب، وقد كان فقدان موهبة بارزة مثل كيم هيوك خسارة مؤلمة حقا لثورتنا. حين تلقيت نبأ اعتقاله، جافانى النوم عدة ايام. وعندما ذهبت الى هاربين فيما بعد، تجولت فى الشوارع والمرفأ حيث كان يتردد كيم هيوك، وغنيت بينى وبين نفسى اغنية كان قد نظم كلماتها فى حياته.

كان كيم هيوك ايضا، مثله مثل تشا كوانغ سو وباك هون، يهيم على وجهه فى اراضى الغربة البعيدة باحثا عن طريق تقدم كوريا، الى ان وضع يده بيدنا اخيرا. فعندما كان يقضى ايامه مطلقا الزفرات ويقيم اوده بصعوبة وهو منزو فى غرفة مستأجرة فى المستوطنة الفرنسية بشنغهاى، تلقى رسالة من تشا كوانغ سو يحدثه فيها عنى:لا تدع حياتك الثمينة تمضى عبثا فى شنغهاى. تعال الى جيلين. فهنا يوجد القائد الذى تبحث عنه، وتوجد النظرية والحركة ايضا. ان جيلين هى مكانك المثالى ... وقد تلقى ثلاث او اربع رسائل بهذا المعنى. واخيرا جاء الينا. وبعد تبادله التحية معى، تجول بضعة ايام فى شوارع جيلين، ثم مد لى يده قائلا : "هنا سألقى مرساتى   يا سونغ جو. ان حياتى تبدأ من جديد."

لقد ارتبط تشا كوانغ سو وكيم هيوك بصداقة حميمة منذ دراستهما فى طوكيو باليابان.

وما زالت مطبوعة فى مخيلتى صورة كيم هيوك وهو يغنى "النشيد الاممى" وعيناه تدمعان يوم تأسيس اتحاد الشباب الشيوعى.

فى ذلك اليوم شد كيم هيوك على يدى وقال:

...لقد شاركت مرة فى المظاهرات مع الطلبة الصينيين فى شنغهاى. لقد انضممت الى الموكب عندما رأيتهم يتقدمون وهم ينادون بالشعارات المضادة لليابان. وعندما تم صد المسيرة، رجعت الى غرفتى المستأجرة وتساءلت مغموما عما سأفعله الآن وغدا. ولاننى لم اكن انتمى الى اى حزب او منظمة، لم يكن هناك من يأمرنى بالذهاب الى مكان معين او يشير على او يستشيرنى عن مكان واسلوب النضال الذى يجب خوضه فى اليوم التالى...

عندما كنت اسير فى المظاهرات، كنت افكر : كم سيكون رائعا لو كان هناك شخص يصيح بى " تقدم الى الامام " حين يرانى متعبا؛ وكم سأشعر بالقوة لو كان لدى منظمة

وقائد يكلفاننى بمهمة الغد عندما تنتهى مهمة اليوم؛ وكم سأكون سعيدا لو كان لدى رفاق يضمخون جثمانى بدموعهم عندما اسقط صريعا بالرصاص وهم يصرخون "كيم هيوك!"، "كيم هيوك!"؛ وكم اكون مبتهجا اذا كان هؤلاء الرفاق من الكوريين وتلك المنظمة كورية. لقد انتابتنى هذه الافكار وانا اتقدم لمواجهة الاسلحة المعادية. ولكننى محظوظ جدا اليوم وانا اتعرف على رفاق رائعين هنا فى جيلين، وانتسب باعتزاز الى اتحاد الشباب الشيوعى.

لقد قال هذه الكلمات بمنتهى الصراحة.

فقد كان يؤكد دائما ان اكبر نعمة فى حياته هى حصوله على رفاق جيدين. ولهذا استطاع ان ينظم اغنية "نجم كوريا" وينشرها فى المنظمات الثورية.

فى البداية، لم اكن اعرف ذلك الامر على الاطلاق. ولكن عندما ذهبت الى سينانتون وجدت الشباب فيها يغنون تلك الاغنية.

قام كيم هيوك بنشر تلك الاغنية فى منطقة جيلين بعدما ناقش الامر مع تشا كوانغ سو وتشاى تشانغ غول خلسة منى. حينذاك، انبته بصرامة لانه يشبهنى بنجم الصبح ويؤلف اغنية فى ذلك.

ومع انتشار اغنية "نجم كوريا"، صار رفاقى ينادوننى باسم "هان بيول" ومعناه بالصينية "النجم الواحد"، واخذوا يتداولون هذا الاسم بينهم بغض النظر عن رأيى فى الامر.

اما من اقترح استبدال اسمى الى كيم إيل سونغ فكان بيون داى وو وشخصيات اخرى من ووتشازى، اضافة الى تشاى ايل تشون وغيره من الشيوعيين الشباب.

وهكذا اصبحوا يدعوننى بثلاثة اسماء : "سونغ جو" و"هان بيول" و"ايل سونغ."

وكان كيم سونغ جو هو اسمى الاصلى الذى اطلقه والدى علىّ.

فى طفولتى كانوا ينادوننى جونغ سون، فقد سمتنى جدة ابى بهذا الاسم اولا، ثم اقتدى بها بقية افراد الاسرة.

لاننى كنت اعتز باسمى الاصلى الذى اطلقه علىّ والدى فقد نفرت من تغييره. كما اننى لم اسمح بتمجيدى وانا ما ازال شابا وتشبيهى بالنجم او الشمس.

ولكن تأنيبى الصارم لهم والحاحى عليهم لم يجديا نفعا. فقد واصل الرفاق مناداتى باسم كيم إيل سونغ تحببا، مع انهم كانوا يعرفون عدم رغبتى فى ذلك.

ظهر اسم كيم إيل سونغ فى المطبوعات الرسمية لاول مرة فى ربيع عام ١٩٣١، عندما

امضيت فى السجن حوالى عشرين يوما بعد اعتقالى على يد امراء الحرب فى غويوشو.

الا ان معظم الناس الذين يعرفوننى من قبل واصلوا مناداتى باسم سونغ جو، لانهم كانوا معتادين عليه.

ومنذ شرعت بالنضال المسلح فى منشوريا الشرقية، صار رفاقى ينادوننى باسم كيم إيل سونغ وحده.

على هذا النحو، رفعنى رفاقى كقائد لهم وهم يطلقون على اسماء جديدة ويؤلفون اغنية خاصة بى وينشدونها. لقد كان اخلاصهم لى عظيما للغاية.

كان السبب فى سعيهم لرفعى بالرغم من صغر سنى وقصر سيرتى فى الكفاح هو انهم استخلصوا دروسا جدية من حركات الجيل السابق التى افسد القائمون عليها الحركة الثورية بنزاعاتهم الفئوية، وبتصرف كل مجموعة منهم وكأنهم هم الابطال وحدهم دون ضمان محور للوحدة والتماسك. ولان رفاقنا ادركوا حتى النخاع حقيقة انه لا بد للعشرين مليونا من ابناء الشعب ان يتوحدوا بقلب واحد وارادة واحدة من اجل استعادة البلاد، وانه يجب ضمان مركزية فى القيادة والوحدة والتماسك.

واذا كنت ما ازال احتفظ بحبى الكبير لكيم هيوك وتشا كوانغ سو وتشاى تشانغ غول وغيرهم ولا انسى ذكراهم، فليس لانهم نظموا اغان تمجدنى وقدمونى كقائد لهم، بل لانهم كانوا رواد الوحدة والتماسك اللذين ما كان لامتنا ان تحققهما، رغم رغبتها العارمة فى التطلع اليهما، ولانهم كانوا رواد التكامل الحقيقى الذى صار فخر شعبنا ومجده ومصدر قوته التى لا تنضب، ولانهم كتبوا بدمائهم هذا التاريخ الجديد، تاريخ تلاحم القائد والجماهير فى كيان واحد وروح واحدة، فى الحركة الشيوعية فى بلادنا.

ان شيوعيي الجيل الجديد الذين شاركونا فى صنع الثورة لم يزرعوا الشقاق فى الصفوف طمعا بالمناصب ولم يحطموا الوحدة والتماسك اللذين اعتبرناهما حياتنا باختلافهم فى الآراء. لقد غدت الوحدة والتماسك فى صفوفنا بمثابة المحك الذى يميز بين الثورى الحقيقى والثورى المزيف. لهذا السبب، دافعوا عن الوحدة والتماسك بارواحهم حتى وهم فى السجون وعلى منصة الاعدام، وخلفوهما مثل كنز ثمين لشيوعيى الاجيال القادمة.

ها هنا بالذات، تكمن اولى مآثرهم التاريخية.

ان الروح السامية والرائعة لشيوعيى الجيل الجديد الذين ابرزوا قائدهم واتحدوا بتماسك حوله باتخاذه نواة لهم اصبحت تقاليد عظيمة للوحدة والتماسك اللذين يميزان اليوم حزبنا

فى كونه روحا واحدة وجسدا واحدا.

عندما قدم الشيوعيون الشباب قائدهم وخاضوا النضال الثورى متحدين حوله بقلب واحد وارادة واحدة، وضع نضال التحرر الوطنى الكورى حدا للتاريخ السابق الملطخ بالنزاعات الفئوية والفوضى، وبدأ بكتابة تاريخ جديد.

لقد انقضى اكثر من نصف قرن على رحيل كيم هيوك، الا ان صورته لم تغب عن ذاكرتى وهو يعانى الجوع والسهر، وتتجمد قدماه من البرد ليشق طريق الثورة وسط عواصف منشوريا الثلجية العاتية.

لو كان كيم هيوك حيا فى الوقت الراهن، لاستطاع ان يؤدى كثيرا من الاعمال. فكلما واجهت الثورة محن قاسية، اتذكر رفيقى الحميم كيم هيوك بروحه الوطنية الوثابة، ومباهاته بشبابه فى بوتقة النضال، فيثقل الحزن قلبى لوفاته المبكرة.

ولكى ننقل صورة كيم هيوك الى الاجيال القادمة، نصبنا تمثاله النصفى فى الصف الاول من مقبرة الشهداء الثوريين على جبل دايسونغ.

ولان كيم هيوك لم يترك صورة فوتوغرافية، وتوفى رفاقه الذين كانوا يناضلون معه فى ذلك الحين، فقد واجه نحاتونا مصاعب كثيرة لتحديد تقاطيعه. فساعدتهم فى وصف ملامحه واستكمال تمثاله.

٧ـصيف عام ١٩٣٠

بدلا من ان يستخلص فئويو جماعة م . ل العبر من اخفاق انتفاضة الثلاثين من ايار، عادوا لشن انتفاضة طائشة اخرى فى المناطق المتاخمة لسكة حديد جيلين – تونهوا، وذلك بمناسبة الاول من آب ١٩٣٠، وهو اليوم العالمى لمناهضة الحرب.

وقد برزت نتيجة هذه الانتفاضة مصاعب كبيرة امام ثورتنا. واكتشفت حتى المنظمات المعدودة التى تحولت الى السرية بعد انتفاضة ٣٠ ايار. كما ان تلك المنظمات التى قمت باعادة تنظيمها بصعوبة بالغة فى عدة مناطق بعد خروجى من السجن، تعرضت للدمار مرة اخرى امام الهجمة المفاجئة. وفى مختلف انحاء منشوريا، جرى اعتقال واعدام افضل الكوادر القيادية بالجملة. فقد توفرت للعدو ذريعة جديدة للافتراء على الشيوعية وقمع الحركة الشيوعية.

لا حاجة للقول ان هذه الانتفاضة قدمت خدمة كبيرة للامبريالية اليابانية التى كانت تسعى لزرع الشقاق بين الامتين الكورية والصينية. فبسبب هاتين الانتفاضتين، فقد الكوريون ثقة الصينيين التامة بهم. وقد كلفتنا استعادة تلك الثقة جهودا كبيرة بذلناها فى مسار نضال حرب العصابات.

بعد انتفاضة الاول من آب، ادرك الكوريون فى منشوريا الشرقية بعمق خطورة المغامرة اليسارية، واخذوا ينظرون بحذر وارتياب الى الفئويين المرتهنين للقوى العظمى الذين دفعوا الجماهير الى تلك الانتفاضة المتهورة.

وعلى الفور ارسلنا العاملين السريين الى مناطق الاحداث حتى لا تنخدع الجماهير الثورية فيها بدعاية الفئويين مرة اخرى.

وقررت بدورى الذهاب الى جيلين وتونهوا لاعمل على اعادة تأهيل المنظمات.

عندما وصلت الى جيلين وجدت الاجواء رهيبة للغاية، مثلما كان الوضع بعيد انتفاضة ٣٠ ايار.

بحثت عن اعضاء منظماتنا وانا اتنكر اكثر من مرة فى اليوم.

كانت محطة القطارات وبوابات السور ومفارق الطرق فى جيلين قد تحولت الى مخافر تفتيش معادية. وكان عملاء القنصلية اليابانية يسعون بدورهم للبحث عن الثوريين الكوريين فى كل مكان. وحيث ان الحركة القومية كانت قد ضعفت بشكل واضح فى ذلك الحين وبدأت تشارف على نهايتها، فان العدو لم يلاحق شيوخ جيش الاستقلال كما فعل بعد حادثة آن تشانغ هو، بل مد شبكاته فى كل مكان للقبض على الشباب المنتمين الى الحركة الشيوعية.

لم استطع كبح المى وحزنى حين لم اجد الوجوه المألوفة فى شوارع جيلين التى كانت تمور بالنضال ضد مد خط سكة حديد جيلين – هويريونغ.

قبل انطلاقى الى جيلين، نصحنى الرفاق بألا اطيل البقاء هناك، وان انتقل فورا الى هايلونغ او تشينغيوان. لكنى لم استطع مغادرة جيلين بسهولة. فذكرى الجهود المكثفة التى بذلتها هناك طوال ثلاث سنوات لم اميز خلالها بين الليل والنهار، لاجد طريقا جديدا للثورة، حالت دون توجهى الى منطقة اخرى. لو لم اتحمل الكثير من اجل الثورة وخصوصا فى السجن هنا فى جيلين لما تعلقت بهذه المدينة الى هذا الحد. فمن المنطقى ان يتعلق الانسان بمنطقة بقدر ما يبذل من نفسه فيها.

ومن حسن الحظ انى تمكنت من لقاء احد الرفاق من اتحاد الشباب الشيوعى وتوصلت من خلاله الى بعض اعضاء هذه المنظمة. فدعوتهم ليجتمعوا فى مكان واحد، ثم امرتهم بمنع اعضاء المنظمات من العمل العلنى، وان ينتقلوا الى السرية لبعض الوقت، بما فى ذلك المنظمات الشرعية مثل رابطة جيلين للاحداث ورابطة ليوكيل للطلاب.

كما ناقشنا الاجراءات لتجسيد توجه اجتماع كارون، وارسلنا رفاقا جديرين بالثقة الى مناطق مختلفة بمهمة ترتيب اوضاع المنظمات الثورية.

وبعد ذلك قررت مغادرة جيلين. فقد كان على ان انجز اعمالا كثيرة. فبعد ان رتبت بعض الامور الملحة والمستعجلة فى جيلين، احسست برغبة جامحة فى اعادة تأهيل المنظمات المدمرة وانا اتقدم الى منشوريا الشرقية.

كنت افكر فى الذهاب الى تشينغيوان او هايلونغ والاختفاء لبعض الوقت فى منازل رفاقى الصينيين، لكى اعالج الاضرار التى احدثتها الانتفاضة، بدءا من المناطق الاكثر تضررا. وكنت آمل ان اعيد هناك الاتصال مع تشاى تشانغ غول الذى لم اره بعد اجتماع كارون، وان اجد بمساعدته طريقا الى منشوريا الجنوبية. فقد كانت هايلونغ وتشينغيوان، اضافة الى

ليوهى، مسرح نشاطات تشاى تشانغ غول الذى كان يعمل على انشاء منظمات حزبية قاعدية وتوسيع اتحاد الشباب الشيوعى واتحاد الشباب المناهض للامبريالية والمنظمات الجماهيرية الاخرى. وقد كانت الحركة الثورية فى تلك المناطق آنذاك تجتاز مصاعب كبيرة، وذلك بسبب المواجهة بين فئتى مجموعة كوكمين. وقد زاد فى الطين بلة ذلك الدمار الذى لحق بالمنظمات الثورية على اثر انتفاضة الاول من آب.

فى المنطقة الفاصلة بين هايلونغ وتشينغيوان، كان يسكن صديق صينى من زملاء الدراسة فى جيلين. وكان قد خدم فى وحدتنا عند بداية تأسيس جيش حرب العصابات ثم رجع الى بيته بعد الحملة الى منشوريا الجنوبية. وقد فكرت فى اننى استطيع الاقامة فى بيته لبعض الوقت، ريثما تخف موجة الارهاب الابيض وتنقضى الازمة دون مخاطرة.

جاءت بعض الرفيقات لوداعى فى محطة جيلين. قد حضرن بملابس فاخرة وكأنهن بنات بيوت شديدة الثراء، كى اتمكن من صعود القطار دون ان اثير شكوك احد. فقد كان امراء الحرب يعتقدون حتى ذلك الحين ان السادة النبلاء لا يهتمون بالحركة الشيوعية.

لم اذهب يومئذ الى المحطة الرئيسية فى جيلين، بل ركبت القطار فى احدى الضواحى حتى اتفادى رقابة العدو المشددة. وعندما صرت فى عربة القطار، فوجئت بوجود تشانغ وى هوا فيها.

وقال لى انه ذاهب الى شنيانغ للدراسة وانه قد جاء الى جيلين قبل ذلك للقاء بى واستشارتى حول السبيل لتحريك الثورة. ثم اضاف مشيرا الى اجواء الرعب السائدة هناك: "لقد اختفى جميع الكوريين المعروفين، ولم يعد يظهر سوى رجال الشرطة والجيش او اذيال الاوغاد اليابانيين. لقد ذهبت الى جيلين لمقابلتك يا سونغ جو ولكنى لم استطع لقاءك او لقاء اى واحد من الرفاق. لذا قررت ان اذهب الى شنيانغ". ثم قادنى الى مقصورته فى عربة الدرجة الاولى دون ان يسألنى عن رأيى بذلك. بدا لى انه هو الآخر قد خمن اننى احاول تفادى ارهاب العدو.

فى ذلك اليوم، كانت المراقبة شديدة على المسافرين. فرجال الشرطة الذين سدوا كافة مداخل العربات، كانوا يتحققون بتمعن من هويات الركاب وذهب بهم الامر فى بعض الحالات الى حد تفتيش جيوب البعض وامتعتهم. بينما كان موظفو القطار يتفحصون التذاكر بصرامة اشد مما هو معهود. فنتائج انتفاضة اول آب لم تقتصر على المدن والارياف، وانما امتدت لتطال القطارات كذلك.

وقد تمكنت بمساعدة تشانغ وى هوا من الوصول الى محطة القطار فى هايلونغ بسلام. فرجال الشرطة الذين كانوا يفتشون المسافرين بصرامة، لم يتجرؤوا على توجيه كلمة واحدة الى تشانغ وى هوا الذى يرتدى ملابس السادة الصينيين. وبجلوسى الى جانبه، تخلصت كذلك من مراقبتهم. كان موظفو القطار يمرون بنا مرور الكرام دون ان يدققوا فى تذكرتينا، وكل ذلك بفضل مظهر تشانغ وى هوا المهيب.

كنت اخبئ عندئذ وثائق ومعلومات سرية تحت ملابسى. ولو ان رجال الشرطة فتشونى لما استطعت ان انجو.

حين وصل القطار الى محطة هايلونغ، رأيت من النافذة الحزام الامنى الذى اقامه رجال شرطة القنصلية اليابانية على الرصيف وعند المخرج. وبشكل غريزى ادركت على الفور الخطر الذى يترصدنى.

شحذت اعصابى مفكرا فى انه لا بد لى من مواجهتهم. ومع ان رجال الشرطة الصينيين واليابانيين كانوا يقومون بالمهمة نفسها، الا ان وقوع المرء فى قبضة اليابانيين منهم يعنى ضياع اى امل فى النجاة. فالثوريون الكوريون الذين كانوا يقعون فى ايديهم فى منشوريا آنذاك، كان يجرى اقتيادهم الى كوريا بلا رحمة او يحبسون فى سجون ليوشون وديرن وجيلين بعد محاكمتهم فى المحاكم التابعة لادارة كوانتونغ.

وبينما كنت اتطلع بنظرة مترددة الى الخارج من خلال نافذة العربة، طلب منى تشانغ وى هوا ان ارافقه ما لم اكن مشغولا بعمل خاص لكى اقابل والده ونناقش مستقبله.

خططت بادئ الامر، للنزول من القطار فى محطة تشاوشى لكى اذهب من هناك الى هدفى مشيا على قدمى. وكان يفصل بين محطة تشاوشى ومحطة هايلونغ خمس او ست محطات. ولكن بعد نزول تشانغ وى هوا من القطار فى محطة هايلونغ، سأكون عرضة لاخطار مفاجئة لانه لن يكون هناك من يحمينى.

لذا، قررت الموافقة على اقتراحه.

لحسن الحظ ان والد تشانغ وى هوا كان قد جاء الى المحطة لاستقباله. وقال لنا انه قد تلقى نبأ وصول ابنه الى هايلونغ عند عودته من ينغكو بعد ان باع فيها الانسام (الجنسنغ) فجاء الى المحطة فورا لاستقباله. توقفت امامنا عربة انيقة جدا، تحت حراسة عشرات من جنود الحراسة الخصوصيين المسلحين بمسدسات فى اغماد خشبية على خصورهم. ارتبك شرطيو القنصلية اليابانية حيال هذا الموكب المهيب ولم يجرؤوا على الاقتراب.

ركبنا تلك العربة التى انطلقت بنا من شارع المحطة بمهابة يتبعها رجال الحرس الخاص. وقد استرحت جيدا فى ذلك اليوم، فى احد الفنادق الفاخرة مع اسرة تشانغ وى هوا.

كان مبنى الفندق محاطا بحزامين او ثلاثة احزمة امنية من جنود حرس اسرة تشانغ وى هوا الخاصين.

قادنى والد تشانغ وى هوا الى حجرة خاصة وهو يعرب عن سروره للقائى بعد مرور فترة طويلة ثم طلب انواعا لذيذة من الطعام على التوالى. لقد اعتاد على معاملتى بمحبة خاصة مذ كنت اعيش فى فوسونغ. فاذا ما سأله احد نزلاء الفندق عنى، كان يقدمنى اليهم مازحا باننى ابنه بالتبنى. كان يقول ذلك فى اول الامر مازحا، لكنه صار يدعونى كذلك بجد فيما بعد.

لقد صادقت تشانغ وى هوا منذ اقامتى فى فوسونغ، مع علمى بانه ابن احد كبار الاثرياء. لقد كنت ارى منذ طفولتى ان الاقطاعى هو مستغل، لكن تلك النظرة لم تؤثر على علاقاتى بتشانغ وى هوا. كنت على وئام معه لوداعته ونقاء ضميره، فضلا عن شدة شعوره المناهض لليابان. وعندما تلقيت مساعدته فى لحظات حرجة، تأثرت اشد التأثر. لو اننى ابتعدت عنه فى الماضى لانه ابن اقطاعى لما حمتنى اسرته بكل صدق فى تلك الظروف الحاسمة.

كان بامكان تشانغ وى هوا ان يعيش حياته كلها فى رخاء وبحبوحة دون ان يشارك فى الثورة او يؤيدها، ولكنه ساعدنى فى اللحظة الحرجة، بمعونة والده، لانه كان يعتز بواجبه الاخلاقى تجاهى.

منذ دراستى فى المدرسة الابتدائية فى فوسونغ، كان تشانغ وى هوا صديقا لى دون ان يهتم بكونه ثريا وكونى فقيرا او كونه صينيا وكونى كوريا. وقد ابدى تفهما ومواساة عميقين مع حزننا لحرماننا من البلاد وتعاطف معنا وايد من اعماق قلبه قرارنا ومشروعنا فى النضال من اجل استعادة الوطن. وقد تصرف على ذلك النحو لانه وطنى يحب وطنه وامته حبا حارا.

وقد رأى فى مأساة الامة الكورية نكبة للامة الصينية.

كان والد تشانغ وى هوا وطنيا ايضا، ورغم ثرائه، فقد اظهر تصميما كبيرا فى معارضة القوى الخارجية والمطالبة بالسيادة الوطنية. وينعكس اخلاصه الوطنى كذلك فى الاسماء التى اطلقها على ابنائه. فقد اطلق على ابنه البكر اسم وى جونغ. الكلمة الثانية "جونغ"

مأخوذة من المقطع الاول من اسم دولة الصين. ثم اطلق على ابنيه الثانى والثالث اسمى وى هوا ووى مين على التوالى، ولو ولد له ابن رابع لكان اسماه وى غو. فاذا جمعت الكلمة الثانية من هذه الاسماء الاربعة فانها تشكل اسم الدولة "جمهورية الصين" (جونغ هوا مين غو.(

فى ذلك اليوم، سألنى تشانغ وى هوا عما سأفعله اذا ما شن الامبرياليون اليابانيون عدوانهم فى ربيع العام القادم او خريفه. فأجبته:

"اننى اخطط للقتال ضد المعتدين. لقد قررت خوض النضال المسلح".

فقال تشانغ وى هوا انه يجب عليه ايضا ان يساهم فى النضال، وهو قلق لانه لا يعرف اذا كانت اسرته ستسمح له بذلك.

فقلت له:

"اذا ضاعت البلاد فلا وجود للاسرة. انت ايضا عليك القيام بالثورة اذا كنت مستعدا للقتال ضد المجتمع القديم. لا وجود لمخرج آخر. والا فلن يكون لك عمل آخر سوى الكلام عن الشيوعية او قراءة الكتب فى البيت واظهار قلق لا جدوى منه على مصير البلاد. عليك ان تختار احد هذين السبيلين. لذا، عليك ان تقوم بالثورة بغض النظر عن موافقة والديك. ذلك هو السبيل الى خدمة الصين وانقاذ الامة الصينية. ليس لديك من خيار آخر سوى القيام بالثورة مع الصينيين. اذا ما شن الامبرياليون اليابانيون غزوهم، فلن ينهض ضدهم الكوريون وحدهم، وانما الصينيون كذلك".

على هذا النحو، نفخت فى صدر تشانغ وى هوا روح معاداة اليابان خلال اليومين او الثلاثة التى مكثتها فى الفندق. وقد تقبل نصيحتى واكد انه سيقوم بالثورة بعد انهاء دراسته.

اعربت له عن رغبتى فى ان اعرف مكان اقامته الاخير قائلا له: "اذا ما وقعت فى موقف حرج للغاية فسأطلب منك المساعدة مرة اخرى، اعطنى عنوانك فى شنيانغ". وبعد ان اعطانى اياه، طلبت منه ان يساعدنى فى الوصول الى هدفى بسلام.

اكد تشانغ وى هوا انه مستعد لان يفعل كل شيء من اجل مساعدتى وحمايتى، واوصلنى بعربته الى بيت احد اصدقائى الصينيين على الحدود بين محافظتى هايلونغ وتشينغيوان.

وقد كانت اسرة ذلك الرفيق ثرية ايضا مثل اسرة تشانغ وى هوا. كان بين رواد الثورة الصينية عدد لا يستهان به ممن ينتمون الى اسر ثرية. ولهذا فاننى كثيرا ما افكر بانه كان للثورة الصينية مميزات خاصة. فقد شارك عدد كبير من المثقفين والاثرياء فى الحركة

الثورية والشيوعية، جنبا الى جنب مع العمال والفلاحين. اذا ما اكتشف اولئك الذين ولدوا فى بيوت ثرية التناقضات التى تكبت استقلالية الانسان وتطور المجتمع، فانهم يستطيعون عندئذ اتخاذ قرار المساهمة فى الحركة الثورية للقضاء على تلك التناقضات. وارى ان هذا هو السبب فى خروج مناضلين ورواد من بين ذوى الاصول الثرية يكافحون دفاعا عن مصالح الجماهير الكادحة.

فالمسألة ليست مرتبطة بالمنشأ الاجتماعى للانسان وانما بنظرته الى العالم.

ان من يرى الحياة على انها مجرد انهماك فى اللهو، لن يستطيع ان يصنع الثورة، بل سيكتفى بالتمتع بالثروة. اما اذا فضل الحياة الخليقة بالانسان على التمتع بالترف واللهو فانه يشارك فى الثورة مهما كان ثريا.

فاذا استبعدنا هؤلاء الرواد قاطبة بدعوى الثورة الطبقية فان الثورة ذاتها ستتكبد اضرارا فادحة.

امضيت فى منزل الرفيق الصينى عدة ايام، لقيت خلالها معاملة حسنة كتلك التى لقيتها من تشانغ وى هوا. ولست اذكر الآن جيدا اذا كان كنية ذلك الصديق هى وانغ ام وى. وقد حاولت بمساعدته البحث عن تشاى تشانغ غول لعدة ايام، لكن دون جدوى. وقد قيل لى ان تشاى تشانغ غول قد انتقل الى السرية بعد انتفاضة اول آب.

فقابلت احد اعضاء اتحاد الشباب الشيوعى بالقرب من تشاوشى وطلبت منه ان ينقل بأسرع ما يمكن رسالة الى تشاى تشانغ غول تتضمن طلب الاسراع بانعاش المنظمات المخربة فى مناطق هايلونغ وتشينغيوان والتعجيل بالاستعداد للنضال المسلح.

وبعد عدة ايام قضيتها كضيف فى منزل الصديق الصينى، احسست بالضيق والضجر. فقد كنت راغبا فى القيام بنشاطات مكثفة فى مناطق واسعة، حتى ولو تعرضت حياتى للخطر. كان العمل الثورى يفرض على الخروج متنكرا، ولكن كان يمكن لاى زلة ان تكشفنى. ولم يكن من السهل على العودة الى جيلين او ركوب القطار، لان خطوط نانمان لسكة الحديد كانت تحت اشراف الامبرياليين اليابانيين. ومع اننى كنت ارغب فى الذهاب الى تشينتاو، الا اننى لم اكن واثقا من البقاء بسلام وسط موجة اعتقالات الشيوعيين التى كانت تعم تلك المنطقة. ومع ذلك، قررت الذهاب الى هناك من اجل الاستعداد للنضال المسلح فى منشوريا الشرقية.

ذهبت مع ذلك الرفيق الصينى الى هايلونغ، وركبت القطار الى جيلين. وهناك غيرت

القطار وتوجهت الى تشياوهى. وكان فى تشياوهى عدد كبير من المنظمات التى تعمل تحت تأثيرنا. وكانت تعيش فيها هان يونغ آى زميلتى فى الدراسة منذ ايام جيلين وعمها هان كوانغ.

خططت لان اهيئ، بمساعدتهما، ملجأ لكى اتهرب من مطاردة امراء الحرب لبعض الوقت واقوم بانعاش وترتيب المنظمات. كما فكرت ان اقيم، عبر هان يونغ آى اتصالا مع المنظمة العليا التابعة لاتحاد الشباب الشيوعى الدولى فى هاربين.

كانت هان يونغ آى قد هجرت الدراسة فى جيلين فى بداية عام ١٩٢٩ بسبب اوضاعها العائلية ورجعت الى تشياوهى، ولكنها حافظت على اتصالها بنا.

ترددت فى الامر دون ان اعرف الى من اذهب اولا، ثم زرت زانغ تشول هو الذى كان آمر سرية فى جيش الاستقلال.

قطع زانغ تشول هو صلته بالفئة العليا من جيش الاستقلال بعد ظهور مجموعة كوكمين ورجع الى تشياوهى، حيث ادار مقشرة ارز. وقد قررت الذهاب اليه لانه كان صديقا لوالدى، ويحبنى كثيرا، فضلا عن كونه وطنيا جديرا بالثقة. كنت فى حاجة الى مكان مؤقت اقيم فيه ريثما التقى باعضاء المنظمة.

لقد فرح زانغ تشول هو عندما رآنى، ولكنه لم يطلب منى البقاء فى منزله. وحين لاحظت انه خائف، لم اصارحه بسبب مجيئى اليه. وتوجهت نحو منزل شخص يدعى لى زاى سون، كان يقدم الى الاستقلاليين مساعدة مادية سخية وهو يدير نزلا حين كان والدى على قيد الحياة. وقد استقبلنى بسعادة ايضا، لكنه قادنى الى مطعم صينى، حيث اشترى لى طبقا من الشوشبرك ثم ودعنى وانصرف.

لقد كنت احتاج حينئذ الى مخبأ اكثر من حاجتى الى الطعام. ومع انه عرف سبب مجيئى اليه، الا انه ودعنى دون ان يدعونى لقضاء ليلة واحدة فى منزله. لقد كان يفكر بالاضرار التى يمكن ان تلحق به، متجاهلا الواجب الاخلاقى وصداقة الماضى.

لقد استخلصت من تلك الواقعة درسا جديا. فليس يجدى نفعا حتى صديق والدى، ما لم تتوفر الوحدة الفكرية. والنضال الثورى لا يمكن القيام به بالاستناد فقط الى علاقات الصداقة الانسانية القديمة. وهى التجربة التى عانيتها بنفسى حتى النخاع.

ان تغير الافكار والقناعات يرافقه تحول فى الشعور بالواجب الاخلاقى والانسانى. بل ان تبدل الافكار قد يؤدى الى الشقاق والتباعد بين اناس كانت تربط بينهم صداقة حميمة وكانوا

يتعاملون فيما بينهم وكأنهم اخوة اشقاء. فهذا التبدل فى الافكار يؤدى حتما الى تصدع الصداقة والعلاقات الرفاقية مهما قيل عن ديمومتها وابديتها. فدون حماية الافكار، لا يمكن الحفاظ على الواجب الاخلاقى والصداقة. وقد تأكد هذا الدرس فيما بعد، خلال نضالنا الثورى الطويل.

بعد ان فارقت لى زاى سون، اتجهت نحو منزل هان كوانغ وانا آمل ان اجد هناك هان يونغ آى، حتى وان كان عمها متخفيا بعيدا عن المنزل، وان تساعدنى مجازفة بحياتها اذا ما عرفت وضعى.

ولكننى لم اجد احدا فى المنزل. فسألت جارتهما عن المكان الذى ذهبا اليه، فقالت انها لا تعرف. ولم يعد لدى عندئذ مكان اذهب اليه، لان جميع الشباب الكوريين المشاركين فى الحركة كانوا قد تخفوا عن الانظار.

وفى اثناء ذلك، بدأ رجال الشرطة بملاحقتى، لان احدا وشى بى اليهم. فقلت فى نفسى بيأس "سيعتقلوننى"، ولكن جارة هان كوانغ تلك تقدمت لانقاذى قائلة: "لست ادرى من انت، ولكننى ارى انك فى خطر. فأرجوك ان تسرع فى الدخول الى المطبخ". ثم وضعت بسرعة على ظهرى طفلها الذى كانت تحمله على ظهرها، واضافت : "اجلس من فضلك امام الموقد وحاول اشعاله ملتزما الصمت، وانا سأرد على الاسئلة التى سيوجهونها". ويبدو اننى كنت ابدو فى تلك اللحظة اكبر من سنى بحيث يمكنها الادعاء انى زوجها.

جلست على ارضية المطبخ والطفل على ظهرى، وامسكت بمنكاش النار واخذت اؤدى الدور الذى اسندته تلك المرأة. لقد تعرضت خلال النضال الثورى لكثير من المصاعب والمواقف الحرجة التى تثقل على القلب، ولكننى لم امر بتجربة مماثلة لتلك.

فتح رجال الشرطة الباب وسألوا المرأة : "اين الشاب الذى دخل هنا قبل قليل؟."

فاجابت المرأة برباطة جأش : "عن اى شاب تتكلمون؟ لم يأت احد الى منزلى". ثم قالت لهم باللغة الصينية : "اذا اردتم تناول الطعام فتفضلوا بالدخول. لا يوجد احد فى المنزل ."

ولكن الطفل الذى على ظهرى لم يكف عن البكاء، ربما لان شخصا غريبا يحمله. وكان لا بد من تهدئته، ولكن اى ملاطفة غير حاذقة قد تثير الشكوك، ولهذا واصلت تقليب الجمر بالقضيب وانا مرتبك.

تبادل رجال الشرطة الرأى حائرين : "ولكن، اين سيكون قد اختفى؟ ألا يمكن ان نكون قد اخطأنا؟" ثم انصرفوا نحو منزل آخر.

عندئذ ابتسمت المرأة وقالت دون مبالاة:

"ارجوك ان تتصرف كما لو كنت (زوجى) الى ان يغادر رجال الشرطة القرية. ان زوجى الآن فى الحقل، سأذهب اليه لاطلب منه ان يعود الى المنزل، ونناقش الاجراءات اللازمة معا. فابق هنا مطمئنا". بعد ان قالت ذلك قدمت لى الطعام، وخرجت الى الحقل ثم عادت بسرعة.

بعد قليل، ظهر رجال الشرطة مرة ثانية وصاحوا بى طالبين ان اخرج لاقدم خدمة لهم. فقالت المرأة بهدوء :"انه مريض .اذا كان ما تريدونه امرا مستعجلا جدا فسأذهب انا بدلا منه". ثم ذهبت لتنفيذ تلك الخدمة التى طلبها رجال الشرطة.

وبفضل مساعدتها، استطعت الافلات من ذلك الموقف الحرج. لقد كانت امرأة ريفية بسيطة، ولكنها ذكية وسريعة البديهة. كما كانت تتحلى بدرجة عالية من الوعى الثورى.

لقد تركت تلك المرأة المجهولة انطباعا لا ينسى فى نفسى. فقد حمتنى معرضة نفسها للخطر، بينما لم يفعل ذلك اصدقاء والدى الذين ذهبت اليهم لاطلب مساعدتهم. لقد تصرفت تلك المرأة بنكران للذات يحدوها الوعى بانها تساعد ثوريا. ان القيمة الحقيقية للانسان تتبدى فى المواقف الحرجة.

لقد تأكدت بنفسى من نبل ورسوخ الشعور بالواجب الاخلاقى لدى الشعب الكادح الذى يمكن للثوريين ان يثقوا فيه دون تردد وان يسلموه حتى ارواحهم. ولهذا اعتدت ان اقول لرفاقى فى السلاح ان يطلبوا مساعدة الشعب عندما تعترضهم المصاعب، وان يتوجهوا اليه عندما يعانون الجوع او العطش او الغم.

الواقع انها كانت امرأة رائعة. واشعر برغبة فى الانحناء احتراما لها اذا كانت ما تزال على قيد الحياة.

فى شتاء ذلك العام، عقدنا فى ووتشازى اجتماعا لقياديى الجيش الثورى الكورى ومسؤولى المنظمات السرية فى منطقة منشوريا. وقد تحدثت يومئذ عن تلك المرأة.

وعندما سمع الحاضرون القصة، قالوا : "الرفيق سونغ جو محظوظ. والسماء هى التى هيأت له ذلك."

فأجبتهم : "اذا كنت قد استطعت تفادى المحنة، فليس ذلك لان حظى حسن. لقد افلت من ايدى امراء الحرب بفضل الشعب الطيب. ويبدو لى ان الشعب هو السماء وان ارادته الهية". ومنذ ذلك الحين، اصبحت كلمة "امرأة تشياوهى" صفة ترمز الى شعبنا الاريب

والمتفانى، ورمزا للنساء اللواتى يضحين بأرواحهن لانقاذ الثوريين من الخطر.

كلما اعود الآن بذاكرتى الى صيف عام ١٩٣٠ الملتهب والمضرج بالدماء، ترد الى ذهنى تشياوهى وتلك الامرأة التى لا تنسى. وعندما اتذكر اننى لم اعثر عليها بعد، رغم بحثى عنها بمختلف السبل طوال عشرات السنين، اؤنب نفسى بألم لانى لم اسألها عن اسمها قبل ان اغادر ارض تشياوهى منذ ستين عاما.

لو اننى عرفت اسمها لكنت اعلنته للعالم بأسره.

بعد التحرر والى يومنا هذا، جاء العديد من المحسنين الى عبر طرق مختلفة، وكان من بينهم مسنون شابت شعورهم عدت للقاء بهم بعد مرور نصف قرن على فراقنا فى ارض الغربة. وقد قابلت فى الوطن المحرر معظم اولئك المحسنين الذين ساعدونى فى الازمنة الصعبة، واعربت لهم عن شكرى وامتنانى.

ولكن امرأة تشياوهى تلك لم تظهر بعد. ربما انها نسيت تماما تلك اللحظة الدرامية التى حدثت فى صيف عام ١٩٣٠ باعتبارها امرا عاديا.

لعل منقذة حياتى قبل ستين عاما قد غابت بهدوء فى باطن الارض دون ان تترك اى خبر او اثر. فقانون الطبيعة يقتضى ان تكمن الاحجار الثمينة عميقا فى باطن الارض.

حين عاد زوجها من الحقل، اخذت طفلها عن ظهرى. لقد بدت كل احداث ذلك اليوم وكأنها مشاهد من رواية بوليسية.

وعند تبادل التحية مع رب البيت، لم استخدم اسمى الحقيقى وانما اسما مستعارا، قائلا له اننى مجرد ثورى.

وقال لى زوجها انه اشترك ذات وقت فى الثورة، لكنه يجد نفسه الآن خاملا بعد انقطاع اتصاله بمنظمته، وحذرنى من الكلب الكبير(الجاسوس) الذى يعيش فى البيت المقابل. ثم اخبرنى ان هان كوانغ قد رحل الى منشوريا الشمالية، بينما تتحرك هان يونغ آى متخفية بسبب القمع، وانه من الصعب العثور عليها حاليا.

شعرت باليأس حين سمعت كلماته تلك. اذ لا يمكننى البقاء فى منزله المجاور لبيت جاسوس. ولكننى فكرت بانه من المستحسن ان اختفى فى المنزل لبعض الوقت ثم انتقل بعد ذلك الى تونهوا عندما تسمح لى الظروف. ولكن ذلك لم يكن سهلا ايضا، نظرا لوجود قاعدة يابانية هناك ومقر جماعة هوايو للحزب الشيوعى، مما يجعل التفتيش فيها صارما. فقد جرى هناك اعتقال معظم الكوريين بعيد انتفاضة ٣٠ ايار حتى لم يتبق سوى النساء.

وكان من المشكوك فيه ان اتمكن من الوصول الى تلك المنطقة.

بعد ان ارخى الليل سدوله، دلنى رب البيت على كوخ منعزل يقع على بعد حوالى خمسة عشر رى من مدينة تشياوهى. كذلك، كان صاحب هذا الكوخ وزوجته العجوزان لطيفين جدا معى.

فى تلك الليلة، تأكدت مرة اخرى بتجربتى الذاتية انه ليس امام الثوريين من يمكنهم ان يثقوا به ويعتمدوا عليه سوى الشعب.

ورغم اننى استلقيت فى الفراش، الا اننى لم استطع النوم بسبب الافكار المعقدة التى راحت تخطر فى ذهنى : لقد امضيت عدة ايام دون ان اعثر على الذين ابحث عنهم. وفى ظل هذه الظروف لا بد من التصميم على تجاوز المحن، دون الوقوع فى السلبية. لان الوقوع فى السلبية يعنى النهاية. من الضرورى ممارسة النشاط. واذا بقيت مختبئا فى مثل هذا الكوخ فلن استطيع القيام بأى نشاط. يجب ترتيب الامور لتجاوز هذه الازمة وانعاش الثورة فى منشوريا الشرقية.

عند الصبح، ظهرت هان يونغ آى فى ذلك الكوخ فجأة. قالت لى انها قبل ان تغادر البيت بحثا عن مخبأ، تلقت خبرا عن رحلتى الفورية الى منشوريا الشرقية، فطلبت من امها ان تتصل بها فى مخبئها اذا جاء للبحث عنها شاب فى خده الايمن غمازة. وهكذا التقيت بها بعد سنة من الفراق.

وقفنا وجها لوجه دون ان نتمكن من التفوه بكلمة واحدة لبعض الوقت. لقد كان لقاء سعيدا بعد اخفاقات عديدة. كان وجه تلك الفتاة المعتادة على اطلاق القهقهات المرحة قد نحل الى حد بات من الصعب معه التعرف عليها.

اطلعتنى هان يونغ آى على الوضع الفظيع الذى يسود تشينتاو.

فقلت لها : "لم يعد بامكاننا الاختباء مثل الحشرات. يجب تنشيط الحركة بأى شكل. علينا الا نبقى مكتوفى الايدى امام غزو الامبرياليين اليابانيين الوشيك، وانما علينا ان نعد العدة لمواجهة المعتدين. لا بد من استعادة تأهيل المنظمات بأسرع ما يمكن وايقاظ وعى الشعب. لا يمكننا مواصلة الارتعاش خوفا فى المخابئ."

اعربت هان يونغ آى عن موافقتها على رأيى وقالت ان كلماتى قد بعثت فى نفسها الحماسة.

"لا فائدة من بقائنا هنا حيث لا وجود لاحد. فلنذهب الى هاربين، وهناك سأضعك على

اتصال مع المنظمة".
فرحت هان يونغ آى لهذا الاقتراح وقالت انها تشعر بالارتباك بعد انقطاع اتصالاتها مع المنظمة.
مع اننى كنت قد بعثت كيم هيوك الى هاربين لاقامة اتصال مع الكومنترن، فقد قررت الذهاب اليها بنفسى لكى اقابل مسؤولى الكومنترن فيها دون ان انتظر عودة كيم هيوك ليطلعنى على نتائج نشاطه. ان المنظمات المدمرة تماما بسبب الانتفاضة، واجواء الرعب التى كانت تخيم على المدن والارياف وكأنها فى ظل قانون عرفى، جعلتنى احس مرة اخرى وبحزن شديد، خطورة الاضرار التى الحقها المغامرون اليساريون بالثورة، وضرورة تجاوز تلك النتائج المشؤومة حتى لا تتعرض ثورتنا لتضحيات كبيرة منذ انطلاقنا فى مطلع الثلاثينات.
ان النضال النظرى وحده لن يستطيع ردع الممارسات المتهورة للفئويين المرتهنين للقوى العظمى والمغامرين اليساريين. فهؤلاء صموا آذانهم عن كلماتنا العقلانية والمفيدة للثورة. ولم يحاولوا تفهم ارادتنا. فتفجير انتفاضة الاول من آب التى اقلقتنا كثيرا بعد انتفاضة الثلاثين من ايار، يعنى رفضهم الكامل لمقترحاتنا فى الاجتماع الحزبى لمنطقة جيدونغ.
ومن اجل وقف عربة المغامرة اليسارية التى تندفع دون كوابح فى منطقة منشوريا، كنا بحاجة الى مساعدة الكومنترن.
وكنت اريد ان اعرف رأى الكومنترن فى الانتفاضة وان اتحرى اذا كانت هذه الانتفاضة قد جرت بتوجيه من الكومنترن ام بناء على اهواء بعض الاشخاص. فاذا كان الكومنترن هو الذى اصدر تلك الاوامر، فاننى سأدخل فى سجال معه لوقف اندفاع تلك العربة.
آخذين فى الاعتبار رقابة العدو المشددة، قررنا ان نركب القطار متنكرين فى زى صينى.
فى ذلك اليوم، جابت هان يونغ آى مدينة تشياوهى لتهيئ لنا الملابس الانيقة والاحذية الفاخرة ونفقات الرحلة. ولكى لا نوقظ شكوك رجال الجيش والشرطة، وضعنا فى الحقيبة مستحضرات تجميل واشياء اخرى. وبفضل مساعدة هان يونغ آى، استطعنا الوصول الى هاربين بسلام.
ذهبنا الى مكتب اتصال الكومنترن الذى يقع عند مدخل شارع شانغبوجى، بالقرب من

ميناء هاربين. وبعد ان قدمت هان يونغ آى الى العاملين فى المكتب، ابلغتهم بالوضع الناشئ فى منشوريا الشرقية من جراء انتفاضة ٣٠ ايار وانتفاضة اول آب واطلعتهم على الاجتماع الذى عقد فى كارون.

اعتبر مكتب الاتصال جولتى الانتفاضة مغامرتين. وقال لى الشخص الذى قابلته هناك ان قرارات اجتماع كارون، حسب وجهة نظره، تتلاءم مع واقع كوريا وتتطابق مع مبادئ الثورة، وكان تقييمه لموقفنا الخلاق فى تطبيق الماركسية اللينينية انه موقف مشجع وملهم. كما اكد على ان التوجهات التى وضعها اجتماع كارون لتأسيس حزب جديد وتشكيلنا جمعية تلاحم الرفاق، كمنظمة قاعدية للحزب، لا يتناقض مع مبدأ حزب واحد فى البلد الواحد.

وهكذا استطعت الحصول على تأييد الكومنترن المطلق لمبدأ الاستقلالية والموقف الخلاق اللذين يعتبران روح ثورتنا ولسائر الخطوط التى وضعناها.

وقد سألونى حينئذ فى الكومنترن اذا ما كنت ارغب فى الدراسة فى جامعة الشيوعية فى موسكو التى يديرها الكومنترن نفسه.

لقد كنت اعرف بوجود تلك الجامعة، حيث يدرس شباب كوريون مؤيدون للشيوعية بتزكية من الحزب الشيوعي الكورى. وقد تخرج منها زو بونغ آم وباك هون يونغ وكيم يونغ بوم وغيرهم. والحقيقة ان الاهتمام بجامعة موسكو كان واسع الانتشار بين الشباب فى منشوريا حينذاك لدرجة انهم كانوا يغنون "اغنية الدراسة فى موسكو."

ولما لم تكن لدى رغبة فى الابتعاد عن ممارسة الثورة اجبت قائلا اننى ارغب فى الدراسة، لكن الوضع الراهن لا يسمح لى بذلك.

حين قابلت القس مون ايك هوان فى عام ١٩٨٩، تحدثت اليه بشكل عابر حول هاربين. فقال لى القس ان والده كان يعمل هناك حينئذ على نقل الشباب الذين يختارهم الكومنترن الى الاتحاد السوفييتى.

لقد اوكل الى الكومنترن يومذاك مهمة العمل كأمين مسؤول لاتحاد الشباب الشيوعى فى منطقة جيدونغ.

وبينما كنا فى مكتب اتصال الكومنترن، تلقينا نبأ القاء كيم هيوك نفسه من الطابق الثالث من احد المبانى ونقله بعد ذلك الى السجن.

بسبب اعتقال كيم هيوك، امضيت وهان يونغ آى ايام الاقامة فى هاربين بقلوب كئيبة.

ولشدة تأثرنا، ذهبنا فى احد الايام الى شارع داولى لرؤية ذلك المبنى الذى القى كيم هيوك بنفسه منه.

كانت مخازن ومطاعم شارع داولى تقدم كل انواع المأكولات اللذيذة، لكن ذلك كله كان بالنسبة لنا اشبه بكعك مرسوم على الورق.

اعطانى الكومنترن ١٥ زيانا كمصروف يومى، وهذا مبلغ اقل بكثير مما يتطلبه العيش فى هاربين. ولاسباب امنية، لم يكن بامكان الثوريين ان ينزلوا فى الفنادق العادية لان المراقبة فيها شديدة.

ومن اجل الابتعاد عن مراقبة الشرطة، كان لا بد من الذهاب الى الفندق الذى يديره الروس البيض، حيث لا يجرى تسجيل اسماء النزلاء. لكن ذلك الفندق يتقاضى اسعارا باهظة للاكل والاقامة. فقد كان مكانا فاخرا مناسبا للرأسماليين الذين يملكون اموالا كثيرة، اما بالنسبة لامثالنا فهو صعب المنال. وبعد حسابات متأنية، قررت النزول فى ذلك الفندق الفاخر والمأمون، حتى ولو اضطررت الى تناول وجبة واحدة من الطعام فى اليوم، وان تنزل هان يونغ آى فى فندق عادى حيث تتراخى الرقابة على النساء.

كان الفندق من الداخل بالغ الفخامة والابهة، فيه مخزن تجارى ومطعم وصالات للتسلية والرقص، فضلا عن صالة سينمائية.

وجدت نفسى عدة مرات فى موقف حرج لنزولى فى ذلك الفندق وانا لا املك ما يكفى من النقود. ففى اليوم الاول، دخلت غرفتى نادلة روسية وعرضت على ان تقلم اظافرى. واضطررت الى رفض طلبها لانى لا املك نقودا لدفع قيمة هذه الخدمة. وما ان خرجت حتى دخلت مضيفة اخرى وسألتنى عن نوع الطعام الذى ارغب فيه. فلم اجد مفرا من ان اكذب عليها قائلا اننى تناولت الطعام فى منزل صديقى، وهو ما اشعرنى بالحرج.

وكان على ان اتحمل كل يوم تلك المضايقات، والامتناع عن تناول الطعام فى الفندق، بسبب افتقارى الى النقود. اما الطعام الذى كنت اتناوله مع هان يونغ آى فكان يقتصر على وجبة واحدة من رقائق عجين الذرة الرخيصة نتناولها فى الشارع مساء بعد فراغنا من العمل.

بينما كنت اتحدث ذات يوم مع ليو شاو تشى الذى زار بلادنا، قصصت عليه هذه الواقعة. فقال لى انه هو الآخر عمل فى هاربين لبعض الوقت فى ذلك العام مع عدد من الشيوعيين الكوريين، لانه لم يكن بين اعضاء الحزب الشيوعى اى صينى. وسألنى عما اذا كانت لى

صلة بالكومنترن فى ذلك الحين. واذ حسبت الفترة بدا لى اننى قابلت كوادر الكومنترن فى هاربين بعد ان غادرها ليو شاو تشى مباشرة.

اسندت الى هان يونغ آى مهمة البحث عن اعضاء المنظمات المشتتين.

وكانت قد اقامت اتصالا مع شخص كنيته هان فى فرع اتحاد الشباب الشيوعى فى هاربين، وهو شخص كانت تعرفه منذ ايام اقامتها فى جيلين. ومن خلاله توصلت الى بعض اعضاء المنظمات السريين وشرحت لهم توجيهات اجتماع كارون.

وفى اثناء ذلك، تغلغلت بدورى بين عمال السكك الحديدية والميناء حيث كان كيم هيوك يقوم بالعمل السرى، وكان اولئك العمال تحت تأثير المنظمات الثورية. وبعد ان قمت باعادة بناء المنظمات السرية واقمت الاتصالات بين الرفاق فى هاربين، ودعت هان يونغ آى لاذهب بمفردى الى تونهوا. وبسبب العمل الملح والمستعجل، لم اتمكن يومئذ من الاعراب لهم عن شكرى كما يجب. وكانت هان يونغ آى تريد الذهاب معى، ولكننى لم استطع الموافقة على ذلك، لان الرفاق فى هاربين اصروا على بقائها معهم. وقد شعرت فى منشوريا الشرقية بالانزعاج لذلك الوداع. ومع ذلك، لم استطع الكتابة اليها بسبب نظام العمل السرى، وهكذا بقينا دون اتصال.

وبعد زمن طويل من ذلك، عرفت اخبار هان يونغ آى من خلال المعلومات التى جمعها الباحثون فى معهد تاريخ الحزب.

قبل ان اتوجه الى تونهوا، تركت رسالة للمنظمات الثورية فى هاربين حددت فيها المهمات التى يتوجب على الرفاق فى المدينة تنفيذها. وبينما كانت هان يونغ آى تعمل متنقلة من مكان الى آخر لتنفيذ ما جاء فى الرسالة، اعتقلتها الشرطة فى خريف عام ١٩٣٠. لو انها كانت فتاة عادية لرجعت الى تشياوهى يدفعها الشوق الى بيتها، لكنها ظلت فى هاربين لتنفيذ المهام التى كلفتها بها، وكانت تعمل حتى فى الليل. لقد كانت هان يونغ آى فتاة قليلة الكلام ووديعة الاخلاق، ولكنها اظهرت فى العمل الثورى عنادا وبسالة كبيرين.

فور اعتقالها، جرى نقلها الى سجن سينويزو. فى تلك الفترة، اعتقل عدد كبير ممن لهم صلة بمنظمة "ت . د" بمن فيهم لى زونغ راك وباك تشا سوك واقتيدوا الى السجون. وكان لى زونغ راك محبوسا فى السجن نفسه الذى اودعت فيه هان يونغ آى.

وحين استسلم لى زونغ راك للعدو فيما بعد، اقترح عليها قائلا: "انى اعرف كيم سونغ جو جيدا وانت ايضا عملت تحت قيادته، فما رأيك فى ان نجمع قوانا لجعله يستسلم؟ اذا

وافقت يمكنك الدخول الى الفرقة التى اسسناها لهذا الغرض."

فردت عليه مؤنبة على الفور :"هذا عمل غير مسموح. كيف يمكنك اللجوء الى هذا العمل الخيانى الدنىء بحق كيم سونغ جو بدلا من مساعدته؟ لا يمكننى موافقتك، حتى ولو لم اعد قادرة على المشاركة بالثورة بعد خروجى من السجن."

لقد تم كشف هذه الواقعة من خلال اعترافات لى زونغ راك نفسه، الذى جاء الى مكان اجتماع نانبايتسو فى شتاء عام ١٩٣٨ بهدف دفعنا الى الاستسلام.

هكذا وصلتنا اخبار هان يونغ آى التى لم اكن اعرف عنها شيئا حتى ذلك الحين، وعرفت انها حافظت على مبادئها الثورية رغم تعرضها للتعذيب القاسى فى السجن. واذا كان رجال من امثال لى زونغ راك وباك تشا سوك قد وقعوا على وثائق الاستسلام فور دخولهم السجن، فان هان يونغ آى صمدت بشجاعة لكل الآلام والمحن رغم انها امرأة.

لقد احسست بتأثر وحماسة كبيرين لموقفها ذاك، لان عددا كبيرا من الثوريين جرى اعتقالهم فى ذلك الحين فى كل مكان بسبب "حادثة هيسان"(١٣)، وظهر فى صفوف النضال خونة الحقوا اضرارا كبيرة بالثورة.

عملت هان يونغ آى صانعة احذية فى مصنع المطاط فى مدينة داندونغ بالصين. وفى اثناء ذلك، نشرت بين مواطنيها الاغانى الثورية التى تعلمتها فى جيلين، وناضلت دفاعا عن حقوق العمال ومصالحهم، مقدمة العديد من المطالب ومستنهضة العمال لتحقيقها.

فيما بعد، ذهبت هان يونغ آى الى سيؤول وقضت عدة سنوات فى منزل ابن السيد هونغ ميونغ هى.

لقد تزوجت متأخرة، وبعد سنوات عديدة من الجهود للعودة ثانية الى منشوريا بحثا عن الاتصال بالمنظمة. وحتى بعد زواجها حافظت على وعيها ونقائها مثلما كانا فى ذلك الزمن الذى كرست فيه نفسها للثورة معنا. وقيل لنا انها حين علمت وهى فى سيؤول اننا نخوض النضال المسلح فى منطقة جبل بايكدو، تمنت لنا الانتصار من اعماقها وهى تنادى رفاقها فى جيلين باسمائهم واحدا واحدا.

بعد التحرر، عمل زوجها فى السرية كعضو فى حزب العمل فى جنوبى كوريا، وجرى اغتياله على يد العدو فى فترة التراجع.

تولت هان يونغ آى ايضا مسؤولية منظمة اتحاد النساء فى احدى ضواحى سيؤول اثناء الحرب، وعملت بتفان لمساعدة الجبهة. وبعد اغتيال زوجها، انتقلت الى بيونغ يانغ مع

طفليها قائلة انها تريد رؤيتى. الا انها استشهدت للاسف الشديد مع ولديها فى احدى الغارات الجوية المعادية ليلة ١٤ آب عام ١٩٥١ قبل ان يتحقق لقاؤها المنشود معى.

اعتقد ان هان يونغ آى عاشت كل حياتها بنزاهة. فقد عاشت بقية حياتها وهى تتنفس نفس الهواء الذى تنفسته فى جيلين وتخطو نفس الخطوات التى خطتها فيها. ولم تكن تغنى سوى تلك الاغانى التى تعودت على انشادها فى جيلين.

يتوجب على الثوريين الا يفقدوا قناعتهم او يلطخوا ضميرهم حتى ولو كانوا وحيدين فى جزيرة منعزلة، وان يكونوا مثل هان يونغ آى.

كانت هان يونغ آى هى الاخرى محسنة لا استطيع ان انساها مدى الحياة. فقد ساعدتنى فى تلك الفترة العصيبة مخاطرة بحياتها.

بعد عودتى الى الوطن المحرر، سعيت للبحث عنها، وعرفت انها غير موجودة على اراضى جمهوريتنا.

اما قبل التحرر، فلم استطع مقابلتها بسبب الحرب المناهضة لليابان التى خضناها. الا اننى لم انس ولو لحظة واحدة الاحداث التى وقعت فى اثناء عملها معى: ذهابها فى ذلك اليوم القائظ وهى تتصبب عرقا للحصول على الملابس الصينية اللازمة لتنكرى، ورحلتها معى فى القطار حيث كانت تواجه المواقف الحرجة بسرعة بديهتها لحمايتى كلما قام رجال الشرطة بتفتيش القطار، وايام الفاقة تلك التى كانت تتخلى لى فيها عن نصف حصتها الضئيلة من رقائق العجين.

ان كل هذه الخدمات والمساعدات التى قدمتها الى كانت نتاج الرفاقية النقية والنزيهة التى تفوق كثيرا مشاعر الحب والعاطفة.

اننى لاعجز عن كبح حزنى حين افكر فى انها استشهدت فى بيونغ يانغ اثناء غارة جوية معادية، دون ان تتمكن من مقابلتى.

لحسن الحظ انه تم الاحتفاظ بصورة فوتوغرافية لها فى شبابها بما يشبه المعجزة، وقد وصلتنى تلك الصورة. وكلما يرد الى ذهنى اولئك المحسنون الذين رحلوا عن هذا العالم، ارى فى الصورة روح هان يونغ آى النبيلة التى تركت اثرا عميقا فى شبابى واقدم اليها الشكر من صميم قلبى.

٨ـ عبر نهر دومان

لقد قال لى والدى اكثر من مرة ان الكوريين المقيمين فى تشينتاو يتمتعون بروح كفاحية عالية. وقد تأكدت من ذلك بوضوح ابان انتفاضة ٣٠ ايار وانتفاضة اول آب.

كانت تشينتاو والمنطقة الشمالية من كوريا مسرحا لنشاط رجال جيش المتطوعين الفاضلين وجيش الاستقلال منذ زمن بعيد. كما انتشر التيار الماركسى اللينينى فى هذه المناطق قبل غيرها بتأثير ثورة اكتوبر الاشتراكية التى قامت فى روسيا. ومع ان الحركة الشيوعية فى منطقة تشينتاو عانت الكثير من المطبات والمصاعب من جراء التهور البرجوازى الصغير لقادتها، الا ان المد الثورى لجماهير الشعب لم يتوقف.

وعليه، فقد قررت، منذ ان كنت فى السجن، ان اتخذ من المنطقة الحدودية الشمالية لكوريا ومحورها جبل بايكدو ومنطقة تشينتاو مركز استناد استراتيجى، حين ابدأ بشن النضال المسلح.

كما ان الامبرياليين اليابانيين بدورهم ركزوا عيونهم على هذه المناطق منذ زمن بعيد. واذا كنا نتطلع الى اتخاذ هذه المناطق كمركز استناد اساسى هام للنضال المسلح المناهض لليابان، فقد حاول الاعداء تحويلها الى نقاط استراتيجية لغزو منشوريا ومنغوليا. لقد اثار الامبرياليون اليابانيون شتى انواع الحوادث فى منشوريا الشرقية منذ اوائل القرن العشرين بهدف اقامة رأس جسر لتحقيق اطماعهم الرعناء.

فى آب عام ١٩٠٧، ارسلت الامبريالية اليابانية جيشها الى لونغجينغ بمحافظة آنزى بذريعة "حماية الكوريين" واقامت فيها "فرع المقيم العام لكوريا"، وفى عام ١٩٠٩ اغرت الحكومة الرجعية الصينية بابرام اتفاقية تشينتاو، بل وانتزعت منها حتى امتياز بناء الخط الحديدى بين جيلين وهويريونغ. ثم، ارتقى "فرع المقيم العام لكوريا" فى لونغجينغ الى قنصلية عامة يابانية، لها خمسة فروع. ولم يكن الهدف من ذلك كله تأمين الحياة الرغيدة للكوريين المقيمين فى تشينتاو. وفضلا عن جهاز القنصلية، اقامت الامبريالية اليابانية مراكز للشرطة فى مختلف الاماكن واصطنعت عددا لا يحصى من التنظيمات العميلة، مثل

"جمعية الجالية الكورية"، لكى تراقب بصرامة كل تحركات الكوريين وخطواتهم. كما مد فرع شركة الشرق المساهمة للانماء والدوائر المصرفية شبكاتها الى هذه المناطق ايضا. وهكذا خضعت منشوريا الشرقية تماما لسيطرة الامبريالية اليابانية على الصعيدين السياسى والاقتصادى.

وتحولت هذه المنطقة فى نهاية المطاف الى مسرح مجابهة حادة ما بين الثورة والثورة المضادة.

وبالرغم من هذا الوضع، لم تفارقنى لحظة واحدة فكرة وجوب اتخاذ هذه المنطقة الى جانب غابات جبل بايكدو الكثيفة، مركز استناد للنضال المسلح.

فبعد انتفاضة اول آب، لاحظت من عدة نواح ان الامبريالية اليابانية كانت على وشك غزو منشوريا، فعقدت العزم مجددا على شن النضال المسلح فى اسرع وقت ممكن عن طريق جمع شمل ابناء الشعب المتحلين بالروح الثورية العالية فى منشوريا الشرقية. وهكذا توجهت الى تلك المنطقة.

عندما اطلعت رفاقى لاول مرة على آرائى بهذا الشأن، عارضونى قائلين ان ذهابى الى تلك المنطقة التى تنتشر فيها اجهزة قمع الامبريالية اليابانية وشبكات المخابرات كنسيج العنكبوت هو مغامرة شبيهة بالقاء نفسى فى النار وانا احمل الهشيم. غير اننى تقدمت الى منشوريا الشرقية بجرأة، بعد ان حزمت امرى على القيام بالثورة بين العمال والفلاحين.

يمكن القول ان نشاطى حتى ذلك الحين كان يجرى بين الشباب والطلبة فى المدن اساسا. الا ان الارتقاء بالنضال الى مرحلة جديدة ارقى وفق متطلبات الخط الثورى الذى اقره اجتماع كارون، كان يستدعى ان نتوغل نحن بالذات بين العمال والفلاحين وغيرهم من القطاعات الجماهيرية، لاعدادهم بأسرع ما يمكن لمقاومة الامبريالية اليابانية.

وقد ايد الكومنترن ايضا ذهابى الى منشوريا الشرقية.

اتجهت اولا الى تونهوا لان هذه المنطقة تكبدت اكبر قدر من الاضرار فى انتفاضة اول آب. فقد كانت تونهوا مصدر هذه الانتفاضة ومركزها. كما كان فيها مقر وحدة حرس من القوات اليابانية وفرع للقنصلية العامة فى جيلين ومقر الفوج ٦٧٧ من جيش دونغبى القديم. ان قيام انتفاضة اول آب المتهورة فى هذه المنطقة حيث تنتشر قوى القمع المعادية بهذه الكثافة يعزى الى كثرة نشاط المغامرين اليساريين فيها. كانت تونهوا، مثلها مثل بانشى، مقرا لجماعة م . ل ومركزا لحركة اعادة بناء الحزب الشيوعى الكورى. وقد اتخذ مدبرو

انتفاضة اول آب بمن فيهم باك يون ساى وما كون، هم الآخرون، هذه المنطقة بالذات قاعدة لنشاطهم.

كما كانت فيها عدة منظمات ثورية بنيناها بانفسنا، ومن ضمنها منظمات الحزب واتحاد الشباب الشيوعى واتحاد الشباب المناهض للامبريالية، وكان يعمل فيها كذلك رفاق موثوقون، مثل تشين هان جيانغ وكو زاى بونغ وكو ايل بونغ.

فور وصولى الى تونهوا، اقمت فى منزل تشين هان جيانغ وباشرت النشاط لمعالجة نتائج الانتفاضة، وكنت اتجول مرتديا زى شانتونغ الصينى.

ان تشين هان جيانغ الذى كان يدرس فى المدرسة الثانوية حين كنت انظم حلقات اتحاد الشباب الشيوعى فى كل ارجاء جيلين، انتسب ايضا الى منظمتنا فى تونهوا، وكان عضوا متواضعا وهادئا. ولكنه بعد احتلال الامبريالية اليابانية لمنشوريا، نشط كرئيس لسكرتارية القيادة العامة لجيش وو وى تشينغ ثم تولى منصب رئيس هيئة اركان فرقة وقائدا لها وآمر فيلق ناحية فى جيش دونغبى المتحد المناهض لليابان الى ان صار اخيرا امين اللجنة الحزبية فى منشوريا الجنوبية.

كان تشين هان جيانغ ابن اسرة ثرية، مثله مثل تشانغ وى هوا، لكنه شارك فى حياة اتحاد الشباب الشيوعى بمنتهى الاخلاص، وبحماسة استثنائية للثورة. كان ابوه فلاحا ثريا معروفا لديه مئات الخيول وعدة بنادق. وكان يعيش فى منزل مهيب محاط بسور من اللبن. وقد قال لى تشين هان جيانغ مازحا فى احدى المرات ان اسرته تشكل هدفا للتصفية، بيد ان افراد اسرته لا يطأون ارض الآخرين لان منزلهم فى وسط ارضهم الشاسعة. لا اعرف كم كانت مساحة الارض التى تملكها اسرته، لكنها كانت فى الواقع اسرة غنية جدا.

استضافنى تشين هان جيانغ بكرم قائلا اننى المعلم الذى علمه الشيوعية. ولان اسرته كانت تعيش فى وفرة، فانها لم تظهر البخل حتى ولو تناولت الطعام دون مقابل.

وبمساعدة تشين هان جيانغ وكو زاى بونغ، بدأت البحث عن المنظمات المشتتة. ففى النهار، كنت ارتدى الزى الصينى واتكلم اللغة الصينية لاطوف على الرفاق، وفى الليل ارتدى الملابس الكورية واتكلم بلغتنا لاقوم باعادة بناء المنظمات. وبعد ان عالجت نتائج الانتفاضة بشكل اولى، شكلت فى تونهوا لجنة اتحاد الشباب الشيوعى فى منطقة جيدونغ، حسب توصية الكومنترن.

وبعد وقت قصير من ذلك، ارسلت كو زاى بونغ وعددا آخر من اعضاء اتحاد الشباب

الشيوعى الى مدن وقرى حوض نهر دومان بمهمة تثوير الجماهير وبناء المنظمات الحزبية.

غادرت بدورى تونهوا بعد ان كلفت تشين هان جيانغ بالقيام بمهام اتحاد الشباب الشيوعى فى مدرسة تونهوا الثانوية.

كانت هيلونغ اول منطقة ذهبت اليها بعد وصولى الى منشوريا الشرقية.

كان يعيش هناك رفيق صينى يدعى تشاو يا فان وكان قد انتمى الى منظمة اتحاد شبابنا الشيوعى اثناء دراسته فى دار المعلمين بجيلين. وكان هناك ايضا الرفيق الكورى تشاى سو هانغ. فقدرت اننى اذا اعتمدت عليهما استطيع ان اصفى مخلفات الانتفاضة واوسع نطاق المنظمات فى الوقت نفسه.

ذهبت اولا الى دالاجى وقابلت فيها تشاو يا فان.

وقد اخبرنى ان نتائج انتفاضة اول آب كانت خطيرة جدا، وانه لم ير بعد تلك الاحداث احدا من الرفاق الكوريين، ولا يعرف اين اختفوا. ثم اضاف ان عددا من الرفاق قد سجنوا، وسيتم اطلاق سراحهم عما قريب، وعندها يمكننى مقابلتهم.

بعد عدة ايام، جاء تشاى سو هانغ لمقابلتى بعد ان تلقى خبر وصولى. كان قد درس فى مدرسة دونغسينغ الثانوية فى لونغجينغ. وحينما كنت ادرس فى مدرسة يووين الثانوية، جاء تشاى سو هانغ الى جيلين للدراسة فى دار المعلمين، ومنذ ذلك الحين بدأ يتأثر بنا، الى ان انطلق اخيرا الى العمل الثورى. وكان لاعب كرة قدم يتمتع بشعبية كبيرة بين الشباب والطلاب فى جيلين. حينذاك، كان عدد من شباب هيلونغ يتلقون العلم فى جيلين. وقد قام تشاى سو هانغ بالدعاية لافكارنا الثورية وهو يتردد على هيلونغ وزونغسونغ بينما قام كيم زون بالدعاية لنا فى مناطق لونغجينغ واونسونغ. وفيما بعد، شكل تشاى سو هانغ المنظمات الثورية مثل اتحاد الشباب الشيوعى واتحاد الشباب المناهض للامبريالية وجمعية الفلاحين وجمعية النساء المناهضات لليابان وحشد حولها جماهير غفيرة، وذلك بمساعدة الرفيق كيم ايل هوان الذى قتل فيما بعد بغير وجه حق بتهمة الاتصال"بمينسايندان" اثناء عمله كأمين للجنة الحزبية فى المحافظة. كما ان الرفيق باك يونغ سون، صانع قنبلة يونكيل الشهير، عمل ايضا فى اتحاد الشباب المناهض للامبريالية فى منجم باتاوكو بمحافظة آنزى.

الا ان تلك المنظمات التى بنيناها بجهود مضنية، قد تخربت تماما من جراء الانتفاضتين.

كان عدد كبير من عناصر النواة قد اعتقل او تحول الى السرية، وبقى عدد محدود من الاعضاء لا يعرفون ما عليهم عمله وقد سيطر عليهم القلق بسبب افتقارهم الى الحنكة والصقل.

جعلنى هذا الوضع استرسل فى التفكير فى مسألة قناعة الثوريين. فى مجرى الاحداث منذ مغادرتى كارون وحتى وصولى الى هيلونغ عبر جيلين وهايلونغ وتشينغيوان وتشياوهى وهاربين وتونهوا، شاهدت كثيرا من الناس الخائفين او المترددين او ممن فقدوا الثقة بانتصار الثورة امام هجوم الثورة المضادة. ثمة قانون مؤكد بان الايمان الراسخ بانتصار الثورة يظهر ويتوطد من خلال النضال، وهذا لا يتحقق الا عندما يدرك المرء، استنادا الى المبادئ، ان ثمة قوى ثورية ذاتية وخطوطا ثورية صائبة واستراتيجيات وتاكتيكات دقيقة تحظى بتعاطف الناس وتستنهضهم.

غير ان اولئك الذين حرضوا على الانتفاضة لم يطرحوا البرنامج او الاستراتيجيات والتاكتيكات الجديرة بان تتخذها الجماهير كراية لها. ولان الخط الثورى الذى تبنيناه فى كارون لم يكن قد انتشر على نطاق واسع بين الشعب، فقد دعوت الى اجتماع استشارى بحضور بعض كوادر اتحاد الشباب الشيوعى واتحاد الشباب المناهض للامبريالية بمن فيهم تشاى سو هانغ وشرحت لهم ذلك الخط بالتفصيل.

اكدت على ضرورة اجادة بناء النواة القيادية من الرفاق الموثوقين الذين تمرسوا فى بوتقة النضال والاسراع فى انعاش المنظمات الجماهيرية المخربة ومواصلة توسيع صفوفها. وكلفتهم كذلك بمهمة انشاء دوائر المنظمات الثورية فى كل محافظة من محافظات حوض نهر دومان.

وشددت على انه يتوجب علينا معالجة نتائج الانتفاضة بأسرع ما يمكن، وان كان منظمو الانتفاضة قد هربوا متخلين عن الجماهير فى مواجهة الحراب، لخوفهم من السجون والمشانق. وكان الرفاق فى هيلونغ يدعوننى آنذاك "شاب شانتونغ"، لاننى كنت ارتدى زى تلك المنطقة.

كانت وانغتشينغ هى المنطقة الثانية التى عرجت عليها لالتقى بأو زونغ هوا.

لقد كان الرفيقان كيم زون وتشاى سو هانغ هما من حدثنى عن او زونغ هوا. فمنذ ان اخذا يترددان على جيلين، كانا يلتقيان معى، ويحدثاننى عن اشخاص كثيرين، قائلين : يوجد فلان فى مكان كذا ويعمل فلان كذا فى مكان كذا وان هذا الشخص ذكى، وذاك يتمتع بهكذا

مواصفات. ولهذا السبب، كنت اعرف من خلالهما وضع منطقة تشينتاو بوضوح نسبيا وانا فى جيلين.

وفيما انا اصغى بانتباه لما يقولانه، كنت احفظ فى ذهنى اسماء كل اولئك الذين وصفاهم بالذكاء.

ان سلوك والدى الذى ما ان كان يسمع بوجود شخص طيب حتى يذهب للقائه اينما كان ليضع يده فى يده ويتخذه صديقا، علمنى حقيقة ان الكوادر يقررون كل شىء وان نجاح الثورة او اخفاقها رهن بالحصول على قدر كبير من الرفاق الحقيقيين.

كنت لا ابالى فى ذلك الحين بأن اجوع لثلاثة ايام او عشرة ايام من اجل الحصول على رفيق واحد. وهذا ما دفعنى للذهاب الى وانغتشينغ. وقد رافقنى تشاى سو هانغ من هيلونغ حتى شيسيان فى محافظة وانغتشينغ.

وهناك قابلت او زونغ هوا وكذلك او زونغ هوب والعجوز او تاى هى ايضا.

كانت اسرة العجوز او تاى هى كبيرة الى حد يندر معه وجود اسرة فى مثل عددها. لقد عاش العجوز واخوته الثلاثة فى اول الامر فى وادى كوزاك فى قضاء اونسونغ بمحافظة هامكيونغ الشمالية، ثم هاجروا الى ارض وانغتشينغ فى ايام ١٩١٤ تقريبا. وكانت ذريتهم مؤلفة من عشرات الاشخاص، وكانوا جميعهم يقومون بالعمل الثورى وهم يعيشون منتشرين فى وانغتشينغ واونسونغ اللتين يفصل بينهما نهر دومان. فى ذلك الحين، كان او زونغ هوا يعمل امينا للجنة الحزبية فى الدائرة الخامسة من وانغتشينغ، ويعمل او زونغ هوب فى اتحاد الشباب الشيوعى فى ويانجياديان فى تشونهواسيانغ بمحافظة وانغتشينغ نفسها. وكان او زونغ سونغ الاخ الصغير لاو زونغ هوا يؤدى مهامه فى اتحاد الشباب الشيوعى فى شيسيان بمحافظة وانغتشينغ، ثم انتقل الى قرية بونغرى بقضاء اونسونغ فى اوائل عام ١٩٢٩، حيث واصل عمله الثورى وهو يعمل معلما فى مدرسة بومون.

كما اشتغل او زونغ هوا معلما فى مدرسة هواسونغ الخاصة فى هيلونغ بعد تخرجه من المدرسة الثانوية.

وبمناسبة لقائنا فى شيسيان، نبهته عدة مرات الى ان تثقيف الجماهير بالايديولوجية الثورية، يفرض عليه ان يكون هو نفسه ثوريا اولا، ثم العمل بعد ذلك على تثوير افراد اسرته وسكان قريته.

وفيما بعد، قام او زونغ هوا بتثوير افراد اسرته على افضل وجه. فقد استشهد اكثر من عشرة اشخاص من بين اخوته واقربائه فى اثناء نشاطهم كثوريين مخلصين. وليس من باب الصدفة ان يخرج من بينهم شيوعيون رائعون مثل او زونغ هوا واو زونغ سونغ واو زونغ هوب.

فور انتهائى من العمل فى شيسيان، قررت الذهاب الى منطقة اونسونغ. لم تكن لدى معلومات واضحة عن منطقة حواضر الاقضية الستة الواقعة الى الجنوب من نهر دومان نظرا لاننى ولدت فى المنطقة الغربية من كوريا وعشت منذ طفولتى فى ارض الغربة.

كانت هذه المنطقة فى عهد سلالة لى منفى للنبلاء المطرودين من مناصبهم الرسمية. وكانت الحبوب فيها شحيحة والمناخ شديد التقلب، والادهى من ذلك ان زعماء المنطقة كانوا يشددون الاضطهاد والتسلط حتى ان العساكر المكلفين بحراسة الحدود كانوا يسرعون فى الهرب الى اماكن اخرى. كما ان الموظفين دون استثناء كانوا ينفرون من تلك المنطقة عن تعيينهم للعمل فيها. فكانوا يمتنعون عن الذهاب اليها حتى بعد تعيينهم، ويبقون بلا عمل فى سيؤول متذرعين بهذه الحجة او تلك. وكان يقال ان هذه المسألة واجهت الحكام الاقطاعيين واقلقتهم طوال خمسمائة سنة.

وكلما كان كيم زون يحدثنى عن هذه المنطقة، اقول له انه يجب علينا ان نبذل الدماء والعرق لنحول هذه المنطقة الى قلعة حصينة للثورة حتى وان كان اسلافنا قد اهملوها واعتبروها ارضا قاحلة. وبمقتضى هذه الخطة الطموحة، رحت ابعث الناس الى هذه المنطقة.

اما اونسونغ فكانت محلا بدأ كيم زون وتشاى سو هانغ واو زونغ سونغ وغيرهم بالعمل المكثف لارتياده تحت تأثيرنا وذلك منذ اواخر العشرينات. لقد ادركنا فى ذلك الحين اهمية منطقة جبل بايكدو وحواضر الاقضية الستة فى حوض نهر دومان بما فيها اونسونغ فى الارتقاء بالثورة الكورية، ووضعنا خطة لتحويل هذه المنطقة الى مركز استناد استراتيجى للحرب الثورية المناهضة لليابان. كما خططنا لشق طريق جديد للنهوض بالثورة داخل الوطن على النهج الجديد فى هذه المنطقة بالذات. آنذاك، كان يدرس فى لونغجينغ نحو ١٠٠ او ١٥٠ شابا من منطقة اونسونغ، وكلما كانوا يرجعون الى مسقط رأسهم فى العطلة المدرسية كانوا ينفخون هناك رياح جيلين تحت قيادة روادهم، من امثال كيم زون واو زونغ سونغ اللذين كانا على اتصال وثيق بنا. كما انشئت فى اونسونغ فروع اتحاد الشباب

الشيوعى الكورى واتحاد الشباب المناهض للامبريالية لتكون موطئ قدم جيد لتوسيع قوانا الى ارض الوطن. وعبر هذه القناة، انتشرت افكارنا على نطاق واسع فى تلك المناطق.

لقد تقدمت الى منطقة اونسونغ بهدف تأسيس المنظمة الحزبية داخل الوطن، ولكى اتخذ فى الوقت نفسه الاجراءات اللازمة لتجسيد توجهات اجتماع كارون، ومن اجل توسيع وتطوير الثورة الكورية بمجملها.

سبقنا ابن عم او زونغ هوا الذى رافقنا فى شيسيان بالذهاب الى قرية بونغرى حيث كان او زونغ سونغ لنقل خبر وصولنا اليه.

وقد التقينا بالرفيق او زونغ سونغ وغيره من اعضاء المنظمة عند مدخل واد فى قرية هويمودونغ، قبالة ناميانغ بقضاء اونسونغ. وكان تلك هى المرة الاولى التى التقى فيها مع او زونغ سونغ. وقد كان اضخم جسما من اخيه او زونغ هوا، وذا طبع منفتح. وكان او زونغ هوا قد قال لى ان اخاه الصغير يجيد الرقص والغناء والقاء الاشعار.

فى الليل، عبرنا نهر دومان بهدوء فى زورق، حيث قام او زونغ سونغ بالتجذيف بمهارة. وعندما رأيت الجبال والسهول التى يلفها الظلام لم استطع تهدئة خفقان قلبى لعودتى الى ارض الوطن بعد مرور خمس سنوات.

ارسينا الزورق فى ناميانغسانغتان وقلت لاو زونغ هوا: كم ستكون سعادتنا كبيرة اذا ما عبرنا هذا النهر بعد استقلال البلاد.

وافق او زونغ هوا على ذلك وقال انه يشعر بهذا الاحساس نفسه كلما عبر نهر دومان.

اجتزنا قرية ناميانغسانغتان واتخذنا الطريق المؤدى الى ممر جبل ناميانغ حيث يوجد كوخ هيأه لنا او زونغ سونغ مسبقا. دخلنا ذلك الكوخ ودرسنا حالة نشاط المنظمات الثورية فى منطقة اونسونغ وميول الجماهير فيها.

لقد احرز السكان فى اونسونغ نجاحا لا يستهان به فى تشكيل المنظمات الجماهيرية.

عملت خلال اسبوع فى توجيه المنظمات الثورية السرية داخل الوطن. وفى اثناء ذلك، عرفت ان الثوريين فى منطقة اونسونغ سلبيون جدا بخصوص توسيع وتطوير المنظمات، على الرغم من انهم شكلوا عددا كبيرا منها فى اماكن كثيرة.

كان من الظواهر العامة فى هذه المنطقة انهم يشكلون المنظمة من عدد محدود من عناصر النخبة المعروفين، ثم يغلقون الابواب متخلين عن توسيع صفوفها. ولهذا السبب لم تستطع تلك المنظمات مد جذورها عميقا بين الجماهير.

كما ان منظمة اونسونغ لاتحاد الشباب الشيوعى، التى تم تشكيلها فى ربيع عام ١٩٢٩ كمنظمة تابعة لاتحاد الشباب الشيوعى الكورى، لم تستطع التغلغل بين الشعب، لانها رفعت اسوارا حول نفسها مقتصرة على عدد محدود من الاعضاء. وكانت فى وضع من الجمود بحيث انها تقوم بكل ما فى متناول يدها للحيلولة دون تسرب اى رياح مؤذية الى صفوفها، فى الوقت الذى كانت فيه مختلف التنظيمات والزمر الفئوية مثل جمعية زيبانغ او جمعية زينهونغ او جمعية سينكان او جماعة اعادة بناء الحزب تسعى كلها لاجتذاب الشباب الى جانبها.

قال لى احد مسؤولى اتحاد الشباب الشيوعى الذى قابلته فى بونغرى ان الناس لا يقربونه على الاطلاق مع اشتداد مؤامرات الاعداء، واشتكى آخر من انه لا يعرف كيف يعامل اولئك الشباب الذين لهم صلة باتحاد الشباب او جمعية سينكان. حتى ان زون زانغ وون الذى كان مسؤولا عن جمعية الفلاحين فى قرية بونغئين لم يفتح قلبه لاقربائه المقربين الذين يخدمون فى اجهزة العدو، وكان يشحذ اعصابه خائفا من ان تصل مخالب الاعداء الى الصفوف الثورية من خلالهم وذلك لان بين اقربائه عددا غير قليل ممن يخدمون كعمد قرى ونواح وشرطيين.

كان هذا كله تعبيرا عن حالة عدم الثقة بالجماهير.

وبدون القضاء على هذه الظواهر، كان من المحال تعميق الثورة وتطويرها فى منطقة اونسونغ بما يتفق ومتطلبات الوضع الجديد.

يمكن القول ان حياة الثورى تبدأ بدخوله الى اعماق الجماهير الشعبية وان اخفاق الثورة ينشأ من عدم الثقة بقوى جماهير الشعب ورفض التوغل فى اوساطها.

اوصيت او زونغ سونغ قائلا:

"لا يمكن صنع الثورة بالاعتماد على بضعة انفار من ذوى المنشأ الطيب. يجب امتلاك الجرأة على الثقة بالجماهير وفتح باب المنظمة على مصراعيه امامها. فكلما ازدادت محاولات المنظمات الشبابية ذات الاسماء المتنوعة فى اجتذاب الشباب الى جانبها، يتوجب على اتحاد الشباب الشيوعى ان يبذل جهودا اكبر ويشن الهجوم لاكتساب اعداد اكبر من الشباب بدلا من الوقوع فى السلبية. كما يتوجب ايقاظ الشباب الذين لهم صلة باتحاد الشباب او جمعية سينكان واولئك الذين يتبعون عناصر من جماعة اعادة بناء الحزب او يستخدمون من قبلهم عن غير وعى وقيادتهم الى السبيل السوى حتى يمكن كسبهم الى جانبنا اكثر

فاكثر"...

وقد تحدثت ايضا الى الرفيق زون زانغ وون عن المبادئ التاكتيكية للعمل مع الذين يخدمون فى اجهزة العدو.

لا يجوز للثورى ان يرتعب او ييأس بسبب وجود عمد القرى او النواحى او الشرطة بين اقربائه. بل على العكس تماما، عليك ان تدخل، من خلالهم، الى اجهزة الهيمنة المعادية لكى تشل الاجهزة الدنيا منها، والمبادرة الى العمل بطموح. فمن اجل تحويل منطقة حواضر الاقضية الستة بما فيها اونسونغ الى مركز استراتيجى للنضال المسلح، لا بد من الجرأة فى اكتساب هؤلاء الذين يخدمون فى اجهزة حكم العدو فى آن واحد مع تثوير الجماهير. وانصحك بمراكمة الخبرة فى العمل من اجل اكتساب اولئك الذين يخدمون فى اجهزة العدو...

ان ما لا انساه على الاطلاق حين ذهبت الى اونسونغ هو ما حدث عندما قابلت عمالا مع الرفاق كيم زون واو زونغ هوا واو زونغ سونغ فى موقع مد خط وولبادونغ الحديدى فى ناحية ميبو.

منذ اوائل عام ١٩٢٩، اخذت الامبريالية اليابانية تسرع فى مد خط حديدى على امتداد نهر دومان. فتجمع اكثر من الف عامل من المنطقة الجنوبية وغيرها من مناطق البلاد وتشينتاو وشكلوا حيا سكنيا مكتظا فى قرية وولبا دعى باسم شارع كايبونغ. كما توافد اولئك الذين عملوا فى بناء الخط الحديدى بين جيلين وهويريونغ للاقامة فى الحى نفسه، حيث بدؤوا يعملون بمشقة ليكسبوا اى اجر.

بعد ان سمعت ذلك الخبر وانا فى جيلين، نبهت كيم زون الى ضرورة توجهه الى العمال لتشكيل منظمة بينهم اذا كان ما بلغنى عن مشروع الخط الحديدى فى قرية وولبا صحيحا.

لم يخف الرفيق كيم زون ايضا اهتمامه مشيرا الى انه عمل جدير بالمحاولة. وفيما بعد، ذهب الى اونسونغ تنفيذا لوعده، ونظم فى قرية وولبا جمعية الشبيبة العمالية واتحاد الشباب المناهض للامبريالية.

عندما قلت لرفاقى فى اونسونغ اننى سأذهب الى موقع مشروع الخط الحديدى، طلبوا منى التخلى عن تلك الفكرة لان مراقبة العدو فيه صارمة.

وكانت تتسلط على عقول الرفاق فى تلك المناسبة فكرة تأمين حمايتى قائلين اننى مبعوث الكومنترن.

وقد تصرف الرفاق على هذا النحو لان ملاحقة الشرطة اليابانية وتضييقها على الثوريين كان على اشده فى الوطن.

وكنت قد ادركت بالطبع انه لا بد من التزام الحذر والتحلى بأعلى درجات اليقظة داخل كوريا. ولكننى مع ذلك كنت ارغب فى ان امسك ايدى العمال واقول لهم ولو كلمة واحدة يستمدون منها قوة حتى ولو كنت لا استطيع انجاز عمل كبير بينهم فى الحال.

فاذا كنت قد عملت مع الطلبة والشباب وحدهم حتى ذلك الحين، فانما فعلت ذلك بهدف شق قناة للدخول الى اوساط الطبقة العاملة. كان هدفنا النهائى هو تعبئة الطبقة العاملة للانطلاق بالثورة الكورية وانجازها.

فكم كنا نتشوق الى الطبقة العاملة الكورية، منذ ذلك اليوم الذى طرحنا فيه تحريرها كبرنامج لنا وصممنا على ان نقدم حياتنا دون تردد من اجل تحقيقه ؟

لقد قمت بالعمل مع العمال فى موقع المشروع خلال يوم ونصف اليوم، فشاركتهم فى تفريغ الحصى ونقل الرمل كما تناولت الطعام معهم فى "هامبا" (مسكن العمال الجماعى.(

قدمنى كيم زون الى العمال قائلا اننى زميله وادرس فى آنزى، وقد جئت للعمل والحصول على بعض المال لنفقات دراستى.

ما زلت اعتقد ان نزولى الى اوساط العمال فى ذلك الحين كان نافعا ومجديا للغاية. ان ما شاهدته فى "هامبا" وفى موقع المشروع لم يقتصر على الصور المأساوية للعمال الذين يسعون بيأس لكسب اجر ضئيل، بل اكتشفت هناك ايضا ملامح الظامئين الى الكفاح والباحثين عن الدرب السديد لحماية مصيرهم وصياغة مستقبلهم.

وقد احدثت هذه الحقيقة فى نفسى هيجانا عظيما. كان قلبى يتقد بالرغبة فى تكريس كيانى كله من اجل سعادة الطبقة العاملة.

وخلال وجودى فى الموقع، تعرفت على الرفيقين تشاى تشون كوك وتشاى بونغ سونغ المناضلين المناهضين لليابان المنحدرين من اونسونغ.

قال لى تشاى تشون كوك وهو يدلنى على المسكن انه يشتغل كعامل تفجير فى المشروع، وانه دأب على اخفاء كميات من البارود سرا اثناء عمله لكى يفجر نفق القطار فى يوم تدشين الخط الحديدى.

بعد ان استمعت اليه، قلت له ان اكثر الامور الحاحا فى ظل الوضع السائد آنذاك هو بناء المنظمة الوطيدة وتوعية العمال وتنظيمهم، بدلا من الاقدام على مغامرة تفجير النفق،

وطلبت منه ان يحتفظ بتلك المتفجرات لكى نستخدمها بفعالية فى مرحلة النضال المسلح المقبلة.

لقد كرست فى تلك المناسبة ساعات طويلة للبقاء بين العمال والتحدث اليهم. فشرحت لهم دون مواربة مسألة النضال المسلح ومسألة تأسيس الحزب ومسألة الجبهة المتحدة الوطنية المناهضة لليابان. ان مجرد غرس روح اجتماع كارون بوضوح فى اذهان العمال فى الوطن كان يعنى نجاحا عظيما. لان نقلنا تلك الروح الى شخص واحد سيؤدى دون شك الى نقلها من خلاله الى عشرة اشخاص، ومن خلال مئة او الف شخص ستنتقل الى اسماع عشرات الآلاف، وستغدو افكارنا فى نهاية المطاف معتقدا وراية للشعب بأسره فى الوطن.

عندما ادرك العمال فى موقع المشروع خطنا، ايدوه بنشاط.

وعندما اقتنعوا بخطنا، بدت على وجوههم امارات السعادة الغامرة وهم يتبنونها، مما عزز ايمانى وثقتى ايضا.

كان اكبر نجاح احرزناه فى اونسونغ هو تشكيلنا منظمة حزبية على قمة دورو فى الاول من تشرين الاول عام ١٩٣٠.

فى اثناء توجيهى للمنظمات الثورية فى اونسونغ، لاحظت ان اعضاءها يرتكبون بعض الاخطاء فى فهم المسائل الاستراتيجية ويبدون سلبيين فى عملهم مع الجماهير، ولكننى لاحظت فى الوقت نفسه ان تصميمهم على النضال ومستوى استعدادهم اكبر بكثير مما توقعت، وتوصلت الى الاستنتاج بان الاسس الجديرة بانشاء المنظمة الحزبية فى منطقة اونسونغ قد ارسيت تماما .

جميع الثوريين الذين جاؤوا لحضور الاجتماع كانوا يرتدون ملابس الحطابين. بل ان زون زانغ وون طلب من مسؤول المنظمة فى قرية وولبا ان يحضر مزلقة يجرها ثور قرب مكان الاجتماع.

بدأنا الاجتماع لتشكيل المنظمة الحزبية فى مكان هادئ على قمة دورو الى جوار نهر وولبا.

نقلت الى المشتركين فى الاجتماع اولا الخط الذى تم اقراره فى كارون، وبعد ان اوضحت ان المهمة الاولوية لنقل ذلك الخط الى حيز الممارسة هى بناء الحزب الثوري، شرحت اسباب انشاء منظمة حزبية من نمط جديد فى منطقة اونسونغ. وطرحت كذلك واجباتها المتمثلة فى توسيع صفوفها وتوطيدها بضم خيرة العناصر واكثرها تقدما ممن

تمرسوا فى الحياة التنظيمية والممارسة العملية، وتنظيم الجماهير وتعبئتها للنضال المناهض لليابان.

وباقتراح منى، قبل فى عضوية المنظمة الحزبية كل من الرفاق او زونغ سونغ، زون زانغ وون، زون تشانغ ريونغ، تشاى تشون كوك، تشاى بونغ سونغ وتشاى كون زو. وانتخب او زونغ سونغ مسؤولا لهذه المنظمة.

نهض اولئك الرفاق الذين نالوا شرف عضوية الحزب واحدا بعد آخر وعرضوا ماضيهم واعربوا عن تصميمهم على النضال بكلمات مقتضبة.

لقد نسيت كل ما قالوه فى مداخلاتهم تقريبا، الا ان ما قاله زون زانغ وون ما زال حيا فى ذاكرتى. فبعد ان اشار الى انه لن ينسى حتى مماته قبول شخص مثله فى الحزب، وهو ذو المنشأ العائلى المعقد، اكد انه مصمم على تقديم عظام جسده ولحمه، ونذر قلبه نفسه للثورة اذا اقتضى الامر. واستطرد قائلا انه اذا ما تحول الى انسان دنىء يخون هذا العهد، فانه من الافضل ان يأتى احد ويمزق جسده ويلقى به فى ساقية. على الرغم من تواضع هذه الكلمات، الا انها كانت مثيرة ومعبرة عن اخلاصه.

فيما بعد، انجز زون زانغ وون العهد الذى قطعه على نفسه، وحقق بجدارة كبيرة العمل على تحويل اونسونغ الى شبه منطقة لحرب العصابات ومساعدة الجيش الثورى الشعبى الكورى.

ومن اجل ضمان الاسرار، لم نسجل اى محضر حول المواضيع التى تمت مناقشتها فى الاجتماع. ولم نصدر كذلك اى اعلان عن تأسيس المنظمة ولم نترك شيئا مكتوبا حول اهدافها.

اشار سكان اونسونغ الذين حضروا هذا الاجتماع فى انطباعاتهم الى انهم شعروا بشىء من الاسى لان ذلك الاجتماع التاريخى لانشاء المنظمة الحزبية كان بسيطا ومتواضعا، وبدا لهم فاترا ومملا لانه اختتم بالاستماع الى مداخلات عهد وتصميم مقتضبة، بينما منظمات القصابين، مثل جمعية هيونغبيونغ تصدر نشرة تعلن فيها اهدافها امام العالم.

شجعتهم بالقول: ان العهد الذى قطعتموه على انفسكم قبل لحظة هو اشد فعالية من مئات صفحات الاعلان او شروحات الاهداف، وما اهمية المزيد والمزيد من الوثائق؟ ولا يجوز لكم ان تقيموا المنظمة الحزبية باعلان وجودها ونشر اسمها؛ ان اعضاء الحزب الحقيقيين يؤدون كثيرا من العمل دون شهرة، فعليكم ان تثبتوا جدارتكم الحزبية والوطنية فى خضم

النضال العملى.

لقد كان تشكيل المنظمة الحزبية فى منطقة اونسونغ بمثابة تمهيد لارساء اسس بناء الحزب فى الوطن ونقطة تحول هامة فى دفع ابناء الشعب الى النضال المناهض لليابان. وبفضل نشاطات هذه المنظمة، شهدت توعية الجماهير وجمع شملها فى منطقة حواضر الاقضية الستة تقدما سريعا وحقق النضال المناهض لليابان فيها نهوضا اكبر.

ولان الجماهير اخذت تسير وراءنا وبدأت الثورة تنهض بطريقة جديدة ، هرب تشاى تشانغ ايك الى سيؤول مغادرا مسقط رأسه حيث كان يسعى هناك لتوسيع قوى زمرته. وقد صارحنا هو نفسه بعد التحرر بما حدث فى ذلك الحين قائلا : ان اونسونغ هى مسقط رأسى. وقد ذهبت اليها معتقدا بان جماعة م . ل تعمل فيها. لكنى حين وصلتها، اكتشفت ان رياح جيلين وحدها هى التى تسودها، والحقيقة ان تلك الرياح هبت بشدة حتى اجتحتم ايها الرفيق كيم إيل سونغ ورفاقكم كل ارجاء اونسونغ. لقد كنت اظن ان الرفيق كيم إيل سونغ رجل متقدم فى السن، لكن الناس قالوا انه شاب مقدام وقوى الارادة لم يتجاوز العشرين من عمره. لذا، تخليت عن فكرة زيارتكم.

غادر تشاى تشانغ ايك اونسونغ الى سيؤول لانه كان يعرف اننا لا نحب الفئوية ولا نتعامل مع الفئويين من امثاله.

بعد تشكيل المنظمة الحزبية، وجهت فى المكان نفسه اجتماع العاملين السريين ومسؤولى المنظمات الثورية السرية فى حواضر الاقضية الستة وغيرها من المناطق، ثم عدنا ادراجنا. عبرت نهر دومان فى زورق عن طريق معبر اوزونغ، وشعرت بطمأنينة اكبر بكثير فى روحى بالمقارنة مع مشاعرى عند الوصول. فسير العمل حسب ما اشتهيت بعث السعادة فى نفسى بشكل وددت معه ان احلق فى السماء. لقد كان ذهابى الى الوطن والمغامرة باجتياز خط الموت مثمرا جدا.

كان الاسبوع الذى قضيته فى الوطن مناسبة هامة للتأكد من ان خطنا الثورى الذى تبنيناه فى كارون هو خط صحيح ومقبول من الجميع. واستطيع القول ان شعبنا فى الوطن قد وافق على ذلك الخط.

منذ ذلك الحين، شاطرنا سكان اونسونغ المصير دائما.

بعد ان عبرت نهر دومان بسلام، وصلت برفقة الدليل او زونغ هوا الى تشاويانغتشوان بمحافظة آنزى عبر ليانغشويتشوانجى وتشانغدونغ. وكانت تشاويانغتشوان ومثلها لونغجينغ

اكثر مكان مارسنا فيه تأثيرنا فى منطقة آنزى.

كان يعمل هناك الرفيقان ما دوك هان ورا ايل عضوا سكرتارية الحزب واتحاد الشباب الشيوعى فى منطقة جيانداو. كما ان الرفيق ريم تشون تشو الذى سيصبح فيما بعد عضو اللجنة الحزبية للجيش الثورى الشعبى الكورى، كان يمارس النشاطات الثورية هناك، معلقا على مدخل بيته لوحة باسم "ريم تشون بونغ، طبيب صيدلية بونغتشوندانغ". وقبل مجيئه الى آنزى، كان قد اعتقل بسبب حادثة طلابية. وبينما هو يعمل كمتخصص فى طب كوريو التقليدى، كان ينفذ مهام الاتصالات ما بين السكرتارية المذكورة والمحافظات.

قابلت ريم تشون تشو لاول مرة فى تشاويانغتشوان، فترك لدى انطباعا عميقا لانه قد اتقن الطب التقليدى وهو ما زال شابا. وقد استفاد رجال جيش حرب العصابات كثيرا من خبراته تلك فى الطب التقليدى طوال فترة النضال المسلح المناهض لليابان.

انزلت انتفاضة ٣٠ ايار وانتفاضة اول آب اضرارا جسيمة بالمنظمات الثورية فى آنزى ايضا. فكان ارهاب العدو فيها اشد مما هو فى تونهوا. وكان الثوريون منطوين على انفسهم ومترددين، بينما كانت الجماهير غير الواعية تصرخ قائلة ان "كل شىء قد انتهى بسبب الحزب الشيوعى."

فقابلت الكوادر القياديين للمنظمات الحزبية واتحاد الشباب الشيوعى بمن فيهم الرفاق ما دوك هان ورا ايل وريم تشون تشو، وتناقشت معهم حول الاسراع فى معالجة عواقب مؤامرات المغامرين اليسارية وتوسيع النضال الثورى وتكثيفه.

واذا كنت قد عرجت على تشاويانغتشوان عبر ليانغشويتشوانجى دون الذهاب رأسا الى ووتشازى بعد مغادرة اونسونغ، فلاننى كنت احدس ان هذه المنطقة ستغدو ساحة نضالنا المسلح فيما بعد. يمكن القول اننى انهيت بذلك العمل لارساء القاعدة الجماهيرية فى اونسونغ وانغتشينغ وآنزى من اجل النضال المسلح الذى سنبدأه عما قريب.

ومثلما توقعنا، فقد اصبحت هذه المناطق فيما بعد القاعدة المأمونة للحرب المناهضة لليابان.

٩ـ التحويل الثورى لـ "القرية المثالية"

ذات وقت، استحوذت على الاستقلاليين فى بلادنا فكرة بناء "القرية المثالية"، وسعوا الى تطبيقها عمليا من نواح مختلفة.

عندما نقول "قرية مثالية" نتصور جميعا قرية يعيش فيها الناس احرارا وسعداء دون استغلال او اضطهاد او تفاوت. وقد راودت احلام اليوطوبيا هذه امتنا منذ قديم الزمان.

ويمكن القول ان مشروع القوميين لبناء "القرية المثالية" هو انعكاس لتطلعات اسلافنا ورغباتهم فى ان يعيشوا جميعا فى رغد والفة وسلام.

كان آن تشانغ هو من ابرز انصار المشروع، وقد طرحه اثناء مناظرة مع لى دونغ هوى وسين تشاى هو وليو دونغ يول وغيرهم عند اجتماعهم فى تشنغدو بالصين بعيد اعلان معاهدة "ضم كوريا الى اليابان". وبعد مناقشة مستفيضة، قرر قادة حركة الاستقلال ان يشتروا اراضى من شركة دادونغ الاقتصادية التى يديرها الامريكيون فى محافظة ميشان وان يستصلحوا قسما منها ويقيموا فى القسم الآخر مدرسة عسكرية لتأهيل كوادر جيش الاستقلال. وكانوا يخططون للحصول على الاموال واعداد الكوادر فى تلك "القرية المثالية"، وارساء الاسس المادية والبشرية والمالية لحركة الاستقلال.

وحتى بعد اخفاق هذه الخطة، بذل آن تشانغ هو جهودا جبارة لعدة سنوات من اجل جمع الاموال اللازمة لبناء "القرية المثالية" والبحث عن بقعة مناسبة من الارض. وكان سلوكه ذاك نابعا من اعتقاده بضرورة وجود قاعدة لحركة الاستقلال تدعم ماديا "نظرية انماء القدرة" التى تقدم بها.

يبدو لى ان محاولة بناء "القرى المثالية" كانت نزعة من نزعات حركة الاستقلال حينذاك. فقد حاول عدد كبير من القوميين تحقيق احلامهم الساذجة فى انماء القوة ببناء المزارع عن طريق استصلاح الاراضى البور واقامة المدارس العسكرية.

وقد ظهرت الدساكر الريفية فى لياوهى ايضا الى حيز الوجود بتأثير هذه النزعة.

ان القوميين الذين كانوا يقومون بالنشاط فى منطقة منشوريا الجنوبية هم الذين بادروا الى

بناء تلك الدساكر اولا. كان بعض القوميين فى منشوريا الجنوبية من امثال سونغ سوك دام، بيون داى وو (بيون تشانغ كون)، كيم هاى سان، كواك سانغ ها ومون سانغ موك قد استقروا على شاطئ نهر لياوهى اثناء تشردهم نحو الغرب. وقد نقلوا ما يربو على ثلاثمائة اسرة من مواطنيهم وراحوا يبنون قرية مثالية للكوريين مديرين ظهرهم للعالم الخارجى. وقد اطلقوا على المكان اسم ووتشازى لان اول من استقر فيه هى اسر الاشخاص الخمسة الذين ذكرناهم اعلاه.

آنذاك، كان بين زملائى فى مدرسة وينغيانغ الثانوية فى جيلين بضعة شباب جاؤوا من منطقتى غويوشو ووتشازى، وكانوا يكثرون من الحديث عن محاسن ووتشازى.

وهكذا بدأ اهتمامى بووتشازى، وعقدت العزم على تحويلها الى منطقة ثورية.

وفى تشرين الاول من عام ١٩٣٠، وصلت الى ووتشازى قادما من منشوريا الشرقية. فكرت اصلا بالدعوة الى اجتماع واسع يخصص للاعداد للنضال المسلح فى منشوريا الشرقية، ولكن على ضوء الوضع السائد، رأيت ان تلك المنطقة غير مناسبة لعقد الاجتماع واخترت ووتشازى لعقده فيها. وقد قررت الاقامة فيها لعدة اشهر للتحضير للاجتماع، وللعمل فى الوقت ذاته على تثوير قروييها. عندما وصلت اليها وجدت فعلا ان العادات الطيبة تسود بين سكانها السمحين، مثلما كنت قد سمعت من قبل.

كانت تلك المنطقة تتعرض لرياح شديدة، ولهذا لم يكن بالامكان بناء السقوف من القرميد، بل كان لا بد من بنائها من اللبن. فتغطية السقف بطبقة من الطين الممزوج بالملح يحول دون تسرب ماء المطر. كما بنى السكان بذلك اللبن اسوارا حسنة الترتيب حول بيوتهم، وكانوا يصنعون اللبن بالطريقة التالية: يدقون الطين اولا بمدقات خشبية الى ان يتصلب كالحجارة، ثم يقطعونه فى كتل متساوية ومنتظمة. وكان الفلاحون يقولون بزهو انه لا يمكن للرصاص اختراق ذلك اللبن.

لم يسمح مؤسسو ووتشازى على الاطلاق بتسرب اى تيار فكرى غريب يتناقض مع مثلهم ومعتقداتهم الى القرية.

وكانوا قد استصلحوا المستنقعات وحولوها الى حقول ارز واقاموا مدرسة فى القرية بجهود الفلاحين المشتركة. كما شكلوا منظمات جماهيرية مثل جمعية صداقة الفلاحين وجمعية الشباب وجمعية صداقة التلاميذ الاطفال وانشأوا جهازا للحكم الذاتى اطلقوا عليه المجلس البلدى. وفى يوم ٢٩ آب من كل عام، وهو ذكرى اعلان "ضم كوريا الى اليابان"

كانوا يجمعون سكان القرية ويجعلونهم يغنون "نشيد يوم دمار الوطن". ليس من المستغرب على الاطلاق ان يعتبر سكان ووتشازى محلهم الذى لم تصل اليه مخالب الجيش والشرطة اليابانيين وامراء الحرب الرجعيين الصينيين على انه "الجنة."

وكان معظم سكان ووتشازى ينحدرون من محافظتى بيونغآن وكيونغسانغ. وكان القادمون من محافظة كيونغسانغ واقعين تحت تأثير بعض اعضاء جماعة م . ل، المنضوين الى الاتحاد العام للشبيبة فى منشوريا الجنوبية فيما كان القادمون من محافظة بيونغآن يخضعون لتأثير مجموعة زونغوى اساسا.

وعلى اعتبار اننى انحدر من محافظة بيونغآن، فغالبا ما كنت امكث فى بيوت القادمين من محافظة كيونغسانغ عندما اذهب الى ووتشازى، وهو ما فعلته فى كارون ايضا. ولو لم افعل ذلك لنظر هؤلاء الى تصرفى باستياء.

كنا قد بعثنا من كارون عددا من رجال الجيش الثورى الكورى الى ووتشازى للعمل السرى، لكنهم لم يبدوا فيها جدارتهم تماما. ذلك لانهم لم ينجحوا فى اقناع اصحاب النفوذ العنيدين الذين يتمتعون بتأييد ثابت من اهالى القرية.

فذهبت الى القرية بوساطة رفاقى وقضيت فيها شتاء ذلك العام. ولاننا اولينا اهمية كبيرة لووتشازى فقد مكثت فيها عدة اشهر.

لقد اعتبرنا ووتشازى المعقل الاخير للقوى القومية فى المنطقة الوسطى من منشوريا. فاذا ما اجدنا العمل فيها، يمكننا ان نحولها الى نموذج لتثوير الريف، ويمكننا استنادا الى هذه التجربة ان نضع القرى فى كل ارجاء منشوريا والمناطق الحدودية الشمالية من كوريا تحت تأثيرنا.

لقد اعتبرنا العمال والفلاحين والمثقفين العاملين قوة محركة رئيسية للثورة، وكرسنا جهودنا بشكل خاص فى تثوير الفلاحين وذلك نظرا الى المكانة التى يحتلونها فى التركيبة الطبقية فى بلادنا. فالفلاحون يشكلون اكثر من ثمانين بالمائة من السكان. وكان الامر نفسه ينطبق على منطقة تشينتاو ايضا. اذ كان اكثر من ثمانين بالمائة من سكانها من الكوريين وكان تسعون بالمائة منهم تقريبا من الفلاحين. كان هؤلاء الفلاحون يعيشون فى فقر مدقع وحرمان من الحقوق بسبب اضطهاد امراء الحرب واساليب السلب القاسية من جانب الملاكين العقاريين والمرابين، كما كانوا يرزحون تحت وطأة الاستغلال فى استئجار الارض واشكال الاستغلال غير الاقتصادية كتلك التى كانت تطبق على الاقنان او العبيد.

وكانـت حالـة الفلاحـين فـى ارض الـوطن ايضـا مماثلـة. وهـذا بـرهن علـى ان جمـاهير الفلاحين الى جانب الطبقة العاملة، هم اصحاب المصلحة الحيوية فى الثورة وعليهم بالتـالى ان يشكلوا قوتها الرئيسية.

كـان تثـوير الريـف هـو اهـم حلقـة ينبغـى حلهـا اولا لارسـاء القاعـدة الجماهيريـة للنضـال المسلح المناهض لليابان.

عندما كانـت تتصـاعد بسـرعة حماسـة الشـباب العارمـة للسـير نحـو اهـدافنا نتيجـة نشـاط مبعوثينا السريين، راح اصحاب النفوذ فى ووتشازى يتوعدون وهم يلوحون بـالغلاييين بانـهم سيكسرون عظام كل من سيحاول ادخال الاشتراكية الـى سـهل ليـاوهى، ويبـدون اسـفهم لان الافكار غير المرغوب فيها تتسرب الى اذهـان الشـباب. وقـال بعضـهم ان تشـينتاو قـد منيـت بالدمار بسبب الحزب الشيوعى واذا ما هبت تلك الرياح المجنونة فـى ووتشـازى فـان ريـف ليـاوهى لن يبقى سليما.

ولو عملنا دون ترو، لكنا تعرضنا للضرب بتلك الغلاييين.

لقد ظهر بعض التردد بين الشباب. فقد كان عليهم ان يتقدموا على انغام مارش الشيوعية، لكنهم ترددوا خائفين من ان ينظر الشيوخ اليهم باستياء. امـا الشـباب الراسـخون فقـد تصـدوا للمتنفذين.

بعد ان تلقيت تقريرا من المبعوثين السريين، قـدرت ان اول شـرط لتثـوير ووتشـازى هـو القيـام بعمـل فعـال مـع المتنفـذين. فـدون تغييـر ذهنيـتهم، كـان مـن المتعـذر علينـا ان ننتشـل ووتشـازى مـن حلمهـم الطـائش فـى بنـاء "القريـة المثاليـة"، كمـا لـم يكـن بوسـعنا ان نحقـق مشروعنا فى تحويل ريف لياوهى الـى ريـف نمـوذجى فـى المنطقـة الوسـطى مـن منشـوريا. فاذا ما استطعنا اجتذاب المتنفذين الى جانبنا، فاننا لن نواجه اى مشكلة مع الآخرين.

غير ان مبعوثينا السريين لم يفعلوا خلال ثلاثة اشهر سوى الطواف حولهم خلسـة دون ان يقتربوا منـهم لان اولئك المتنفذين كانوا مرهوبين جدا. ان مـن يمتلكـون مهـارات عاديـة لا يسـتطيعون مجـرد التحدث معهم، لان اولئك الشـيوخ كـانوا يملكـون المعـارف والنظريـات، فضلا عن مشاركتهم سابقا فى حركة الاستقلال. وكانـت جماعـة هـؤلاء الشـيوخ تـتحكم بكـل الامور فى القرية.

ومـن كـان يـدير المجلـس البلـدى مـن وراء الكـواليس ويتـولى تصـريف شـؤون الاهـالى الكبيرة والصغيرة هو الشيخ بيون داى وو. وكـان هـذا الشـيخ يـتحكم كـذلك بجماعـة المتنفـذين

باعتباره صاحب السلطة الفعلية فى القرية. وقد اطلق عليه اسم الشيخ "بيون تروتسكى". لانه كان يكثر من الحديث عن تروتسكى.

لقد شارك الشيخ بيون منذ وقت مبكر فى حركة الاستقلال، وجاب مختلف ارجاء ارض الوطن ومنشوريا. وقد قام فى اول الامر بنشاطات تعليمية، فأنشأ المدارس فى مسقط رأسه هانتشون (محافظة بيونغآن الجنوبية) وفى زاسونغ وداوتشينغكو (محافظة رينتشيانغ) وفى اماكن اخرى. وفى عام ١٩١٨ انضم الى وحدة جيش الاستقلال التى كانت ترابط فى قاعدة جبل ماويرشان فى رينتشيانغ، وكان يتردد حينذاك بكثرة على بيتنا فى رينتشيانغ للقاء مع والدى. وعندما لم يكن يستطيع المجىء بنفسه، كان خالى كانغ جين سوك يقوم بدور المراسل بينه وبين والدى.

لقد شغل الشيخ بيون مناصب رئيس قسم الدعاية فى جماعة استقلال كوريا، ونائب رئيس جيش الاستقلال الوطنى، ثم رئيس قسم الانضباط العسكرى فى جيش استعادة الوطن وآمر الكتيبة الاولى فى الوقت نفسه ثم عمل رئيسا للقسم الاقتصادى فى مجموعة تونغوى(١٥) وعمل باندفاع لتعزيز جيش الاستقلال، الى ان اعتزل كل تلك المناصب منذ عام ١٩٢٦ وانهمك فى بناء "القرية المثالية."

وذات وقت، عمل هذا الشيخ فى الحركة الشيوعية، وتردد بكثرة على منطقة الشرق الاقصى من الاتحاد السوفييتى. وكانت لديه بطاقة عضوية ذات غلاف اخضر من حزب كوريو الشيوعى الذى انتمى اليه.

وبدون اجتذاب الشيخ بيون داى وو، كان من المستحيل اجتذاب جماعة المتنفذين العنيدين وتثوير القرية.

عند تلقيه خبر وصولى الى ووتشازى، جاء بيون دال هوان، ابن ذلك الشيخ، لمقابلتى وكان يتولى مسؤولية جمعية صداقة الفلاحين. وقال لى انه يريد الابتعاد عن القوميين وتحويل ووتشازى من "قرية مثالية" الى قرية ثورية، لكنه لا يستطيع ان يعمل شيئا بسبب متنفذى القرية وعلى رأسهم ابوه. واقترح على بمناسبة مجيئى الى القرية ان نعمل على هزيمة الشيوخ العنيدين وغير الصالحين.

فسألته مذهولا:

"أتقول هزيمتهم؟ ماذا تعنى بهذا؟"

وكان جوابه اكثر ظرافة:

"فلننشئ منظماتنا الخاصة بغض النظر عن رأى هؤلاء الشيوخ، وهكذا نحول ووتشازى الى قرية اشتراكية بعيدا عنهم".

"هذا غير جائز، لانه سيقسم ووتشازى الى شطرين، وهو ما لا يتفق مع خطنا".

"ماذا نفعل اذن؟ لا نستطيع على كل حال ان نترك ووتشازى تحت تصرف هؤلاء الشيوخ المتخلفين".

"مهمتنا هى جعلهم يؤيدوننا. بودى ان اقوم بالعمل مع ابيك، فما هو رأيك فى ذلك؟"

فأكد بيون دال هوان اننا لن نتوصل الى اى نتيجة مهما كان الشخص الذى سيتحدث اليه. واضاف قائلا ان شخصيات من مجموعة كوكمين ومن حكومة شنغهاى المؤقتة ولجنة اعادة بناء الحزب الشيوعى التى تشرف عليها جماعة م . ل قد جاؤوا اليه بهدف الاستقرار فى ووتشازى، ولكنهم اضطروا الى ان يعودوا ادراجهم بسبب فتور معاملة ابيه لهم ورفضه مقابلة الناس العاديين، وحتى انه اذا جاء لمقابلته زعماء القوميين المهمين كان يصرفهم بعد توجيه التوبيخ اليهم.

فسألته : "ألست فى وضع افضل بحكم الصداقة التى كانت تربط والدك بوالدى، وبحكم تعارفنا انت وانا ايضا؟"

عندئذ ابدى بيون دال هوان ارتيابه فى الامر قائلا ان علاقات الصداقة لا تجدى نفعا امام شخص عنيد كالجدار. وكان بيون دال هوان نفسه قد جاء الى رينتشيانغ برسالة من الشيخ بيون الى والدى قبل عشر سنوات.

تحدثت مع الشيخ "بيون تروتسكى" لعدة ايام فى بيت بيون دال هوان حيث كان متنفذو القرية يجتمعون بكثرة.

فى اليوم الاول، كان المتحدث الاساسى هو الشيخ بيون داى وو، الذى كان يجلس متقاطع الساقين وهو يطرق غليونه بغطرسة. لقد عاملنى كما لو كنت ولدا صغيرا رغم قوله لى انه مسرور جدا بمقابلة ابن السيد كيم. والقى على المواعظ وهو ينادينى"انتم"،"انتم" بين كلمة واخرى. لقد جعلنى احس بوقاره وهيبته منذ البداية بمظهره الوسيم وتقاطيعه الحادة ومستواه النظرى الرفيع.

لذا، عندما سألنى الشيخ بيون عن عمرى، اجبت باننى فى الثالثة والعشرين، مضيفا خمس سنوات من عندى. ولو قلت له ان عمرى ثمانية عشر عاما لعاملنى معاملة الاطفال. ولاننى نضجت مبكرا فلم يكن هناك من يرتاب فى عمرى حتى عندما اجعله ثلاثة

وعشرين عاما. وكنت اقول فى ذلك الحين لكل من يسألنى عن عمرى انه ثلاثة وعشرون او اربعة وعشرون عاما. كان ذلك مناسبا للعمل مع اصحاب النفوذ وفى العمل مع الشباب على السواء.

استمعت اليه بصبر واناة وتهذب. ولم احاول مقاطعته او تفنيد اقواله حتى عندما تكون مناقضة للمنطق.

واعرب اخيرا عن اعجابه بالتحدث معى قائلا ان الشباب الآخرين يصمون كلماته بالاقطاعية رغم انهم لا يفقهون كلمة واحدة.

وفى احد الايام، دعانى لتناول العشاء. وقال لى ان السيد كيم هيونغ جيك قد كرمه بدعوته الى الطعام فى مناسبات عديدة وهو على قيد الحياة فى رينتشيانغ، ولهذا اعد لى اليوم هذه المائدة المتواضعة بنفسه.

وفيما نحن نتحدث، سألنى الشيخ فجأة:

"بلغنى انكم قد جئتم الى هنا لتدمير (قريتنا المثالية)، أهذا صحيح؟"

فتذكرت على الفور كلمات بيون دال هوان بان اباه يحذر الشيوعيين اكثر من غيرهم.

"أتقول هدم (القرية المثالية)؟ ولماذا نهدمها؟ الاولى بنا ان نساعد الشيوخ الذين بذلوا جهودا كبيرة فى بنائها. ثم انه ليست لدينا القدرة على هدمها".

"آه، هكذا اذن؟ لكن الشباب فى ووتشازى وعلى رأسهم ابنى دال هوان يتهامسون ليل نهار متذمرين من (القرية المثالية) ويحلمون باقصاء الشيوخ ورفع الراية الحمراء فوق قريتنا. ويقال انك انت يا سونغ جو بالذات قائد الشباب فى ووتشازى، فاعرض لى بصراحة وجهة نظرك بهذا الشأن. وهل ينظر شباب جيلين ايضا بعين السخط الى (القرية المثالية) مثلما يفعل الشباب هنا".

"لست اعتبر (القرية المثالية) سيئة. لقد بنيتموها بهدف حشد المواطنين الكوريين الذين طردوا الى ارض الغربة وتشردوا فيها ليعيشوا فى الفة. فلماذا اراها سيئة؟ انها لمأثرة حقيقية انكم بنيتم قرية كورية من هذا الطراز على مستنقعات لياوهى التى كانت مقفرة. اننى اعرب عن تقديرى لهذا الانجاز الذى حققتموه".

عندما استمع الشيخ بيون الى كلامى، مسد شاربيه فى فرح وابتهاج، كما غير اسلوبه فى التكلم معى من "الاستخفاف" الى "الاحترام."

"الحق معك. كما ستعرف الآن، لا توجد فى قريتنا شرطة وسجن واجهزة حكومية. اننا

نحل كل المشاكل بطريقة ديمقراطية فيما بيننا نحن الكوريين من خلال جهاز الحكم الذاتى الذى يدعى المجلس البلدى. اين نجد مثل هذه القرية المثالية فى العالم؟"

فقدرت انها اللحظة المناسبة لتوضيح وجهة نظرنا وموقفنا من"القرية المثالية."

"ايها الشيخ، ارى انكم قمتم بعمل وطنى فى انشائكم هذه القرية، حيث اقمتم جهاز حكم ذاتى ووفرتم اسباب الراحة لحياة السكان الكوريين بالطرق الديمقراطية. ولكن، هل يمكننا تحقيق استقلال البلاد عن طريق بناء مثل هذه القرية؟"

ان الشيخ الذى كان يتصرف بتسلط وهو يقاطع ساقيه ويطرق غليونه بين لحظة واخرى، اطبق فمه وقطب حاجبيه، ثم اطلق زفرة عميقة وقال:

"بهذه الطريقة يستحيل تحقيق الاستقلال طبعا. انت لمست وجعى بالضبط. لقد بنينا (القرية المثالية) لكننا لم نسهم فى حركة الاستقلال. وهذا امر يقلقنى. وكم سيكون رائعا لو اننا نستطيع تحقيق استقلال البلاد بهذه الطريقة".

لم اضع الفرصة لاثبت له عدم جدوى بناء "القرية المثالية". فأوضحت انه من المستحيل ان تبنى الامة المحرومة من البلاد "قرى مثالية" على ارض الغربة. واذا كان صحيحا ان ووتشازى قد تحولت الى قرية مريحة للعيش اكثر من قرى الكوريين فى المناطق الاخرى بفضل جهود الشيوخ، فان ذلك لا يعنى ان المثل العليا للكوريين قد تحققت تماما، لان المثل الاعلى لامتنا هو ان تعيش دون استغلال او اضطهاد فى الوطن المستقل الخالى من اليابانيين والاقطاعيين والرأسماليين. ولكن، كيف يمكن القول انكم تعيشون حياة مثالية وانتم مدينون للاقطاعيين؟ واذا ما غزا الاعداء اليابانيون منشوريا فلن تبقى ووتشازى سليمة. ان غزو الامبريالية اليابانية لمنشوريا هو مسألة وقت. والاعداء اليابانيون لا يريدون للامة الكورية ان تعيش حياة سعيدة.

"هل تطلب منى اذن ان اتخلى عن (القرية المثالية)؟"

انتظر الشيخ جوابى بنفاد صبر.

"ما نريده هو اعادة تنظيمها الى قرية تناضل من اجل استعادة الوطن، قرية تصنع الثورة، وليس قرية تعيش فى هدوء محافظة على هذا الركود".

"هذا يعنى انك تريد ان تنتشر الاشتراكية فى ووتشازى .لا، هذا غير ممكن. انى اقرف من الاشتراكية. حينما تحدث والدك عن ضرورة التحول الى الحركة الشيوعية فى كوانديان فى صيف عام كيمى (عام ١٩١٩ فى التقويم الكورى) ايدنا جميعنا هذا الهدف. وعندما

ارتبطت فيما بعد بحزب كوريو الشيوعى، وجدت كافة الشيوعيين مسعورين. فكل ما يقومون به هو العمل الفئوى وحده. ومنذ ذلك الحين، صرت اشعر بالقشعريرة لمجرد سماع كلمة شيوعية".

وبينما هو يقول ذلك، اخرج الشيخ بيون داى وو بطاقة عضوية الحزب الخضراء التى تلقاها من حزب كوريو الشيوعى، وسألنى وهو يحدق فى وجهى:

"انت تسعى يا سونغ جو لدفع الثورة، ولكنك لا تملك مثل هذه البطاقة، أليس كذلك؟"

تأملت البطاقة ثم وضعتها فى جيبى بسرعة. وحين رأى الشيخ ذلك تطلع الى مذهولا، دون ان يتفوه بكلمة واحدة.

قلت له : "سأتفحصها فيما بعد، فهى بطاقة عضوية حزب منى بالاخفاق بسبب النزاعات الفئوية."

وكنت اظن ان يطلب منى الشيخ اعادتها اليه، ولكنه لم يفعل ذلك. بل طلب منى بالمقابل ان اوضح له منهجنا الخاص، اذا كان لدينا ذلك المنهج، لتحويل ووتشازى الى قرية ثورية.

فحدثته مطولا عن خبراتنا التى حصلنا عليها فى تحويل قرى جيانغدونغ وسينانتون ونايدوشان وكارون وغويوشو وغيرها الى قرى ثورية.

انصت الشيخ الى حديثى باهتمام بالغ. ثم قال: "بعدما استمعت الى حديثكم، استنتجت انكم ستالينيون، لكنى لا اعارضكم. الا انه لا يجوز لكم ان تؤيدوا ستالين وحده. فلدى تروتسكى الحق ايضا فيما يقوله". ثم راح يحدثنى عن نظرية تروتسكى.

وبدا لى انه لا يعارض الماركسية اللينينية.

كما لاحظت ان لديه انطباعات قوية عن تروتسكى. لقد كنت قد تحدثت مع اناس كثيرين ممن تعمقوا فى النظرية الشيوعية، ولكنها كانت المرة الاولى التى التقى فيها بمؤيد متعصب لتروتسكى.

استغربت الامر جدا وسألته:

"ايها الشيخ، لماذا تقدس تروتسكى الى هذا الحد؟"

"الواقع انى لا اقدس تروتسكى. غير اننى لا استسيغ الآن تقديس الشباب الاعمى لاشخاص من البلدان الكبرى. ما اهمية الحديث عن تروتسكى او ستالين؟ لكن الشباب الآن لا ينطقون كلمتين الا ويخرجون لنا باقتباس من اقوال شخصيات فى البلدان الكبرى ويقدمون هذه الشروح او تلك. فما هى عظمة هذا الذى يفعلونه؟ فليتحدث الروس عن

طروحات ستالين وتروتسكى. بينما يتوجب على الكوريين ان يتحدثوا بروح كورية، وعن الثورة الكورية".

وقد كان محقا فى ذلك. وخلال حديثى لعدة ايام مع الشيخ "بيون تروتسكى"، ادركت انه ليس مجرد شيخ عادى.

لقد ارتبت فى اول الامر بان يكون تروتسكيا، لكننى قدرت فيما بعد انه ليس كذلك، وانه يتصرف بهذه الطريقة لكى يحذر الشباب من النزاعات الفئوية التى اضجرته. ان ما كان يريد قوله ذلك الشيخ بالتأكيد هو التالى: "عليكم ألا تقدسوا بشكل اعمى هذا الشخص او ذاك. ولماذا الجدال دائما حول بلدان اخرى قائلين ان روسيا كذا وان ستالين كذا؟ لسنا مجبرين على الاقتداء بروسيا فى كل شىء، أليس كذلك؟" اى انه كان يريد ان يقول انه يجب علينا ان نعيش بروحنا.

"انا لا اهتم بما يفعله الشباب، ولا ما يفعله كذلك ابنى دال هوان. لان ما يفعله يخصه وحده. ولكننى لن اتساهل مطلقا مع اولئك الشباب الذين يحفظون عن ظهر قلب مقولات الآخرين بصورة عمياء ويتعجرفون دون ان يتقيدوا بأصالتهم".

عندما استمعت الى حديث الشيخ هذا، اقتنعت بصحة موقفنا الذى كنا نعارض معه دائما الفئوية والتبعية للدول الكبرى والجمود العقائدى، وكذلك وجهة نظرنا فى وجوب خوضنا النضال الثورى اعتمادا على قوى الشعب، وواثقين بقدراتنا الذاتية.

وفى اليوم التالى، تحدثت اكثر مما تحدث الشيخ بيون. فشرحت له تفاصيل الخطوط التى تبنيناها فى اجتماع كارون. وبدا لى ان الشيخ تأثر بشدة عندما قلت له اننا يجب ان نؤسس حزبا وجيشا من نمط جديد ونشكل الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان التى تضم مختلف الطبقات والفئات بالتسامى فوق الفوارق فى الافكار والمعتقدات الدينية والممتلكات والجنس والسن، ونسترجع البلاد بمقاومة تشمل العشرين مليونا من ابناء الشعب. واعرب الشيخ عن تأييده التام لاهدافنا، لا سيما فى تشكيل الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان.

لم يكن بيون دال هوان متزوجا فيما كان ابوه ارملا. لذا، كانت ابنة الشيخ هى التى تدير شؤون البيت. ولكنها لم تكن تستطيع وحدها ابعاد جو الكآبة والتجهم الذى يخيم على الاسرة.

تشاورت عدة مرات مع رفاقى للعثور على عروس مناسبة للابن، واخترت اخيرا فتاة من قرية مجاورة كنيتها "سيم"، بل اننى اعددت العدة كذلك لحفلة زفافهما معبئا رفاقى فى

ذلك. ومع اننى كنت ارى انه من عدم اللياقة ومما يدعو الى الخجل ان اكون وسيطا فى زواج كبار السن، وانا الفتى اليافع، الا ان جميع سكان القرية اظهروا السعادة وكأن حفلة الزفاف هى قضيتهم جميعا، ولم يبخلوا بالثناء على قائلين اننى قمت بعمل عظيم.

وقد عمقت هذه الواقعة ثقة المتنفذين بى.

ذات يوم، اخبرنى بيون دال هوان بالتحول الذى طرأ على مزاج ابيه قائلا انه تحدث لمتنفذي القرية بما يلى: "لقد ظهر الرجل الذى يمكنه الحلول مكاننا فى الاهتمام (بالقرية المثالية).انه سونغ جو ومعه رفاقه. فاذا كان ما يفعلونه هو الاشتراكية فاننا نتقبلها دون تردد. لا يجوز لنا ان نعتبر سونغ جو مجرد شاب. فنحن مجرد شيوخ طاعنين فى السن ومتخلفين عن العصر، فلنسلم ووتشازى بكاملها الى الشباب، ولنساعد بكل ما نستطيعه قضية سونغ جو ورفاقه". وقد اخبرنى دال هوان كذلك ان المتنفذين الآخرين ابدوا اعجابهم بالحجج التى اسوقها فى كلامى واكدوا انها سديدة تماما.

عدت بعد ذلك الى لقاء الشيخ بيون مرة اخرى:

"لقد جئت لارد اليك بطاقة عضوية حزب كوريو الشيوعى". لكن الشيخ لم يأبه بتلك البطاقة ولم يلق اليها ولو نظرة واحدة، بل اكتفى بالقول انه ليس بحاجة الى هذه التفاهة.

انتابتنى الحيرة : فأنا لا استطيع اعادتها اليه لانه لا يريدها، ولكننى لا استطيع ان القى بها جانبا ايضا. وقد انتقلت تلك البطاقة فيما بعد الى ايدى رفاقى الذين تداولوها فيما بينهم لعدة ايام.

فى عام ١٩٤٦، العام التالى لتحرير الوطن، زار الشيخ بيون داى وو بيونغ يانغ. وقد ذكرته يومئذ بحكاية البطاقة، فابتسم الشيخ بأسى وبدت على وجهه امارات التأثر العميق. وقال انه حين رأى شمالى كوريا وقد تحول الى قرية مثالية كبيرة، وفردوس ارضى، لم يعد يأسف على شيء، حتى ولو مات فورا، وتذكر لقاءنا فى ووتشازى. كان يومذاك فى السابعة والستين من عمره. وقد علمت بعد زمن طويل من ذلك بالخبر الحزين، وهو انه قد توفى فى محافظة ايتونغ بمقاطعة جيلين، فى العام نفسه الذى التقيته فيه فى بيونغ يانغ.

اما ابنه بيون دال هوان فقد عمل مسؤولا لاتحاد الفلاحين فى ووتشازى، وحبس فى سجن سينويزو عدة سنوات بدءا من عام ١٩٣١ بتهمة مشاركته فى النضال المناهض لليابان تحت قيادتنا.

على هذا النحو، تم شق الطريق لتحويل ووتشازى الى قرية ثورية.

ومنذ ذلك الحين، بدأ متنفذو القرية يغيرون معاملتهم لمبعوثى الجيش الثورى الكورى. اذ صاروا يتسابقون لدعوتنا الى تناول اطيب المأكولات فى بيوتهم.

وبينما كنت اعمل على تحويل ووتشازى الى قرية ثورية، اوليت كذلك جهودا كبيرة لكسب الصينيين. فلو لم نجتذب شخصيات صينية الى جانبنا، لما كان بامكاننا الاستقرار فى المنطقة الوسطى من منشوريا بثبات. ولهذا، كنا لا ندع فرصة تفوتنا، مهما كانت صغيرة لاجتذاب الصينيين الى جانبنا والاستفادة منهم، حتى وان كانوا من الاقطاعيين.

فى ذلك الحين، كان يعيش بالقرب من ووتشازى ملاك عقارى يدعى تشاو جيا فينغ وحدث ذات مرة ان اختلف من ملاك آخر حول قضية تتعلق بالارض، وقرر رفع الامر الى القضاء.

ولكنه كان متضايقا لانه لا يعرف كيف يكتب صيغة الادعاء. ولم يكن ابنه يعرف ذلك رغم تخرجه من المدرسة الثانوية فى المدينة. ربما لانه كان يضيع الوقت دون الاهتمام بدراسته.

فطلب تشاو جيا فينغ من كيم هاى سان الذى كان يمارس طب كوريو التقليدى فى ووتشازى ان يبحث له عن شخص يمكنه كتابة تلك الوثيقة.

فجاءنى كيم هاى سان ذات يوم وسألنى اذا كنت اعرف صيغة مثل تلك الشكوى.

فى ذلك الحين، حيث كنا نقوم بالنشاط الثورى السرى، صدرت فى الصين كتب توضح اساليب كتابة الرسائل والتراتيل الجنائزية والدعاوى القضائية وما شابهها، لتكون مرجعا لمساعدة عامة السكان والطلبة.

ذهبت مع كيم هاى سان الى منزل الاقطاعى تشاو جيا فينغ الذى دعانى الى مأدبة فاخرة وعامرة بالمأكولات الصينية، وشرح لى باسهاب السبب الذى دفعه الى رفع القضية الى القضاء.

كتبت له النص المطلوب باللغة الصينية ثم ذهبت معه الى حاضرة المحافظة لكى اوجهه سرا فى المحاكمة. وقد كسب تشاو جيا فينغ القضية بفضل تلك الوثيقة. ولو انه خسرها لكان فقد عدة عشرات هكتارات من اراضيه.

ومنذ ذلك الحين، صار تشاو جيا فينغ يدافع عنى بحزم قائلا : ان التأكيد بان السيد كيم ينتمى الى الحزب الشيوعى هو كذب محض، انه انسان طيب، ولولا مساعدته لى فى المحكمة لخسرت القضية. كما صار يدعونى فى كل مناسبة لتناول اطعمة لذيذة وفاخرة.

ومن خلال ترددى على منزله، تعرفت على عدد كبير من المتنفذين الصينيين، وبعثت فى نفوسهم روح معاداة الامبريالية.

منذ ذلك الحين، اكتسبت نشاطاتى الثورية واجراءات مدرسة الكوريين فى ووتشازى صفة الشرعية، واصبحت قاعدة نضالنا الثورى فى هذه المنطقة اكثر رسوخا.

وبعد ان اجتذبنا المتنفذين الى جانبنا، اقبلنا على العمل لتحويل التنظيمات الجماهيرية على النهج الثورى.

فقمنا اولا باعادة تنظيم جمعية الشباب فى اتحاد الشباب المناهض للامبريالية. وكانت هذه الجمعية تحت تأثير القوميين فى بداية الامر، وبعد وصول مفرزة الجيش الثورى الكورى الى ووتشازى، غدا عناصر النواة فى الجمعية متقدمين الى حد ما، لكنهم لم يتخلصوا من الرواسب القومية تماما فى نواح عديدة. فلم تكن واضحة بالنسبة لهم اهداف ومهام النضال. وكان عدد اعضائها محدودا، اضافة الى افتقارها لاساليب العمل الصحيحة. ولم تكن الجمعية تنظم نشاطات حتى من اجل جمع شمل جماهير الشباب، وهكذا، كانت اسما دون مسمى.

وكانت منطقة ووتشازى مؤلفة من قرى متباعدة تفصل بعضها عن بعض مسافة ١٠ رى و٢٠ رى وحتى ٦٠ رى، ولكن لم يكن فى اية قرية من هذه القرى فرع للجمعية، ولهذا لم تستطع الجمعية التقرب من الجماهير او تحريك جماهير الشباب.

اقترح البعض اعادة تنظيم جمعية الشباب فى اتحاد الشباب المناهض للامبريالية فى الحال. ولكن ذلك كان غير معقول دون الاخذ بعين الاعتبار مستوى الاعداد السياسى والفكرى للشباب، خصوصا وان الكثيرين منهم كانوا ما يزالون تحت تأثير القوميين ويعلقون بعض الآمال على منظمتهم.

ذهب اعضاء مفرزة الجيش الثورى الكورى مع كوادر جمعية الشباب الى مختلف تلك القرى للقيام بالتهيئة الفكرية لانشاء اتحاد الشباب المناهض للامبريالية.

وفى هذا السياق، انتشر خطنا الثورى بين جماهير الشباب بشكل تلقائى. كما كنت اتحدث بدورى مع الشباب كل يوم.

بعد ان فرغنا من هذه المرحلة التحضيرية، شكلنا فى احدى غرف مدرسة سامسونغ منظمة ووتشازى لاتحاد الشباب المناهض للامبريالية، وانشأنا فروعا لها فى كل قرية. وتم انتخاب تشاى ايل تشون رئيسا للمنظمة ومون زو يانغ رئيسا لقسم التنظيم فيها.

وبعد ذلك، تم تحويل جمعية صداقة الفلاحين الى اتحاد الفلاحين، وجمعية صداقة التلاميذ الاطفال الى فرقة الاطفال الكشافة، وفرع ووتشازى لجمعية التربية النسائية فى منشوريا الجنوبية الى رابطة النساء. وهكذا بدأت تطرأ تحولات على نشاطات التنظيمات الجماهيرية فى ووتشازى.

وقد انضم الى هذه المنظمات عدد كبير من الاعضاء الجدد. واصبح معظم سكان ووتشازى اعضاء فى المنظمات المناسبة لهم يمارسون من خلالها الحياة السياسية.

كما حولنا المجلس البلدى، وهو جهاز الادارة المحلية للحكم الذاتى، الى لجنة ثورية للحكم الذاتى. كان رواد ووتشازى قد اقاموا المجلس البلدى فى النصف الاول من العشرينات. وكانت مهمته الاساسية تتلخص فى تولى شؤون الاقتصاد والتربية، ولكن اتصاله الدائم بالاجهزة الحكومية الصينية وموظفيها جعله يقيم اجهزة متخصصة، مثل مكتب بيع الارز فى كونغتشولينغ لتوفير التسهيلات للفلاحين فى حياتهم.

وكان السكان فى ووتشازى يتذمرون علنا من موظفى المجلس البلدى لانهم غير مرتبطين بالجماهير وغير نزهاء.

وخلال حديثى مع الفلاحين، عرفت ان عاملى المجلس البلدى لا يوزعون بعض المواد الغذائية والضروريات الحياتية التى تدخل بواسطة مكتب بيع الارز فى كونغتشولينغ، على الفلاحين بصورة متساوية، بل يستولون عليها ويتقاسمونها فيما بينهم. ولكى اتحقق من هذا الامر بعثت برجل الى كونغتشولينغ، فقال لى بعد عودته ان الفساد قد تطرق الى المجلس البلدى، وان تقصيه يؤكد حقيقة ان مسؤولى هذا المجلس يختلسون الاموال التى يجبونها من الفلاحين ليملؤوا بها جيوبهم. وان العمدة يعالج معظم مشاكل المجلس بطريقة ذاتية، مما اشاع الاحساس بالتعسف فى كثير من الحالات وتجاهل آراء الجماهير. وبسبب حرمان هذه الجماهير من المشاركة، فانها لم تستطع معرفة جميع العيوب التى تشوب عمل المجلس. واكد على ان الابقاء على اجهزته واسلوب عمله القديم على حاله يجعل من المستحيل عليه ان يعمل وفق متطلبات الاهالى، ذلك ان الاوضاع كانت تتحول بطريقة ثورية وكذلك الاشخاص والحياة واساليب العمل.

دعونا الى اجتماع استشارى يحضره كوادر المجلس البلدى وعمد القرى ورؤساء منظمات اتحاد الفلاحين واستعرضنا فيه حصيلة عمل المجلس، وقمنا بتحويله الى لجنة للحكم الذاتى.

وعملا بارادتنا، عملت لجنة الحكم الذاتى جيدا بافساحها المجال واسعا للديمقراطية بعد ان وضعت حدا للنزعات الذاتية والفردية.

كما اولينا اهتماما كبيرا لمكتب بيع الارز فى كونغتشولينغ الخاضع لاشراف لجنة الحكم الذاتى ايضا. فلكى يبيع فلاحو ووتشازى الارز، كان لا بد لهم من ان يذهبوا الى كونغتشولينغ التى تبعد ١٠٠ رى عن القرية وذلك بعربة يجرها حصان او ثور. وكان من المفيد اقتصاديا ان يحتفظوا بالارز فى مكان مناسب عندما تنخفض اسعاره ثم يبيعوه عندما ترتفع الاسعار. ومع ذلك، لم يكن ثمة فى كونغتشولينغ مكان مناسب لحفظ الارز. ولهذا كانوا يضطرون الى بيعه بأى سعر يعرض عليهم دون مساومة. ولوضع حد لهذه الامور الشاذة، اقام الفلاحون فى ووتشازى مكتب بيع الارز فى كونغتشولينغ فى خريف عام ١٩٢٧.

ارسلنا افضل الناس سمعة بين اعضاء المنظمات الجماهيرية فى ووتشازى للعمل فى مكتب بيع الارز. وبعثنا ايضا غى يونغ تشون وباك كون وون وكيم وون وو وغيرهم من رجال الجيش الثورى الكورى الى كونغتشولينغ لكى يساعدوا مكتب بيع الارز فى عمله.

بعد ان امسكنا بزمام الامور فى مكتب بيع الارز، ادى هذا المكتب وظيفته كجهاز تجارى شرعى يوفر التسهيلات للفلاحين فى حياتهم، وتولى فى الوقت نفسه المهمة السرية باقامة الاتصالات مع المنظمات الثورية وارسال المعلومات الى الجيش الثورى الكورى من اجل عملياته.

يمكن التأكيد ان اعادة تنظيم المجلس البلدى وتحويله الى لجنة الحكم الذاتى وانشاء جهاز تجارى شرعى فى خدمة الثورة مثل مكتب بيع الارز فى كونغتشولينغ، كان احدى خبراتنا التى راكمناها فى النضال الثورى فى اوائل الثلاثينات.

اوفدنا من ووتشازى عددا كبيرا من العاملين السريين الى مختلف ارجاء منشوريا، لتوسيع المنظمات ومد نطاق نشاطنا اليها. وبعثنا بعضهم الى منطقة كايلو. فقام باك كون وون، العضو السابق فى "ت.د" وخريج مدرسة هواسونغ بالعمل لبعض الوقت فى تلك المنطقة.

كان يعيش فى كايلو منغوليون كثيرون.

وحيث انهم كانوا منقطعين عن الحضارة، فقد كانوا اذا مرض احدهم يكتفون بالتضرع الى الرب بدلا من اتخاذ اجراءات علاجية. ولهذا، كان رفاقنا كلما ذهبوا الى تلك المنطقة

يأخذون معهم ادوية للمرضى، فكانت هذه الادوية ذات فعالية كبيرة. منذ ذلك الحين، اصبح سكان المنطقة يقدمون ضيافة كريمة للكوريين الذين يذهبون اليهم.

ومن اجل رفع المستوى السياسى والعملى لمسؤولى المنظمات، نظمنا دورة دراسية لمسؤولى كافة المنظمات وعناصر النواة فيها.

وكنت اتناوب كل ليلة، لمدة ساعتين او ثلاث ساعات، مع الرفيقين تشا كوانغ سو وغى يونغ تشون فى القاء محاضرات حول الخط الثورى والتوجه الاستراتيجى والتكتيك الزوتشى المستقل الذى اعتمدناه فى اجتماع كارون، واسلوب العمل السياسى بين الجماهير، وتوسيع المنظمات وتقويتها نوعيا، وطريقة تثقيف اعضاء المنظمات وتوجيه حياتهم التنظيمية.

وبعد انتهاء الدورة الدراسية، علمنا مسؤولى المنظمات على الطبيعة مختلف اساليب العمل لانشاء المنظمات واعداد عناصر النواة وتوزيع المهام واستخلاص نتائج تنفيذها وطريقة ادارة الاجتماعات واجراء المناقشات وغيرها.

فتوغل قياديو ووتشازى الى اوساط الجماهير وهم مفعمون بالثقة.

كما بذلنا جهودا كبيرة فى تنوير السكان فى ووتشازى وتثقيفهم. وقد انصب جهدنا على العمل التثقيفى اولا.

انتقينا الشباب الاكفاء بين رجال الجيش الثورى الكورى واعضاء المنظمات السرية لتعيينهم كمعلمين فى مدرسة سامسونغ ووجهناهم لتحويل مضمون التعليم الى النهج الثورى بمبادرتهم الخاصة.

وبعد ان شرعنا فى ادارة هذه المدرسة بانفسنا، الغيت المواد الدراسية القديمة التى تبشر بالافكار القومية والافكار الكونفوشيوسية الاقطاعية وحلت محلها مواد دراسية جديدة ذات مضمون سياسى. كما تم فى الفترة ذاتها الغاء الرسوم المدرسية فى مدرسة سامسونغ. واصبحت لجنة الحكم الذاتى تؤمن نفقات المدرسة. فاستطاع كل الاولاد الذين بلغوا سن الدراسة ان يدرسوا هناك دون ان يدفعوا الرسوم منذ شتاء ذلك العام.

وقد كان الشيوعيون الكوريون عمليا هم اول من طرح التعليم المجانى وطبقه فى غويوشو وكارون ووتشازى. وقد ادرجنا فيما بعد بند التعليم المجانى الالزامى فى برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن. وهكذا، فقد كانت مدرسة سامسونغ فى ووتشازى مع مدرسة زينميونغ فى كارون ومدرسة سامكوانغ فى غويوشو، مؤسسات تعليمية ذات

مغزى عميق طبقت التعليم المجانى لاول مرة فى تاريخ بلادنا التعليمى.

كما ركزنا جهودنا على المدارس المسائية للشباب والكهول والنساء الذين لم تتح لهم فرصة التعليم فى المدارس.

ولم اكتف باقامة المدارس المسائية فى القرى المركزية وحدها، وانما كذلك فى القرى الاخرى المجاورة، وحرصت على ان يلتحق بها الشباب كافة.

وباستفادة من خبراتنا فى اصدار "بلشفيك" فى كارون، طبعنا مجلة "نونغوو" فى ووتشازى لتكون لسان حال اتحاد الفلاحين. واذا كانت مقالات "بلشفيك" صعبة الفهم الى حد ما، فان مقالات "نونغوو" كانت بسيطة وعادية بحيث يمكن للفلاحين ان يفهموها بسهولة. وقد جرى توزيعها حتى فى تشينتاو، مثلها فى ذلك مثل "بلشفيك."

وقمنا فى الوقت ذاته بنشر الكثير من الاغانى الثورية بين القرويين من خلال الطلبة. فاذا ما علمنا الطلبة فى المدارس الاغانى مثل "العلم الاحمر" او "نشيد الثورة" كانت تنتشر فى كل القرية خلال اليوم نفسه.

نظمت فى ووتشازى فرقة الدعاية الفنية التى بدأت تعمل بقيادة غى يونغ تشون، متخذة من مدرسة سامسونغ نقطة ارتكاز لها.

وانكببت فى هذا الوقت على اكمال تأليف اوبرا "بائعة الازهار" التى شرعت فى كتابتها اثناء مرحلة جيلين. وقد اجريت تجارب عديدة على هذا النص. وعندما اكملت تأليفه، بدأ غى يونغ تشون باجراء التمرينات عليه مع اعضاء الفرقة الفنية فى مدرسة سامسونغ.

وفى يوم الذكرى الثالثة عشرة لثورة اكتوبر، عرضنا هذه الاوبرا فى قاعة المحاضرة بمدرسة سامسونغ.

وبعد تحرير البلاد، دفنت هذه الاوبرا فى طيات النسيان لوقت طويل، الى ان اقتبسها كتابنا وفنانونا فى فيلم سينمائى واوبرا ورواية فى مطلع السبعينات، تحت اشراف الرفيق كيم جونغ إيل، وهكذا اصبحت تعرض من جديد بانماط فنية متنوعة. وقد بذل الرفيق كيم جونغ إيل جهودا كبيرة فى هذا المجال.

فى ظل التأييد والمساندة المطلقين من جانب الشعب فى ووتشازى، حولنا ريف لياوهى الى قاعدة عمليات راسخة للجيش الثورى الكورى خلال فترة قصيرة من الزمن. وبالرغم من اننا قمنا بالعمل مع الفلاحين فى ضواحى جيلين وقرب تشانغتشون، الا انه لم يسبق لنا

ان نجحنا فى تثوير الريف على نحو كامل كما حدث فى ووتشازى.

ونظر كيم كوانغ ريول مراسل الكومنترن باعجاب ايضا الى نجاحاتنا هناك. فقد كانت هذه المنظمة الدولية تتابع نشاطاتنا باهتمام، لاننا كنا نطرح خطا ثوريا اصيلا وندفع الثورة باستقلالية. ويبدو لى ان قسم الشرق فى الكومنترن كان يكثر من النقاش حولنا. وربما ارسلوا مبعوثهم مدفوعين بهذا الفضول: لقد ظهر فى كوريا ثوريون من جيل جديد يختلفون تماما عن الشيوعيين السابقين، ويقال انهم ينشطون بصورة مستقلة دون الانتماء الى اية عصبة ودون اثارة صخب شديد. ويقال ايضا ان لهم قاعدة جماهيرية راسخة، فأى نوع من الرجال هم يا ترى؟

ذهب كيم كوانغ ريول الى مركز الاتصال فى هاربين، ثم عاد الى ووتشازى ليقابل رفاقى ومسؤولى المنظمات الثورية والشيوخ المتنفذين فيها. وبعد ان تحدث مع اناس كثيرين، اجتمع بى وقال لى كلمات تشجيع كثيرة حول عملى. واعرب عن دعمه الفعال وتأييده للخطوط والتوجهات الثورية التى كنت قد طرحتها، مؤكدا ان الشيوعيين الكوريين الشباب يشقون طريقا اصيلا فى الحركة الشيوعية ونضال التحرر الوطنى فى المستعمرات، وانهم قد اكتسبوا فى هذا المجال خبرات كثيرة.

وقد ابدى دهشة كبيرة حيال خطنا الخاص بالجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان. وسألنى كيف اوضح موقفى بشأن مد يدنا الى القوى القومية العنيدة ورجال الدين، بل والى المالكين ايضا، بينما الحركة الشيوعية العالمية تخوض نقاشا جديا حول تحديد مؤيدى الثورة والمتعاطفين معها.

فقلت له : لا يمكن صنع الثورة بقوى قلة قليلة من الشيوعيين والعمال والفلاحين الفقراء والاجراء، فمن اجل هزيمة الامبريالية اليابانية يجب تعبئة حتى القوى الوسطية، ولست اعرف ما هى الاوضاع فى البلدان الاخرى، اما فى كوريا فان معظم الرأسماليين الوطنيين ورجال الدين يعارضون القوى الاجنبية، وليس هناك سوى حفنة من الاقطاعيين والرأسماليين المستسلمين والعناصر الموالية لليابان وخونة الامة ممن يعادون الثورة، ونحن ندعو الى تعبئة الجميع لتنظيم مقاومة وطنية شاملة، فمفتاح التوصل الى استقلال كوريا بقوى شعبها يكمن فى كسب كافة القوى المناهضة لليابان.

بعد ان استمع المراسل الى شرحى، قال لى : "ما يعجبنى للغاية هو انك تعالج كل الامور بطريقة مستقلة دون التقيد بما حدده الكلاسيكيون". ثم نصحنى بان ادرس فى موسكو، وقال

: "سيكون لك مستقبل باهر. صحيح ان الممارسة العملية مهمة، ولكن لا بد من الدراسة."

ثم فتح حقيبة فيها بدلة وقميص وربطة عنق وحذاء جديد، وقال ان الكومنترن يعلق على آمالا كبيرة، ومن المستحسن ان استجيب لنصائحه.

لقد كان كل شيء يشير الى انه حين كان فى مقر الكومنترن تلقى من هذه المنظمة الدولية التعليمات لاقناعى بالذهاب الى موسكو للدراسة.

فأجبته قائلا : "شكرا جزيلا على اهتمامكم بى، لكنى سأتقدم الى منشوريا الشرقية لاختلط بالشعب فيها. اذا ما ذهبت الى الاتحاد السوفييتى وتناولت الخبز فيه فقد اتحول الى موال لروسيا، وانا لا اريد ذلك. يؤسفنى جدا وجود فئات عديدة فى كوريا، مثل جماعة م . ل وجماعة هوايو وجماعة سيؤول(١٦) وغيرها. ولست اريد ان اكون مثلهم. اما الماركسية اللينينية فاننى سأدرسها من خلال الكتب."

وكان تشا كوانغ سو وباك سو سيم وغيرهما من الرفاق قد اعدوا فى تاولايتشاو الاشياء الضرورية لدراستى فى موسكو ونصحونى بأن اذهب للدراسة هناك.

فى الثلث الاخير من شهر كانون الاول من العام نفسه، دعوت قادة الجيش الثورى الكورى ومسؤولى المنظمات الثورية الى الاجتماع فى ووتشازى. وكان الهدف من الاجتماع استعراض الخبرات والعبر التى استخلصناها فى النضال الرامى الى تطبيق توجهات اجتماع كارون وتوسيع الحركة الثورية وتطويرها بما يتفق ومتطلبات الوضع الراهن.

كانت اليابان آنذاك تهز هراوة العسكريتاريا الحديدية معبئة كل مواردها الوطنية ومسرعة استعداداتها لحرب عدوانية لاكتساح مستعمرات جديدة وتوسيع اراضيها، وصفت دون رحمة كل ما يمكن ان يشكل حجر عثرة فى وجه تقدمها.

قررنا احتلال مواقع فى منشوريا الشرقية واتخاذ الاستعدادات لمواجهة الغزو اليابانى الوشيك. ولهذا، كان لا بد لنا من اجراء مراجعة للمهمات التى نفذناها فى المناطق الوسطى من منشوريا واتخاذ الاجراءات اللازمة للاستعداد للنضال المسلح. فدعونا الى اجتماع ووتشازى.

اشترك فى هذا الاجتماع جميع عناصر النواة فى الجيش الثورى الكورى ومسؤولو المنظمات الثورية، بمن فيهم تشاى سو هانغ وغيره ممن قدموا من مناطق تشينتاو واونسونغ وزونغسونغ غير عابئين بالبرد القارس، حيث كانت الحرارة ثلاثين درجة تحت

الصفر. وقد تعارف عدد كبير من الثوريين الشباب فى ذلك الاجتماع وارتبطوا فيما بينهم بعلاقات حميمة، وتناقشوا باستفاضة حول مستقبل الثورة الكورية.

وقد تركز النقاش حول ضرورة تعزيز النشاطات فى منشوريا الشرقية بصورة حاسمة. ان نقل المسرح الرئيسى للنضال الى منشوريا الشرقية كان احد تطلعاتنا العارمة. كما انه كان مسألة لا يمكن تأجيلها على ضوء الوضع الناشئ امام الثورة. لهذا السبب، لم انس منشوريا الشرقية حتى وانا فى ووتشازى، وكنت انتظر اليوم الذى سأتقدم فيه اليها بفارغ الصبر.

وطرحت فى الاجتماع المهام للتعجيل بالاستعداد للنضال المسلح المناهض لليابان وتوثيق التضامن مع القوى الثورية العالمية.

وقد اثبت مجرى الاجتماع عزيمتنا الثابتة على الانتقال من الحركة الشبابية والطلابية والحركة السرية فى الارياف الى مراحل النضال المسلح وشن الهجمات الحاسمة على العدو. واذا كان اجتماع كارون قد عبر عن ارادة الامة الكورية فى هزيمة الامبريالية اليابانية بقوة السلاح واستعادة الوطن، فقد اكد اجتماع ووتشازى على تلك الارادة مرة ثانية واوضح الطريق القصيرة المؤدية الى ساحة الحرب المناهضة لليابان.

لقد اقام اجتماع ووتشازى الجسر الذى سيقودنا، نحن الشيوعيين الشباب، انطلاقا من اجتماع كارون الى ساحة المعركة الحاسمة ضد اليابان، مرورا باجتماعى مينغويكو فى ربيع وشتاء عام ١٩٣١ واجتماع سونغجيانغ.

ومع مطلع الثلاثينات، انتقلت حركتنا الشبابية والطلابية الى مرحلة النضال المسلح. ويمكن القول ان ووتشازى قد ادت دور منصة القفز فى هذا التحول.

حين غادرت ووتشازى، رافقنى مون زو يانغ لمسافة تزيد على عشرة ريات، حيث ودعنى وهو يذرف الدموع.

١٠- أناس لا أنساهم

حين اجتمعت ذات يوم بالرفيق فيدل كاسترو فى بيونـغ يـانغ، حدثتـه طـوال سـاعات حـول تجاربنا الكفاحية فى مرحلة الثورة المناهضة لليابان. وقد سألنى الرفيق كاسترو آنذاك اسئلة كثيرة كان احدها عن كيفية حلنا لمشكلة التموين اثناء النضال المسلح.

فقلت له : كان هنـاك اسلوب انتزاع المؤن من العدو، ولكن شعبنا كـان يؤمنهـا لنـا علـى الدوام.

وفى مرحلـة الحركـة الشبابية والطلابيـة والنشـاطات السـرية ايضـا، كـان الشـعب يقدم لنـا الطعام والمبيت.

كانـت حكومـة شـنغهاى المؤقتـة وتنظيمـات جـيش الاسـتقلال المختلفـة، مثـل مجموعـة زونغوى ومجموعة سينمين ومجموعة تشاموى، قد سنت، كل منها على حدة، القوانين التـى تفرض بموجبها على المواطنين تقديم التبرعات والارصدة العسكرية، اما نحن فلم نسلك ذلك السبيل. فاثناء قيامنا بالنشاطات الثورية، كنا نحتاج احيانا الى الاموال، لكننـا لـم نستطع مع ذلك اصدار قانون بفرض الضرائب. فقد كان من المخـالف لمثلنـا العليـا، اصـلا، ان نقيد المواطنين بالقوانين والانظمـة لجمـع المـال وان نتـأبط السـجلات متنقلين من بيت الـى بيت لنسجل المبالغ التى يقدمها كل منهم. كان موقفنا هو ان نقبل ما يقدمـه الشـعب لنـا، وان نبقـى دون طعام اذا اقتضى الامر.

ولكن شعبنا قدم الينـا العون والمساعدة فـى ظـل كل الظـروف، مضـحيا بـأغلى مـا لديـه. وكان شعبنا المتأهب والمتيقظ يعتنى دائما بالثوريين وكأنهم ابناؤه الذين هم مـن لحمـه ودمـه .لذا، فقد محضناه الثقة دائما. فحيث يوجد الشعب لم نكن نفتقر الى ما نـأكله على الاطلاق.

واذا استطعنا ان نحرز الانتصـار تلو الانتصـار فـى نضـالنا الـذى بـدأناه مـن الصـفر وبأيد عـزلاء، فـان الفضـل فـى ذلـك كلـه يعـود الـى الشـعب الـذى ايدنا وسـاعدنا. ان هيـون زونـغ كيونـغ، وكيم بو آن وسونغ تشون هاك فى غويوشو، وريـو يونـغ سـون، ريـو تشـون كيونـغ، هوانغ سون سين، زونـغ هاينـغ زونـغ فـى كـارون، وبيون داى وو، كـواك سانـغ هـا، بيـون دال

هوان، مون سى زون، مون زو يانغ، كيم هاى سان، لـى مونـغ ريـن، تشـاى ايل تشـون فـى ووتشازى هم اناس لن ننساهم لانهم ساعدونا من صميم قلوبهم فى المناطق الجنوبيـة وحتـى الوسطى من منشوريا.

لقد كان ابناء الشعب يستضيفوننا بكل اخلاص، ويقدمون لنا اطباق الارز فيما هم يـأكلون الحساء.

ولشدة ارتباكى من الازعاج الذى قد اسببه لهم، كنت ابقى احيانـا فـى المدرسـة لانـام فـى غرفـة المناوبـة متذرعا بكثـرة المشـاغل وبانـه علـى ان اقضـى الليـل سـاهرا. واذا كنـت قد استخدمت احدى غرف الدروس فى مدرسـة زينميونـغ فـى كـارون كمكـان للنـوم، فقد فعلت الشىء نفسه فى مدرستى سامكوانغ وسامسونغ فى غويوشو ووتشازى.

حين كنت انام على وسادة خشبية فـى احـدى غـرف مدرسـة سـامكوانغ، كـان هيـون كيـون يأتـى غاضبا ويسحبنى من ذراعى الى بيته.

كـان هيـون كيـون عضـو منظمـة "ت . د" والجنـدى فـى الجيش الثـورى الكـورى شخصـا ذكيا ومستقيما وكريما.

وقد ناضل اخوه الكبير هيون هوا كيون ضمن صفوف اتحاد الفلاحين فـى غويوشـو وقـدم لنا مساعدات ثمينة فى عملنا.

وفضلا عن عمل الشقيقين فى منظمتنـا، كـان ابوهمـا يشـارك ايضـا فـى حركـة الاستقلال، ولـهذا عاملتنى تلك الاسرة بدفء وعناية خاصين.

لقد كان هيون ها زوك، والد هيون كيون شخصية تتمتع بمكانة ونفوذ كبيـرين بيـن رجـال حركـة الاستقلال. كـان هـا زوك هـو لقبـه المعروف، امـا اسـمه الاصلـى فكـان هيـون زونـغ كيونغ. وقد اعتاد سكان غويوشو علـى مناداتـه بالسيد هـا زوك بـدلا مـن اسـمه الاصلـى. ولـم يكن هناك بين الكوريين المقيمين فى منشوريا فـى ذلك الحين من لا يعرفـه بلقبـه هيـون هـا زوك.

وكان والدى فى حياتـه ايضـا يكثـر مـن الحـديث عن السيد هيـون هـا زوك وقد ارتبط بـه بعلاقة صداقة حميمة. وكثيرا ما كانا يتبادلان الآراء، ليس كمجـرد صـديقين وانمـا كـرفيقين يحمـلان الافكـار نفسـها، حـول حركـة الاستقلال التـى عمـلا مـن اجلهـا بنكـران للـذات وهمـا يتبادلان الاحترام والمساعدة على قاعدة اخوة حارة.

كان السيد هيون ها زوك رئيسا للجنة الشؤون القانونية المركزية لدى مجموعة تونغوى،

وعضوا فى اللجنة المركزية فى مجموعة زونغوى، اما فى فترة مجموعة كوكمين، فكان مسؤولا لقسم الشؤون السياسية للحزب الثورى الكورى الذى قال عنه القوميون انه الحزب القومى الاوحد. وكان لدى السيد ها زوك فهم عميق للشيوعية كما كان يتعاطف فى الوقت نفسه مع الشباب الذين يؤمنون بهذه العقيدة ويقيم علاقات جيدة معهم.

حينما كان الرفاق كيم هيوك وتشا كوانغ سو وباك سو سيم ينشئون جمعية دراسة العلوم الاجتماعية فى منطقة ليوهى ويشكلون فروعا لاتحاد الشباب المناهض للامبريالية فى كل مكان، كان الشباب يذكرون السيد هيون ها زوك بكثرة لانهم كانوا يحضرون الدروس التى كان يلقيها لتنويرهم فى مدرسة وانغتشينغمين وفى مدرسة هواهونغ الثانوية.

كلما ذهبت الى غويوشو كان السيد هيون ها زوك يستضيفنى فى منزله.

وكان يقول لى دائما:

"تصرف بحرية، واعتبر نفسك فى منزل عمك".

وكان السيد اكبر من والدى سنا بحوالى عشر سنين.

وكنت اقيم فى بيته عشرة ايام او عشرين يوما، وربما لمدة تزيد على الشهر احيانا حين يكون على القيام بالعمل بين الجماهير. وفى احدى السنوات، احتفلت حتى بعيد دانو فى الشهر الخامس القمرى مع اسرته.

والواقع ان الظروف التى كان يعيش فيها لم تكن تجعل من السهل عليه استضافة شخص، ليس ليوم واحد، وانما لعدة اسابيع. فبعد دفعه الايجار للاقطاعى، لا يبقى لديه من المحصول سوى مؤونة ضئيلة، فكان يقدم منها الطعام للثوريين، بينما لا يكاد اهل بيته يجدون سوى الحساء لطعامهم.

وكان اصحاب ذلك المنزل ينهمكون باخلاص فى استضافتى بأطعمة لذيذة متنوعة. فاحيانا يقدمون لى لحم الدجاج او جبنة فول الصويا او خثارته، وفى احيان اخرى يقدمون لى حساء اوراق الخرشوف.

وعندما كانت نساء البيت يجرشن فول الصويا لصنع الجبنة منه، كنت اشمر عن ساعدى ايضا واجلس معهن لادير احجار الرحى. وما زلت اذكر اننى كلما جلست لمساعدتهن، كانت كيم سون اوك زوجة هيون هوا كيون ذات الاثنين او الثلاثة والعشرين عاما، لا تستطيع ان ترفع رأسها من شدة الخجل.

كان السيد هيون ها زوك ينتمى الى مجموعة كوكمين، المنظمة القومية، ولكنه كان يقول

علنا انه من جماعة التجديد فى المجموعة، وانه سيشارك مع مرور الوقت فى الحركة الشيوعية.
وبعد ان غادرت غويوشو، سمعت ان السيد هيون ها زوك قد التجأ الى سيان لينجو من النزاعات الداخلية فى مجموعة كوكمين. وحيث ان قوات تشانغ سو ليانغ كانت تتوجه الى هناك، فقد بدا لى انه قد ذهب اليها معلقا الآمال على تشانغ سو ليانغ الذى كان يتسم بشدة مشاعره المناهضة لليابان، وهو السبب الذى جعل اناسا كثيرين يفكرون بالمشاركة فى الحركة المناهضة لليابان تحت مظلة حمايته. فقبل حادثة منشوريا وبعدها، نقل عدد كبير من الاستقلاليين الكوريين الذين كانوا ينشطون فى منطقة المقاطعات الشرقية الثلاث(١٧)، مسرح نشاطهم الى شنغهاى او سيان او تشانغشا وغيرها.
وكلما مررت بمنطقة شمال شرقى الصين بقطار او طائرة فى زيارتى للبلدان الاخرى بعد تحرر الوطن، كنت افكر بغويوشو والسيد هيون ها زوك وذريته وانا انظر الى جبال وانهار منشوريا المألوفة. وكنت اتساءل : هل توفى السيد هيون ها زوك، واذا كان قد توفى فلا بد من وجود واحد او اثنين من ذريته على قيد الحياة، فلماذا اذن لا يبدو لهم اثر؟ وحيث اننى كنت اجهل مستقرهم، فلم تكن لدى وسيلة للعثور عليهم، اما هم بالمقابل فيمكنهم الكتابة الى. وكنت اقول لنفسى انه من السهل على المرء تلقى المعروف، ولكن من الصعب جدا رد الجميل.
ولكننى، فى ربيع عام ١٩٩٠ التقيت فجأة وبتأثر بالغ باخلاف السيد هيون ها زوك.
فقد تبرعت كيم سون اوك زوجة الابن البكر للسيد هيون ها زوك لمتحف الثورة عندنا بمجموعة من الاوانى النحاسية التى كنت استعملها عند استضافتى فى منزلها وحجر الرحى الذى استخدمته عندما كانت تعد لى جبنة فول الصويا. وكانت قد احتفظت بتلك الاشياء خلال ستين عاما. وقد نشرت مقالة حول ذلك فى مجلة "دورازى" التى يصدرها الكوريون فى جيلين، ونقلتها صحيفة "رودونغ سينمون" عندنا.
لقد تأثرت جدا حين علمت ان المحسنين الذين لم اعرف اخبارهم منذ ستين عاما ما زالوا على قيد الحياة وكنت قد صممت على ان ارد بعد تحرير البلاد كامل الدين الذى قدم لى فى غويوشو. وحيث ان الفرصة قد اتيحت، فقد احسست بالرغبة العارمة فى اللقاء بهم واعداد وجبة متواضعة لهم بيدى واستعادة الذكريات معهم.
واعربت كيم سون اوك هى الاخرى عن رغبتها فى لقائى، وانها ستكون مطمئنة اذا

ماتت بعد ذلك.

وهكذا، دعوت كيم سون اوك باسمى فى شهر آذار من عام ١٩٩٠. ولكننا حين التقينا، وجدت نفسى امام عجوز فى الثمانين من عمرها، لا تستطيع للاسف الشديد ان تنقل خطواتها الا بصعوبة بسبب تقدمها فى السن.

كان برفقتها ستة من افراد اسرتها، وكانت وجوههم جميعا غير معروفة بالنسبة لى. كان بينهم ابن هيون كيون. وكان فمه مشابها تماما لفم والده. وحين رأيت هذا التشابه، احسست كما لو ان اباه المتوفى قد عاد الى الحياة وجاء لزيارتى.

انزلنا كيم سون اوك ومرافقيها فى قصر ضيافة شيدناه لاستقبال كبار الضيوف الاجانب، ونظمنا لهم رحلات وزيارات لارجاء الوطن لمدة شهر تقريبا.

وكان من المؤسف جدا ان كيم سون اوك قد فقدت السمع تقريبا، ولم تكن تستطيع النطق الا بصعوبة، اضافة الى تأثر ذاكرتها بشدة. وعلى الرغم من ان لقائى احدى المحسنات اللواتى كنت اتلهف الى معرفة وجودهن بعد مرور ستين عاما كان اشبه بالمعجزة، لكنى لم اتمكن من تبادل الحديث معها كما اريد. كنت انتظر ان استعيد معها لساعات طويلة ذكريات الايام التى عشناها فى غويوشو وان يكمل كل منا ذكريات الآخر. ولكننى شعرت بالخيبة وانا ارى تلك الآمال تتلاشى.

اما مرافقوها فكانوا لا يكادون يعرفون شيئا عن مصير السيد هيون ها زوك ونشاطه. لذا، قصصت عليهم كل التفاصيل عن السيد هيون ها زوك وكيف ناضل من اجل استقلال كوريا وكيف ساعدنا فى النضال الثورى. وكان هذا واجبا على لاننى اعرف سيرة حياته جيدا.

لا تتواصل قضية الاسلاف تلقائيا بين افراد الجيل الصاعد لمجرد ان الدماء نفسها تسرى فى عروقهم. لان اولئك الذين يعرفون جيدا مآثر اسلافهم النضالية ويعتزون بها باخلاص، هم وحدهم من يستطيعون مواصلة القضية الثورية التى بدأها آباؤهم واجدادهم على نحو موثوق.

لقد كان حاضرا مع كيم سون اوك، فى مكان اللقاء نفسه كونغ كوك اوك وكذلك مون زو يانغ ومون سوك كون، وقد ساعدنى هذان الاخيران مساعدة قيمة حينما كنت اقوم بالنشاط الثورى فى ووتشازى.

اما كونغ كوك اوك فهى ابنة كونغ يونغ الذى اعتمر قبعة من الخيش واتشح بثوب الحداد

ثلاث سنوات بدلا منى عندما توفى والدى. ذات عام، اثناء دراستى فى مدرسة يووين الثانوية فى جيلين جئت الى بيتى فى فوسونغ لقضاء العطلة المدرسية، فوجدت فيه زوجة كونغ يونغ وعلى ظهرها طفلة، تلك هى المرأة التى كاد زوجها ان يطلقها بسبب الحرق على وجهها، اما الطفلة التى كانت على ظهرها، فهى كونغ كوك اوك بالذات.

بعيد التحرر، وفيما كنت اوجه اجتماعا لاتحاد الفلاحين فى بيونغ يانغ قابلت مندوبا قادما من بيوكدونغ للاشتراك فى الاجتماع، وسألته عما اذا كان يعرف مكان وجود اسرة الشهيد كونغ يونغ، فقد قدرت بان زوجته وابنته ربما تعيشان فى بيوكدونغ لان كونغ يونغ ولد فيها.

فأجاب ذلك المندوب انه يوجد فى بيوكدونغ بالفعل اناس كثيرون يحملون كنية "كونغ"، لكنه لم يسمع من قبل ان افراد اسرة كونغ يونغ يعيشون فيها.

حين سمعت تلك الاجابة، احسست باليأس والقنوط. فقد كنا نعثر على اسر وذوى الشهداء الآخرين، بينما لا نجد اثرا لاسرة الشهيد كونغ يونغ، مما جعلنى اشعر بفراغ فى قلبى.

كنا آنذاك نعد العدة لاقامة مدرسة ابناء الشهداء الثوريين فى مانكيونغداى. قبل ذلك، وبعد ان القيت فى استاد بيونغ يانغ البلدى خطاب التحية الى المواطنين بمناسبة عودتى الى الوطن، ذهبت بعد عشرين سنة من الغياب الى بيت مولدى حيث كان ينتظرنى جدى وجدتى. وفى ذلك اليوم زارنى زملائى السابقون فى المدرسة الابتدائية واقترحوا ان تقام فى موقع مدرسة سونهوا التى كان والدى معلما فيها، مدرسة ثانوية تحمل اسمى. وقد حاولوا اقناعى بذلك قائلين: بما ان مانكيونغداى مكان مشهور لان القائد كيم ولد فيها، فانه من المناسب بناء مدرسة ثانوية ضخمة وتسميتها " مدرسة كيم إيل سونغ الثانوية" تيمنا باسم القائد.

لم تكن توجد حتى ذلك الحين مدرسة ثانوية فى قرية مولدى.

فقلت لهم : لقد استشهد عدد كبير من الوطنيين اثناء نضالهم المسلح معى فى الجبال، وكانوا فى اللحظات الاخيرة من حياتهم يطلبون منى ان اوفر لابنائهم وبناتهم فرصة التعلم بعد استقلال كوريا، ليكونوا ثوريين ممتازين. ومنذ ذلك الوقت فكرت دائما فى ان اتيح لابناء رفاقى الراحلين فرصة التعلم مهما كلف الامر بعد استقلال كوريا تلبية لمشيئة آبائهم وامهاتهم الاخيرة. وبعد ان استعدنا الوطن، صار تصميمى على ذلك اشد رسوخا. يجب علينا ان نقيم فى مانكيونغداى مدرسة لابناء الشهداء الثوريين، وليس مجرد مدرسة ثانوية.

فاستفسر سكان القرية عن عدد ابناء الشهداء الثوريين، وعما اذا كان عددهم كبيرا الى الحد الذى يسمح ببناء مدرسة خاصة لهم، بل واعرب عن مثل هذا الرأى ايضا عدد من كبار كوادر الحزب والادارة. اذ لم يكن بامكانهم تقدير العدد الكبير من الرجال الذين ضحوا بحياتهم فى النضال لاسترجاع البلاد.

اما انا الذى دفنت بيدى اجساد الكثيرين من رفاقى فى السلاح فى الجبال وعلى ضفاف الانهار فى ارض الغربة، فكنت لا استطيع اخفاء دهشتى كلما رأيت اناسا يسألون مثل تلك الاسئلة.

اقمنا فى مانكيونغداى مدرسة ابناء الشهداء الثوريين بالارصدة التى حصلنا عليها اساسا من الارز الذى تبرع به الفلاحون الى البلاد بعد اول حصاد عقب الاصلاح الزراعى.

وبعثنا عددا كبيرا من الكوادر الى مختلف ارجاء البلاد ومنطقة شمال شرقى الصين للبحث عن ابناء الشهداء الذين يجب ان يدرسوا فى هذه المدرسة. وقد جاء حينذاك المئات من ابناء اسر الشهداء من الصين، بل ان بعض الرفاق الذين اصبحوا اليوم اعضاء فى المكتب السياسى للجنة حزبنا المركزية جاؤوا الى الوطن فى تلك السنوات وراء الرفيق ريم تشون تشو.

سمع بعض ابناء الشهداء نبأ اقامة مدرستهم الثورية فى مانكيونغداى حين كانوا يقومون ببيع الاصبغة او السجائر لتأمين قوتهم، فجاؤوا الينا من تلقاء انفسهم. كان من بينهم ابناء رجال جيش الاستقلال وابناء الوطنيين الذين استشهدوا فى النضال ضد اليابان اثناء عملهم فى المنظمات العمالية او الفلاحية.

ومع ذلك، فان كونغ كوك اوك لم تظهر ولم يعثر لها على اثر فى اى مكان .

وكنت كلما ذهبت الى منطقة محافظة بيونغآن الشمالية، اهتم بالبحث عن مكان اسرة الشهيد كونغ يونغ واطلب من العاملين فيها ان يبحثوا عنهم.

واذا ما ذهبت الى المدرسة للاحتفال باحد الاعياد مع ابناء الشهداء، ورأيتهم يرقصون ويغنون بسعادة، كنت اشعر بغصة الحنين، اذ كان يرتسم امام عينى وجه زوجة كونغ يونغ عندما كانت تأتى الى بيتنا فى شارع سياونانمين منتعلة خفا من القش وعلى رأسها صرة بقول برية، ووجه الصغيرة كونغ كوك اوك التى تمص اصابع يدها وهى محمولة على ظهر امها.

لم اجد كونغ كوك اوك الا فى عام ١٩٦٧، وبعد ان كانت امها قد توفيت. ولو ان الام

عرفت ان كيم إيل سونغ هو كيم سونغ جو نفسه لأتت الى فى الحال. بدا لى انه فضلا عن جهلها بمن يكون كيم إيل سونغ، كانت تفكر بالمعاملة التى ستلقاها اسرتها من الحزب الشيوعى الذى امسك بزمام السلطة اذا ما شاع ان زوجها كان يخدم فى جيش الاستقلال، ولهذا لم تذكر شيئا عن ذلك كله حتى لابنتها.

بعد ان وجدنا كونغ كوك اوك، ارسلناها الى المدرسة الحزبية العليا لكى تدرس فيها. وعملت بعد تخرجها فى اللجنة الحزبية لمدينة بيونغ يانغ ثم فى متحف الآثار التاريخية بوزارة السكك الحديدية. وهى تعيش الآن فى منزلها بعد ان احيلت الى التقاعد لكبر سنها.

كان كيم بو آن فى غويوشو هو الآخر صديقا لوالدى، مثله مثل هيون ها زوك. وكان قد احتل منصب آمر السرية فى جيش الاستقلال.

وكان يؤنبنى لانى لا اعرج مطلقا على بيته، واذهب دائما الى منزل السيد هيون ها زوك. فاذا ما زاره رفاقى، قال لهم انه لا يعرف لماذا لا يزور سونغ جو منزله ابدا مع انه كان يرتبط بكيم هيونغ جيك بعلاقات حميمة كما انه يكن تقديرا كبيرا لسونغ جو.

ومنذ علمت بذلك، لم اعد انسى زيارته ابدا كلما ذهبت الى غويوشو.

كان لدى كيم بو آن صيدلية خاصة وكان يتبرع بالمال القليل الذى يحصل عليه منها لمساعدة مدرسة سامكوانغ التى نديرها. ولانه كان يتمتع بحس تربوى عال، فقد كان يهتم اهتماما بالغا بتنوير الشباب والاطفال. فاذا طلبنا منه القاء محاضرة فى مدرسة سامكوانغ كان يستجيب لطلبنا بكل سرور.

وكان يتأسف لان الكوريين المقيمين فى غويوشو لا يستطيعون حتى حساب النقود وانه لا يمكن تحقيق استقلال كوريا بمثل هؤلاء الناس الجهلة.

لن يصدق اناس هذه الايام ان الكهول كانوا يجهلون حساب النقود، ولكن الكثير من الصينيين والسكان الكوريين الذين هاجروا الى مقاطعة جيلين فى ذلك الحين كانوا يجهلون فى الواقع كيفية حساب النقود. وبما ان النقود الصادرة من المقاطعة والنقود المتداولة فى المحافظات كانت تختلف بعضها عن بعض، وقيمة النقود المتنوعة بما فيها النقود المتداولة فى جيلين ونقود فينغتين والنقود الصغيرة فى جيلين والنقود المعدنية الفضية تختلف بعضها عن بعض ايضا، فلم يكن باستطاعة اولئك الناس الذين لم يتلقوا تعليما ان يجروا الحسابات فى السوق.

استدعينا الفلاحين الى المدارس المسائية، والى دروس الحساب وعلمناهم طريقة حساب

النقود.

حين رأى كيم بو آن اولئك الناس الذين كان يحتقرهم لانهم جاهلون لا يتمكنون حتى من حساب النقود، وقد اصبحوا يتقنون العمليات الحسابية الاربع، هتف بابتهاج : "اجل، هذا رائع. الواقع ان الكوريين اذكياء". كما انه زار المدرسة المسائية وحضر دروسا فى مدرسة سامكوانغ مؤكدا انه : "من المشوق رؤية تقدم الجهلة الى مستوى المتعلمين."

كان طلبة القسم الثانوى من مدرسة سامكوانغ دون استثناء بارعين واذكياء. ومن بقى منهم راسخا فى ذاكرتى بشكل خاص الطالبتان ريو تشون كيونغ وهوانغ سون سين.

لقد انتسبتا الى المدرسة بتوصية من المنظمات الثورية فى كارون. وقد كان ريو يونغ سون والد ريو تشون كيونغ معلما فى مدرسة زينميونغ، وقدم مساعدة كبيرة لعملنا الثورى. ولم تكن ريو تشون كيونغ وهوانغ سون سين قد تجاوزتا حينذاك الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من عمرهما.

وكلما كنا نعود من غويوشو الى كارون او جيلين، كنا نكلفهما بنقل اسلحتنا، وذلك لان شرطة امراء الحرب كانت اقل صرامة فى تفتيش النساء.

وكانت الفتاتان تقدمان لنا دوما هذه الخدمات بكل اخلاص، فتخبئان الاسلحة تحت تنورتيهما وتسيران على بعد حوالى ٥٠ مترا وراءنا. وفيما كنا نخضع لتفتيش دقيق على نقاط المراقبة، كانوا يسمحون لهما بالمرور دون التدقيق بهما.

وبعد تحرير البلاد، عادت هوانغ سون سين الى الوطن واشتغلت بالزراعة فى مسقط رأسها. وقد اجادت فى عملها بالحماسة نفسها التى كانت تبديها حين كانت عضوا فى فرقة الاطفال الكشافة اثناء دراستها فى مدرسة سامكوانغ. وقد اشتهرت بتحطيمها ارقاما قياسية فى جنى المحاصيل وحظيت باحترام ومحبة الناس. كما عملت بعد الحرب نائبة فى مجلس الشعب الاعلى لبعض الوقت.

اما ريو تشون كيونغ فقد بقيت فى منشوريا، حيث كانت تتنقل من مكان الى آخر، ولكنها فى الفترة الاخيرة من حياتها اعربت عن رغبتها فى العودة الى الوطن مثلما حدث للى كوان رين، وعادت فعلا فى عام ١٩٧٩.

ولو انها عادت الى الوطن وهى فى ريعان الشباب مثلما فعلت هوانغ سون سين لاصبحت بدورها شخصية معروفة ولجعلت النصف الثانى من حياتها اكثر نشاطا وفائدة

لمصلحة المجتمع والشعب. فقد كانت ذكية تتقن الكتابة والخطابة خيرا من جميع طالبات مدرسة سامكوانغ، وكانت تعد بمستقبل مشرق.

عندما كنا نستعد فى آنتو لتأسيس جيش حرب العصابات، تلقيت رسالة منها تعبر فيها عن رغبتها فى مواصلة النضال معنا. ولكننى لم اكتب اليها لتأتى الى آنتو، لاننا كنا نمر بأوقات مشحونة بالاعمال عشية الشروع فى النضال المسلح، اضافة الى اننى فكرت بانه مع بدء هذا النضال سيكون من الصعب على النساء اللحاق بالرجال.

فحتى ذلك الحين، ورغم مطالبتنا بالمساواة فى الحقوق بين الرجال والنساء، كنا نعتبر النساء غير قادرات على خوض الكفاح المسلح.

لو ان ريو تشون كيونغ عادت الى الوطن وهى فى حوالى الخمسين من عمرها لوفرنا لها فرصة التعلم لتشارك فى النشاطات الاجتماعية. فقد كان مبدأنا انه اذا ما وجدنا اناسا ساهموا بشكل مباشر او غير مباشر فى النضال الثورى فى الماضى، ان نتيح لهم فرصة التعلم بغض النظر عن تقدمهم فى السن، ليؤدوا مهمات سياسية فى مناصب مناسبة. ولكن مهما كان ذكاء المرء وقدراته، فانه سيفقد قدراته الذهنية ويصبح على هامش ما يدور فى العالم ويعلو الصدأ نظرته الى الحياة، اذا ما بقى حبيس جدران بيته مدة طويلة دون ان يشترك فى النشاطات الاجتماعية.

بعد التحرر، طوى النسيان عددا غير يسير ممن شاركوا بطريقة مباشرة او غير مباشرة فى النضال الثورى ولم يتم تعيينهم فى المناصب المناسبة. ذلك ان الفئويين اوقفوا ترفيع المناضلين المناهضين لليابان ككوادر لمدة طويلة، متذرعين بانهم جهلة، رغم ان سيرهم الحياتية طيبة. ولو انهم كانوا صادقين لكان عليهم ان يتخذوا اجراءات نشطة لتدريبهم وتأهيلهم لكى يؤدوا دورهم تماما. ولكنهم فعلوا عكس ذلك تماما، اذ نبذوهم وصدفوا عنهم.

ولهذا السبب، اتخذنا اجراءات تقضى بالبحث عن ابناء الشهداء الثوريين او المشاركين فى النضال الثورى وتعليمهم فى المدرسة الحزبية العليا او جامعة الاقتصاد الوطنى لكى نعينهم ككوادر حسب مستوى كفاءتهم.

فالمناضلون الثوريون القدماء ايضا يصبحون متخلفين عن العصر، اذا ما اهملوا الدراسة ولم يشتركوا فى الحياة التنظيمية.

فى هذا السياق، نما عدد كبير من المناضلين وابناء الشهداء ومن ساعدوا النضال الثورى المناهض لليابان وترقوا كأعضاء قياديين اكفاء فى الحزب والدولة وكنشطاء اجتماعيين

بارزين.

وقد كان مون زو يانغ واحدا من هؤلاء. فابان عمله فى ووتشازى كمسؤول عن قسم التنظيم فى اتحاد الشباب المناهض للامبريالية قدم لنا مساعدة كبيرة فى عملنا مع بيون دال هوان، تشاى ايل تشون، لى مونغ رين وكيم هاى سان. فقد كتب مقالات كثيرة معنا، والقى كثيرا من الخطابات كما اشترك بحماس فى مهمة انشاء المنظمات الجماهيرية. ويبدو لى اننا كنا نعقد معظم الاجتماعات فى منزله.

حين كنت فى ووتشازى، تلقيت عناية مخلصة فى منزل مون سى زون اخى مون زو يانغ وكذلك فى منزل تشاى ايل تشون.

كان مون سى زون شخصا كريما. فقد قدم لنا الطعام لعدة اشهر دون مقابل. بل انه ذبح خنزيرا لاكرامنا. وكان يتوسل الينا ان نستعيد البلاد مهما كلف الامر. واننى لاشعر الآن كما لو ان هذا كله حدث بالامس فقط. ولقد اقمت فى منزله مدة طويلة.

وكانوا يقدمون لى مع كل وجبة طبقا من الثوم المملح، وكنت اجد له مذاقا مميزا. وقد كان ذلك المذاق فريدا لدرجة اننى تذكرته حين التقيت مع مون سوك كون ابنة مون سى زون بعد التحرر. ولذا، دعوتها الى منزلى لكى تعلمهم فيه طريقة اعداد الثوم المملح.

وكلما اقوم بزيارة تفقدية للمحافظات، يضع لى اناسنا الثوم المملح على مائدة الطعام، لكننى لا اجد مجالا لمقارنة مذاقه بذاك الذى كنت اتناوله بشهية كبيرة مع الدخن المبلول فى ووتشازى.

قبل مدة وجيزة، احتفل مون زو يانغ بالذكرى الثمانين لميلاده. فارسلت اليه باقة من الزهور فى ذلك اليوم وهيأت له مائدة عيد ميلاده الثمانينى وانا اتصور ايام حياتنا فى ووتشازى.

لقد اقمت لعدة اسابيع فى منزل تشاى ايل تشون ايضا الذى كان رئيسا لاتحاد الشباب المناهض للامبريالية ورئيسا لتحرير مجلة "نونغوو" فى ووتشازى. وكنا ندعوه آنذاك، تشاى تشون او تشاى تشان سون. اما اسم تشاى هيونغ وو الذى ورد على غلاف كتاب "موجز تاريخ الحركة الثورية الكورية فى الخارج" فهو اسم مستعار اعتاد ان يوقع به مؤلفاته التى كتبها فى سيؤول بعد التحرر مباشرة.

كان تشاى ايل تشون الشخص الاكثر تنورا فى ووتشازى. لم يكن لديه الالهام الشعرى مثل كيم هيوك، لكنه كان يملك قدرة باهرة على الكتابة النثرية. لذا، تولى منصب مدير فرع

صحيفة "دونغآ ايلبو" بطلب منا وذلك مع قيامه فى الوقت نفسه بالنشاط كعامل سرى فى تشانغتشون عدة سنوات. وفى سياق ذلك، جمع معلومات كثيرة عن نشاطاتى، وكثيرا ما كتب ونشر مقالات لصالحنا.

كان تشاى ايل تشون "شخصا تحت المراقبة"، ممن تلاحقهم دوائر المخابرات اليابانية. لذا، كان رجال الدرك اليابانيون والمخبرون يتناوبون على مراقبته، فهناك على الدوام واحد منهم عند مدخل فرع صحيفة "دونغآ ايلبو". والسبب فى ذلك هو انه واصل فى تشانغتشون عمله مع الشباب ونشر الكثير من المواد الدعائية حولنا من خلال علاقته الوثيقة مع شخصيات وطنية داخل البلاد. وعند شروعنا فى النضال المسلح فى منشوريا الشرقية، ارسل الى جيش حرب العصابات المناهض لليابان عدة شباب طليعيين رباهم بنفسه ضمن اطار اتحاد الشباب المناهض للامبريالية. ولا بد من التقدير انه من خلال هذه الممارسة الثورية تحديدا، اكتسب وصقل اسلوبه البديع والمثير فى الكتابة، والذى عكس ووصف من خلاله بنجاح مظاهر ووقائع حقيقية من نضال التحرر الوطنى للكوريين المقيمين فى منشوريا فى مؤلفه "موجز تاريخ الحركة الثورية الكورية فى الخارج."

واثناء اقامته فى شنيانغ وبكين، ذهب عدة مرات الى سيؤول ونشر بين الشخصيات المشهورة ومختلف قطاعات الشعب اخبار نجاحات النضال المسلح المناهض لليابان. وبعد تأسيس جمعية استعادة الوطن، قام بشرح برنامجها بينهم. ونتيجة لنشاطاته الدعائية، اتخذت الجمعية اللغوية الكورية والحركة الفولكلورية اللتان قادهما السيد لى كوك رو موقف التأييد والموافقة التامة على برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن، وخاضتا النضال لحماية الثقافة القومية وروح الامة وفقا لروح هذا البرنامج.

وعندما اشتدت مطاردة السلطات اليابانية ومراقبتها له، ذهب تشاى ايل تشون الى سيؤول حاملا مواد اعلامية حول نضالنا ومعلومات عن حركة الاستقلال كان قد جمعها بنفسه وهو يجوب مختلف مناطق منشوريا اثناء عمله لصحيفة "دونغآ ايلبو". وقد سلم كل تلك المواد الى السيد لى كوك رو الذى كان يرأس الجمعية اللغوية الكورية آنذاك. وكانت بين تلك الوثائق مجموعة اعداد من مجلة "نونغوو" التى اصدرناها فى ووتشازى.

وقبل ان يرجع الى منشوريا، قال الكلمات التالية:

"انها مواد لها قيمة الثروة الوطنية. وليست لدى امكانية الحفاظ عليها لاننى اعيش تحت وطأة مراقبة العدو ومطاردته. سأستخدم هذه الوثائق لتأليف كتاب فى التاريخ بعد استقلال

البلاد. فأرجوك ايها السيد لى ان تحافظ عليها جيدا حتى ذلك اليوم".

وبعد التحرر مباشرة، اعاد اليه السيد لى كوك رو تلك الوثائق التى حافظ عليها باهتمام بالغ كما طلب منه، ثم الف كتاب "موجز تاريخ الحركة الثورية الكورية فى الخارج" دفعة واحدة. ومع ان الكتاب كان مطبوعا على ورق من الفضلات تختلط به حبيبات رمل، الا انه نال شعبية واسعة. وقد كان عدد قرائه واسعا لدرجة ان المثقفين الشباب المتخصصين فى التاريخ والادب كانوا يقرؤونه بعد نسخه بأيديهم.

حتى فى الظروف الرهيبة التى سادت جنوبى كوريا حيث اعتبرت السلطة العسكرية الامريكية معاداة الشيوعية والشطر الشمالى من جمهوريتنا "سياسة للدولة" وتكفلت بتطبيقها بالقوة بعد التحرر مباشرة، قام تشاى ايل تشون بنشر عدد كبير من رسوم الكاريكاتور التى تدعو للنضال المناهض لليابان، لكى يغرس فى نفوس الشباب والاحداث مشاعر معاداة الامبريالية واليابان.

وقد كان من المذهل حقا ان يتمكن من تركيز كل قواه الروحية فى ابداع عمل عظيم بحجم "موجز تاريخ الحركة الثورية الكورية فى الخارج"، وهو يعيش فى سيؤول التى تسودها الفوضى السياسية والاجتماعية.

وعند انخراطه فى الوسط السياسى فى جنوبى كوريا، تولى مناصب هامة متتالية، مثل رئاسة القسم السياسى فى الحزب الثورى الكوري، ومدير قسم فى اللجنة المركزية للحزب التقدمى الجديد، وعضو لجنة استقبال القائد كيم إيل سونغ، وعضو اللجنة التنفيذية للاتحاد من اجل السيادة الوطنية. وعمل مع ريو وون هيونغ وهونغ ميونغ هى وكيم كيو سيك وغيرهم من الشخصيات مناضلا بنكران للذات لجمع شمل القوى الديمقراطية وتوحيد الشمال والجنوب. ولكنه للاسف الشديد تعرض للاغتيال فى سيؤول على يد الرجعيين اثناء حرب التحرير الوطنية.

لم يكمل تشاى ايل تشون تأليف "موجز تاريخ الحركة الثورية الكورية فى الخارج". فقد كان يخطط فى الاصل لكتابة الجزء الثانى منه، ثم الجزء التالى بعد ذلك، ولكن انغماسه فى الحياة السياسية المضطربة فى جنوبى كوريا لم يتح له الوقت لانجاز مخططه. وقد قيل لى انه كان يفكر ان يتناول فى المجلد الثانى نشاطاتنا الثورية بكل ابعادها.

ولو عاش تشاى ايل تشون لفترة اطول، لخرج ذلك الكتاب الى النور بكل تأكيد، ولظهرت معلومات هامة حول تاريخنا الثورى.

لقد مضى زمن طويل منذ ذلك الحين، ولم يبق الا عدد قليل من الناس الذين يمكنهم ان يتذكروا فترة النضال الثورى المناهض لليابان. واقل منهم اولئك الذين يستطيعون ان يتذكروا بداية نشاطاتنا الثورية. كما ان لذاكرتى حدودا، وقد نسيت كثيرا من الحوادث، كما ان بعض الاحداث اصبحت غامضة فى ذاكرتى ومن الصعب على ان اتذكر الآن موعدها واشخاصها بصورة صحيحة.

ومن بين الاشخاص الذين ساعدونا فى نشاطاتنا فى جنوبى منشوريا ووسطها، تركت زون كيونغ سوك خطيبة كيم لى كاب فى نفسى انطباعا خاصا.

لقد كان كيم لى كاب هو بطل حادثة "مطعم كومكانغ" ("مطعم دايسونغ") وقد وردت هذه القصة ايضا فى كتابه "موجز تاريخ الحركة الثورية الكورية فى الخارج."

فى ربيع عام ١٩٣٠، قام رجال شرطة القنصلية اليابانية الذين تنكروا بملابس صينية بمفاجأة كيم لى كاب فى بيت او سانغ هون (او تشون يا) فى شارع فوسينغجى بمدينة جيلين فكموا فمه وكبلوا يديه ورجليه ثم اقتادوه الى تشانغتشون.

وقد حكم عليه بعد ذلك بالسجن لمدة تسع سنوات واودع فى سجن ديرن.

لم يوافق والدا زون كيونغ سوك على اقتران ابنتهما بالثورى كيم لى كاب، لكنها عصت ارادتهما بحزم وهجرت بيتها، ثم ذهبت الى ديرن حيث كان حبيبها. كان عمرها حينذاك ثمانية عشر او تسعة عشر عاما. وقد عملت فى مصنع للنسيج وتولت مسؤولية اتحاد الشباب الشيوعى فيه، وكانت تولى فى الوقت نفسه عناية مخلصة لخطيبها السجين.

قص على هذه الحادثة تونغ تشانغ رونغ الذى كان يعمل امينا للجنة الحزبية فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة. وقال لى انه حدث له ان قابل زون كيونغ سوك عندما كان يقوم بالعمل الحزبى السرى فى ديرن واوضح : "لقد استطعت معرفة مدى عفة المرأة الكورية وقوة ارادتها بعد اللقاء بتلك المرأة" لانه تأثر بحبها الغيور والصادق لحبيبها.

حينما استمعت الى هذه القصة، اعجبت انا ايضا بشيمها السامية. وتذكرت آنذاك، صورة زون كيونغ سوك وهى تعد لى وجبة عشاء وتنبهنى خفية الى مخطط الارهاب الذى دبرته مجموعة كوكمين وذلك عندما ذهبت الى وانغتشينغمين لحضور مؤتمر الاتحاد العام للشبيبة فى منشوريا الجنوبية. وفكرت كذلك فى ان كيم لى كاب هو رجل محظوظ جدا.

سيكون من المستحيل ذكر جميع الوقائع المتعلقة بالمحسنين الكثيرين جدا الذين قدموا الطعام لنا، نحن شيوعيى الجيل الجديد عندما كنا نذرع امتدادات منشوريا كلها من اجل

انقاذ الامة، وساعدونا فى دفع نفقات الدراسة والسفر مقدمين لنا النقود القليلة التى وفروها قرشا قرشا. ولا يزال مصير ومكان وجود عدد لا يحصى منهم غير معروف. وليت اولئك الناس يظهرون، حتى ولو الآن، لان ذلك سيثلج صدرى ويخفف من كربة قلبى. وكم سيكون رائعا لو استطيع ان اقدم لهم ولو وجبة واحدة من الطعام وان اتبادل معهم الذكريات التى تراكمت على امتداد عشرات السنين.

ومع ذلك، فان عملى هذا لن يعوض تماما عما بذلوه لى من جهود عظيمة وعناية مخلصة.

اعتقد ان اكبر المكافآت والهدايا التى يمكن ان اقدمها اليهم هى بذ ل كل جهودى لجعل ابناء شعبنا يتمتعون بحياة اكثر رغدا وسعادة واكمل الثورة التى بدأتها بدعمهم وتأييدهم. وقبل توفير هذه المكافأة للشعب، لا يمكن لاحد من الشيوعيين ان يقول انه قد ادى واجبه.

الفصل الخامس

الشعب المسلح

الاراضى المعذبة

حادثة ١٨ ايلول

الرد على السلاح بالسلاح

الاستعداد للنضال الدامى

ولادة القوات المسلحة الجديدة

الفترة: كانون الثانى ١٩٣١ – نيسان ١٩٣٢

١- الاراضى المعذبة

ان دوامة الارهاب الابيض التى بدأت مع انتفاضة ٣٠ ايار وانتفاضة اول آب، اجتاحت منشوريا بصورة اشد مع مطلع عام ١٩٣١. فاثار العدو ضجة القمع الدموى فى كل الارجاء لاستئصال شأفة القوى الثورية التى رباها الشيوعيون والوطنيون الكوريون بجهودهم المضنية خلال عدة سنوات.

كان الوضع فى منشوريا الشرقية اشد توترا مما هو فى منشوريا الجنوبية او المنطقة الوسطى. كما كانت عواقب الانتفاضة ايضا اكثر قسوة وكارثية فيها. وحين رأيت رؤوس المنتفضين معلقة على رؤوس عصى عند البوابة الجنوبية فى تونهوا، استطعت ان اخمن مدى وحشية الهجمة المعادية على القوى الثورية.

وحتى بعد الانتفاضتين المذكورتين، لم يتوقف الفئويون المرتهنون للقوى العظمى المتمسكون بالجمود العقائدى والبطولة البرجوازية الصغيرة عن تنظيم الانتفاضات تحت لافتة احياء ذكرى المناسبات، مثل ذكرى نكبة البلاد، والاحتفال بثورة اكتوبر، وذكرى انتفاضة كوانغتشو وغيرها من المناسبات، اضافة الى اضراب موسم الحصاد وانتفاضة المرتعبين، بحيث وصل عدد تلك الانتفاضات الى المئات. وقد ادى ذلك الى حملة ارهاب معادية متواصلة عاما بعد عام.

وفى هذا السياق، دمرت معظم المنظمات الثورية فى تشينتاو، ولم تقصر الاعتقالات واحكام الاعدام على عناصر النواة الذين كانوا يناضلون فى مقدمة الصفوف، بل طالت ايضا اولئك الاشخاص الذين كانوا يزودونهم بالطعام ويسيرون وراءهم. كما تكبدت المنظمات التى قمنا بانعاشها اثناء تقدمنا الى شواطئ نهر دومان قبل سنة اضرارا لا يستهان بها.

وكان هناك بين المنتفضين من استسلموا للعدو من تلقاء انفسهم او ابتعدوا عن المنظمات الثورية.

وعندما كنا نذهب الى القرى لنعيد الاتصال مع المنظمات التى تحولت الى العمل السرى، كان بعض الناس يبتعدون عنا وهم ينظرون الينا شزرا. بل وكان بعضهم يدير لنا ظهره ويرتاب بالشيوعيين كلهم دون استثناء ودون تمييز بين انتماءاتهم وفئاتهم قائلين ان "تشينتاو تعرضت للدمار بسبب الحزب الشيوعى"، وان "تهور الحزب الشيوعى اغرق اراضى تشينتاو كلها فى بحر من الدماء والنيران"، وان "من سيرقص على انغام الحزب الشيوعى ستتعرض كل اسرته للابادة."

حينما ذهبت الى مينغويكو، شكا لى تشونغ سان عضو اللجنة الحزبية فى وينغكو من العذابات التى مر بها بعد الانتفاضة وقال:

"كثيرا ما طلبت المنظمة العليا منى باصرار ان اقوم بانعاش المنظمات وتوسيعها فى اوساط الجماهير، ولكننى اقول بصراحة اننى فقدت الحماسة والرغبة فى مقابلة الناس، ولست اعنى فقط اولئك الناس الذين كانوا يحترموننى كثورى، وانما كذلك من انتموا الى المنظمات بتوصية منى فيما مضى، فقد صاروا يتهربون منى اذا ما رأونى منذ عدة اشهر، فكيف استطيع مواصلة الثورة وانا فى هذا الوضع التعيس؟ بعد اكتساح رياح الانتفاضة للمنطقة اصابت الرأى العام فى تشينتاو حالة من النفور الشديد. اننى اتساءل احيانا عما اذا لم يكن من الافضل لى التخلى عن الثورة وكسب قوتى فى اى مكان، بدلا من ان اعيش منبوذا على هذا النحو. صحيح ان ما اقوله هو مجرد كلام يسهل نطقه. ولكن، كيف يمكننى التخلى بسهولة عن الغاية التى احتضنتها كثورى وانا اعى العبر الدامية؟ ومع ذلك لا بد من اتخاذ اجراء ما على كل حال، لكن ذهنى لا يتفتق عن اى فكرة، ولهذا اجد نفسى فى تذمر وشكوى من هذا الوضع المتقلب".

كانت هذه هى عذابات لى تشونغ سان، وفى الوقت نفسه عذاباتى ايضا. وقد ذاق جميع الثوريين فى تشينتاو هذه العذابات فى عامى ١٩٣٠ و١٩٣١. لقد كان الواقع مدلهما الى حد اوقع فى البلبلة ثوريا مجربا ونزيها وجديا مثل لى تشونغ سان.

لم يتخل لى تشونغ سان عن الثورة فى منتصف الطريق بالطبع.

وقد سنحت لى الفرصة فيما بعد للقاء به مجددا فى آنتو. وقال لى انه قد نقل الى لجنة الدائرة للحزب فى آنتو حين كنت اجوب عدة محافظات على ضفاف نهر دومان. وبدا لى اشد حماسة مما كان عليه فى وينغشينغلاجى.

وقد قال لى بسعادة كبيرة ان عمله يسير على خير ما يرام فى موقعه الجديد.

"لقد انقضت مرحلة الكابوس".

هكذا عبر بايجاز عن التبدل الذى طرأ على حياته. ولم استطع ان المح فى وجهه اى اثر لتلك التعاسة والكآبة التى رأيتها حين شكا لى من ابتعاد الناس عنه.

ولكن، حتى لقائى معه فى وينغشينغلاجى، كان الثوريون فى منشوريا يشعرون بالكدر والغم لان ابناء الشعب لا يقتربون منهم، بينما هم يعانون مرارة الارهاب الابيض.

وقد عشت انا ايضا العذابات نفسها. وكانت تلك الفترة تحديدا هى التى كنت اتناول فيها حساء الذرة الممزوج بماء كثير مع مخلل الخردل، واقاوم الجوع ليلا وانا اسند رأسى الى وسادة خشبية صغيرة فى غرفة جانبية تنفذ اليها الريح الباردة بمنزل اناس آخرين. لقد كان الجوع احد اكبر عذاباتنا فى تلك الفترة. واكرر مؤكدا ان اكثر ما عانينا منه فى ذلك الحين فى تشينتاو هو البرد والجوع.

لقد كان على ان اتحمل البرد اكثر من الآخرين، ذلك اننى اعتدت على قضاء الشتاء بملابس غير مبطنة بالقطن. وعندما كنت اذهب الى بيت لا فراش فيه، كنت انام دون ان اخلع ملابسى. وهذا ما فعلته ايضا فى بيت لى تشونغ سان، حيث لم تكن توجد وسائد او فراش، ولهذا حاولت النوم بملابسى، ولكننى امضيت الليل مؤرقا من شدة البرد.

كانت المعاناة شديدة جدا فى تلك الليلة لدرجة اننى تذكرتها عندما ذهبت فيما بعد الى آنتو. وحين سمعتنى امى اقص عليها ذلك، خاطت لى خلال بضعة ايام لباسا مبطنا فضفاضا مثل سترات حوذيى العربات التى تجرها الثيران. وكنت اتدثر به كلما بت فى بيت لا وجود فيه لوسائد وفراش، فاتدثر به مكورا نفسى، بينما اضع رأسى على وسادة خشبية بعد لفها بمنديل.

لكن هذا لم يكن عقبة كبيرة بالنسبة لى. فحين كنت فى تشينتاو فى ربيع ذلك العام لم استطع النوم ملء جفونى ليلة واحدة. فقد كنت غير قادر على تهدئة آلام روحى وانا افكر بالرفاق الذين قتلوا وبالمنظمات التى دمرت، اضافة الى معاناتى من البرد والجوع.

لقد كنت اعانى ايضا من اليأس والشعور بالوحدة بسبب معاملة الشعب الفاترة. فاذا ما حاولت النوم على ارضية الغرفة الباردة متوسدا ذراعى بعد رؤيتى الجماهير التى لا تفتح لى قلبها، كنت لا استطيع النوم لان تلك المشاهد كانت تسيطر على ذهنى.

لقد علقنا، فى الواقع، آمالا كبيرة على منطقة تشينتاو منذ فترة بعيدة من الزمن، لان

مختلف مناطقها لم تكن قد تأثرت كثيرا بالفئوية، باستثناء آنزى حيث كان للفئويين وجود كبير. وقد وفر ذلك للشيوعيين من الجيل الجديد ظروفا مؤاتية لدفع الثورة بصورة اصيلة فى هذه المناطق. وطوال عدة سنوات من الجهود والمساعى الدؤوبة، قام رفاقنا باستعدادات فعالة للارتقاء بالثورة المناهضة لليابان فى تلك المناطق الى مرحلة اعلى.

ومع ذلك، فان جولتى الانتفاضة قد الحقتا اضرارا جدية بذلك البرج الذى اقامه الرفاق بجهود مضنية. وبالرغم من ان الميول اليسارية كانت تغرى الجماهير مؤقتا بكلامها وشعاراتها الثورية المتطرفة، الا ان اضرارها كانت خطيرة وكارثية على النحو الذى ذكرته. واعتقد انه ليس من المغالاة القول ان اليسارية هى الوجه الآخر لليمينية.

واذا كنا قد اسرعنا بالذهاب الى تشينتاو تاركين كل ما عداها من الامور لوقت آخر، فان السبب فى ذلك هو رغبتنا فى التعويض عن الخسائر التى سببتها اليسارية والتعجيل بالاستعداد للانتقال الى النضال المسلح بأسرع ما يمكن.

ولكننى لم استطع تحمل الاحزان حين رأيت ابعاد الكارثة التى حلت بتشينتاو، على نقيض الآمال التى كنت احملها قبل وصولى اليها، والادهى من ذلك ان سكانها فقدوا ثقتهم بالثوريين واداروا لهم ظهرهم.

هل هنالك ما هو اشد حزنا من نبذ الشعب واهماله للمناضلين الذين يضحون بحياتهم من اجله؟ فالثورى الذى يفقد ثقة الشعب وتأييده، ولو يوما واحدا، لا يمكنه القول انه يعيش حياة الثورى.

ان فتور الجماهير فى معاملتها للثوريين عامة، بغض النظر عن انتماءاتهم، سبب لنا المرارة والكآبة، لان المنتفضين اساءوا الى الشيوعيين، ولم تعد الجماهير تثق بقادتها وانفصلت عن المنظمات وظهر حاجز من عدم الثقة وسوء التفاهم بين الشعبين الكورى والصينى.

وقد كانت هذه العوامل هى اكبر مصدر لعذابنا فى ذلك الحين.

ولكننا لم نتراجع مع ذلك امام هذه المعاناة وهذه الاحزان والكآبة. فما لم تكن هناك مصاعب فى طريق النضال الثورى، فانه لا يمكن القول ان ثمة ثورة. وكلما اشتدت المحن، كلما توجب على الثورى ان يتجاوزها بشجاعة اكبر وارادة اقوى وايمان اشد.

لقد قمنا فى عام ١٩٣١ ايضا بالعمل على تصفية نتائج انتفاضة ٣٠ ايار فى منطقة تشينتاو بدأب واناة. لان تلك النتائج كانت العقبة الاساسية امام تجسيد توجهات اجتماع

كارون. فما لم نقض على هذه العقبة ونعيد رص الصفوف الثورية باسرع ما يمكن، كان من المستحيل علينا ان ننقذ الثورة من الخطر ونعمقها ونطورها.

عند ذهابى الى منشوريا الشرقية بعد انتهاء اجتماع ووتشازى، طرحت مهمتين اساسيتين لى ولرفاقى.

كانت الاولى منهما هى ان نحلل عواقب انتفاضة ٣٠ ايار. ومع اننا لم نكن بكل تأكيد محركى هذه الانتفاضة او قادتها، الا اننا كنا بحاجة الى تحليلها وتلخيصها بدقة من مختلف الزوايا وعلى اسس علمية.

فعلى الرغم من الاخفاقات المتتالية لحركات الانتفاضة، كان مايزال فى منشوريا الشرقية ارهابيون متعصبون ومؤيدون لخط لى ليسان ممن يحرضون الجماهير على نضال العنف المتهور.

كان توجه لى ليسان يتلخص فى تحقيق "الانتصار فى مقاطعة واحدة او عدة مقاطعات اولا"، وهى محاولة تطبيق دوغمائية لمقولة لينين حول امكانية انتصار الثورة الاشتراكية فى بلد واحد، وقد كان لهذا التوجه مفعول الحافز فى دفع الجماهير الى الانتفاضة.

وحيث ان من طرح هذه الصيغة هو صاحب السلطة الفعلية فى الحزب الشيوعى الصيني، فقد انتقلت عبر الجهاز التنظيمى وسار اناس كثيرون فى ركابها خلال مدة طويلة، الى ان اقصى لى ليسان من منصبه الحزبى ووصمت نظريته بأنها مغامرة يسارية. ورغم مرارة الاخفاقات والمحن المتوالية، الا ان المغامرين اليساريين لم يتحرروا من حلاوة الحلم المثالى الذى لقنهم اياه لى ليسان.

ولو انهم درسوا نتائج انتفاضة ٣٠ ايار، لاستطاعوا انتزاع انفسهم من ذلك الوهم.

فقررنا ان نقرع جرس الانذار ضد الوصولية والسعى وراء الامجاد والبطولة البرجوازية الصغيرة التى تميز سلوك الفئويين المرتهنين للقوى العظمى.

كما اننى كنت موقنا من ان مراجعة حصيلة الانتفاضة ستشكل نقطة تحول تاريخى تتيح للثوريين فى منطقة منشوريا امكانية استيعاب الاستراتيجيات والتاكتيكات والمناهج العلمية لقيادة الجماهير.

وكانت المهمة الاخرى هى طرح الخط التنظيمى السديد الذى يمكننا من جمع شمل الجماهير العريضة فى قوة سياسية واحدة وتسليح شيوعيى الجيل الجديد بهذا الخط.

فقد كان الشيوعيون فى منطقة تشينتاو يفتقرون الى خط تنظيمى صحيح يسترشدون به

فى انعاش وترتيب المنظمات المخربة وتوسيعها وتقويتها.

كان الفئويون المرتهنون للقوى العظمى الذين ينشطون فى منشوريا الشرقية يرتكبون الاخطاء اليسارية الفادحة فى تنظيم الجماهير ايضا. فقد كانوا يصرون على "نظرية الثورة الطبقية" ولا يقبلون فى منظمتهم سوى الفلاحين الفقراء والاجراء والعمال، بينما كانوا ينظرون الى القطاعات الاخرى كفئات غريبة عن الثورة. لذا، ذهب الغضب والسخط باولئك الناس الذين لم ينضموا الى المنظمة الى حد الاشاعة بان الشيوعية هى شىء تافه، وانها لا تجمع سوى حفنة من الفقراء التافهين الذين هم اشبه بحبات رمل بين الارز المقشور، وتستبعد الآخرين.

ومن اجل تصفية هذا الميل الى اغلاق ابواب المنظمة وجمع شمل القطاعات الوطنية فى كتلة واحدة، كان لا بد لنا من القضاء على ميول التبعية والجمود العقائدى التى تتشبث بمقولات الكلاسيكيين او بتجارب البلدان الاخرى فقط، وان نطرح الخط التنظيمى الصحيح لجمع وضم جميع القوى الوطنية دون استثناء وان نضعه موضع التطبيق فى اسرع وقت ممكن.

حددت هذه المهمة كمرحلة اولى من عملى فى تشينتاو واسرعت الخطى نحو منشوريا الشرقية. لكننى اعتقلت فجأة على يد سلطة امراء الحرب الرجعيين بوشاية من احد الجواسيس وانا على الطريق الى تشانغتشون مع كل من ريو بونغ هوا وتشاى دوك يونغ وذلك بعد ان قمت بتوجيه عمل المنظمات الجماهيرية فى غويوشو.

كانت سلطة امراء الحرب فى ذلك الحين ترصد تحركاتنا بصرامة. وكانت لديها ايضا حاسة شم لا تقل عما لدى الشرطة اليابانية. بل ان هذه السلطة كانت تعرف باننا نتقدم الى منشوريا الشرقية من اجل الاستعداد للنضال المسلح.

لقد ادركت سلطة امراء الحرب ان غويوشو هى المركز الاساسى لنشاط الشيوعيين الكوريين فى المناطق الوسطى من منشوريا، فاوعزت الى مديرية محافظة ايتونغ لبعث مراقبها الى القرية لرصد كل خطوة نخطوها.

كان يعيش فى غويوشو اقطاعى صينى يدعى لى تشو ليو، وكان يتجسس على نشاطاتنا خفية باتصاله مع المراقب المبعوث من مديرية المحافظة.

كان هذا الاقطاعى بالذات هو الذى وشى الى المراقبين باننا ذاهبون من غويوشو الى تشانغتشون. وقد جرى اعتقالنا فى دانانتون على يد عناصر من فرقة الدفاع تم ارسالهم

بسرعة فور تلقيهم معلومات من المراقب. وقد زجوا بنا فى احد سجون مديرية المحافظة حيث جرى استجوابنا لعدة ايام، ثم ارسلونا بعد ذلك الى تشانغتشون وامضينا فى سجنها نحو عشرين يوما. وكانت هذه هى المرة الثالثة التى اسجن فيها.

كان لى كوانغ هان، مدير مدرسة يووين الثانوية فى جيلين، والمعلم ها موجودين فى تشانغتشون حينذاك. وعندما علما بخبر اعتقالنا، سارعا الى الاحتجاج بشدة امام سلطة امراء الحرب قائلين: "لماذا تحبسون كيم سونغ جو مرة اخرى بعد ان ثبتت براءته فى سجن جيلين؟ اننا نضمن كيم سونغ جو". ومن حسن الحظ انه تم اطلاق سراحى بفضل جهودهما.

واذا كانا لم يترددا فى انقاذى من ذلك الموقف الحرج، فلانهما على ما اعتقد كانا يتفهمان الشيوعية ويتعاطفان معها.

لقد خلفا فى نفسى انطباعا لا ينمحى مدى الحياة، لانهما كانا يتعاطفان معى ويحميانني باخلاص ويتفهمان قضيتنا.

كان اول عمل قمنا به بعد وصولنا الى منشوريا الشرقية هو تنظيم دورة تدريبية فى تونهوا لرجال الجيش الثورى الكوري وعناصر النواة فى المنظمات الثورية.

وقد تناولت تلك الدورة المهام الرامية الى التعجيل بالاستعداد للنضال المسلح وسبل نقله الى حيز الواقع، والمسائل المبدئية المتعلقة بضمان القيادة الموحدة للمنظمات الحزبية القاعدية، وقضية جمع شمل الجماهير الثورية المتفرقة. ويمكن القول ان هذه الدورة كانت عملا تمهيديا لاجتماع مينغويكو الشتوى الذى انعقد فى كانون الاول من ذلك العام.

وبعد انتهاء تلك الدورة، قمت بتوجيه عمل المنظمات الثورية فى مناطق آنتو، آنزى، هيلونغ، وانغتشينغ، زونغسونغ واونسونغ.

وعلى اساس المعرفة الكاملة للوضع الحقيقى فى تشينتاو ومنطقة حواضر الاقضية الستة الواقعة على شواطئ نهر دومان، دعونا فى اواسط ايار عام ١٩٣١ الى اجتماع كوادر الحزب واتحاد الشباب الشيوعى فى منزل لى تشونغ سان فى وينغشينغلاجى. وقد عرف هذا الاجتماع فى التاريخ ايضا باسم "اجتماع مينغويكو الربيعى."

ان اسم وينغشينغلاجى يعنى الصخرة التى يصدر منها دوى كدوى الجرة. والى ما قبل احتلال اليابان لمنشوريا، كانت مينغويكو تسمى بوينغشينغلاجى. ولكن، بعد ان غزا اليابانيون منشوريا، بنوا هناك محطة قطارات واطلقوا على وينغشينغلاجى اسم مينغويكو،

فثبت ذلك الاسم وتداوله الناس فى العهود التالية.

واذا كانت مينغويكو هى حاضرة محافظة آنتو فى الوقت الراهن، فانها كانت تابعة اداريا لمحافظة آنزى فى ذلك الوقت الذى عقدنا فيه الاجتماع المذكور.

اشترك فى "اجتماع مينغويكو الربيعى" عشرات من كوادر الحزب واتحاد الشباب الشيوعى ورجال الجيش الثورى الكورى والعاملين السريين. واعتقد ان معظم الثوريين المشهورين من شيوعيى الجيل الجديد فى منطقة تشينتاو بمن فيهم بايك تشانغ هون قد اشتركوا فى هذا الاجتماع.

القيت فى الاجتماع خطابا نشر فيما بعد تحت عنوان "لنرفض الخط المغامر اليسارى ونتبع الخط التنظيمى الثورى". وكان يتضمن المهمتين اللتين فكرت فيهما وانا فى طريقى الى منشوريا الشرقية.

فكما خططنا مسبقا، قمنا فى هذا الاجتماع بتحليل وفحص جوهر انتفاضة ٣٠ ايار بجدية، وتقدمنا بالخط التنظيمى الثورى القاضى بجمع شمل الجماهير العاملة بقوة وحشد جميع القطاعات المعادية لليابان بصلابة من حولها لجعل الامة كلها قوة سياسية واحدة.

ومن اجل تجسيد هذا الخط، نوقشت فى الاجتماع مهام توطيد النواة القيادية ورفع دورها المستقل، وانعاش وترتيب التنظيمات الجماهيرية المخربة وقبول مختلف القطاعات فيها وصقلها فى خضم الممارسة العملية وتكثيف النضال المشترك وتوثيق الصداقة والتضامن بين الشعبين الكورى والصينى، كما تم تحديد المبادئ التكتيكية للارتقاء تدريجيا من المعارك الصغيرة الى المعارك الواسعة، ومن النضال الاقتصادى الى النضال السياسى، والتنسيق البارع ما بين النضال الشرعى والنضال غير الشرعى. واكدنا بنوع خاص على مسألة التغلب الصارم على الاتجاهات اليسارية المغامرة.

يمكن القول بايجاز ان "اجتماع مينغويكو الربيعى" الذى جرى فى ايار من عام ١٩٣١ كان اجتماعا لاكتساب الجماهير. وكانت اكبر عقبة امام تحقيق هذا الهدف تتمثل فى ذلك الاتجاه المغامر تحديدا. ولهذا وجهنا اليه نقدا جريئا.

وعندما انتقدنا اليسارية وقدمنا خطنا التنظيمى الطموح، صفق المجتمعون كلهم تأييدا لما طرحناه.

لقد تحدث فى ذلك الاجتماع كثير من الناس، وكان مضمون خطاباتهم ثوريا دون استثناء. واكد جميع الخطباء على ضرورة الاعداد لخوض النضال المصيرى، مادام غزو

اليابان لمنشوريا هو مسألة وقت فقط. وحيث ان الاجتماع كان فرصة التقى فيها عدد كبير من الثوريين المجربين، فقد القيت كلمات كثيرة تستحق الاستماع اليها واتخاذها مرجعا.

لقد تعلمت الكثير فى هذا الاجتماع.

واثر انتهاء الاجتماع، بعثت العاملين السريين جماعة بعد اخرى، الى كل ارجاء تشينتاو والى داخل الوطن.

وبعد ان وجهت لبعض الوقت عمل المنظمات الحزبية والتنظيمات الجماهيرية فى مينغويكو وجوارها، انطلقت نحو آنتو. فقد قررت اتخاذها نقطة استناد لمبعوثينا من اجل تنشيط الثورة فى تشينتاو وداخل الوطن.

كانت آنتو منطقة مؤاتية لاقامة الاتصالات مع المنظمات داخل الوطن بما في ذلك منطقة حواضر الاقضية الستة، فضلا عن المنظمات فى آنزى وهيلونغ ووانغتشينغ وهونتشون وفوسونغ وتونهوا وهواتين، نظرا لانها منطقة جبلية بعيدة عن خطوط السكك الحديدية والطرق العامة والمدن، ولا تكاد تصل اليها مخالب الامبريالية اليابانية، اضافة الى انها محاطة بجبال وعرة وغابات كثيفة. كما انها كانت منطقة مناسبة تماما لتشكيل جيش حرب العصابات وتدريبه ودفع عملية بناء المنظمات الحزبية. وكانت تركيبة السكان فيها ايضا طيبة جدا.

زد على ذلك ان قربها من جبل بايكدو، جبل الاجداد المقدس، كان سيمدنا، نحن الذين لا ننسى الوطن ولو لحظة واحدة، بالعزاء والتشجيع الروحيين لدى رؤيتنا الجبل الشامخ والمهيب. ففى الايام الصافية، كانت تظهر لنا قممه بلونها الابيض الضارب الى الرمادى منعكسة على الافق الجنوبى الغربى البعيد. وكلما بدا منظر الجبل الهادئ لعيوننا، كنا نشعر بخفقان شديد فى قلوبنا تدفعنا الرغبة العارمة فى حمل السلاح لاستعادة الوطن فى اسرع وقت. فمع اننا كنا مضطرين الى بدء النضال المسلح فى ارض الغربة بعيدا عن الوطن، الا اننا كنا نتشوق الى اطلاق رصاصات الحرب المناهضة لليابان فى هذا المكان الذى يظهر منه جبل بايكدو.

كنت قد قمت بتوجيه عمل المنظمات الجماهيرية فى آنتو فى شهر نيسان بعد انتهاء الدورة التدريبية القصيرة فى تونهوا.

وكانت امى آنذاك تعانى مرضا مزمنا. وحيث ان الطب لم يكن متقدما فى ذلك الوقت، فانها لم تتلق تشخيصا صحيحا لمرضها، وكانت تكتفى بتناول دواء تقليدى مغلى، قائلة انها

مصابة على ما يبدو بشيء من"الزوك"(تشنج المعدة.(
ولم تكن تهتم بمرضها الخطير مطلقا، وانما كانت قلقة على وانا اجوب الدنيا دون نقود، وكانت تكرس كل قواها للعمل فى جمعية النساء.
وفى طريق عودتى الى آنتو بعد شهرين، لم يفارقنى القلق بشأن امى.
الا اننى بعد وصولى الى آنتو احسست بالاطمئنان حين رأيت وجهها متألقا اكثر مما توقعت. ومع انها كانت تنصحنى دائما بان انكب على استعادة البلاد دونما تفكير فى شؤون البيت، الا انها كانت تمتلئ بالسعادة كلما ذهبت اليها، وتحاول اخفاء سوء صحتها عنى.
وحالما سمعت جدتى القادمة من مانكيونغداى نبأ وصولى، خرجت من البيت حافية القدمين واحتضنتنى بقوة. كانت قد جاءت الى منشوريا فى العام ذاته الذى توفى فيه والدى، واقامت مع امى فى فوسونغ مشاطرة الاسرة فقرها دون ان ترجع الى مسقط رأسها فى مانكيونغداى. وعندما انتقلت اسرتى من فوسونغ الى آنتو انتقلت جدتى برفقتها. وفى آنتو، اقامت فى بيت جدى يونغ سيل لامها فى سينغلونغتشون وكانت تقيم هناك فى بيتنا بالتناوب.
ويونغ سيل هى الابنة الوحيدة لعمى هيونغ كوون.
منذ اعتقال عمى هيونغ كوون، اصيبت زوجته تشاى يون اوك باكتئاب شديد. وكان من الطبيعى ان تضعف اعصابها لان اقتياد زوجها الى السجن جاء بعد قليل من انجابها ابنتها.
وبعد ان حكم على عمى هيونغ كوون بالسجن مدة خمسة عشر عاما، ارسلت الى زوجة عمى رسالة نصحتها فيها بان تسلم طفلتها الى اسرة اخرى لتربيها، لكى تتمكن هى نفسها من الزواج ثانية. ولكنها رفضت نصيحتى تلك، وقالت لى: ما دامت سلفتى الارملة لم تفعل ذلك وتولت تربية ابنائها الثلاثة وسط الفقر، فاننى لن استطيع الزواج من رجل آخر، خصوصا وان زوجى مايزال على قيد الحياة، وكم سيكون حزينا اذا عرف انى تزوجت من رجل آخر وتخليت عن ابنتى يونغ سيل وهو فى السجن! وهب اننى فعلت ذلك، فهل تظننى سأستطيع النوم او تناول الطعام؟ اياك ان تقول لى شيئا من هذا القبيل مرة اخرى. لقد كانت امرأة حسنة التربية وقوية الارادة.
وبعد ان انتقلت امى الى آنتو، ارسلت زوجة عمى التى كانت تعيش معها الى بيت اهلها فى سينغلونغتشون لعل مزاجها يتحسن هناك.
ورافقت جدتى كنتها وساعدتها فى اعمالها وتسليها باحاديثها. وكانت كلما تذكرت كنتها

الكبرى المريضة، تسرع اليها لتغلى لها النباتات الطبية وتعد لها الطعام. لقد كانت جدتى تعانى بصمت عذابات كثيرة وهى تعتنى بكنتيها العليلتين.

واذا كانت جدتى لم تعد الى قريتها، وبقيت عدة سنوات فى ارض الغربة، فان السبب فى ذلك هو طيبة قلبها وحزنها لحال كنتيها المفجوعتين.

فى تلك الليلة التى وصلت فيها الى آنتو، نامت جدتى الى جانبى.

وعندما صحوت فى ساعة متقدمة من الليل وجدت رأسى فوق ذراعها. لا بد انها قد سحبت الوسادة من تحت رأسى بهدوء وانا مستغرق فى النوم ووضعت ذراعها محلها. ولم استطع ان انقل رأسى الى الوسادة ثانية لان حبها نفذ الى اعمق اعماق روحى.

سألتنى جدتى التى لم تكن قد نامت بصوت خافت:

"أ لم تنس مسقط رأسك؟"

"لا يا جدتى، لم انس مانكيونغداى لحظة واحدة. اننى متشوق فعلا لرؤية اقربائى هناك".

"اقول لك بصراحة اننى جئت الى منشوريا لآخذكم جميعا الى مانكيونغداى. صحيح انى لا استطيع ان آخذك انت، ولكننى كنت اريد اخذ امك واخويك. لكن امك لم توافق ابدا. فهى تقول انها لا تستطيع التخلى عن الطريق الذى بدأته لمجرد ان زوجها قد توفى، وانها صممت عندما عبرت نهر آمروك الا تعود الا بعد استعادة البلاد. ان قرارها حازم لدرجة انها لم تلق نظرة الى الوراء وهى تغادر فوسونغ. لهذا السبب، لم اعد اطلب منها ان ترجع معى الى مسقط رأسها. اذا كانت حياتكم هنا اكثر فائدة لاستقلال كوريا فاننى سأكف عن مطالبتكم بالعودة، وسأرجع وحدى الى مانكيونغداى. واذا كنت مشتاقا لمسقط رأسك وجديك فأرسل لنا الرسائل بين حين وآخر. وسأعتبر هذه الرسائل وكأنها لقاء بكم. انت تعرف اننى لا استطيع السفر كثيرا الى هذه المنطقة".

ولكننى لم ألب رغبة جدتى هذه ولو مرة واحدة.

لم اكتب رسالة الى جدتى لاننى فكرت بان اسمى الذى ينشر بكثرة فى صحف الوطن واخبار النجاحات التى يحققها جيش حرب العصابات المناهض لليابان ستحل محل رسائلى.

زفرت جدتى زفرة طويلة واضافت : "لكى تكرس نفسك بالكامل لقضيتك، يجب ان تكون امك فى صحة جيدة، ولكننى قلقة بشأنها لانها ترهق نفسها فى العمل غير عابئة بحالتها الصحية التى تسوء يوما بعد يوم."

حين سمعت ذلك سيطر على القلق على امى ولم اعد استطيع النوم. فقد تواردت الى ذهنى خواطر كثيرة وانا اتذكر واجبى باعتبارى الابن البكر المسؤول عن الاسرة، والحفيد الاكبر لاسرتى فى مانكيونغداى.

كانت تسود بين الشباب الذين شاركوا معنا فى الثورة فى ذلك الحين وجهة نظر تقول ان الشجعان الذين انخرطوا فى طريق النضال، يجب عليهم بالضرورة ان ينسوا اسرهم. وكان الرأى السائد بين الشباب الثوريين هو ان من يتعلق بأسرته لن يستطيع اجتراح مآثر عظيمة.

لقد انتقدت هذه الميول منذ وقت مبكر، واشرت الى ان المرء الذى لا يحب عائلته لا يمكنه ان يحب الوطن والثورة باخلاص.

مع ذلك، كم احببت اسرتى واعتنيت بها؟ كان مفهومى الثابت فى الاخلاص للاسرة يتمثل فى ان تكريس نفسى تماما للثورة هو اقصى تجسيد لمحبتى للاسرة. اننى لم افكر قط فى الاخلاص المجرد للاسرة بعيدا عن الثورة. ذلك ان مصير الاسرة ومصير الوطن كل لا يتجزأ. كما ان اعتبار سلامة البلاد كأمر لا غنى عنه لسلامة الاسرة هو احد المفاهيم العامة. فمأساة الوطن تطال حتما ملايين الاسر التى يتكون منها. لذا، فان حماية سلامة الاسرة وسعادتها يستدعى من المرء بالضرورة الدفاع عن بلاده، وللوصول الى هذا الهدف لا بد له من ممارسة مهمته كمواطن بكل مسؤولية.

غير انه لا يمكن للقيام بالثورة ان يكون ذريعة لنسيان الاسرة. فمحبة الاسرة هى القوة المحركة التى تدفع الثورى الى النضال. فاذا فترت تلك المحبة، يصيب الفتور حماسة المرء الثورية ايضا.

لقد كنت ادرك مبدأ هذه العلاقة المتبادلة ما بين الاسرة والثورة، ولكن لم يكن لدى مع ذلك تصور واضح للكيفية التى يجب على الثورى الذى قرر تكريس نفسه للثورة ان يحب اسرته بها.

وعندما جلت ببصرى داخل البيت وخارجه فى الصباح، وجدت ان ثمة مهمات كثيرة تتطلب يد رجل. بل لم يكن هناك احتياطى كاف من الحطب.

فقررت ان انتهز فرصة مجيئى الى البيت لاساعد امى فى بعض الشؤون المنزلية. فتركت فى ذلك اليوم كل الامور الاخرى جانبا، وصعدت برفقة تشول جو الى الجبل لاحضار الحطب.

لكننى رأيت حينئذ امى التى عادت للتو من البئر، وقد لحقت بنا وهى تحمل بيدها حمالة ومنجلا. لم اعرف كيف ادركت ما ننوى عمله. فتوسلت اليها ان ترجع الى البيت، لكن دون جدوى.

فقد قالت لى وهى تبتسم ابتسامة مشرقة:

"أتظنني الحق بكما لكى اساعدكما فقط؟ لا، اننى اود التحدث معك فى الجبل. لقد امضيت طوال الليل وانت تتحدث مع جدتك، ولم اجد متسعا للتحدث اليك".

عندئذ فقط ادركت ما يدور فى نفسها. الحقيقة ان جدتى استولت على فى البيت. واذا ما افلتتنى اخذنى اخواى ولم يفرجا عنى.

وبينما نحن نجمع الحطب، لازمتنى امى وهى تحدثنى:

"اسمع يا سونغ جو، هل تعرف شخصا يدعى تشاى دونغ هوا؟"

"نعم، انه يدعى القيام بالحركة الشيوعية، أليس كذلك؟"

"لقد جاء الى بيتنا قبل عدة ايام وسألنى متى ستأتى الى آنتو وطلب منى ان ابلغه اذا ما جئت. ثم قال انه يريد فتح جدال معك".

"صحيح؟ ولماذا يريد الجدل معى؟"

"قال انه غير راض عن تجولك فى كل الانحاء قائلا ان انتفاضة ٣٠ ايار هى عمل خاطئ. وابدى تذمره لان رجلا ذكيا مثلك ينتقد بشدة تلك الانتفاضة التى وافقت عليها وايدتها الهيئة العليا. قل لى: أليست هناك احقاد بينك وبين الآخرين؟"

"هذا ممكن يا اماه. يبدو لى ان ثمة اناسا لا يروقهم عنادى. ما هو رأيك انت يا اماه؟"

"انا لا اعرف ما يدور فى العالم، ولكننى لا احب رؤية الناس يموتون ويعتقلون بالجملة. اذا ما ابيدت النواة، فمن سيقوم بالثورة؟"

لقد اعجبتنى تلك الكلمات المتواضعة، انما الموجزة والواضحة فى الوقت نفسه. ان احكام الشعب صائبة دائما. واؤكد انه لا توجد ظواهر اجتماعية لا يتمكن الشعب من تحليلها.

"انت محقة يا اماه. انك تقدرين الوضع بدقة اكثر من تشاى دونغ هوا. مازالت الثورة تعانى من اضرار الانتفاضة وها انت ترين، لقد جئت الى آنتو لمعالجة هذه الأضرار".

"عليك اذن ان تعمل كالدوامة كما فعلت فى الربيع الماضى. كرس كل جهدك فى مهماتك، ولا تشغل نفسك مرة اخرى بشؤون البيت كما فعلت اليوم".

كانت هذه هى صفوة ما ارادت امى قوله لى. واظنها اقحمت قصة تشاى دونغ هوا فى

الحديث لتقول لى ذلك.

ومنذ ذلك الحين انكببت على تشكيل المنظمات فقط، تلبية لرغبة امى.

كانت آنتو ايضا قد تعرضت لكثير من اضرار انتفاضة ٣٠ ايار. والاسوأ من ذلك ان العمل على تنظيم الجماهير فى هذه المنطقة لم يكن يجرى بطريقة مرضية. وكان تثويرها يستدعى قبل كل شىء توسيع المنظمات الحزبية وزيادة صفوفها وارساء نظام صحيح لقيادتها.

فى اواسط حزيران ١٩٣١، شكلنا لجنة حزبية لدائرة سياوشاهى بمحافظة آنتو من كيم زونغ ريونغ وكيم ايل ريونغ وغيرهما من عناصر النواة، وكلفناها بمهمة بعث العاملين السياسيين السريين الى مناطق ايرداوبايهى وسانداوبايهى وسيداوبايهى وداديانجى وبويرهى وتشيتشانغتسى لانشاء المنظمات الحزبية القاعدية فيها.

وبعد تشكيل تلك اللجنة الحزبية، قمنا بتوسيع منظمة اتحاد الشباب الشيوعى الى ليوشوهى وسياوشاهى وداشاهى وآنتو وغيرها من المناطق، وانشأنا التنظيمات المناهضة لليابان، مثل جمعية الفلاحين والاتحاد المناهض للامبريالية وجمعية العون المتبادل الثورية وفرقة الاطفال الكشافة.

وهكذا اكتمل العمل الاساسى لتنظيم الجماهير فى منطقة آنتو فى صيف ذلك العام. ولم تعد هناك قرية الا وفيها منظمتها.

كانت اكبر عقبة فى تثوير آنتو هى تشتت الصفوف الثورية فى مجموعات صغيرة.

كانت آنتو منقسمة الى قرية جنوبية وقرية شمالية يفصلهما النهر، وكانت تعمل فى كل منهما على حدة منظمة لجمعية الشباب. فكان انجال المنضوين الى مجموعة زونغوى يسيطرون على منظمة الشباب فى القرية الشمالية فيما يشرف سيم ريونغ زون وغيره من شخصيات مجموعة تشاموى على جمعية الشباب فى القرية الجنوبية. وكانت كل من هاتين المنظمتين تنظر شزرا الى الاخرى وتذم كل واحدة الاخرى. بل ان منظمة الشباب التابعة لجماعة م . ل بقيادة تشاى دونغ هوا مدت شبكاتها ايضا هناك، مما عقد امور الحركة الشبابية الى اقصى الحدود.

وفى ظل هذه الظروف، لم نكتف باحياء هاتين المنظمتين كما كانتا عليه، بل قمنا بتثقيف الشباب وتوجيه قيادتهم لدمجهما فى منظمة واحدة. وحيث اننا انتقدنا بلا هوادة وحذرنا من ادنى محاولة لشق الحركة الشبابية، فان تشاى دونغ هوا نفسه المعتاد على النزاعات

الفئوية، اضطر الى تقدير رأينا بضرورة تشكيل منظمة شبابية موحدة فى منطقة آنتو.

كما رافق تثوير آنتو اشتداد مؤامرات العرقلة من جانب العناصر المعادية.

ففى مناطق مثل كارون وووتشازى وغيرهما، كان جميع عمد القرى يعملون تحت تأثيرنا، اما فى سينغلونغتشون فكان يحتل هذا المنصب عميل يخدم الاقطاعى الفاسد مو هان جانغ. فكان يتجسس يوميا على ميول القرويين وتحركات التنظيمات الجماهيرية، ثم يسرع الى الحاضرة لينقل المعلومات الى اسياده. لذا، دعونا الى اجتماع احتجاج شارك فيه كافة سكان سينغلونغتشون رجالا ونساء، شيوخا واحداثا وطردنا ذلك العمدة من القرية.

بعد عدة ايام، جاء مو هان جانغ لمقابلتى، وراح يساومنى:

"لقد علمت انك، ايها السيد كيم، شيوعى. وانا اقيم دائما فى جيوآنتو، بينما يقيم حراسى الخاصون هنا، وهذا امر يقلقنى جدا. فقد يلحق بك هؤلاء المغفلون الاذى اذا ما عرفوا حقيقتك، وسأتحول بذلك الى عدو لجميع الشيوعيين. كما انه لا يمكننى ان اغض النظر عما يجرى هنا. لان اليابانيين اذا عرفوا بذلك، فسيذبحوننى اولا. ولهذا علينا ان نحل المشكلة بما يناسبنا نحن الاثنين. اقترح ان تغادر هذا المكان. واذا كنت لا تملك نقودا للرحلة فاننى سأقدم لك المبلغ الذى تحتاجه".

بعد ان استمعت اليه حتى النهاية، اجبته:

"ليس هناك ما يستدعى كل هذا القلق. فعلي الرغم من كونك اقطاعيا، الا اننى واثق من انك تحافظ على ضميرك كصينى وتكره الامبريالية اليابانية التى تسعى لابتلاع الصين.

ولا ارى ان ثمة سببا يدعوك الى معارضتنا او الحاق الاذى بنا. كما اننى لا اريد ان اصمك انت وافراد حرسك بالسوء، لانهم شباب صينيون.

لو انك كنت شخصا دنيئا لما فتحت لك قلبى هكذا. ولهذا، ارجوك الا تقلق بشأنى وان تكون حذرا حتى لا توصم بانك (كلب) للاعداء اليابانيين."

بعد ان سمع كلامى لم يشأ مواصلة الحديث، بل غادر سينغلونغتشون.

بعد ذلك، اتخذ مو هان جانغ وافراد حرسه موقفا محايدا وعاملونا بحذر، اما العمدة الجديد فقد صار ينفذ باحتراس مهماته الادارية التى لا بد له من انجازها فقط، ويحاول جهده كسب رضانا.

لو لم نطرح فى الوقت المناسب خط تنظيم الجماهير فى آنتو، لما استطعنا اخضاع اقطاعى كبير مثل مو هان جانغ فى ارض تشينتاو المقفرة التى اجتاحتها موجة الارهاب

الابيض، ولما استطعنا ان نحوله كذلك الى كائن عاجز عن طريق تحييده.

ان قوة الجماهير المنظمة لا ينضب لها معين حقا، ولا وجود لما هو مستحيل امامها.

لقد كانت المنظمات الثورية فى سينغلونغتشون وفى المناطق المحيطة بها تضاعف قواها بجرأة ونشاط.

٢ـ حادثة ١٨ ايلول

بعد ان بدأ عمل المنظمات الثورية فى آنتو يسير فى مداره بانتظام، ذهبت للعمل فى منظمات مناطق هيلونغ وآنزى ووانغتشينغ فى صيف عام ١٩٣١ واوائل خريفه بغية توسيع النجاحات المحرزة من قبل ولم شعث الجماهير التى تفرقت نتيجة انتفاضة ٣٠ ايار.

انفجرت حادثة ١٨ ايلول حين كنت اعمل فى تونهوا محتفظا بالاتصالات مع آنتو ولونغجينغ وهيلونغ وليوشوهى وداديانجى ومينغويكو. وكنت حينئذ اقوم بالعمل مع نشطاء اتحاد الشباب الشيوعى فى قرية قريبة من تونهوا.

فى الصباح الباكر من يوم ١٩ ايلول، جاءنى تشين هان جيانغ مسرعا واخبرنى بالهجوم الذى شنه جيش كوانتونغ اليابانى على فينغتين (شنيانغ).

"انها الحرب! لقد اشعلها اليابانيون للتو"!

تهاوى منهوك القوى على المصطبة وهو يلهث بتثاقل كمن يحمل على كاهله احمالا ثقيلة. ونطق كلمة الحرب بنبرة كئيبة ووقورة.

لقد كان حدثا متوقعا منذ مدة طويلة، كما ان التوقيت جاء موافقا لما توقعته تقريبا. ومع ذلك، فقد كانت الصدمة كبيرة بالنسبة لى، لانى كنت استشف المصائب التى ستحل حتما بالامة الكورية ومئات الملايين من ابناء الامة الصينية، والتحول الخطير الذى سيطرأ على مصيرى.

وقد عرفنا بوضوح فيما بعد، ومن مصادر مختلفة، حقيقة تطور الحدث بكامله.

ففى ليلة ١٨ ايلول ١٩٣١، جرى نسف خط حديدى تملكه شركة سكك حديد منشوريا اليابانية فى ليوتياكو، الى الغرب من بيداينغ فى شنيانغ. وتحت الذريعة السخيفة القائلة ان قوات جيش تشانغ سو ليانغ هى التى نسفته وهاجمت قوات الحامية اليابانية، شنت الامبريالية اليابانية هجوما مباغتا واحتلت بيداينغ دفعة واحدة، واستولت فى صبيحة يوم ١٩ على مطار فينغتين.

وعلى اثر شنيانغ، تم احتلال مدن كبيرة فى منطقة شمال شرقى الصين بما فيها آندونغ

وينغكو وتشانغتشون وفينغشينغ وجيلين وتونهوا وذلك من قبل جيش كوانتونغ اليابانى والقوات اليابانية المرابطة فى كوريا التى عبرت الى الضفة الاخرى لنهر آمروك. وخلال فترة لا تزيد على خمسة ايام، احتلت القوات العدوانية اليابانية معظم مناطق مقاطعتى لياونينغ وجيلين الشاسعتين، ثم تقدمت باتجاه جينتشو موسعة نطاق النزاع.

لقد كان التقدم خاطفا بكل ما فى الكلمة من معنى.

على الرغم من ان الامبرياليين اليابانيين القوا تبعة الحادثة على الطرف الصينى عن طريق تزييف الحقيقة، الا ان احدا فى العالم لم يصدق دعايتهم الزائفة، لان الجميع كانوا يعرفون جيدا طبيعة الامبريالية اليابانية الماكرة. واضف الى ذلك ان مدبرى تلك الحادثة انفسهم قد اعترفوا فيما بعد بان تفجير الخط الحديدى المملوك لليابانيين الذى كان محسوبا له ان يشعل فتيل حادثة ١٨ ايلول نفذه جهاز التجسس فى جيش كوانتونغ. لقد كتبنا فى ذلك الحين مقالات للصحافة نشجب فيها حادثة لوتياكو باعتبارها مكيدة من الامبريالية اليابانية لغزو منشوريا.

فى صبيحة ١٨ ايلول من عام ١٩٣١، وقبل قليل من وقوع الاحداث المشار اليها، ظهر فى سيؤول فجأة احد مدبرى المؤامرة، العميد دوهيهارا كينزى (رئيس جهاز العمليات الخاصة فى شنيانغ)، فى الوقت الذى كان فيه جيش كوانتونغ متأهبا لبدء الغزو. فزار كاندا ماسادانى، وهو من كبار ضباط هيئة اركان الجيش اليابانى المرابط فى كوريا واطلعه على سبب زيارته قائلا انه سيتفادى بذلك مضايقات الصحفيين. وهذا يعنى انه التجأ الى كوريا مسبقا ليتجنب جموع الصحفيين الذين سيزعجونه عند انفجار حادثة منشوريا.

وقيل ان الفريق الاول وادانابى زيوتارو القائد العام للقوات الجوية اليابانية زار سيؤول فى نفس الوقت، وحضر وليمة فى حانة بايكونزانغ الفاخرة مع الفريق الاول هاياسى ساينزيورو قائد الجيش المرابط فى كوريا، واخذ فيها راحته. وهى تصرفات توجب القول انها هادئة جدا بالنسبة لاناس يعدون العدة لصدام مروع مثل حادثة منشوريا.

ان قراءة هذه المعطيات التاريخية تجعلنى اتذكر، دون ان ادرى السبب، واقعة وجود ترومان فى مزرعة استجمام عشية اندلاع الحرب الكورية. ان اوجه التشابه فى الحربين، اى حادثة ١٨ ايلول والحرب الكورية، لا تقتصر على شنهما بطريقة مفاجئة ودون اعلان وحسب، بل اننا نلمس كذلك من خلال ما سبق اشعال هاتين الحربين المكر والوقاحة المميزة للامبرياليين وطبيعتهم العدوانية والتسلطية ضد البلدان الاخرى.

على الرغم من وجود اناس يعتبرون ان التاريخ هو تراكم لاحداث لا تتكرر، الا اننا لا نستطيع ان نهمل على الاطلاق التشابه والميول المشتركة بين حوادث معينة.

ان افتعال اليابان لحادث استفزازى، مثل حادثة ١٨ ايلول لكى تحتل منشوريا، كان امرا مؤكدا تماما بالنسبة لنا .وكنا قد توقعناه اكثر من مرة من خلال اقدام الامبرياليين اليابانيين على اغتيال تشانغ تسو لين بتفجير القطار الذى يستقله(١٨)؛ وحادثة وانبوشان التى اسفرت عن حالة من المجابهة الخطرة بين الشعبين الكورى والصيني، وحادث "اختفاء" ناكامورا الكابتن فى هيئة اركان جيش كوانتونغ، الذى كان يقوم بالتجسس متنكرا بهوية "عالم زراعى."

وكانت حادثة وانبوشان بشكل خاص قد سببت لى صدمة قوية.

وانبوشان هى قرية صغيرة تقع على بعد حوالى ٧٠ – ٨٠ رى شمال غرب تشانغتشون. وحادث وانبوشان هو نزاع نشب بين السكان المهاجرين الكوريين والسكان الاصليين الصينيين بشأن مسألة قناة للرى. فقد شق المهاجرون الكوريون قناة لرى حقول ارزهم من مياه نهر ايتونغهى، فأثر ذلك على حقول الصينيين. اضف الى ذلك انه كان يمكن للسد على النهر ان يسبب الفيضانات فى موسم الامطار. لهذا السبب، عارض السكان الاصليون هذا المشروع.

عندئذ، حرض اليابانيون الفلاحين الكوريين على الاصرار فى المضى فى تنفيذ المشروع، فادى ذلك الى توسع النزاع وامتداده الى كوريا، الامر الذى تسبب فى وقوع خسائر بشرية ومادية. فاستغل اليابانيون ببراعة ذلك النزاع المحلى الذى يمكن ان يحدث عادة فى الارياف من اجل تنفيذ سياستهم الماكرة لاثارة الخلاف بين الامتين.

لو لم يعمد اليابانيون الى زرع بذور الشقاق بين الجانبين آنذاك، او لو وجد بين الفلاحين الكوريين والصينيين اناس واعون اظهروا الحد الادنى من العقلانية، لانتهى ذلك النزاع كأى مماحكة كلامية بسيطة دون ان يتحول الى اعمال عنف تسبب اضرارا مادية وبشرية. وقد فاقم ذلك الحادث الخصام بين الشعبين الكورى والصينى وعمق سوء التفاهم وعدم الثقة بينهما.

عندئذ، فكرت وانا اسهر الليل كله: ما الحاجة الى نزاع دام بين شعبين يعانيان نكبات متماثلة بسبب الامبرياليين اليابانيين؟ يا له من امر مشين! انهم يتصارعون بهيجان من اجل قناة رى، فى الوقت الذى يتوجب على الامتين ان تناضلا يدا بيد، وفى الخندق نفسه، تحت

راية مناهضة اليابان! لماذا ولمصلحة من نشب هذا النزاع؟ من هو المتضرر من ذلك؟

لقد ادركت ان تلك الحادثة يمكن لها ان تكون مسرحية مدبرة ومقدمة لحدث مروع. وراودتنى الشكوك بان يكون اوغاد القنصلية اليابانية فى تشانغتشون قد دسوا انوفهم فى النزاع الفلاحى العارض، مدعين "الدفاع" عن مصالح الكوريين. وكيف يمكن لاولئك الاعداء الذين استولوا على الاراضى الزراعية فى كوريا مستخدمين قوانين السلب، مثل "قانون مسح الاراضى" والذين انتهجوا سياسة زراعية قاتلة، ان يتحولوا فجأة الى "مدافعين" عن فلاحينا؟ لقد كان ذلك كاريكاتورا سياسيا اثار سخرية الناس فى العالم اجمع. كما اثار شكوكى اسراع فرع صحيفة "كيونغسونغ ايلبو" فى تشانغتشون فى ارسال المعلومات حول النزاع فى وانبوشان الى ادارة الصحيفة فى كوريا التى سارعت بدورها الى اصدار عدد خاص حول الحدث.

وفكرت: من الممكن ان دماغ الامبريالية اليابانية العنيد قد دبر بنجاح تلك المكيدة الرهيبة، مستغلا بمهارة مشكلة محلية تافهة لزرع الشقاق بين الشعبين الكوري والصينى. ولكن ما الذى يهدف اليه الامبرياليون اليابانيون من هذه المؤامرة؟

بينما كنا نقوم باعادة ترتيب المنظمات الثورية فى مناطق نائية من تشينتاو، كان الامبرياليون اليابانيون يعجلون الاستعداد لعمل ما.

ان حادثة "اختفاء" الكابتن ناكامورا التى وقعت فى صيف ذلك العام، بعد قليل من حادث وانبوشان، دفعت العلاقات الصينية اليابانية الى حافة الحرب. وبالتزامن مع هذه الحادثة، وقعت على ارض اليابان احداث متتالية مثيرة للقلق. فقد احتشد ضباط شباب من طوكيو فى معبد ياسوكونى لاداء مراسم تأبين ناكامورا ورسموا العلم اليابانى بدمائهم وعلقوه فوق المعبد لتحريض مواطنيهم على الحرب. كما عقدت العديد من الهيئات المهتمة بمنشوريا مؤتمرا مشتركا بشأن مسألة منشوريا ومنغوليا واعلنت بصخب انه لا يمكن حل هذه المسألة الا بالقوة.

لقد قدرت وقتذاك ان غزو الامبريالية اليابانية لمنشوريا هو مسألة وقت. وكانت لدى الاسس التى استند اليها فى تأكيد ذلك.

ان الاستيلاء على منشوريا ومنغوليا ثم الصين وبقية آسيا بعد احتلال كوريا، كان السياسة الرسمية الرئيسية لليابان كما ورد فى "مذكرة داناكا". فعجلة فولاذ العسكرية اليابانية، اسيرة اطماعها فى السيطرة على شرق آسيا، كانت تدور دون توقف وفق تلك

السياسة.

وقد استغل الامبرياليون اليابانيون حادثة "اختفاء" الكابتن ناكامورا كذريعة لحشد قوات جيش كوانتونغ فى شنيانغ ووضعها على اهبة الهجوم.

وقد اعرب تشين هان جيانغ آنذاك عن قلقه وغمه بالقول : "ما الذى سنفعله الآن ونحن عزل تقريبا فى مواجهة اعتداء الجيش اليابانى على منشوريا؟" وكان يعلق بعض الآمال على عسكريي الكومنتانغ بقيادة تشانغ سو ليانغ. وقد اعلن فى احدى المناسبات انه على الرغم من تردد اولئك العسكريين الحالى، الا ان المس بالسيادة الوطنية الصينية سيضطرهم الى المقاومة للحفاظ على ماء وجههم امام الامة الصينية وتحت ضغط مئات الملايين من ابناء الشعب.

واوضحت له ان الامل باقدام عسكريى الكومنتانغ على مقاومة الامبرياليين اليابانيين هو مجرد وهم عقيم وقلت له: تذكر ما حدث عند اغتيال تشانغ تسو لين. فعلى الرغم من انه كان واضحا ان تلك الحادثة هى مكيدة دبرها جيش كوانتونغ، وقد توفرت ادلة دامغة على ذلك، الا ان زمرة امراء الحرب فى شمال شرقى الصين لم تجر تحقيقا فى الحادثة، ولم تستفسر عن مسؤولية جيش كوانتونغ. بل انها سمحت لليابانيين بالمجىء للمشاركة فى جنازة القتيل. أنعتبر ذلك التزاما لجانب الحذر ام الضعف ام التردد؟ لقد زج الكومنتانغ بمئات آلاف الجنود الى منطقة سوفييت جيانسى المركزى بهدف تصفية الحزب الشيوعى و"تحطيم" الجيش الاحمر العمالى الفلاحى. وكان الكومنتانغ يطمح فى استئصالهما حتى ولو تخلى مقابل ذلك عن جزء من التراب الوطنى للامبريالية اليابانية. ان خط الكومنتانغ هو تصفية القوى الشيوعية وتسوية الوضع السياسى فى البلاد اولا وقبل مواجهة الاعداء الخارجيين. ان تشانغ سو ليانغ الذى انحرف تماما الى جانب الكومنتانغ بعد موت والده يسير فى ركاب ذلك الخط اللعين بصورة عمياء. ولهذا كله اقول انه لن تكون هناك مقاومة، اما التعلل بالآمال فليس الا سخفا ووهما.

انصت تشين هان جيانغ الى حديثى بجدية، لكنه لم يظهر تعاطفه. ولم يشأ ان يتخلى عن آماله المعلقة على تشانغ سو ليانغ وقال باصرار انه مهما انساق امراء الحرب بقيادة تشانغ سو ليانغ لخط الكومنتانغ، الا انهم سيضطرون لمقاومة المعتدين اذا ما بلغت الامور حد فقدانهم كل اراضى شمال شرقى الصين التى تشكل قاعدتهم السياسية والعسكرية والاقتصادية.

فى هذا الوقت بالذات، انفجرت حادثة ١٨ ايلول، فتراجعت قوات جيش تشانغ سو ليانغ التى تضم مئات آلاف الجنود، وانسحبت من شنيانغ دون اية مقاومة، فكان الامر الطبيعى ان يأتى تشين هان جيانغ الى مسرعا وقد سيطر عليه الذهول ليقول:

"ايها الرفيق سونغ جو، انى كنت حالما ابله وساذجا".

ثم توقف عن الكلام هنيهة ليكبح الانفعالات التى كانت تهزه من الاعماق، واضاف قائلا:

"كم كنت ساذجا اذ اعتقدت بان شخصا مثل تشانغ سو ليانغ سيدافع عن ارض شمال شرقى الصين؟ انه جبان وجنرال مهزوم خان ثقة الامة الصينية وتخلى عن المقاومة المناهضة لليابان. لقد ذهبت الى شنيانغ فى السابق. وكان جنوده فيها بكثرة رمل الشاطئ. كانت الشوارع مكتظة بعسكرييه المزودين بأسلحة حديثة. ولكنهم انسحبوا مع ذلك دون ان يطلقوا رصاصة واحدة. يا للاسف! كيف يمكن فهم هذا؟"

لم يتمكن تشين هان جيانغ الذى كان رابط الجأش وهادئا فى معالجة كل الامور، ان يتمالك انفعاله فى صبيحة ذلك اليوم وراح يصرخ متحسرا.

وفيما بعد، دعا تشانغ سو ليانغ الى مناهضة اليابان واسهم فى التعاون ما بين الكومنتانغ والحزب الشيوعى. ولكنه نال سمعة سيئة فى اثناء حادثة منشوريا.

دعوت تشين هان جيانغ الى الحجرة وواسيته.

"اهدأ ايها الرفيق تشين. لقد كنا نتوقع ان يغزو الجيش اليابانى منشوريا. فلماذا تصرخ اليوم هكذا مستغربا؟ يتوجب علينا ان نراقب تطور الوضع برباطة جأش منذ الآن وان نهيئ انفسنا للمجابهة".

"الحق معك. ولكننى اشعر رغم كل شىء باننى فى غاية الحزن والسخط. يبدو لى اننى علقت آمالا اكبر من اللازم على تشانغ سو ليانغ. لم استطع النوم طوال الليلة الماضية. لقد كنت مرهقا جدا، وقد جئت اليك مباشرة.

ايها الرفيق سونغ جو، أتعرف كم هو عدد جنود جيش دونغبى بقيادة تشانغ سو ليانغ؟ انهم ثلاثمائة الف جندى على الاقل. ثلاثمائة الف جندى! هذا العدد ليس بسيطا. ومع ذلك، فانهم تركوا شنيانغ للعدو فى ليلة واحدة دون ان يطلقوا رصاصة واحدة. اوه، أتكون امتنا الصينية خانعة وعاجزة الى هذا الحد؟ أ ينهار وطن كونفوشيوس وجى كاليانغ، وتو فو وصون يات صن على هذا النحو؟"

ناح تشين هان جيانغ وهو يضرب صدره بقبضته. وكانت دموع المرارة تسيل على

وجنتيه.

لقد اثارت مأساة امته سخطه واحزنته الى اقصى الحدود. وهذه المشاعر السامية لا يمكن ان تعترى الا اولئك الذين يحبون وطنهم وحقوقه المقدسة غير القابلة للتصرف.

لقد ذرفت انا ايضا الدموع، خفية، فى احدى المناسبات وانا جالس تحت شجرة صنوبر صغيرة فى مسقط رأسى، مفكرا بالوطن الرازح تحت وطأة الاعداء اليابانيين. حدث ذلك عصر يوم امضيته على ربوة مانكيونغ حتى غروب الشمس، لانى لم استطع تحمل السخط والغيظ بعد ان رأيت شرطيا يابانيا ينهال ركلا بقدمه على رجل مسن فى مدينة بيونغ يانغ.

فى ذلك اليوم، شعرت بالالم والحزن وفكرت كما فكر تشين هان جيانغ: كيف امكن لبلادنا التى تفخر بتاريخها العريق الممتد الى خمسة آلاف سنة ان تنهار بين ليلة وضحاها؟ وكيف يمكن تفسير مثل هذا العار؟

لقد عانيت انا وتشين هان جيانغ، من هذه الناحية، الحزن نفسه. واذا كانت المشاركة فى المثل العليا قد قربت بيننا من قبل، فان تماثل الوضع قد وطد مودتنا منذ ذلك اليوم. ومثلما يقول المثل فان البلاء يعمق المودة والرفاقية والمحبة بين الناس. وبفضل تماثل الاوضاع والهدف والقضية، استطاع ابناء الشعب والشيوعيون الكوريون والصينيون ان يتقاربوا بسهولة وكأنهم اشقاء حقيقيون. واذا كان الامبرياليون يتحالفون مؤقتا فيما بينهم لتحقيق المكاسب، فان الشيوعيين يقيمون وحدتهم الاممية الوطيدة فى سبيل تحرر الانسانية ورفاهها، وهو الهدف الاسمى لنضالهم المشترك. لقد اعتبرت ان حزن تشين هان جيانغ هو حزنى ومحن الامة الصينية هى محن للامة الكورية.

لو كانت لدى تشانغ كاى تشك وتشانغ سو ليانغ وغيرهما من رؤوس الاوساط السياسية والعسكرية القادرة على تعبئة مئات آلاف، بل وملايين الجنود، الروح الوطنية والبصيرة التى لدى شباب تونهوا على الاقل، لكانت الامور تطورت على نحو آخر. فلو انهم اتحدوا مع الشيوعيين، متخلين عن سياسة العداء للشيوعية، وواضعين مصير الامة فوق مصالحهم الشخصية والحزبية، ولو انهم استنهضوا كل الشعب والقوى المسلحة الى النضال المناهض لليابان، لاستطاعوا صد عدوان الامبريالية اليابانية منذ بدايته وحماية الارض والشعب بشرف.

الا انهم كانوا غير مبالين بالوطن والامة.

فقبل بدء الهجوم اليابانى على منشوريا، اصدر تشانغ كاى تشك الاوامر الى جيش

دونغبى بقيادة تشانغ سو ليانغ "بالحفاظ على الحيطة والحذر وتجنب الصدام بكل الوسائل فى حال وقوع استفزازات من جانب الجيش اليابانى" للحيلولة مسبقا دون مقاومة الجيش. وقد اثارت هذه الواقعة فيما بعد سخط مئات ملايين الصينيين.

وبعد حادثة ١٨ ايلول، اصدرت حكومة تشانغ كاى تشك فى ننكنغ اعلان استسلام دعت فيه الشعب والجيش الصينيين الى التزام الهدوء والصبر، وعدم مقاومة الجيش اليابانى، مما حط من معنويات الجيش والشعب. ويمكن القول ان مصير منشوريا كان قد تقرر قبل حادثة ١٨ ايلول. والانكى من ذلك، انها اوفدت ممثلها الى طوكيو لاجراء مفاوضات سرية مع الحكومة اليابانية، وهى المفاوضات التى ارتكب خلالها تشانغ كاى تشك خيانة الوطن بموافقته على تسليم المناطق الحدودية السوفييتية الصينية الى الامبرياليين اليابانيين، شريطة الا تحتل اليابان مناطق اخرى من الصين.

واذا كان تشانغ كاى تشك لم يتورع عن الاقدام على هذا العمل الخيانى دون ان يهتم حتى بكرامته كرئيس بلد كبير يضم مئات ملايين السكان وتقدر مساحته بملايين الكيلومترات المربعة، فان السبب فى ذلك هو خوفه من بنادق شعبه الموجهة الى الاقطاعيين والرأسماليين المستسلمين وبيروقراطيى الكومنتانغ اكثر من خوفه من مدافع اليابان.

وهكذا، انسحبت قوات جيش دونغبى المؤلفة من ثلاثمئة الف جندى امام جيش كوانتونغ الذى لا يصل عدد جنوده الى واحد من خمسة وعشرين من عدد تلك القوات، تاركة وراءها اراضى منشوريا الشاسعة ذات الموارد الطبيعية الهائلة.

قلت لتشين هان جيانغ المغموم مشجعا:

"ان الوضع الراهن لا يسمح لنا بالثقة بأى حزب او عصبة عسكرية او قوة سياسية. علينا ان نثق بانفسنا وبقوانا الذاتية فقط. ان الواقع يفرض علينا تسليح الجماهير والنهوض الى الحرب ضد اليابان. علينا ان نحمل السلاح لانقاذ انفسنا".

فشد تشين هان جيانغ على يدى دون ان يتفوه بكلمة.

بقيت معه فى ذلك اليوم حتى المساء، محاولا تشجيعه. ولو نظرنا الى مصير البلاد المأساوى، فقد كنت اشد منه حزنا. اذ انه فقد جزءا من وطنه، بينما كنت ابن امة مستعبدة محرومة تماما من وطنها.

توسل تشين هان جيانغ الى لاذهب معه الى منزله، وتوجهنا فى اليوم التالى الى تونهوا.

ومثلما حدث عند ابتلاع اليابان لكوريا، هزت حادثة ١٨ ايلول كل انحاء العالم،

وخصوصا كوريا والصين. فقد اعتبرتها البشرية بداية لحرب عالمية جديدة.

وصفت اليابان هذه الحادثة بانها حادثة عرضية ذات ابعاد محلية يمكن معالجتها عن طريق المفاوضات بين الصين واليابان، لكن شعوب العالم لم تصدق تلك الجعجعة. واستنكر الرأى العام العادل فى العالم هجوم اليابان على منشوريا باعتباره عملا عدوانيا مجرما ضد دولة ذات سيادة وطالب اليابان بسحب قواتها من المناطق التى احتلتها.

الا ان الامبرياليين بزعامة الولايات المتحدة اظهروا تعاطفهم مع اعتداء اليابان آملين فى دخيلة انفسهم بان توجه اليابان رأس رمحها نحو الاتحاد السوفييتى. لقد بعثت عصبة الامم الى منشوريا فريقا لتقصى الحقائق يرأسه ليتون، لكن هذا الفريق اتخذ ايضا موقفا مبهما بدلا من ان يميز بين الصالح والطالح ويقف الى جانب العدالة، ولم يصف اليابان بانها معتدية.

ان دوى مدافع الحرب الذى هز القارة وانهيار قوات تشانغ سو ليانغ الضخمة بين ليلة وضحاها وتراجعها امام الهجوم العنيف الذى شنه الجيش اليابانى، قد احبطت حماس مئات ملايين الناس. كما ان اسطورة "الجيش الامبراطورى اليابانى الذى لا يهزم" والتى نشأت اثر الحرب التشنغية – اليابانية والحرب الروسية – اليابانية قد تأكدت على ارض الواقع. واجتاحت كوريا ومنشوريا وبقية القارة الآسيوية موجة ذعر يرافقها الحقد والسخط. ووسط امواج الرعب تلك، راحت كافة القوى المسلحة والسياسية والتنظيمات الثورية والاشخاص القلقين على مصير البلاد والشخصيات الشهيرة تكشف عن وجهها الحقيقى.

ابعد انفجار حادثة ١٨ ايلول معظم بقايا قوات جيش الاستقلال الذى كان على وشك الانحلال الى المناطق الجبلية النائية، ودفع المنادين بانماء القدرة الى احضان الامبريالية اليابانية. وبينما عاد رجال جيش الاستقلال الى قراهم منصاعين بعد ان دفنوا بنادقهم القديمة، نادى الاصلاحيون القوميون بالولاء لليابان. اما اولئك الذين كانوا يلحون على المقاومة لانقاذ الوطن، ويصدرون اعلانات استقلال متتالية، فقد سارعوا فى الهجرة الى الخارج منشدين اغنية "الحنين الى الموطن". وكان هناك استقلاليون آخرون هربوا الى جينتشو وتشانغشا وسيان وراء قوات تشانغ سو ليانغ وهى تغادر المناطق التى عملت فيها حتى الامس.

مع هجوم الثامن عشر من ايلول، تسارعت فى صفوف الامة عملية الفرز المعقدة للتمييز بين الوطنيين وباعة الوطن، وبين المناهضين لليابان والموالين لها، وبين روح التضحية

والمحافظة. والتحق كل امرئ بالقطب الموجب او السالب حسب وجهة نظره فى الحياة. لقد لعبت حادثة منشوريا دور المحك الذى كشف ميول وطبيعة كل فرد من الامة.

استمر النقاش حول حادثة ١٨ ايلول عدة ايام بينى وبين تشين هان جيانغ فى تونهوا. كنا نحن ايضا فى منتهى الارتباك بادئ الامر. كان واضحا لنا انه لا بد من تناول السلاح، ولكننا لم نستطع ان نحدد من اين نبدأ وكيف نبدأ بذلك امام التقدم المندفع للجيش اليابانى. الا اننا استعدنا تماسكنا على الفور وحللنا تطور الوضع بدقة.

لقد فكرت حينذاك مطولا فى التأثير الذى سيمارسه غزو الامبريالية اليابانية لمنشوريا على الثورة الكورية.

فحملة الجيش اليابانى واحتلاله لمنشوريا يعنى ان العدو صار فى خاصرتنا. وكان الموظفون اليابانيون قد عززوا منذ سنوات القمع ضد الاستقلاليين والشيوعيين الكوريين بمساعدة امراء الحرب الرجعيين الصينيين وذلك استنادا الى "اتفاقية ميتسويا". ولكن، نادرا ما انتقل رجال الجيش والشرطة اليابانيون فى كوريا الى منشوريا عبر الحدود، لان الاتفاقية المعقودة مع الصين كانت تحظر ذلك.

وكانت مهمة الكشف عن الثوريين الكوريين فى منطقة منشوريا والقبض عليهم موكولة الى شرطة القنصلية اليابانية المعتمدة هناك.

والى ما قبل وقوع حادثة منشوريا، لم يستطع الجيش اليابانى الذى يحتل كوريا الدخول الى منطقة شمال شرقى الصين، ما عدا سريتين منه بقيتا فى هونتشون باذن من الجانب الصينى بعد جلاء الجيش اليابانى عن سيبيريا التى هاجمها اثناء الحرب الاهلية الروسية.

ولكن، مع حادثة ١٨ ايلول، تحولت منشوريا الى مسرح يعج بالجيش اليابانى. فقد وصلتها امواج من عشرات آلاف الجنود اليابانيين من كوريا ومن شنغهاى ومن اليابان. وتحولت اراضى منشوريا الى جبهة امامية اختلط فيها جنود الطرفين. كما الغيت عمليا الحدود بين كوريا ومنشوريا مع غزو الجيش اليابانى.

كان يمكن للاحتلال اليابانى لمنشوريا ان يخلق دون ريب مصاعب جسيمة امام نضالنا فى هذه المنطقة التى اتخذناها نقطة استناد لعملنا. ولان احد اهداف اليابان من غزوها لمنشوريا هو خنق نضال التحرر الوطنى الذى يقوم به الشعب الكورى فى هذه المنطقة وتسهيل الحفاظ على الامن العام فى كوريا، فقد كان علينا ان نكون مستعدين لمواجهة تهديد الجيش والشرطة اليابانيين من نواح عديدة فى نشاطاتنا اللاحقة.

وفكرت فى ان الهراوة الحديدية "للقانون الجديد للحفاظ على الامن العام" الذى كان يمارس فى كوريا ستسقط على رؤوس الكوريين المقيمين فى منشوريا ايضا.

واذا اقامت اليابان حكومة عميلة لها فى منشوريا، فانها ستقيم بذلك حاجزا كبيرا آخر فى وجهنا. وبالفعل فقد شكل وجود دولة "منشوكو" التى اصطنعتها اليابان فيما بعد عقبة جسيمة امام نشاطنا.

وسيدفع احتلال اليابان لمنشوريا حياة مئات آلاف الكوريين المقيمين هناك الى البؤس. كما ان حرية المهاجرين الكوريين الذين يعيشون خارج نير سياسة الحاكم العام فى منطقة لا وجود فيها للاعداء اليابانيين، يمكن لها ان تنتهى كحلم ربيعى، وستفقد مغادرتهم وطنهم للاقامة فى ارض الغربة معناها.

الا اننا لم نفكر مع ذلك فى الظروف غير المؤاتية وحدها التى اسفرت عنها حادثة ١٨ ايلول. ولو وقعنا فى التشاؤم والجبن ولم نر سوى النقاط السلبية لوقعنا فى العجز واقعدنا اليأس والقنوط.

حينذاك، تذكرت رغما عنى مثلا كوريا يقول : "لاصطياد النمر لا بد من الدخول الى وجاره"، وهو تعبير عن فلسفة اسلافنا الحياتية المستندة الى تجارب تراكمت عبر آلاف السنين، وقد اوحى الى ذلك المثل بحقيقة عميقة.

"لقد تحولت منشوريا الى وجار للنمر. وفى هذا المكان بالذات يمكننا اقتناص الوحش الضارى، الامبريالية اليابانية. لقد حان الوقت للنضال بالسلاح. فى هذه الظروف تحديدا علينا ان ننتصر، عبر معركة حاسمة، لكى نستعيد كرامتنا الانسانية".

وفيما هذه الافكار تجول فى ذهنى، قررت البدء فى المعارك حتى لا تفوتنا الفرصة.

ستعزز الامبريالية اليابانية سيطرتها الاستعمارية فى بلادنا ونهبها الاقتصادى لتوفير حاجتها من المواد الحربية من اجل الانتصار فى الحرب. وستصل التناقضات القومية والطبقية الى اقصى حد لها وتتصاعد روح الامة الكورية المناهضة لليابان اكثر فاكثر. فاذا ما نظمنا الصفوف المسلحة وشرعنا فى الحرب المعادية لليابان، فان جماهير الشعب ستقدم لنا التأييد والدعم المادى والروحى.

وسينهض كذلك مئات ملايين الصينيين الى المقاومة الوطنية المناهضة لليابان.

وسيلى غزو منشوريا فى الغد عدوان على ارض الصين الاساسية، وسيلف البلاد كلها اوار حرب شاملة. ولا حاجة للقول ان الشعب الصينى الذى يتسم بقوة روح الاستقلالية لن

يقف متفرجا على هذا الخطر الذى يداهم وطنه. يقف الى جانبنا عدد كبير من الشيوعيين والوطنيين الصينيين المستعدين للدفاع عن السيادة الوطنية فى مواجهة العدوان الامبريالى، ومئات ملايين الاشقاء الصينيين المحبين للحرية والاستقلال. واذا كان هؤلاء قد اظهروا فى الامس الاسى على الكوريين المحرومين من الوطن، فانهم سيتحولون فى الغد من مجرد متعاطفين الى حلفاء جديرين بالثقة، يقفون معنا فى الخندق نفسه ويصوبون سلاحهم الى العدو المشترك.

وهكذا، سنجد الى جانبنا دائما جيشا حليفا عظيما يتمثل فى الشعب الصينى.

واذا وسعت اليابان الحرب الى عمق الاراضى الصينية، فسيؤدى ذلك الى اصطدامها مباشرة بمصالح الدول الغربية الكبرى، وسيكون ذلك فتيل الحرب العالمية الجديدة. فاذا تمادت الحرب الصينية اليابانية، وتورطت اليابان فى حرب عالمية فستعانى الندرة ونضوب الموارد البشرية والمادية.

ان احتلال اليابان لمنشوريا يعنى توسيع نطاق سيطرتها، وهو ما سيؤدى لا محالة الى ضعف قوة سيطرتها. فلن يكون بمقدور اليابان ان تؤمن قوة سيطرتها الاستعمارية السابقة.

سيشجب العالم كله الامبريالية اليابانية باعتبارها معتدية، وستجد اليابان نفسها معزولة دوليا.

وقدرت ان كل ذلك سيشكل، من الناحية الاستراتيجية، منعطفا مؤاتيا لثورتنا.

مع شروع جيش تشانغ سو ليانغ بالانسحاب العام وتقدم جيش العدوان اليابانى باندفاع، وقعت امام اعيننا احداث مذهلة. فموظفو الاجهزة الادارية وشرطة مديرية الامن العام هربوا متشتتين ومتخلين عن وظائفهم. وخلال ايام قليلة، اغلقت كافة اجهزة الادارة المحلية لسلطة امراء الحرب ابوابها .

مع فرار قوات تشانغ سو ليانغ، شل نظام حكم امراء الحرب.

ولم يستطع جيش العدوان توجيه جهوده للحفاظ على الامن العام، بل اسرع فى توسيع نجاحاته الحربية. فأدى ذلك الى نشوء حالة من الفوضى فى منطقة منشوريا لبعض الوقت. وفكرت بان هذه الحالة ستستمر لفترة ريثما تفرض الامبريالية اليابانية نظام سيطرتها فى الصين. وقد اتاح لنا هذا الفراغ فرصة لبناء الصفوف المسلحة بحرية. كان يتوجب علينا الا نضيع تلك الفرصة.

لقد كانت الثورة تدخل مرحلة تحول جديدة.

فقد حان الوقت ليقرر كل امرئ ماذا يعمل من اجل انجاز المهمة التى اوكلتها اليه الثورة الكورية ويكرس نفسه جسدا وروحا من اجل وضعها موضع التحقيق.

كانت حادثة ١٨ ايلول عدوانا ضد الشعب الصينى، وضد السكان والشيوعيين الكوريين المقيمين فى منشوريا على السواء. وكان علينا نحن الشيوعيين الكوريين ان نرد الرد المناسب.

فأدركت ضرورة الاسراع فى انشاء القوات المسلحة.

٣- الرد على السلاح بالسلاح

طرحت علينا حادثة ١٨ ايلول المهمة الملحة فى البدء دون تأخير بالحرب المناهضة لليابان. فقد حانت الفرصة الملائمة للرد على نيران المدافع الجائرة التى تنذر بحرب عالمية جديدة بوميض المدافع العادلة.

مع انتشار خبر غزو الامبريالية اليابانية لمنشوريا، خرج جميع الثوريين من السرية واتخذوا مواقعهم. ويمكن القول ان دوى المدافع فى ذلك الخريف قد نبه اهالى منشوريا الى حد كبير. ولم يرعبهم بقدر ما ايقظهم واستنهضهم. فعادت تلك الاراضى التى دمرها العدو تعبق من جديد باجواء النضال.

قدرنا ان الفرصة قد ازفت لتصليب الجماهير فى بوتقة النضال.

واقول بصراحة ان الجميع فى منشوريا آنذاك كانوا يشعرون بخيبة الامل من جراء اخفاق الانتفاضة. فكان لا بد من بث الثقة فى قلوبهم من اجل تطوير الثورة الى مرحلة تالية اعلى. الا ان ذلك ما كان يمكن تحقيقه بمجرد توزيع النشرات الدعائية او بالكلام الفارغ.

فمن اجل نفخ الثقة والقوة فى الجماهير التى قد تعودت على الاخفاق، كان لا بد لنا من ان نستنهضها الى النضال الجديد ونقودها الى النصر مهما كلف الامر. فخوض معركة ناجحة هو الطريق الوحيد القادر على اخراج الجماهير من حالة الركود الشبيهة بالكابوس. وما لم يتم تصليب الجماهير فى خضم النضال فلن يكون بامكان النضال المسلح ان يعطى نتائج تستحق الذكر، حتى ولو بادر اليه عدد من الرواد.

لقد وفر انفجار حادثة ١٨ ايلول للشعب فى منشوريا الشرقية فرصة اخرى للنهوض الى النضال. وقد شجعتهم مظاهرات الشعب داخل البلاد التى كانت اقرب الى الانتفاضة.

فقد وقعت هناك نزاعات بشأن المحاصصة وانتفاضات فلاحية مناهضة لليابان، وكان ابرزها تلك التى جرت فى مزرعة دونغتشوك فى كوون، ومزرعة بورى فى ريونغتشون، ومزرعة داموك فى كيمزاى.

وتواصل نضال الفلاحين فى منطقة ريونغتشون الى ما بعد عام ١٩٢٩. وقد عملت

المنظمات فى هذه المنطقة بمهارة وباتصال معنا. فقد ارسلنا الى هناك عددا كبيرا من عاملينا السريين.

وهب اكثر من ثلاثة آلاف فلاح فى يونغهونغ واكثر من الفى فلاح فى سامتشوك منتفضين على الامبريالية اليابانية التى شددت القمع الفاشى والسلب الوحشى تحت ذريعة اعلان "حالة الطوارئ" بعد حادثة ١٨ ايلول.

فى ذلك الوقت بالذات، نظمنا اضراب موسم الحصاد الخريفى فى منطقة تشينتاو.

كانت اللجان النضالية قد اتخذت الاستعدادات الكاملة فى مختلف المناطق، فنظمت فرق الدعاية وفصائل الانضباط التابعة لها وقامت بطبع المنشورات والنشرات الدعائية وتحديد الشعارات الكفاحية. ثم بدأت العمل كل فى منطقتها حسب المنظمة الثورية. وكان نضالا اقتصاديا شرعيا فى اول الامر يطالب بتخفيض اجور الارض الزراعية.

لقد اطلق بعض المؤرخين فى احد الاوقات على هذا النضال اسم "انتفاضة المحصول الخريفى" ولكننى اعتقد ان هذه التسمية غير مناسبة. لان ذلك النضال لم يكن محاكاة لانتفاضة ٣٠ ايار ولا نسخة عنها، وانما نضالا جماهيريا مظفرا تصاعد بالاستناد الى مبدأ تكتيكى جديد، بعد التصفية التامة للنتائج المشؤومة لافكار لى ليسان اليسارية الطائشة. واذا كان الفئويون هم الذين تولوا الدور الاساسى فى انتفاضة ٣٠ ايار، فان من امسك الدفة وقاد الجماهير فى اضراب موسم الحصاد الخريفى هم شيوعيو الجيل الجديد.

لم يكن العنف هو الوسيلة الاساسية فى هذا الاضراب. فعلى النقيض من انتفاضة ٣٠ ايار التى جرت فيها دون رادع اعمال الحرق والقتل، مثل احراق محطات توزيع التيار الكهربائى والمؤسسات التعليمية وتصفية الاقطاعيين والملاكين عموما، فقد تحرك المشاركون فى اضراب موسم الحصاد الخريفى بانضباط وبتنسيق تام مع المناطق المجاورة تحت القيادة الموحدة للجان النضال، رافعين مطالب عادلة مثل اعتماد نظام دفع ثلاثة او اربعة اعشار المحصول.

لم تكن ثمة مبالغة فى مطلب تخفيض اجر الارض، بل كان عادلا تماما، آخذين فى الاعتبار وضع الفلاحين الذين يئنون تحت وطأة البؤس. ولهذا لم تستطع ادارة مقاطعة جيلين الا الاعلان عن وجوب تطبيق نظام دفع ثلاثة او اربعة اعشار المحصول، اى (٣٠ – ٤٠ بالمئة لمالك الارض و٦٠ – ٧٠ بالمائة للفلاحين مستأجرى الارض.)

لذا، لم يمارس الفلاحون العنف ضد ملاكى الاراضى الذين تقبلوا مطلب الفلاحين بهدوء.

اقتصرت ممارسة العنف على الاقطاعيين الشرسين الذين رفضوا رفضا قاطعا قبول مطلب لجنة النضال، وعلى رجال الجيش والشرطة الذين قمعوا اضراب الفلاحين بقوة السلاح. فيما يتعلق بالاقطاعيين المتعنتين الذين رفضوا الاستجابة لمطلب الفلاحين، فقد جرى اقتسام المحاصيل بنسبة ٣ : ٧ او ٤ : ٦ فى الحقول مباشرة او سحبت فى مخازنهم بنفس النسبة.

وقد استهدف ذلك النضال ايضا مجلس النهب المالى لشركة الشرق المساهمة للانماء، والمرابين وجمعية الجالية الكورية التى كانت تساعد على بسط سيطرة الامبريالية اليابانية.

ذات يوم، وبعد قليل من عودتى الى آنتو قادما من منطقة آنزى، حيث قدت النضال المذكور، زارنى تشاى دونغ هوا الذى كان متواريا لتجنب ملاحقة الامبريالية اليابانية له منذ انتفاضة ٣٠ ايار، وعبر عن قلقه من ان اضراب موسم الحصاد الخريفى بدأ يتخذ بالتدريج طابع العنف. وقد ادهشنى التحول المفاجئ فى موقفه حول العنف، خصوصا وانه كان المحرض الرئيسى لانتفاضة ٣٠ ايار فى منطقة آنتو، وكان قد ابدى بعد ذلك استعداده للمناظرة معنا، حين اعتبرنا ان تلك الانتفاضة تكون عملا يساريا متهورا.

"ماذا جرى ايها الرفيق سونغ جو؟ كيف يمكننى ان افهم لجوءكم الى العنف فى نضال اقتصادى محض وانتم الذين استنكرتم انتفاضة ٣٠ ايار باعتبارها عملا يساريا طائشا؟"

بعد ان القى هذا السؤال، بدأ يدور حولى وهو يقاطع ذراعيه على صدره. كان يبدو راضيا جدا عن نفسه وكأنه لامس جرحى.

"يبدو انك مخطئ ايها السيد، هل تظن ان هناك تماثلا بين عنفنا فى موسم الحصاد الخريفى والعنف (الاحمر) الذى ناديتم به فى انتفاضة ٣٠ ايار؟"

باغته بهذا السؤال دون ان اهتم بانه ليس من اللياقة الرد على سؤال بسؤال.

"لا ريب ان ثمة تباينا طفيفا بينهما، ولكن العنف هو العنف فى نهاية الامر".

"لم نمارس العنف الا عندما كانت تتوفر الاسباب العادلة. مثلا، حين يرفض اقطاعى الاستجابة لمطلب الفلاحين، نفتح باب مخزنه بالقوة؛ واذا اعتقل رجال الجيش والشرطة رفاقنا، استخدمنا القوة الجسدية من اجل انتزاعهم من يدهم. ام انك تريدنا ان نتصرف بتسامح مع اولئك الاعداء الذين يقمعوننا بوسائل العنف؟"

"لست انتقدكم لاننى اجهل المبدأ العام للماركسية القائلة بوجوب مواجهة العنف بالعنف. ما اريد قوله هو ان هذا الوقت لا يسمح بممارسة القوة وجها لوجه. لقد اصبحت انتفاضة

٣٠ ايار حكاية قديمة. والمؤسف ان ثورتنا قد دخلت مرحلة التراجع".

"مرحلة التراجع؟"

"اجل، وعلينا الآن ان نتراجع خطوتين الى الوراء. ربما لم تكن حقبة ستوليبين الرجعية اكثر ظلامية من الفترة الحالية. ألا ترى ان جيش كوانتونغ قد احتل منشوريا كلها دفعة واحدة؟ لقد تراجع حتى جيش تشانغ سو ليانغ الذى يعد ثلاثمائة الف جندى. وفى هذه الظروف، يجب الحفاظ على القوى الثورية وعدم كشفها، ألا ترى ذلك؟ اذا استثرنا اعصاب العدو دون تبصر، فقد تتكرر على ارض منشوريا الشرقية كارثة الحملة (التأديبية) الكبرى التى جرت فى سنة كيونغسين".

اصر تشاى دونغ هوا على ضرورة منع تحويل اضراب موسم الحصاد الخريفى الى معركة عنيفة والتخلى عن حمل السلاح. كما عارض مشروعنا فى النضال المسلح قائلا بانه سابق لاوانه واشبه بتشييد قلعة على الرمال.

واقول بصراحة اننى بذلت جهدا كبيرا فى خوض هذا الجدال مع تشاى دونغ هوا. فقد كان يملك عقلا ممتازا ومعرفة واسعة بالشيوعية. ولم يكن من السهل اقناعه بالحجج العادية. فهو يكثر من الاستشهاد بمقولات الكلاسيكيين لاظهار صحة كلامه، وكانت تلك المقولات تتطابق مع كلامه مطابقة السوار لليد.

كانت ادعاءاته تنطلق فى نهاية المطاف من ان الثورة قد دخلت مرحلة التراجع. فقد كان يرى الهجوم المسلح الواسع الذى شنته الامبريالية اليابانية، وفرار جيش تشانغ سو ليانغ، وانحلال جيش الاستقلال وغيرها من العوامل غير المؤاتية، ولكنه لم يكن يرى على الاطلاق انتفاضات الشعب داخل البلاد وفى منشوريا الشرقية. لقد كان يقف امامى بكل تأكيد شخص اعمى لا يرى ما يحدث على ارض الواقع رغم عينيه المفتوحتين على اتساعهما.

لم يكن بالامكان باى حال من الاحوال اعتبار هجمة الثورة المضادة وانسحاب الجبناء على انه مرحلة تراجع للثورة. فالمسألة رهن برد فعل الذات الفاعلة للثورة، اى الجماهير الشعبية.

كان تشاى دونغ هوا، مثل غيره من شيوعيى الجيل السابق، يستهين كثيرا بقوة الجماهير الشعبية. ولم يكن يرى فيها الذات الفاعلة للثورة، ولم يثق بقوتها، بل ازدراها واستهان بها.

لقد جعلنى كلامه عن ركود الثورة ادرك التباين الجوهرى بيننا وبين شيوعيى الجيل

السابق. ويمكن التأكيد ان كل ذلك التباين نشأ من كيفية النظر الى الجماهير الشعبية. ولهذا كان التعامل معهم كالتعامل مع الغرباء، ولم يكن بالامكان التوصل الى توحيد قوانا وقواهم على الرغم من اننا نرفع المثل العليا نفسها ونسعى الى الهدف نفسه.

قلت لتشاى دونغ هوا:

"لا ادرى كيف ستفهم كلامى، ولكننى اريد ان اؤكد ان هذا الوقت هو مرحلة صعود للثورة، فالشعب يهب بالعنف ولا ينحنى امام اعتداء الامبريالية اليابانية. اننا مصممون على توعية الجماهير وتنظيمها على مستوى واسع بعد انتهاء من اضراب موسم الحصاد الخريفى، للانتقال بالنضال المناهض لليابان الى مرحلة ارقى، وعدم تفويت مرحلة الصعود الثورى. وهذا القرار لن يتغير ولن يتزعزع مهما كان الوضع".

لم يستطع تشاى دونغ هوا الرد، فمضى متجرعا كأس المرارة.

على الرغم من محاولة تشاى دونغ هوا وامثاله عرقلة تقدمنا بجعجعتهم عن لاعقلانية العنف الثورى، الا اننا قدنا اضراب موسم الحصاد الخريفى مفعمين بالثقة، ودون ان ننحرف قيد انملة عن الطريق التى اخترناها بأنفسنا.

شن اكثر من مئة الف فلاح فى تشينتاو نضالا داميا منذ شهر ايلول وحتى اواخر عام ١٩٣١، دون ادنى تردد امام القمع الوحشى للجيش والشرطة اليابانية وامراء الحرب الرجعيين.

فى سياق هذا النضال، ظهر ما لا حصر له من الاحداث التى تشبه الاساطير، والتى اكدت على الروح البطولية للامة الكورية. فاشتباكات السلاح الابيض التى خاضها اهالى منطقة كايغو مع الجيش والشرطة اليابانية والمنشورية فوق جليد نهر دومان، تحولت الى قصة تتناقلها الشفاه لبعض الوقت فى مناطق منشوريا وتثير انفعالات الناس.

كما انتشرت وسط لهيب ذلك النضال قصة اللحظات المأساوية الاخيرة من حياة المناضلة كيم سون هى، العضوة فى الحرس الاحمر فى ياوشويدونغ وعضوة لجنة اضراب موسم الحصاد الخريفى فى القرية نفسها.

فقد سألها احد جنود قوات الحملة "التأديبية" التى داهمت ياوشويدونغ عما يوجد فى بطنها المنتفخ وهو يلامسه بحربة بندقيته. وقد كانت حبلى حينذاك. فرمقت عناصر الحامية اليابانية وشرطة القنصلية المحيطين بها بنظرة ازدراء، وردت بجوابها المشهور : "سيكون وليدى ملكا فى احسن الحالات، اما فى اسوئها فسيكون كليبا متسكعا مثلك، يتردد على

الشوارع". ذهل الجنود الاعداء لهذا الجواب .وقد قطعت المرأة لسانها حتى لا تبوح بأسرار المنظمة، وماتت حرقا وهى فى ربيعها الثانى والعشرين وسط المحرقة التى اشعلها اولئك الاوغاد.

انتهى اضراب موسم الحصاد الخريفى بانتصار الفلاحين، مما بث الثقة فى نفوس الاهالى فى منشوريا الشرقية. وقد ادركوا للمرة الاولى ان الانتصار فى المعركة مرهون بصورة حاسمة بصلابة ارادة الجماهير نفسها وباسلوب القيادة، وبدأوا ينظرون باعجاب الى الشيوعيين الشباب من الجيل الجديد الذين قادوا النضال الى النصر والتفوا من حولهم بثبات.

ومن خلال نجاح هذا الاضراب، ادركت الجماهير اسباب اخفاق انتفاضة ٣٠ ايار، واكتشفت بنفسها ووثقت من حقيقة ان ابعاد العنف واتساعه ليس العامل الاساسى الذى يحدد منجزات النضال. وقد اقتنع الجميع بان اخفاق انتفاضة ٣٠ ايار لا يكمن فى ضآلة حجم العنف فيها، وان السبب فى انتصار اضراب موسم الحصاد الخريفى ليس فى ضخامة حجم العنف المستخدم. فالقوة ليست قادرة على كل شىء فى مطلق الاحوال، وانما هى وسيلة للوصول الى هدف محدد.

ان العنف العادل والرصين الذى يخدم هدفا نبيلا بطريقة مناسبة هو وحده القادر على ضمان الانتصار لمن يمارسه، وعلى المساهمة بشكل حقيقى فى تغيير المجتمع وتقدم التاريخ. ونحن نؤيد هذا النوع من العنف فقط.

ولب المسألة يكمن فى كيفية تعبئة الجماهير وتنظيمها وقيادتها. وقد ابدع شيوعيو الجيل الجديد مثالا يحتذى فى هذا المضمار. فاضراب موسم الحصاد كان معركة متميزة تضافر فيها بمتانة الشكل الاقتصادى والسياسى، وامتزج فيها بطريقة مناسبة الاسلوب السلمى والعنيف، مع الاحتفاظ الدائم بزمام المبادرة وجر العدو الى موقف سلبى. ويمكننا ان نقول الشىء نفسه بالنسبة لاضراب البؤس الربيعى الذى جرى فى ربيع العام التالى.

من خلال هذا النضال الخريفى، اشتد التلاحم بين الشعبين الكورى والصينى وتوطدت اواصر العلاقة الثورية بين شيوعيي البلدين.

كما كان مناسبة رائعة لتوعية الجماهير الشعبية وتصليبها. فقد تمرس فى صفوف هذا الاضراب النضالية اناس بسطاء عاديون ليصبحوا مناضلين وثوريين. وتوسعت صفوف المنظمات الثورية فى منشوريا الشرقية بعدد كبير من عناصر النواة الذين تفولذوا فى ذلك

النضال، وقد كان ذلك مؤاتيا ايضا للنضال المسلح الذى يوشك ان يبدأ.

فعدد كبير من الثوريين الشباب الذين تمرسوا فى اضراب موسم الحصاد الخريفى سيشكلون فيما بعد العمود الفقرى لوحدات حرب العصابات المنظمة فى مختلف محافظات منشوريا الشرقية.

وفيما كنت اقود هذا النضال، لم اتوقف عن التعمق فى مشروع النضال المسلح. وقد شجعتنى الى ما لا نهاية البطولة الجماهيرية والروح الكفاحية الصلبة التى ابداها اهالى منشوريا الشرقية فى النضال عندما كنت افكر بخط للمرحلة الجديدة من الثورة، ورسخت فى نفسى القناعة بان الجماهير ستؤيدنا وتساندنا اذا ما حملنا السلاح وخضنا معارك دامية ضد الامبريالية اليابانية.

حين كان لهيب اضراب موسم الحصاد الخريفى يجتاح كل اراضى منشوريا الشرقية فى تشرين الاول ١٩٣١، عرجت على منطقة زونغسونغ بمحافظة هامكيونغ الشمالية لكى اناقش مع الرفاق داخل البلاد مسألة النضال المسلح وادعو العاملين السريين الموفدين الى منطقة حواضر الاقضية الستة واكلفهم بمهمة بالغة الاهمية تتعلق بالنضال المسلح. وكان دليلى الى زونغسونغ الرفيقين تشاى سو هانغ واو بين.

ان زونغسونغ هى مسقط رأس تشاى سو هانغ، وكان فيها بيت والدى زوجته. وقد غادرها ذووه فى اواخر عهد كوريا الاقطاعية، اى بعد "ضم كوريا الى اليابان" مباشرة، وهاجروا الى جينكو بمحافظة هيلونغ. وقد كان جد والده مستشارا لدى حاكم زونغسونغ.

وبالرغم من انه نشأ وشب فى تشينتاو، الا انه كان يحن دائما الى مسقط رأسه الذى يحتفظ بذكريات طفولته. فكان كلما ذهب معى الى زونغسونغ، يشعر وكأن الدنيا لا تسعه من شدة الفرح.

ولكننى لاحظت عليه علائم الحزن فى هذه المرة. فظننت ان موجة اضراب موسم الحصاد الخريفى قد جرفت اكوام المحاصيل من بيته. فسألته ببرود:

"ألم يصادروا بيتك؟"

كان والده اقطاعيا ثريا، وكان يشغل منصب رئيس شركة ديسين التى يكرهها الفقراء.

"لا، لقد وزعنا الارز فى الحقول مباشرة على الفلاحين بنسبة ثلاثة اعشار قبل ان يطلبها الفلاحون".

"هذا هو السلوك اللائق باسرة امين اللجنة الحزبية فى المحافظة. ولكن، لماذا تبدو

مغموما الى هذا الحد؟"

"نصحنى البعض بان اقنع والدى بالاستقالة من منصب رئيس الشركة. ولكن والدى لم يستجب لطلبى".

لم يكن تشاى سو هانغ يعرف ان اباه يتولى هذا المنصب بطلب من المنظمة الثورية. فالانضباط الصارم كان يمنع الاب من اخبار ابنه بالحقيقة، حتى وان ازعجت هذه المسألة الابن.

لقد كان توتر حالته النفسية مفهوما على هذا النحو. ففى ذلك الحين، كان بين من يتولون مناصب رفيعة فى اجهزة الحزب العليا يساريون يفرضون على من هم ادنى منهم مرتبة مطالب متطرفة تتنافى مع مصلحة الثورة، ويوقعونهم بذلك فى مواقف محرجة. وقد انتهى بهم الامر الى تأنيب تشاى سو هانغ لانه "اخطأ" ولم يقطع علاقته بأبيه من موقف طبقى، ثم فصلوه للسبب نفسه من منصب امين اللجنة الحزبية فى المحافظة، ولكنهم اعادوه الى المنصب نفسه بعد وقت قصير.

ولاخراج تشاى سو هانغ من تشاؤمه، حولت مجرى الحديث الى موضوع الكفاح المسلح، فقال مازحا انه سيكون اول من ينتسب الى جيشنا فور تأسيسه وسيكون رامى رشاش فيه. فاجبته وانا ابتسم مازحا:

"المنصب العسكرى لا يناسبك، فقد ولدت لتكون شخصية مدنية".

ولكن هذه الكلمات المازحة كانت تنطوى على الحقيقة ايضا. فقد كنت اعتبره عاملا سياسيا بالفطرة. ولو انه بقى حيا والتحق بالجيش الثورى، لاصبح بكل تأكيد مفوضا سياسيا على مستوى لواء او فرقة.

عندما اسست جيش حرب العصابات وبدأت خوض النضال المسلح بكل زخم، جرى اعتقاله واغتياله على يد قوات حملة "تأديبية" يابانية بالقرب من دالاجى.

اما او بين فقد اشتهر كرياضى منذ فترة مدرسة دونغسينغ الثانوية فى لونغجينغ. فقد فاز بالمرتبة الاولى فى مباريات المصارعة الكورية التى جرت فى المهرجان الرياضى الذى اقيم فى محافظة هونتشون وتلقى ثورا كمكافأة. كان بسيطا ومرحا ورشيقا. وقد رأيت ان لديه من الخصال ما يؤهله لان يكون قائدا ممتازا فى الجيش الثوري. ويمكن القول اننى اكتسبت منذ ذلك الوقت عادة تقويم الاشخاص الذين اتعرف عليهم بالتفكير فى الموقع الذى يمكنهم ان يشغلوه فى الجيش الثورى. ويبدو ان الاوضاع الحرجة عشية الحرب المناهضة

لليابان قد جعلتنى "محاسبا."

ركبنا زورقا فى مرسى شيجيانبينغ وعبرنا نهر دومان. ثم توقفنا فى مركز تصنيف فول الصويا بمزرعة دوريانغ فى دونغكوانزين. كانت هذه المزرعة تعمل على تصنيف فول الصويا الذى سلبته الامبريالية اليابانية من منشوريا ووزنه وتعبئته فى اكياس لارساله الى اليابان.

تنكرنا بملابس العمال المأجورين الذين يجيئون من تشينتاو وتحادثنا مع العمال ونحن نساعدهم فى عملهم. وما ان عرفوا اننا قادمون من تشينتاو حتى بدؤوا يتحدثون عن اضراب موسم الحصاد الخريفى. وكانت آراؤهم متشائمة على العموم: ما الذى يمكن كسبه من مثل هذه الاشياء؟ فالاوغاد اليابانيون يحتلون منشوريا الآن، وحتى قبل احتلالهم منيت عدة انتفاضات بالاخفاق فى تشينتاو؛ ولن يكون مصير هذا النضال الا كمصير انتفاضة الثلاثين من ايار؛ فلا جدوى من خوض اى شكل من اشكال النضال، واذا لم تصدقوا فانظروا الى انتصارات الجيش اليابانى؛ الى من ستلجأ امتنا الصغيرة والضعيفة الآن اذا كانت الهيئة الدولية المؤلفة من الدول العظمى متحيزة الى اليابان؟ هكذا كان مضمون آرائهم المشتركة.

لقد صدمتنى هذه الكلمات بشدة من ثلاث نواح : اولا، لكى يبقى الثوريون على اطلاع على ما يفكر فيه الشعب، لا بد لهم من الاحتكاك الدائم بالجماهير؛ ثانيا، ان الشروع فى النضال المسلح يستدعى اولا وقبل كل شىء دفع العمل لتوعية الجماهير فى الميدانين السياسى والتنظيمى؛ ثالثا، لا يمكن لاى شكل من اشكال النضال ان يحقق النجاح، ما لم تدرك الجماهير مغزاه جيدا وتنطلق اليه بنشاط.

حين استمعت الى تلك الآراء المتشائمة والمحبطة، شعرت بالحاجة الملحة لقيام الشيوعيين الكوريين ببث الامل بالانبعاث والاستقلال فى الامة من خلال الشروع بالنضال المسلح بأسرع ما يمكن.

فى ذلك اليوم، عقدنا فى بيت تشاى سونغ هون رئيس رابطة الشباب فى قرية كوانغميونغ، اجتماعا للمبعوثين السياسيين ومسؤولى المنظمات السرية داخل البلاد لمناقشة مهمات المنظمات الثورية داخل البلاد فيما يتعلق بالنضال المسلح.

قلت للمشتركين فى الاجتماع ان تقلب الوضع السريع بعد حادثة ١٨ ايلول والعبر التاريخية لحركة التحرر الوطنى المناهضة لليابان فى بلادنا تطرح علينا مهمة الاسراع فى

شن نضال مسلح جيد التنظيم، وشددت على ان هذا النضال هو مطلب شرعى وقفزة نوعية فى ثورتنا. ثم طرحت مهمتين اثنتين: اتخاذ الاستعدادات العسكرية الكاملة وارساء قاعدة جماهيرية متينة للنضال المسلح.

سيطر الانفعال على المشاركين فى الاجتماع عند الحديث عن النضال المسلح جيد التنظيم الذى سيكون حدثا خارقا، وعرضوا مقترحات بناءة والقوا خطابات حماسية للمساعدة على تشكيل الفصائل المسلحة.

اما موضوع اعداد القوى الثورية لتنظيم النضال المسلح وشنه فقد جرت مناقشته واقراره فى اجتماع كونغسودوك فى ايار عام ١٩٣١. وهكذا، فان اجتماع كوانغميونغتشون قد عالج المهمات العملية التى ستواجهها المنظمات الثورية داخل البلاد عشية الحدث الجديد. وكان بمثابة اصدار الامر واعطاء الاشارة الاولية ببدء الكفاح المسلح للاهالى والثوريين داخل كوريا. وقد كان للتأييد الفعال الذى اظهره اولئك الثوريون تأثير كبير فى مضاعفة حماستى.

مكثت يوما واحدا فى زونغسونغ ثم رجعت الى تشينتاو مودعا تشاى سو هانغ واو بين. اتفقنا على الاجتماع ثانية فى مينغويكو فى اواسط كانون الاول لتقويم الاستعداد للنضال المسلح ومناقشة الطرق المفصلة واستراتيجية وتكتيكات نقله الى ارض الواقع.

وقد كرست كل جهودى التالية للاعداد لاجتماع مينغويكو.

عند الحديث عن مثل هذه الاجتماعات عادة، يكون اول ما يتبادر الى الذهن هو اعداد التقرير والقرارات والوثائق الاخرى، ولكن الامر بالنسبة لى فى ذلك الوقت كان يعنى التفكير فى مسألة الخط وتحديد الاستراتيجية والتكتيكات. اما تدوين الافكار على الورق فكان عملية ثانوية.

لقد كرست وقتا طويلا للتفكير، خصوصا، فى تحديد شكل النضال المسلح.

صحيح ان النظرية الماركسية اللينينية اكدت هى الاخرى على اهمية النضال المسلح. ولكنها لم تقدم تعريفا محددا لاشكاله، ذلك انه لا يمكن وجود وصفة تتناسب وتتفق مع كل الازمنة وكل البلدان. وقد سعيت جاهدا لتجنب الوقوع فى الجمود العقائدى عند تحديد شكل نضالنا المسلح.

لقد قررت ان اعمق الجدال حول النضال المسلح واناقش المهمات حيال الوضع الجديد. فزرت اللجنة الحزبية فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة لكى التقى بتونغ تشانغ رونغ.

فحيث اننا سنؤسس القوات المسلحة ونبدأ الحرب المناهضة لليابان فى ارض منشوريا، فانه لا يمكننا استبعاد التعاون مع الشيوعيين الصينيين.

كانت مسألة النضال المسلح مدرجة على جدول الاعمال بين الشيوعيين الصينيين فى منطقة منشوريا ايضا. فبعد حادثة ١٨ ايلول، دعا الحزب الشيوعى الصينى والجيش الاحمر العمالى والفلاحى الصينى الى مقاومة اعتداء الامبريالية اليابانية بتعبئة الجماهير وانزال ضربات بالامبرياليين اليابانيين بالسلاح مباشرة.

واجهت الشيوعيين الكوريين والصينيين الذين يجب عليهم ان يسددوا اسلحتهم الى الهدف نفسه، المهمة الملحة بضرورة التعاون الوثيق والتأييد المتبادل من خلال تشكيل جبهة مشتركة متينة لا يمكن لاى هراوة حديدية ان تحطمها.

حاول تونغ تشانغ رونغ الذى تم تعيينه امينا للجنة الحزبية فى المنطقة الخاصة ان يلتقى بى ايضا فى مدينة لونغجينغ بعد ان نجا من الموت بأعجوبة اثناء حملة "تأديبية" للجيش اليابانى.

نظرا لان الدخول الى مدينة لونغجينغ التى تعج بالجواسيس والعملاء كان امرا خطيرا، فقد دعوته عن طريق اللجنة الحزبية للمجىء الى مينغويكو. ولكن هذه اللجنة بعثت تخبرنى بان تونغ تشانغ رونغ الذى لم يكن يعرف الوضع فى تشينتاو قد اعتقل على يد العملاء واقتيد الى السجن اثناء تجوله هنا وهناك بحثا عن تلك اللجنة التى كانت قد انتقلت الى موقع آخر. لقد شعرت بخيبة الامل امام هذا النبأ المفاجئ. وكان لو دينغ سيآن امين اللجنة الحزبية فى اقليم منشوريا ويانغ ريم مسؤول اللجنة العسكرية للحزب فى الاقليم، قد غادرا شنيانغ بعد حادثة ١٨ ايلول الى حيث لا يعرف احد، اما يانغ جينغ او فكان فى السجن. فلم اجد احدا اناقش الامر معه.

قررت ان انقذ تونغ تشانغ رونغ من السجن بأى ثمن، وبحثت مع الرفاق عن طريقة لانقاذه. فتطوع لانقاذه رجل يعرف بلقب غو بو باى (بو باى تعنى الجوهرة). كان مشهورا بخفة يديه الشبيهة بخفة يدى ساحر، وكان "نشالا" ماهرا. فهو يستطيع فى غمضة عين ان يسرق قلم الحبر من جيب محدثه دون ان ينتبه اليه. ولانه كان محبا للمزاح، فقد كان ينشر الصخب فى كل مكان يحل فيه بسبب "فقدان" هذا الشىء او ذاك.

لقد ذهب الى مدينة لونغجينغ حيث سرق شيئا بشكل مكشوف، فتم اعتقاله واقتياده الى السجن حيث التقى مع تونغ تشانغ رونغ. وهناك نجح غو بو باى فى تسلية رجال الشرطة

بمهاراته ليطلقوا سراح امين اللجنة الحزبية من زنزانة بعد بضعة ايام. هكذا، استطاع ان يحضر اجتماع كوادر الحزب واتحاد الشباب الشيوعى الذى عقد فى مينغويكو فى اواسط كانون الاول عام ١٩٣١، والذى اصطلحنا على تسميته "اجتماع مينغويكو الشتوى."

حضر هذا الاجتماع اكثر من اربعين مناضلا شابا يحظون بحب الجماهير وثقتها لنضالهم المتفانى، وكان منهم تشا كوانغ سو، لى كوانغ، تشاى سو هانغ، كيم ايل هوان، ريانغ سونغ ريونغ، او بين، او زونغ هوا، او زونغ سونغ، كو بونغ وون، كيم تشول، كيم زونغ كوون، لى تشونغ سان، كيم ايل ريونغ، كيم زونغ ريونغ، هان ايل كوانغ وكيم هاى سان.

فى تلك الايام، تذوقت اليونغتشى كيمتشى لاول مرة فى مينغويكو. فى اليوم الذى وصلت فيه الى واد وراء تلك البلدة، دعانى لى تشونغ سان الى العشاء. وقدم لى حساء الذرة والفاصولياء وطبق اليونغتشى كيمتشى وقد وجدتهما لذيذين جدا. ان اهالى كيلزو وميونغتشون بمحافظة هامكيونغ الشمالية ماهرون فى اعداد هذا النوع من المخلل. وهو يقدم الآن حتى فى المآدب الحكومية الرسمية.

وفى احد الايام، اثناء اجتماع مينغويكو، جاء لى كوانغ بخمسة طيور تدرج. فقد آلمه ان يقتصر طعام المندوبين على حساء الذرة والدخن المسلوق وحدهما، فذهب مع بعض نشطاء اتحاد الشباب الشيوعى لصيد التدرج.

فى مساء ذلك اليوم، حضر لى تشونغ سان الشعيرية من دقيق البطاطا وهو يشعر بالسعادة للحصول على تلك الطيور اللذيذة. والحقيقة ان دقيق البطاطا كان متوفرا بكثرة فى وادى مينغويكو الذى يصعب الحصول فيه على الارز.

كان لعاب تشا كوانغ سو يسيل من فمه حين يرى الشعيرية، فقال ممازحا لى كوانغ:

"انظر يا رجل وانغتشينغ العزيز، كم معدة ستملأ هذه الطيور الخمسة؟"

لقد كان يعانى مرضا خطيرا فى معدته، فكان لا يأكل الا القليل، وفى بعض الاحيان لا يأكل شيئا على الاطلاق، ولكنه مع ذلك كان يتظاهر بانه أكول وبأنه يكاد يموت جوعا فى اى مكان يجتمع فيه شبان كثيرون.

فرد عليه لى كوانغ مازحا:

"ايه يا رجل جيلين، لا ترفع صوتك متبجحا، اعرف انك لا تستطيع تناول طبق واحد من حساء الذرة. أتعرف يا تشا المتهور ان هذه الطيور الخمسة التى حملتها على كاهلى مع

كيس الحبوب قد انهكت قواى؟"

صاح تشا كوانغ سو قائلا بحماسة انه نظرا لقلة لحم التدرج، ينبغى ان يتوزع المندوبون على غرفتين، فتتناول جماعة منهم الشعيرية مع لحم التدرج، ويتناولها الآخرون مع لحم الدجاج.

ولكن الجميع عارضوا اقتراحه. فاجتمعنا اخيرا فى غرفة واحدة وأكلنا الشعيرية مع خليط من لحم التدرج والدجاج فى جو بهيج. وقد تناول باك هون، ذو الشهية الطيبة، ثلاثة اطباق فاستحق لقب "وزير الشعيرية."

وبهدف انجاح الاجتماع، عقدنا فى بيت لى تشونغ سان جلسة تمهيدية وناقشنا فيها جدول الاعمال واهلية المشتركين وتحديد سلم الاوليات للاجتماع.

استمر الاجتماع الموسع عشرة ايام. وقد ناقشنا بصورة مركزة المسألة المتعلقة بشكل النضال المسلح المقبل، لان حل هذه المسألة مرتبط بشكل التنظيم المسلح وقاعدته وقضايا اخرى.

نظرا لعدم وجود الدولة، لم يكن بوسعنا التطلع الى المقاومة بجيش نظامى، كما ان الظروف لم تكن ناضجة لتعبئة الشعب كله على الفور فى انتفاضة مسلحة. وفى ظل هذا الوضع، اتجه تفكيرى بالطبع الى حرب العصابات.

لقد حدد لينين حرب العصابات على انها شكل ثانوى مساعد من اشكال النضال ينشأ بصورة حتمية حين تصل حركة الجماهير، فعلا، الى الانتفاضة او عندما تظهر فى سياق الحرب الاهلية مرحلة فاصلة بين معركتين كبيرتين. كان من المؤسف بالنسبة لى ان يحدد لينين حرب العصابات على انها شكل مؤقت وثانوى، وليست سبيلا اساسيا للنضال. ونظرا لاننى كنت ادرس باهتمام فى ذلك الوقت حرب العصابات وليس الحرب النظامية، فقد فكرت كثيرا فيما اذا كانت حرب العصابات تتلاءم مع واقع بلادنا فى حال تبنيها كخيار اساسى للنضال المسلح الذى سنشنه بقوات مسلحة ثورية دائمة. فعدت اقرأ مرة اخرى "مناهج سونجى القتالية"(٢٠) و"تاريخ الممالك الثلاث"(٢١)، ومن كتب بلادنا العسكرية قرأت "دونغكوك بيونغكام"(٢٢) و"بيونغهاك زينام"(٢٣) حرب ايمزين.

كان هناك من يقول ان حرب العصابات ترجع الى القرن الخامس، ولكن لا وجود لتحديد دقيق للبلاد والطريقة التى جرت فيها هذه الحرب.

ان ما ايقظ اكبر اهتمام لدى ماركس وانجلز من حروب العصابات هو عمليات المفارز

الفلاحية الروسية المسلحة اثناء الحرب الروسية الفرنسية فى عام ١٨١٢. ان مآثر جينيس داويدوب بطل قتال العصابات فى تلك الحرب، والجنرال كوتوزوب الذى قاد بمهارة العمليات المشتركة للجيش النظامى ووحدات حرب العصابات اذكت فضولى الى هذا النمط من الحرب.

وعندما تعين علينا تحديد حرب العصابات شكلا اساسيا للنضال، دفعتنى حرب ايمزين الوطنية(٢٤) الى التفكير باشياء كثيرة. اعتبرت عمليات جيش المتطوعين الفاضلين الظافرة فى حرب ايمزين الوطنية نموذجا يتبوأ مكانة خاصة فى تاريخ حرب العصابات. لقد خلبت لبى البطولة واساليب القتال المتنوعة لمشاهير قادة جيش المتطوعين الفاضلين، من امثال كواك زاى وو، وسين دول سوك، وكيم وونغ سو، وزونغ مون بو، والراهب البوذى سوسان، وتشاى ايك هيون وليو رين سوك. واستحوذ على تفكيرى تماما مصطلح "حرب العصابات" عشية المواجهة العظمى التى سنشنها ضد الامبرياليين اليابانيين المدججين بالسلاح حتى اسنانهم.

ولكن مؤسسى الماركسية – اللينينية يصرون على ان هذا النوع من الحرب لا يمكن خوضه الا بوجود دولة فى المؤخرة او بدعم من جيش نظامى. وقد سببت لى هذه الشروط الاضافية وجع رأس وجعلتنى اغوص فى عملية بحث وتأمل معقدة لتبنى شكل النضال المسلح. أيكون من الممكن خوض حرب العصابات فى ظروف كوريا التى لا وجود فيها لدولة تشكل مؤخرة ولا وجود فيها لجيش نظامى؟ لكن احدا لم يقدم جوابا على هذا المجهول الذى كان موضوع نقاش جدى بيننا.

كانت الاحداث الدراماتيكية التى تحض على الثورة تتوالى حدثا بعد الآخر فيما حولنا. فقد وقعت على التوالى تمردات الجنود والضباط الوطنيين فى جيش دونغبى القديم بسبب الاستياء من استسلامية تشانغ كاى تشك وتشانغ سو ليانغ. كما انتفض كل من وانغ دى لين وتانغ جى يو ولى دو وانفصلوا بقواتهم عن الجيش القديم. كما تمرد الجنرال ما تشان شان ودعا الى مواجهة اليابان بالسلاح. وباتخاذ هذه الشخصيات محورا، تم تنظيم وحدات مناهضة لليابان فى مختلف مناطق منشوريا، وبدأت حركة جيش الانقاذ الوطنى.

لقد تمخضت هذه الاحداث عن ظروف مؤاتية جدا لنا نحن الذين كنا نتطلع الى الكفاح المسلح.

نوهت فى الاجتماع الى انه وجد فى التاريخ شكلان للصراع المسلح، احدهما حرب

الجيش النظامى والآخر حرب العصابات، وقد كان الاول هو الاساسى، وكان الشكل الآخر ثانويا، وانه علينا اختيار احدهما، وباننى ارى ان حرب العصابات اكثر ملاءمة لواقع بلادنا، ففى ظروف بلادنا التى لا يمكن فيها خوض حرب نظامية، يتوجب علينا ان نتبنى حرب العصابات كسبيل اساسى فى النضال بصرف النظر عن الاعراف المتداولة.

"ان حرب العصابات شديدة التنوع هى الشكل الاساسى الذى يجب ان نتبناه فى النضال المسلح. فعلى ضوء واقع بلادنا التى لا وجود فيها للدولة، لا يمكن مواجهة الامبريالية اليابانية فى حرب نظامية. وبالنظر الى انه علينا مواجهة جيش الامبريالية اليابانية العدوانى القوى بقوات مسلحة ادنى منه فى التقنية العسكرية والعدد، فان الواجب يحتم علينا خوض حرب العصابات شديدة التنوع. وليس امامنا خيار آخر".

لم يكن لدى الشباب اى تصور لجيش حرب العصابات، لانهم لم يروا من قبل سوى جيش امير الحرب تشانغ سو ليانغ او جيش الاستقلال او الجيش اليابانى.

فأوضحت لهم الفروق بين جيش حرب العصابات والجيش النظامى واكدت على انه اذا كان لنا ان ننتصر فى نضالنا ضد الجيش العدوانى اليابانى القوى فلا مناص من ان نقوم بعمليات نشطة من خلال الجمع بين عمليات الوحدات الكبيرة والصغيرة والهجمات المباغتة، والكمائن، والنشاطات والاعمال السياسية، والنشاطات الانتاجية، وباختصار، جميع المهمات العسكرية والسياسية والاقتصادية، وهذا كله يستدعى بالضرورة تنظيم جيش حرب العصابات القادر على خوض المعارك وتجميع قواته وتفريقها بحرية.

وقد اعرب بعض الرفاق عن شكوكهم، وتساءلوا : أيمكننا الحاق الهزيمة بالعدو بهذا الشكل من النضال؟ وهل سننتصر على جيش يضم ملايين الجنود المزودين بالدبابات والمدافع والطائرات وغيرها من الاسلحة الحديثة بالاعتماد على قوات مسلحة غير نظامية مثل جيش حرب العصابات دون مؤخرة توفرها الدولة ودون مساندة من جيش نظامى، وان نفعل ذلك على ارض غريبة؟

وكان من الطبيعى ان تراودهم هذه الشكوك.

بل اننى انا نفسى كنت امعن الفكر مرات ومرات مقدرا امكانية تحقيق ذلك.

اذا ما تجرأنا على مواجهة دولة عسكرية عظمى كاليابان ببضع بنادق، ألن يجعل منا ذلك سخرية فى العالم؟ واذا كان جيش المتطوعين الفاضلين وجيش الاستقلال، وحتى جيش تشانغ سو ليانغ الجرار الذى يبلغ تعداده ٣٠٠ الف جندى لم يستطيعوا تفادى مصير لهب

القنديل امام العاصفة، فما الذى نعتمد عليه نحن لهزيمة العدو؟ هل لدينا دولة وارض وثروات؟

قلت للمندوبين:

"اننا ابناء شعب مستعبد، محروم من السيادة الوطنية ومن الارض والثروات الطبيعية. اننا مجرد شباب عزل نعيش فى ارض الغربة كمن يعيش فى بيت غريب، بيت مستأجر. ولكننا وقفنا مع ذلك نتحدى الامبرياليين اليابانيين. بماذا نثق؟ لقد قررنا ان نبدأ الحرب ضد اليابان واثقين بالشعب. فالشعب بالنسبة لنا هو الدولة والمؤخرة والجيش النظامى. اذا اندلعت الحرب فسوف يتحول ابناء الشعب كلهم الى جنود. لذا، يمكننا القول ان حرب العصابات التى سوف نخوض غمارها هى الحرب الشعبية".

استمر الحوار لوقت طويل، الى ان توصلنا اخيرا الى اتفاق تام فى الرأى حول مسألة تنظيم النضال المسلح وخوضه باتخاذ حرب العصابات اساسا له.

فحرب العصابات تتيح انزال ضربات سياسية وعسكرية قاسية بالعدو مع الحفاظ على القوى الذاتية، وتتيح هزيمة العدو بقوة محدودة رغم تفوقه فى العدد والعدة. وقد توصلنا الى القناعة باننا اذا نظمنا الكفاح المسلح وخضناه بمنهج حرب العصابات وبالاعتماد على تأييد جماهير الشعب ودعمها الفعال، واستفدنا من الظروف الطبيعية والجغرافية المؤاتية، فسنكون قادرين على الحاق الهزيمة بالعدو فى نهاية المطاف.

وهكذا حددنا حرب العصابات شكلا اساسيا لنضالنا وتبنيناه خطا لنا، بينما كان آخرون يعتبرونها وسيلة ثانوية مساعدة للحرب النظامية، فكان قرارا حازما علميا وخلاقا يتفق وواقع بلادنا.

بعد انتهاء المناقشة حول هذه المسألة، انتقلنا لبحث سبل تطبيقها.

فطرحت على بساط البحث اولا مسألة بناء القوات المسلحة الثورية. وقد اتفقنا على البدء بتنظيم مفارز حرب عصابات صغيرة الحجم فى كل منطقة وشن النضال لتسليحها وتحويلها تدريجيا الى قوات مسلحة ثورية واسعة النطاق على مراحل. ففى المرحلة الاولى نشكل كتائب، ثم نوسعها بصورة متواصلة لتتحول الى جيش ثورى شعبى. ثم ناقشنا بعد ذلك اساليب الحصول على السلاح.

انتقل الجدال حول تنظيم جيش حرب العصابات الى مسألة بناء قاعدته العملياتية. فطرحت الاسئلة التالية : اين نقيم قاعدة عمليات حرب العصابات المناهضة لليابان؟ أنقيمها

فى الجبال ام فى المدن ام فى القرى؟ وهل نقيمها داخل بلادنا ام فى منشوريا، مع العلم ان كوريا ومنشوريا على السواء ترزحان تحت احتلال الامبريالية اليابانية؟ وتبادلنا الآراء باسهاب حول هذه الاسئلة.

ان اى جيش يحتاج الى نقطة استناد، وهذه مسألة يدركها حتى تلاميذ المدرسة الابتدائية.

ونظرا لان قواتنا المسلحة ستقوم بعملياتها دون وجود دولة فى المؤخرة ودون دعم من جيش نظامى، فانها لن تستطيع خوض حرب عصابات طويلة المدى الا اذا استندت الى قاعدة يمكنها ان تستريح فيها بامان، وتنظم صفوفها، وتتزود بالاسلحة والذخائر، وتقوم بالتدريب العسكرى وتعالج الجرحى بعد خوض المعارك. ولهذا كان علينا ان نعمل على تنظيم قوات حرب العصابات، وان نهيئ فى الوقت نفسه القواعد بقوانا الذاتية.

وقد توصلنا بعد نقاش متحمس الى انه علينا تأسيس قواعد حرب العصابات فى المناطق الجبلية فى تشينتاو، حيث الجماهير مهيأة جيدا والظروف الجغرافية مؤاتية والامداد بالمواد مضمون. وحيث ان هيمنة العدو على اراضى منشوريا الشاسعة اخف وطأة مما هى عليه فى كوريا، فقد قررنا اقامة قواعدنا فى تشينتاو اولا الى ان تسنح لنا الفرصة للانتقال الى ارض الوطن والاستقرار فى غابات جبل بايكدو وسلسلة جبال رانغريم. وكان لا بد لتلك القواعد من ان تتخذ شكل المناطق المحررة اساسا، وان تكون خارج سيطرة العدو، وان نقيمها بالضرورة فى المناطق الجبلية على ضفاف نهر دومان الملائمة لضمان عملياتنا داخل الوطن وتلقى مساندة الشعب فيه. وقد كانت توجد فى تلك المناطق قرى كثيرة تتوفر فيها شروط جيدة للامداد بالمواد والدفاع، وغير مؤاتية لهجمات العدو.

ما ان انتقل الجدال الى اختيار مواقع القواعد حتى تقدم لى كوانغ، واو بين، وكيم ايل هوان وغيرهم من الرفاق بآراء بناءة. وبمقتضى اقتراحاتهم، قررنا اقامة القواعد فى المعاقل الطبيعية مثل يولانغتشون ونيوفودونغ ووانغيوكو وهايلانكو وشيرينكو وسانداوان وسياووانغتشينغ وغاياهى وياوينغكو وداهوانغكو ويانتونغلاجى. وهى مناطق تتركز فيها جماهير ثورية استقرت هناك لتجنب الحملة "التأديبية" للامبريالية اليابانية بعد اضراب موسم الحصاد الخريفى، وكانت تنظم حرسا احمر للدفاع عن مناطقها وعن المنظمات الثورية.

ومع تعمق الجدال وتحديد ملامحه، طرحت الكثير من المسائل العملية المعقدة مثل ادارة القواعد والحفاظ عليها لزمن طويل، وكيفية توجيه الانتاج الزراعى وادارة الاقتصاد،

وكيفية اقامة ورشة لصيانة الاسلحة ومشفى، ومن الذى سيتولى الشؤون الادارية للسكان وكيفية ايجاد الحلول لها.

كما ناقشنا فى الاجتماع مسألة تهيئة الارضية الجماهيرية للنضال المسلح، وتشكيل الجبهة المشتركة المناهضة لليابان للشعبين الكورى والصينى، وتكثيف العمل التنظيمى للحزب واتحاد الشباب الشيوعى.

وكانت كلها مسائل بالغة الشأن لا بد من حلها لشن النضال المسلح باتخاذ حرب العصابات اساسا له. وقد تمت بلورة تلك المسائل كخطوط.

لقد كان عملا خلاقا عظيما وعميق المضمون. فقد كان علينا ان نقدر كل المسائل بعقولنا ونهيئ القواعد بقوانا الذاتية، ذلك انه لم تكن ثمة سوابق لنضال حرب العصابات فى اى عصر او اى بلد يمكننا ان نتخذها نموذجا فى الممارسة الثورية فى بلادنا. لقد كانت مهمة حتمية لا يمكننا تفاديها، نحن الشيوعيين الكوريين المضطرين الى شن حرب عصابات فى ظل ظروف عويصة لا مثيل لها فى التاريخ، حيث كان علينا ان نخوض تلك الحرب دون دولة فى المؤخرة ودون دعم من جيش نظامى.

ولو اننا حاولنا حل تلك المهمة بالمحاكاة الدوغمائية لتجارب البلدان الاخرى، التى خاضت حروب عصابات فى عمليات مشتركة مع الجيش النظامى متخذة دعم هذا الجيش نقطة استناد، لكنا تعرضنا لنكسات خطيرة لا امل فى اصلاحها.

فى احدى المناسبات التالية، زارنى مناضل امريكى لاتينى، وطلب منى ان احدثه عن تجاربى فى حرب العصابات.

فعرضت عليه بعض الخبرات التى اكتسبتها اثناء الحرب المناهضة لليابان، ثم قلت له اخيرا انه لا وجود لصيغة مطلقة فى حرب العصابات، لان هذه الحرب هى نضال خلاق جبار يتطلب اقصى قدر من الذكاء الانسانى الخلاق، وانه يمكن لتجاربنا ان تفيدهم الى حد معين، ولكن يجب عليهم الا يتقبلوها بصورة آلية ويعتبروها شيئا مطلقا، وانه عليهم ان يبدعوا ويطبقوا اشكالا واساليب نضالية ملائمة لواقع بلادهم، لان لكل امة واقعها المتميز، وفى هذا الامر بالتحديد يكمن سر الانتصار.

بعد ان استمع الزائر الى حديثى، غرق فى تفكير ملى ثم قال لى ان فى بلاده مناطق جبلية كثيرة، ولكنهم لم يأخذوا هذه الخاصية بعين الاعتبار، ومالوا الى خوض حرب العصابات فى المدن، وربما كان هذا هو سبب قلة نجاحاتهم وكثرة خسائرهم؛ وانهم

سيخوضون فى المستقبل حركة المقاومة باتخاذ حرب العصابات فى الارياف اساسا، وذلك وفقا لواقع بلادهم.

انهينا المناقشة بالاتفاق على الشروع بتنظيم جيش حرب العصابات فى كل المناطق حال عودتنا اليها.

عما قريب سيرى جيشنا النور، ستتشكل قواتنا المسلحة التى طالما تقنا اليها ورغبنا فى وجودها كلما فقدنا ذوينا ورفاقنا من جراء قمع المعتدين الامبرياليين اليابانيين الدموى وحملاتهم "التأديبية". ولادراكنا جيدا ابعاد هذا الحدث، نهضنا وقوفا وانشدنا معا "نشيد الثورة" و"النشيد الاممى" لتعكس الحانهما المدوية والمهيبة عهدنا وقسمنا امام الوطن الحبيب والثورة.

لقد شارك فى اجتماع مينغويكو ايضا تونغ تشانغ رونغ وعدد آخر من الشيوعيين الصينيين. لقد كانوا ثوريين متبصرين وبعيدى النظر اهتموا منذ البداية اهتماما كبيرا بالصداقة بين الشعبين الكورى والصينى والتعاون بين شيوعيى البلدين انطلاقا من خاصية منشوريا الشرقية حيث يشكل الشيوعيون الكوريون والسكان الكوريون اغلبية السكان.

وقد طلب تونغ تشانغ رونغ عدة مرات من الرفاق الكوريين الذين ناضلوا لزمن طويل فى منشوريا الشرقية وراكموا خبرات كثيرة فى النضال ان يتحدثوا حول الامور الهامة.

ارتجلت خطابا حماسيا بالكورية حينا وبالصينية حينا آخر حول مشروعنا لتنظيم الصفوف المسلحة والنضال المسلح متخذا المسائل المطروحة للنقاش فى الاجتماع محورا لخطابى.

واعرب الرفاق الصينيون عن تأييدهم المطلق لمشروعنا. كانوا يتفقون مع آرائنا تماما فى كل المسائل، وخصوصا شكل حرب العصابات وتنظيمها وقواعدها. ومنذ ذلك الحين بدأ يهز القارة كلها النضال المسلح للشعبين الكورى والصينى ضد العدو المشترك المتمثل بالامبريالية اليابانية، وبدأت تترسخ وسط المعارك الدامية تقاليد الصداقة العظيمة بين كوريا والصين.

كان اجتماع مينغويكو فى شتاء عام ١٩٣١ بمثابة استهلال للنضال المسلح المناهض لليابان، كما انه سجل تحولا جديدا وتاريخيا فى حركة التحرر الوطنى المناهضة لليابان والحركة الشيوعية فى بلادنا. فى هذا الاجتماع تعمق وتطور خط النضال المسلح الذى طرحه اجتماع كارون. فاذا كان اجتماع كارون قد اكد على ارادة الامة الكورية بتطوير

حركة التحرر الوطنى المناهضة لليابان الى مرحلة ارقى، هى مرحلة النضال المسلح، فقد اكد اجتماع مينغويكو على تلك الارادة مرة ثانية واعلن رسميا الحرب لدحر الامبريالية اليابانية تحت شعار "الرد على السلاح بالسلاح، الرد على العنف المضاد للثورة بالعنف الثورى!". فى هذا الاجتماع بالذات، تم تحديد المفردات الجوهرية للمبدأ الاستراتيجى والتكتيكى الذى سيثبت اتجاه حرب العصابات، وبالاستناد اليه تم ابداع مختلف الاساليب الغنية والمتنوعة للنضال المسلح.

بعد انتهاء اجتماع مينغويكو، تحدثت مع تونغ تشانغ رونغ حول مواضيع مختلفة تحت صخرة بايكباوى. وفى ذلك اليوم على ما اذكر، روى لى قصة كيم لى كاب المعتقل فى سجن ديرن، وزون كيونغ سوك التى تؤازره من خارج السجن وهى تشارك بنشاطات اتحاد الشباب الشيوعى بعد انضمامها للعمل فى مصنع نسيج.

وطلب منى ان اساعده كثيرا فى عمله قائلا انه بمقتضى دراسة لتركيبة السكان وتركيبة اعضاء المنظمات الحزبية فى منشوريا الشرقية، فان الكوريين يشكلون الاغلبية.

"يشكل الكوريون فى منشوريا الشرقية القوة الرئيسية للنضال الثورى. وليس بالامكان تحقيق النصر فى حرب العصابات الا بالاعتماد على السكان الكوريين. ومهما حاولت اليابان بذر الشقاق، فان بامكان شيوعيى بلدينا تجاوز اضرار التعصب القومى. ان اللجنة الحزبية فى المنطقة الخاصة ستولى اهتماما خاصا للعمل مع الرفاق الكوريين. ونأمل بمساعدتك. اننى اثق بك كل الثقة ايها الرفيق كيم إيل سونغ."

وافقت على رغبته باندفاع:

"لا تقلق بشأن التضامن بين امتينا، فنحن ايضا نولى هذه المسألة اهتماما كبيرا. كما ان اطلاق رصاص حرب العصابات سيزيل تماما عدم الثقة المؤقت بين الشعبين الكورى والصينى".

ثم تصافحنا وشد كل منا على يد الآخر ونحن نضحك بسعادة.

فيما بعد، كثيرا ما تذكرت انا وتونغ تشانغ رونغ تلك الايام.

لقد اكد رئيس مجلس الدولة شو ان لاى فى خطبه التى القاها فى المآدب او المحادثات فى كل مرة زرت فيها الصين، على ان الصداقة الكورية الصينية تطورت الى مرحلة ارقى من خلال تأسيس جيش حرب العصابات المناهض لليابان فى اوائل الثلاثينات ومن خلال النضال المشترك للقوات المسلحة الكورية الصينية ضد الامبريالية اليابانية وكان يقول

كلمات كثيرة مؤثرة حول تقاليد تلك الصداقة العميقة الجذور.

فكنت اتذكر فى كل مرة اجتماع مينغويكو، حيث التقت مشاعر الصداقة الكورية الصينية الدافئة، وكنت اتذكر من اعماق قلبى وى جين مين، تونغ تشانغ رونغ، تشين هان جيانغ، وانغ دى تاى، تشانغ وى هوا، يانغ جينغ او، جو باو جونغ، هو جى مين وغيرهم من الاصدقاء الشيوعيين الصينيين الذين شقوا معنا الطريق وسط الرصاص والبارود.

اعتقد ان الصداقة، كشعور انسانى، لا يمكن لها ان تتوطد الا عندما تقوم على علاقات شخصية محددة، ومثل هذه المشاعر لا يصيبها الفتور مهما تقادم عليها الزمان.

٤- الاستعداد للنضال الدامى

لقد اشارت قرارات اجتماع مينغويكو الى ضرورة شن النضال المسلح بصورة منظمة، وطالبتنا بان نتولى الدور الريادى والنواتى فيه.

"ليكن البادئ والمبادر هو كيم إيل سونغ. فهناك قانون بوجوب وجود نموذج وقدوة فى كل شىء".

بهذه الكلمات استعاض الرفاق عن تحيات الوداع عند افتراقنا.

بقيت فى مينغويكو حتى غادرها جميع المشتركين فى الاجتماع، ثم افترقت عن تونغ تشانغ رونغ وذهبت الى آنتو. كانت آنتو منطقة مثالية مؤاتية لحرب العصابات من كل الجوانب.

بناء على تأكيدات اجتماع مينغويكو فى كانون الاول، اعتبرت ان المسألة التى يتوجب علينا الاهتمام بها اولا لتنظيم الوحدات المسلحة هى الشروع بالعمل مع جيش الانقاذ الوطنى، وهو قوات مسلحة صينية مناهضة لليابان، تم تنظيمه فى ارجاء مختلفة من منشوريا بعد حادثة ١٨ ايلول، فقررت ان اركز القوة الاساسية للمنظمة فى آنتو وانغتشينغ، باعتبارهما مركز تجمع جيش الانقاذ الوطنى.

بعد عودتى الى سينغلونغتشون، اقمت مع افراد عائلتى فى بيت ما تشون ووك بضعة ايام، ثم انتقلت الى قرية كالبات فى وادى توتشيديان بسياوشاهى، وكرست نفسى بعد ذلك

كليا للاعداد لتأسيس جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان. كانت سياوشاهى قرية منظمة جيدا مما جعل الظروف فيها اكثر مؤاتاة من سينغلونغتشون. فبحكم وجود منظمة سرية قوية فيها، كان من الصعب على عملاء العدو المجيء اليها، ولم يكن رجال الجيش والشرطة يقومون فيها بعمليات "تأديبية" الا فى حالات نادرة جدا.

واجهت جهودنا لتأسيس جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان عقبات ومصاعب مختلفة منذ البداية. وكانت هناك مشاكل عديدة وصعبة ذات طابع سياسى – عسكرى تنتظر الحل، وخصوصا تلك المتعلقة بالرجال والاسلحة والتدريب والتموين وقواعد الاسناد الجماهيرية والعلاقات مع جيش الانقاذ الوطنى.

اعتبرنا الرجال والاسلحة العنصرين الاكثر اهمية لبناء الصفوف المسلحة. ولكن العنصرين كليهما كانا ينقصاننا.

ففيما يتعلق بالعامل البشري، فان ما نعنيه هو الرجال المؤهلون سياسيا وعسكريا. كنا نحتاج الى شباب يملكون المعارف السياسية والعسكرية ويكونون مستعدين لحمل السلاح والنضال لزمن طويل فى سبيل الوطن والشعب.

لقد فقدنا خلال سنة ونصف معظم العناصر الهيكلية للجيش الثورى الكورى. وفى سنة واحدة فقط استشهد او اعتقل عدد كبير من العناصر الرئيسية للجيش الثورى، منهم كيم هيوك، كيم هيونغ كوون، تشاى هيو ايل، كونغ يونغ، لى زاى وو، باك تشا سوك. اضف الى ذلك، انه فى كانون الثانى عام ١٩٣١، اعتقل حتى لى زونغ راك الذى كان يعمل آمرا للسرية ووقع معه فى قبضة شرطة القنصلية اليابانية كل من كيم كوانغ ريول وزانغ سو بونغ وباك بيونغ هوا اثناء محاولتهم الحصول على اسلحة وهم يحملون معهم كراسات حول الجيش الثورى الكورى. فأودع كيم لى كاب الضليع فى الشؤون العسكرية، فى غياهب السجن، وسقط بايك سين هان قتيلا فى معركة. كما اننا لم نكن نعرف شيئا عن مصير تشاى تشانغ غول وكيم وون وو.

بين اعضاء الجيش الثورى المتبقين، كان ذوو الخبرة العسكرية قليلين جدا بحيث يمكن عدهم على اصابع اليد. بل ولم يكن بالامكان ضمهم الى الصفوف المسلحة لانهم كانوا معبئين للعمل السياسى بين الجماهير. وفى آنتو، كان تشا كوانغ سو هو الشاب الوحيد المنحدر من الجيش الثورى الكورى الذى بقى الى جانبى فى ايام انشغالى بتأسيس جيش حرب العصابات.

ان من يملكون في يدهم سلطة الدولة، يستطيعون ان يغطوا بسهولة الاعداد التى يحتاجونها من الجنود باصدار قوانين التعبئة او نظام الخدمة العسكرية الالزامية، اما نحن، فلم يكن بمقدورنا اللجوء الى هذه الطريقة. فالجماهير لا يمكن تعبئتها الى الثورة بالقوانين او الاكراه. لقد اوردت حكومة شنغهاى المؤقتة فى دستورها فى احدى المرات بندا تفرض فيه على كل المواطنين دفع الضرائب والخدمة العسكرية، الا ان الشعب لم يكن يعرف حتى وجود ذلك القانون. وقد كان من المنطقى والبديهى عدم سريان مفعول القوانين او المراسيم التى تسنها حكومة منفى تمارس صلاحياتها فى ظل الحرمان من السيادة الوطنية، فضلا عن وجودها فى ركن منعزل ضمن منطقة نفوذ اجنبية فى بلد غريب.

لا يمكن فى ثورة التحرر الوطنى فى المستعمرات جعل الناس يحملون السلاح بالوسائل التشريعية مثل اصدار قانون التعبئة او نظام الخدمة العسكرية الالزامية. ففى هذه الثورة يحل نداء الزعيم والرواد محل القانون، ويحدد الوعى السياسى والاخلاقى لدى كل شخص وحماسته القتالية مدى مساهمته فى الجيش. فالجماهير تحمل السلاح بمحض اختيارها من اجل تحقيق انعتاقها، دون طلب او امر من احد. وهذه احدى تجليات طبيعة الشعب الذى يرى ان الاستقلالية هى حياته ويبدى الاستعداد لتقديم اقصى التضحيات فى سبيلها.

استنادا الى هذا المبدأ، شرعنا بالبحث فى آنتو ومحيطها عن العناصر التى يمكنها الانضمام الى جيش حرب العصابات. كان فى المنظمات شبه العسكرية مثل الحرس الاحمر، وطليعة الاحداث وفصائل الانضباط العمالية، وفرقة الصدام المحلية عدد كبير من الشباب الصلبين والراغبين فى الانضمام الى الجيش. فوسط عاصفة النضالين الخريفى والربيعى، اتسع نطاق هذه المنظمات بسرعة كبيرة جدا وتطور الشباب بطريقة بات معها من الصعب التعرف اليهم.

ولكننا لم نكن نستطيع ان نتهاون ونقبل فى جيش حرب العصابات كل شخص راغب فى ذلك، دون الاخذ بعين الاعتبار مستوى استعداده. فقد كان الشباب وكهول آخرون فى منشوريا الشرقية غير مؤهلين بعد عسكريا. ومن اجل ضمان مصدر الموارد البشرية، كان لا بد من تشديد التدريب السياسى والعسكرى للشباب فى الحرس الاحمر وطليعة الاحداث وغيرهما من المنظمات شبه العسكرية.

ولكن لم يكن الى جانبى اى كادر قادر على توجيه ذلك التدريب العسكرى. ولم يكن بوسعى ان اقوم وحدى بتدريب جميع الشباب فى منطقة آنتو. فمع اننى كنت قد درست

لبعض الوقت فى مدرسة هواسونغ، الا اننى لم اكن اعرف اى شـىء تقريبـا عن الممارسـة العسكرية اللازمة لتدريب جيش من النمط الجديد، جيش حرب العصابات. وكان تشا كوانـغ سو وهو من منشأ طلابى، اقل معرفة منى فى الشؤون العسكرية. وحيث ان لـى زونـغ راك كان معتقلا، فانـه لم يبق احد اعلق الامل عليه. لـو كـان هنـاك شخص بمستوى لـى زونـغ راك، لكنت كلفته بالشؤون العسكرية، وصرفت اهتمامى كليـة الـى العمل السياسـى. ولكن هذه الامكانية لم تكن واردة، مما اصابنى بحالة من الجزع.

والغريب اننى كلما وقعت فى موقف حرج كنت اشعر بنقص الرفاق.

وبينمـا كنـا نعـانى هذا المـأزق، جاءنـا بـاك هـون، وهـو شـخص واعـد منحـدر مـن كليـة هوانغفو العسكرية. وقد كان تشانغ كاى تشك مديرا لتلك الكلية، وشو ان لاى نائبـا سياسيا للمدير. وكان يدرس فيها عدد كبير من الشباب الكوريين. وقد كان لطلابها دور رئيسـى فـى انتفاضة كوانغتشو التى اطلق عليها الصينيون تسمية "سوفييت الثلاثة ايام."

اشترك بـاك هـون وآن بونـغ فـى انتفاضـة كوانغتشـو، وفـرا الـى منشوريا بعد اخفـاق تلـك الانتفاضـة. كان باك هون يتمتع ببنية جسدية قوية، وكان منفتحا فى حديثه وسلوكه كمـا هـى طبيعـة ذوى الـزى العسكرى عـادة. وكـان يتكلم بالصينية اكثر ممـا يتكلم الكوريـة ويفضـل الملابس الصينية على الملابس الكورية. هذا الشخص بالذات صار "مستشارى العسكرى."

نتيجـة خيانـة تشـانغ كـاى تشـك للثـورة (حـادث ١٢ نيسـان)، تـم اجهـاض التحـالف بـين الكومنتانغ والحزب الشيوعى، وادى هذا الاخفـاق الـى اسدال الستار علـى الحـرب الثوريـة الاهلية الاولى. وبعد هذا الحدث، جاء من المناطق الجنوبية الى منشوريا، هربـا مـن ارهـاب تشـانغ كـاى تشـك، عـدد كبيـر مـن خريجـى كليـة هوانغفـو العسـكرية ومدرسـة كوانغـدونغ للضباط ومركز يوننان للتدريب العسكرى وغيرها من المدارس العسكرية ممن شاركوا فـى الثورة الصينية. وكان بـين القـادمين يـانغ ريـم، وتشـاى يونـغ كـون، واو سـونغ ريـون (زون كوانغ)، وزانغ زى راك وباك هون.

واقول بصراحة اننى علقت املا كبيرا على باك هـون بمجـرد سمـاعى اسم كليـة هوانغفـو العسكرية.

احدى مهارات باك هون الخاصة هى قدرته علـى الرمايـة بمسدسين فـى سـاحة المعركـة، فكان يحمل مسدسا فى كل يد ويحقق اصابات بالغة الدقة. لقد كان هدافا "شيطانيا."

اما مهارته الثانية فتتمثل فـى مهابـة صـوته وتسلطه وهـو يصـدر الاوامـر. كـان مـدربـا ذا

صوت عجيب يمكنه تحريك وحدات مؤلفة من عشرة آلاف او عشرين الف جندى بسهولة ودون استخدام مكبر للصوت. فاذا صرخ صرخة وهو فى حقل وادى توتشيديان سمعتها القرية كلها.

لقد فتن جميع الشباب فى آنتو بموهبته فى اصدار الاوامر وتطلعوا اليه بأعين مسحورة.

"ان له صوتا قويا يمكن لامبراطور اليابان نفسه ان يسمعه وهو فى قصره فى طوكيو. من اين جاءنا هذا الكنز؟"

هكذا هتف تشا كوانغ سو باعجاب فى احد الايام وهو يرى باك هون يدرب اعضاء الحرس الاحمر. كان تشا كوانغ سو اكثر المفتونين به. وقد كانت العلاقة فيما بينهما جيدة على الرغم من كثرة اختلافهما فى وجهات النظر عند مناقشة قضايا نظرية.

بفضل تدريب باك هون الجيد للوحدة التى نظمناها فى آنتو، كسبت هذه الوحدة فيما بعد لقب "وحدة الجامعيين" فى وانغتشينغ. وقد حظى رجال وحدتنا لحرب العصابات باحترام الجميع على مدى الحرب المناهضة لليابان لانهم كانوا منظمين على الدوام ويتقيدون بانضباط صارم، ومهذبين فى كلامهم ومظهرهم الخارجى. حتى ان يانغ جينغ او نفسه لم يستطع اخفاء اعجابه بجيشنا الثورى المنضبط والمتحمس والمثقف. وفى مثل تلك اللحظات، كنت افكر بباك هون وبصوته الذى كان يهز كل وادى توتشيديان.

والصفة الاخرى التى كانت تميزه كمدرب عسكرى هى اصراره على سوية اداء المتدربين. ولا بد من الاعتراف انه بفضل تشدده فى المطالبة برفع سوية الاداء تمكن المتدربون من استيعاب المعارف العسكرية بسرعة اكبر.

اما المشكلة فكانت فى اقدام باك هون على فرض العقوبات الجسدية على المتدربين من حين لآخر. فاذا رأى احدهم يسيء اداء الحركات النظامية او يخالف الانضباط، كان يؤنبه بقسوة، بل ويركله بقدمه وعيناه تقدحان شررا، او يفرض عليه عقوبة جسدية. ولم تجد معه تنبيهاتنا بانه من الممنوع منعا باتا استخدام العقوبات الجسدية فى الجيش الثورى.

ذات يوم، وبعد انتهاء التدريب، عدت الى المسكن مع باك هون الذى اصابت صوته بحة. وبينما نحن نسير، قلت له:

"ان فيك ايها الرفيق باك هون شيئا من رائحة امراء الحرب. اين تعلمت هذا الجنون؟"

حين سمع قولى "رائحة امراء الحرب" نظر الى مبتسما وقال:

"لقد كان مدربنا شخصا صارما وقاسى الطبع للغاية. والارجح ان ذلك المدرب الالمانى

قد ترك لدى هذه العادة. وعلى كل حال، اذا اراد المرء ان يكون جنديا جيدا، فلا بد له من ان يتذوق ما يكفى من لسع السياط".

كان اثر النمط الالمانى فى التربية العسكرية يتبدى بأشكال مختلفة فى باك هون. فقد كان يخصص اطول وقت فى المحاضرة النظرية للحديث عن الجيش البروسى. وكان يسهب فى الحديث عن شجاعة الجندى الانكليزى ورشاقة الجندى الفرنسى ودقة الجندى الالمانى وصمود الجندى الروسى، ثم يدعو المتدربين فى كل مرة لان يتحلوا بكل هذه الصفات لنجعل من جيشنا جيشا جبارا.

ولكن معظم تدريباته لم تكن تتناسب مع خصائص حرب العصابات التى نتطلع اليها. فقد كان يحاول تلقين المتدربين طريقة تشكيل الارتال النابوليونية او طريقة الانساق الجبهية على النمط الانكليزى ويسعى جاهدا الى تشكيل تلك الارتال من متدربيه الذين لا يكاد عددهم يصل الى العشرين جنديا.

وحيث اننى كنت اراقب التدريب، فقد اعربت له فى احدى الاستراحات عن رأيى بصوت خافت:

"يا رفيقى باك هون، ما رأيك فى حذف تدريب النسق الجبهى على النمط الانكليزى والاكتفاء بشرح مبسط له؟ سيكون الامر مختلفا لو اننا سنخوض هنا حربا على غرار معركة واترلو، ولكن الحرب التى سنخوضها فورا فى هذه المناطق الجبلية هى حرب عصابات ضد عدو مدجج بالمدافع والرشاشات، واننى لاتساءل: ما حاجتنا الى دراسة هذه الاساليب الحربية القديمة؟"

"للقيام بالحرب، لا بد من استيعاب المعارف العسكرية العامة فى كل الاحوال. أليس كذلك؟"

"طبعا، ان المعارف العسكرية العامة للبلدان الاخرى مهمة بالنسبة لنا، ولكن، يجب اختيار ما يمكن تطبيقه فورا وتعليمه للمتدربين. من الخير الا تسعى الى اجبار المتدربين على ابتلاع كل ما تعلمته فى المدرسة العسكرية".

ما قلته له فى ذلك اليوم كان ايحاء لتنبيهه من الجمود العقائدى فى التدريب.

لقد كلفته فى احدى المرات بتدريب بضعة وعشر رجال من الحرس الاحمر على الرماية. فامضى يوما كاملا فى تلقينهم كيفية التسديد الى اسفل ومنتصف جسد الجندى المعادى، واضعا مجموعة اعمدة فى ارض منبسطة كأهداف.

فنصحت باك هون بانه لا يجوز ان يجرى التدريب على هذا النحو؛ لنترك ما يتنافى مع الواقع جانبا ونعلم ما هو ضرورى لحرب العصابات قبل كل شىء؛ وانه لا بد من اعطاء الاسبقية للتدريب النافع للمعارك الجبلية؛ وعلينا ان نصحح بجرأة ما هو غير ملائم وان نبدع بأنفسنا، بالحكمة الجماعية، الطرق الحربية غير الموجودة فى انظمة التدريب.

وقد تقبل باك هون نصيحتى بجدية.

ومنذ ذلك الحين، بدأت التدريبات تجرى اساسا حول ما تحتاجه حرب العصابات. وصرنا نعلم المتدربين المعارف الحربية التى يمكن استعمالها فورا، مثل اساسيات النظام المنضم، وطريقة استخدام الاسلحة، والتمويه، والاشارة، واستخدام الرماح، واستطلاع تحركات العدو، والحركة فى الممرات الجبلية، واستخدام الهراوى، وانتزاع الاسلحة من العدو، وتمييز الصديق من العدو اثناء المعارك الليلية.

كان باك هون يدرب الجنود فى اول الامر دون تخطيط، ويعلمهم ما يخطر لباله، ولكنه اصبح يوجه فيما بعد بطريقة منهجية، وحسب برنامج للدروس.

وقد اعترف لى فى وقت لاحق وهو يستعيد ذكرى تلك الايام: كل ما تعلمته فى كلية هوانغفو العسكرية مأخوذ من الدول العسكرية الخمس الاقوى فى العالم، اى المعارف العسكرية العامة والشاملة للفنون الحربية فى عصور وبلدان مختلفة. وكنت اشعر بالافتخار بما درسته فى تلك الكلية المشهورة التى تعتبر اهم مركز للتعليم العسكرى فى الصين الحديثة. وكنت اعتقد اننى اذا ما نشرت تلك المعارف فى منشوريا الشرقية فسيصفق الجميع لى. ولكننى كنت مخطئا تماما. فبدلا من التصفيق، قوبلت بمعاملة فاترة. ولم يتقبل الشباب محاضراتى كشىء حيوى وضرورى، بل كمعلومات عادية يمكن تجاهلها. ولمست بعمق ان الفن العسكرى الذى تعلمته خلال عدة سنوات، ورغم مستواه العالمى، يبقى ناقصا ويكاد يكون غير مجد لحرب العصابات. وهكذا بدأت اشعر بخيبة الامل من نفسى، لاننى كنت اعتبر ما تعلمته شيئا مطلقا، منهجا كونيا، وادركت الاهمية الملحة لابداع نظرية عسكرية جديدة تتفق مع متطلبات حرب العصابات. ومنذ ذلك الوقت تخليت عن الجمود العقائدى، واصبحت لدى طريقة تفكير على نمطنا تتطابق مع الثورة الكورية.

وقد برز كيم ايل ريونغ بين "المشرفين على التدريب" فى منطقة آنتو، اضافة الى باك هون. ومع انه لم يكن يملك معارف كثيرة عن الحرب الحديثة كتلك التى كانت لدى باك هون، الا انه درب الجنود بتفان، مستفيدا من خبراته العملية التى راكمها فى جيش

الاستقلال.

التف حولنا عشرات الشباب المخلصين الذين تأهلوا سياسيا وعسكريا فى سياق تكثيف التدريب وتوسيع صفوف الحرس الاحمر وطليعة الاحداث وفرقة الاطفال الكشافة وغيرها من المنظمات شبه العسكرية. دعونا الى آنتو الرفاق الموفدين للعمل فى مختلف المحافظات على ضفاف نهر دومان والشباب المختارين ممن تمرسوا وتفولذوا فى بوتقة اضراب موسم الحصاد الخريفى واضراب البؤس الربيعى. فجاءنا عدد كبير من الشباب من مختلف ارجاء منشوريا الشرقية، وخصوصا من آنتو وتونهوا.

اخترت ثمانية عشر شابا من اكثرهم كفاءة، بمن فيهم تشا كوانغ سو، كيم ايل ريونغ، باك هون، كيم تشول (كيم تشول هى) ولى يونغ باى وشكلت منهم مفرزة لجيش حرب العصابات كخطوة اولى. واصدرت التوجيهات فى الوقت نفسه للحذو حذونا فى مناطق آنزى، وانغتشينغ، هيلونغ وهونتشون. على هذا النحو، بدأت تظهر المفارز المسلحة المكونة من عشرة الى عشرين شخصا فى كل محافظة الواحدة تلو الاخرى. كان التوجه الذى ناقشه واقره اجتماع مينغويكو هو تشكيل المفارز المسلحة المؤلفة من عدد قليل من الاشخاص لكى تحصل على الاسلحة بنشاطاتها الخفيفة وتراكم الخبرات وتوسع صفوفها الى ان تنضج الشروط لتشكيل قوات مسلحة واسعة النطاق فى كل محافظة.

رافق تنظيم مفارز جيش حرب العصابات عمليات دامية للحصول على الاسلحة. وقد كانت هذه العقبة هى اشد العقبات التى واجهتنا خطورة.

كان جيش العدوان الامبريالى اليابانى يزيد القدرة القتالية لقواته البرية والبحرية والجوية دون انقطاع بتجهيزها بالاسلحة والاعتدة الحديثة التى تنتجها الصناعات الحربية فى اليابان بالجملة. اما نحن بالمقابل، فلم تكن لدينا دولة فى المؤخرة تزودنا بالاسلحة، ولم نكن نملك من الاموال كذلك ما يكفى لشراء بندقية واحدة. ولم يكن ما نحتاجه من الاسلحة هو المدافع او الدبابات. كان يكفينا امتلاك اسلحة خفيفة مثل البنادق والمسدسات والقنابل اليدوية. لو كان فى بلادنا مصنع حربى لكنا حصلنا على تلك الاسلحة عن طريق الطبقة العاملة، ولكن بلادنا لم تكن تملك مثل هذا المصنع. ومن سوء الحظ اننا لم نستفد مطلقا من صناعة بلادنا فى تسليح انفسنا.

لذا، ما كان امامنا سوى رفع الشعار المؤثر: "لنسلح انفسنا بما ننتزعه من العدو."!

فور عودتى الى آنتو، اخرجت المسدسين المدفونين اللذين كان ابى قد عهد بهما لأمى. ثم

رفعتهما عاليا وقلت لرفاقى:

"انظروا، ها هو الميراث الذى خلفه لى والدى. لم يكن والدى مقاتلا فى جيش المتطوعين الفاضلين ولم ينضم كذلك لجيش الاستقلال، ولكنه بقى يحتفظ بهذين المسدسين حتى آخر يوم من حياته. لماذا فعل ذلك؟ لانه كان يعتبر النضال المسلح هو الشكل الارقى للنضال من اجل تحقيق استقلال البلاد. وكانت هذه هى غايته النهائية. عندما ورثت هذين المسدسين عن والدى، عقدت العزم الراسخ على ان احقق تلك الغاية بدلا منه. وها قد حان الوقت. لنبدأ مسيرة الاستقلال اعتمادا على هذين المسدسين. انهما يمثلان اليوم ترسانتنا الحربية، ولكن لنتصور اليوم الذى سيتحولان فيه الى مئتين، الى الفين، الى عشرين الفا. عندما نملك الفى بندقية، سنتمكن بكل تأكيد من تحرير البلاد. وطالما لدينا هذا الرصيد، فلنعمل على استثماره وتنميته الى الفين، الى عشرين الفا".

لم استطع مواصلة الكلام، وشعرت بثقل فى حنجرتى وانا افكر بوالدى الذى فارق الدنيا وهو فى مقتبل العمر، دون ان يحقق غايته.

حين ادرجت مسألة الحصول على الاسلحة كقضية ملحة، سألنى باك هون عما فعلته بعشرات البنادق التى تبرع لى بها، كما يقال، ابن اسرة ثرية فى فوسونغ. وابن الاسرة الثرية الذى عناه باك هون هو تشانغ وى هوا. ففى احدى المرات، عندما كنا نمارس نشاطنا فى ووتشازى، زارنا ومعه اربعون بندقية من اسلحة جنود الحرس الخاص ببيته. وقد وزعناها كلها فى ذلك الحين على رجال الجيش الثورى الكورى.

حين سمع باك هون ذلك، ابدى اسفه الشديد وقال ان الاموال هى المخرج الوحيد. واقترح ان ندعو الفلاحين فى القرى التى ثورناها ليقدموا لنا التبرعات.

لم اوافق على اقتراحه. فلو اننا سنجمع الاموال من اناس اثرياء لاختلف الامر، ولكننا لا نستطيع القول ان افراغ جيوب العمال والفلاحين الفقراء من اجل شراء الاسلحة هو تصرف عادل. مع ان جمع الاموال كان اسهل بطبيعة الحال من انتزاع الاسلحة الذى ينطوى على مجازفة بالحياة.

ولكننا اخترنا الطريق الصعب، متخلين عن الطريق السهل. لقد كنت اعرف ان شراء الاسلحة بالمال هو احدى الطرق للحصول عليها، الا اننى حاولت عدم اللجوء الى هذه الطريقة قدر الامكان. فمد اليد الى الشعب طلبا للاموال لم يكن من اساليبنا، وانما هو اسلوب جيش الاستقلال.

وحتى لو كنا جمعنا التبرعات، فلن تكون لها فائدة كبيرة. ففى احدى المرات، اشترى الرفيق تشاى هيون مدفعا رشاشا بمبلغ ١٥٠٠ يوان من احدى وحدات الشغب الجبلية. واذا علمنا ان الثور الواحد كان يباع فى السوق حينذاك بمبلغ ٥٠ يوانا، فان هذا يعنى ان الحصول على قطعة سلاح واحدة مثل تلك يتطلب بيع ثلاثين ثورا. ولم يكن بامكاننا تجاهل مثل هذا الثمن.

وبعد مناقشة مطولة، ذهبنا الى جبل نايدوشان، واخرجنا بعض الاسلحة التى كان جيش الاستقلال قد دفنها هناك. كما قامت المحافظات الاخرى بجمع اسلحة كان يستعملها ذلك الجيش.

فبعد معركة تشينغشانلى، قامت وحدات الاستقلاليين التى يقودها هونغ بوم دو بدفن كميات من الاسلحة والذخائر بالقرب من داكانجى قبل انسحابها نحو الحدود الروسية – المنشورية.

وحين علمت الحامية اليابانية بذلك من خلال احد عملائها السريين، نقلت كميات ضخمة منها فى عشرات الشاحنات. بعد اجتماع مينغويكو ارسل الرفاق فى وانغتشينغ اناسا الى داكانجى وجمعوا حوالى ٥٠ الف طلقة من الحفر التى اكتشفتها الحامية اليابانية.

وعندما حصلنا على بضع بنادق، استخدمناها لننتقل الى العمليات القتالية المباشرة لانتزاع الاسلحة من العدو.

كان اول هدف اخترناه لمهاجمته هو بيت الاقطاعى شانغ بينغ جون الذى تحميه فرقة حرس مؤلفة من نحو ٤٠ شخصا. وكان آمر الفرقة يدعى لى دو سون، وقد اعدمته فيما بعد وحدة الرفيق تشاى هيون، بعد اكتسابه سوء الصيت بصفته آمر "وحدة سينسونداى"(الوحدة المختارة). كانت ثكنة فرقة الحرس مؤلفة من كوخين، احدهما داخل السور الترابى المحيط ببيت الاقطاعى والآخر خارجه.

استنادا الى استطلاعنا المسبق، شكلنا جماعة الاقتحام من رجال مفرزة جيش حرب العصابات والحرس الاحمر وداهمنا بيت شانغ بينغ جون فى دسكرة سياوشاهى وانتزعنا منه اكثر من عشر بنادق.

جرى النضال المكثف للحصول على الاسلحة على شكل حملات جماهيرية فى كل مكان على امتداد ضفاف نهر دومان.

فتحت شعارى:"السلاح هو حياتنا. الرد على السلاح بالسلاح!"، هبت الجماهير الثورية،

وعلـى رأسـها جماعـات جـيش حـرب العصـابات، واعضـاء الحـرس الاحمـر، وطليعـة الاحداث، وفرقـة الصـدام المحليـة دون تمييـز بـين الرجـال والنسـاء او الشـيوخ والاطفـال، وخاضوا نضالا مستميتا لانتزاع الاسلحة من جيش الغزو الامبريالى اليابانى ومن الشرطة اليابانية والمنشورية، ومن الاقطاعيين الموالين لليابان والبيروقراطيين الرجعيين.

فـى تلـك المرحلـة شـاع استخدام عبـارة "ياوتسـان بويـاومين!" الصـينية، وهـى تعنـى اذا ترجمناها الى الكورية "ما اريده هو سلاحكم وليس حياتكم". فـاذا ظهر شخص فـى مركز للجمارك او فرقـة للحـرس او مركـز للامـن العـام، او فـى بيت اقطـاعى وصـرخ: "ياوتسـان بويـاومين!" وهـو يحمـل بندقيـة، كـان الموظفـون الجبنـاء والاقطـاعيون الرجعيـون ورجـال الشرطة يرتجفون هلعا ويسلمون اسلحتهم.

لقد شـاعت عبـارة "ياوتسـان بويـاومين!" وانتشـرت علـى نطـاق واسـع فـى كـل منـاطق منشوريا الشرقية التى تعمل فيها منظمات ثورية.

لقد افزع او تـاى هـى والـد او زونـغ هـوا وعمـه جماعـة مـن الشـرطة ومـن فرقـة الـدفاع بمسدسات مزيفة مصنوعة من قوائم طاولة مطبخ حين صـرخا بهـم "ياوتسـان بويـاومين!"، وارسلا الاسلحة التى انتزعاها الى الحرس الاحمر. وقد انتشـر هذا الخبـر حتـى وصـل الـى آنتو. وعندما علمنا بالحادثة، اعربنا عن اعجابنا بذكاء العجوزين وجرأتهما.

وحين التقيت بالعجوز او تاى هى فى وانغتشينغ فيما بعد، سألته:

"كيف استطعتم وضع تلك الخطة الذكية؟"

فاجابنى وهو يبتسم:

"ان قوائم الطاولة تبدو فى الليل وكأنهـا مسدس. وبمـا انـه لا يوجـد لـدينا بنـادق ولا قنابـل يدوية، فقد انتزعت احدى قوائم المائدة. ان الوضـع العصـيب هـو الـذى جعلنـى افكـر بـذلك، ومثلما يقول المثل: من يعطش يحفر بئرا".

كان العجوز على حق. فقد القينا بأنفسنا فـى خضـم النضـال فـى الواقـع بجـرأة، وباحسـاس ذلك العطشـان مـن اجـل انتـزاع السـلاح. لقـد كـان ذلـك معركـة قاسـية للغايـة تتطلـب اظهـار اقصى قدر من المبادرة والحكمة.

ومـن اجـل الحصـول علـى الاسـلحة، كثيـرا مـا كـان الثوريـون والاهـالى الثوريـون فـى منشـوريا الشـرقية يتنكـرون بمهـارة لا مثيـل لهـا، وبتعامـل ذكـى مـع الظـروف الناشـئة، فيتنكـرون حينـا بـزى الـدرك، وحينـا آخـر بـزى جنـود جـيش الانقـاذ الـوطنى، واحيانـا بـزى

موظفى القنصلية اليابانية او كبار الاثرياء والمتنفذين او التجار، ويتصرفون بانسجام تام مع الظروف، وكانت هناك نساء انهلن على رؤوس الجنود او الشرطيين بمضارب الغسيل او الهراوى وانتزعن الاسلحة منهم.

كان النضال من اجل الحصول على السلاح هو المقدمة والمعركة التمهيدية لحرب المقاومة الشعبية الشاملة. وقد شاركت فى هذا النضال جميع المنظمات الثورية والشعب كله، فعندما جاءت اللحظة التى اصبح السلاح فيها مطلبا للثورة، انطلقت الجماهير الى هذه المعركة دون تردد. وقد تعاظم وعيها فى سياق ذلك، اى انها ادركت مدى جبروتها.

لقد اظهر شعارنا الداعى الى حصول كل شخص على سلاحه بنفسه حيوية عظيمة فى كل مكان.

طبعا، فقدنا عددا كبيرا من الرفاق الثوريين فى هذا النضال. فكل بندقية حصلنا عليها فى ذلك الحين مضرجة بدماء الرفاق الثوريين ومقترنة بروحهم الوطنية المتأججة.

وتحت شعار الاعتماد على القوى الذاتية، قمنا فى الوقت ذاته ببذل الجهود لصنع الاسلحة بانفسنا.

كانت الخطوة الاولى هى صنع السلاح الابيض، مثل السيوف والرماح فى مشاغل الحدادة. ثم انتقلنا بعد ذلك الى صنع المسدسات والقنابل اليدوية.

وكان اكثر المسدسات التى صنعناها اتقانا وفعالية "مسدس بيزيكى" الذى صنعه اعضاء من اتحاد الشباب المناهض للامبريالية فى نانكو بمحافظة وانغتشينغ. كان اهالى محافظة هامكيونغ الشمالية يسمون الثقاب "بيزيكى" كما فى الروسية. وقد اطلق الناس على هذا المسدس اسم "مسدس بيزيكى" لان طلقاته كانت محشوة بكبريت اعواد الثقاب بدل البارود.

بل انهم صنعوا سبطانة المسدس بأنفسهم مستخدمين فى ذلك الصفائح الحديدية.

ومن اشهر مشاغل السلاح فى منشوريا الشرقية، كان المشغل القائم فى مغارة سوريباوى على تل شينسياندى بجينكو فى محافظة هيلونغ، وفى نانكو بمحافظة وانغتشينغ وفى وادى تشوجيا بقرية نانيانغتشون فى يلانكو بمحافظة آنزى.

فى مغارة سوريباوى كانت تصنع حتى القنابل اليدوية من البارود الذى تم الحصول عليه عن طريق المنظمة الثورية العاملة فى منجم باتاوكو بمحافظة آنزى.

لقد بدؤوا اول الامر فى صنع قنابل صوتية، ولكنها كانت تحدث دويا عظيما فقط، دون اى تأثيرات مميتة تقريبا. ولتجاوز هذا النقص، صنعوا قنبلة مسحوق الفلفل. فكانت اكثر

فعالية من قنبلة الصوت، الا انها كانت لا تكاد تسبب اصابات قاتلة ايضا على الرغم من ان رائحة خانقة كانت تفوح منها.

اما الرفاق فى هيلونغ فصنعوا بدلا من قنبلة مسحوق الفلفل، قنبلة اخرى محشوة بقطع من الحديد، وكانت تلحق اصابات كثيرة بالعدو. وهذه هى قنبلة يونكيل المشهورة. بعد اختراع قنبلة يونكيل، دعونا باك يونغ سون من هيلونغ الى دافانغجى فى سياووانغتشينغ ونظمنا خلال يومين دورة حول صنع القنبلة لنشر طريقة انتاجها فى كل مناطق منشوريا الشرقية. وقد حضر هذه الدورة العاملون فى مشاغل صنع السلاح وقادة جيش حرب العصابات الذين جاؤوا من مختلف محافظات تشينتاو.

فى اليوم الاول من الدورة، القيت محاضرة حول طريقة انتاج البارود. حينذاك، كانت مشاغل سلاح جيش حرب العصابات تحصل على البارود اللازم لصنع القنابل اليدوية بطريقة سرية من المناجم.

ونظرا لان العدو كان يفرض رقابة صارمة على البارود، فان تلك الطريقة كانت محفوفة بالخطر دائما. وقد نجحنا فى صنع البارود عندئذ من مواد اولية يمكن الحصول عليها بسهولة من المنازل. وقد طرحت فى محاضرتى هذه الطريقة المستحدثة للحصول على البارود من كل مكان وحرصت على تعميمها فى المناطق الاخرى.

والقى باك يونغ سون محاضرة حول طريقة صنع القنابل واستخدامها وتخزينها. وقد ابدى الرفاق الحاضرون اعجابهم عندما سمعوا قصة صنع القنبلة التى اخترعها الرفاق فى هيلونغ بالاعتماد على القوى الذاتية. كان الرفيقان باك يونغ سون وسون وون كوم اللذان يديران مشغل السلاح فى مغارة سوريباوى موهوبين للغاية. وقد تحول هذا المشغل فيما بعد الى قاعدة مأمونة لانتاج واصلاح اسلحة الجيش الثورى الشعبى الكورى، وحقق منجزات عظيمة خلال الحرب المناهضة لليابان .

اذا ما قيض لكاتب ان يجمع قصص الاحداث التى تعبر عن التضحية والجرأة اللتين لا نظير لهما، وعن المهارة فى التكيف مع الظروف وروح المبادرة الخلاقة التى اظهرها شعبنا فى نضاله للحصول على السلاح، وقدمها بلغة معبرة، فسوف ترى النور ملحمة مذهلة.

ان جماهير الشعب التى عاشت على هامش التاريخ لآلاف السنين، وكانت مجرد قوة عمل رخيصة تتخبط وسط الجهل والظلام، هؤلاء الناس البؤساء الذين كان عليهم ان

يتقبلوا كقدر محتوم نكبة حرمانهم من الوطن، وان يطلقوا الحسرات وهم يضغطون اسنانهم ويذرفون الدموع وينزفون الدماء، نهضوا اخيرا الى نضال التحرر المقدس ليصوغوا مصيرهم بقواهم الذاتية.

كنت كلما رأيت الاسلحة التى غنمتها او صنعتها المنظمات المحلية، اؤكد مجددا باعتزاز على مدى صحة قرارنا بالقيام بالثورة الكورية واثقين بشعبنا ومعتمدين على قوته.

فى الوقت الذى كنا نسرع فيه بالاعداد لبناء القوات المسلحة الثورية الدائمة، اولينا اهتماما خاصا لمهمة ارساء الاسس الجماهيرية للنضال المسلح المناهض لليابان. ان توعية جماهير الشعب وتصليبها بصورة متواصلة فى خضم النضال العملى لاعدادها لحرب المقاومة المناهضة لليابان كان مطلبا حتميا لتطور ثورتنا، لان الانتصار النهائى مرهون بالتحرك الطوعى والشامل للجماهير.

ان عجف الموسم الزراعى عام ١٩٣٠ الذى لم يسبق له مثيل، والمجاعة الفظيعة التى تلته، وفرت لنا الظروف لخوض نضالات جماهيرية جديدة فى منشوريا الشرقية كاستمرار لاضراب موسم الحصاد الخريفى. فقد قررنا استغلال روح الجماهير الكفاحية التى تصاعدت فى سياق ذلك الاضراب، وخوض نضال جديد يتمثل فى اضراب البؤس الربيعى ضد الامبرياليين اليابانيين والاقطاعيين الموالين لهم. بدأ ذلك النضال بحملة اقتراض الحبوب من الاقطاعيين، واتسع بشكل عاصف ليتطور الى عمليات انتزاع المواد الغذائية من الامبريالية اليابانية والاقطاعيين الموالين لها، والى نضال عنيف لمعاقبة عملاء اليابان.

وفى بوتقة اضراب البؤس الربيعى، تطور تثوير الاهالى فى منشوريا الشرقية الى مرحلة جديدة اعلى. وحتى فى ظل اشتداد الهجمة المضادة للثورة، تغلغل الشيوعيون الكوريون وسط الجماهير لتنويرها وتثقيفها بصبر ومثابرة. لقد تخلصت المنظمات الجماهيرية من نزعة الباب المغلق وفتحت ابوابها على مصراعيها، وعملت دون انقطاع على تصليب الجماهير فى خضم النضال العملى.

ولكن الرياح لم تهب كما تشتهى سفننا فى كل الاماكن. فقد سقط فى بعض الحالات عدد من الثوريين صرعى وهم يعملون على تثوير احدى القرى، ووجد الثوريون انفسهم فى احيان اخرى مضطرين الى عدم الكشف عن هويتهم الحقيقية وتقبل ازدراء السكان وعدم ثقتهم بصمت.

ويمكن القول ان ما لمسته فى قرية بويرهى هو مثل على ذلك.

تقع بويرهى فى نقطة هامة على الطريق من آنتو الى تونهوا، بحيث لا يمكن السفر بحرية الى تونهوا او الى مناطق منشوريا الجنوبية من دون المرور بهذه القرية، ولا يمكن ضمان امن القرى المجاورة مثل سياوشاهى وداشاهى وليوشوهى دون تثوير اهالى هذه القرية.

ومع ان المنظمة اوفدت عددا من العاملين السريين الاكفاء اليها، الا انهم اخفقوا جميعا. كان لا بد لنا من اقامة منظمة فيها، ولكن جميع من اوفدناهم اعتقلوا وفقدوا حياتهم. ولم تكن ثمة وسيلة لحل تلك المشكلة. فاعتبرها كيم زونغ ريونغ قرية رجعية، وابدى اسفه لانه يشعر بوجود جواسيس او منظمة بيضاء فى القرية ولكنه عجز عن اكتشاف هويتهم. وكنت استغرب الامر كلما سمعت هذا الكلام.

كان يعمل فى بويرهى عضو واحد من منظمتنا كنيته سونغ. ولكن، لم يكن فى وسعه ان يكتشف العناصر الرجعية او يثور اهالى القرية بمفرده. كان لا بد من ان يتوغل احدنا الى القرية، مجازفا بحياته لتحويل القرية الرجعية الى ثورية ومعاقبة من يستحق العقاب وانشاء المنظمة الضرورية.

لذا، تطوعت للذهاب اليها بنفسى.

دعوت الرفيق سونغ الى سياوشاهى واتفقت معه سلفا:

"حال عودتك الى القرية، اخبر الجميع بانك استأجرت اجيرا للقيام باعباء اعمال بيتك الكثيرة. وهكذا استطيع الذهاب الى بيتك كخادم".

هز الرفيق سونغ رأسه وهو يحملق بى، واعترض على فكرتى قائلا: "لماذا تريد المخاطرة بالذهاب الى وكر رجعى؟ وكيف تريدنى ان اوافق على قيامك بدور الاجير؟". ورفضت المنظمة بدورها هذه الخطة.

وبالرغم من هذا الاعتراض، فقد جلست الى جانب الرفيق سونغ فى العربة التى يجرها ثور، واتجهنا الى قرية بويرهى. هكذا، تسللت الى "وكر الرجعيين" متظاهرا باننى صبى احمق، متسخ الوجه ومشعث الشعر.

بعد بضع ساعات، حين كنت اتناول الطعام مع الرفيق سونغ، داهمت القرية جماعة من رجال الشرطة الخيالة، مثيرة سحابة من الغبار. لم نعرف كيف وصلهم الخبر، ولكننا عرفنا انهم مبعوثون من آنتو بصورة مستعجلة.

حين سمعت لغط الاطفال الذين كانوا يلعبون فى الخارج حول مجىء الخيالة، خرجت الى الفناء وانا احمل فأسا وشرعت فى تقطيع الحطب. ويمكننى القول اننى وجدت نفسى فى وضع مماثل لذاك الذى مررت به فى تشياوهى، فى بيت تلك المرأة المجهولة.

استفسر رجال الشرطة عمن اكون.

فأوضح لهم الرفيق سونغ باننى خادم اعمل فى بيته.

فهز احدهم رأسه مستغربا: "قيل لنا ان مسؤولا شيوعيا قد وصل الى القرية لاعطاء التوجيهات ...". يبدو انهم كانوا يتصورون العثور على مسؤول متأنق، يرتدى بدلة غربية، ولكنهم شعروا بخيبة الامل حين وجدونى ارتدى معطفا باليا ووجهى ملطخ بالسواد، واحسوا ان اسراعهم بالمجىء كان دون جدوى.

فى تلك اللحظة، بدأت اشك بوجود عنصر مشبوه يتصل بالعدو ضمن صفوفنا. لانه لم يكن هناك من يعرف بامر وجودى فى بويرهى الا عدد من العاملين المسؤولين الذين يمكن عدهم على الاصابع.

حين انصرف رجال الشرطة، نظرت الى الرفيق سونغ فرأيت الشحوب يكسو وجهه والعرق يتفصد من جبينه.

منذ اليوم التالى، صرت استيقظ باكرا لاجلب الماء من البئر واقطع الحطب واكنس فناء البيت واعد العلف للثور. ثم اركب العربة مع سونغ ونذهب الى الجبل. وحين نصل الغابة، كنا نقرأ الوثائق حينا ونجمع الحطب حينا آخر او نناقش شؤون عملنا. وكنت انا حينئذ اكلف الرفيق سونغ بمهمة بعد اخرى.

وسرعان ما صارت القرية كلها تعرفنى على اننى "اجير" مجتهد. وكان الجيران يعتبروننى فتى طيب القلب به شىء من السذاجة. فاذا كسا الجليد محيط البئر، كانت النساء يستدعيننى بايماءة من ايديهن ويطلبن منى ان اكسر طبقة الجليد. وكنت استجيب لتلك الطلبات بأريحية، لانهم كلما طلبوا منى اداء اعمال اكثر كلما ازدادت قناعتهم باننى"اجير" وبقدرما اخلص فى تنفيذ طلباتهم يصعب على الجواسيس ان يكشفوا ملامح الثورى فى شخصيتى.

ذات يوم، اقيمت حفلة زفاف فى بيت مجاور لبيت الرفيق سونغ. فجاء بعض القرويين ليطلبوا منى خفق عجينة الارز لصنع الكعك. لقد كانوا يعتقدون اننى ماهر فى مثل هذا العمل ما دمت "اجيرا."

كان جدى الذى هرم وهو يزرع الارض، يكرر على الدوام ان الفلاح الحقيقى يجب ان يتقن ثلاثة اشياء: استخدام المحراث، وقطع الاعشاب، وخفق عجينة الارز بالمدقة. ولكننى لم اكن قد جربت استخدام المدقة حتى ذلك الحين. فقد كانت اسرتنا فقيرة جدا لدرجة لا تملك معها ترف اكل كعك الارز. اقلقنى طلبهم كثيرا، لانى اذا وافقت عليه فسأتعرض لخطر انكشاف امرى، ولكننى اذا رفضت الاستجابة لطلبهم فقد يبدو ذلك تصرفا غير مهذب من "اجير" فى مثل وضعى. ولهذا، اعتذرت منهم اول الامر قائلا ان لدى عملا كثيرا يجب ان انجزه لصاحب البيت. ولكننى لم استطع مواصلة الرفض بعد ان الحوا على عدة مرات.

حين دخلت البيت الذى تقام فيه حفلة الزفاف، ابتهج اصحابه لوجود شخص آخر يساعدهم. فانتزعوا مدقة عجينة الكعك من يد جار مسن بعض الشىء ونحيل وقدموها الى وهم يقولون: "انتبه، ان مذاق الكعك رهن بك. فاظهر كل مهارتك اليوم". كانت ربة البيت، غير الواعية لحراجة موقفى، منهمكة فى احضار الارز المسلوق من القدر فى صينية خشبية. كان مظهرها يبعث على الضحك، ولكننى كنت اشعر من جهة اخرى بالذهول وفقدان الوعى. فقد تجمع القرويون حولى لمشاهدة مهارة "الاجير". اذ ان مشهد عجن الارز المسلوق بالمدقة كان يشكل متعة حقيقية وجزءا من حياة الريف.

وفيما كنت ابلل راحتى لامسك المدقة بقوة، قلت لنفسى: (طيب، لننتظر النتيجة. سأضرب الارز بالمدقة باقصى قوتى، فهذا العمل من اختصاص الانسان ايضا. وكون المرء اجيرا لا يعنى انه يتقن كل الاعمال. فى اسوأ الاحوال، سيقولون اننى عامل اخرق.(

عندئذ فطن الرفيق سونغ الى موقفى الحرج، وسارع الى انقاذى. قال لى مؤنبا وهو يتكلف الصرامة: "هيه! كيف يسعك ان تضرب الارز بالمدقة بهذه الذراع الجريحة؟ كم مرة طلبت منك العناية بذراعك"، ثم قال لاصحاب البيت بصوت عال: "لا يمكن لهذا الرجل اداء عمل كهذا، فقد اصيب بجرح فى ذراعه اثناء جمع الحطب امس. ولكننى سأساعدكم بدلا منه لان هذه الحفلة لجيرانى."

وعند تقديم كعك الارز الى الضيوف فى ذلك اليوم، حملته النسوة الى الجميع فى اطباق، بينما قدمنه لى بايديهن مباشرة. ولكننى لم اتضايق من معاملة القرويين المهينة تلك. بل اعتبرتها مفيدة لعملى السرى.

وهكذا، فان تثوير بويرهى لم يكن سهلا على الاطلاق. كنا نقول ان عملية تثوير ووتشازى قد اصطدمت بمصاعب كثيرة، ولكن يمكن اعتبارها نزهة بالمقارنة مع بويرهى. لقد اقمت فى هذه القرية نحو شهر ونصف شهر، وتمكنت خلال هذا الوقت من انشاء منظمة فيها والقضاء على الجاسوس بتحريك الشباب التقدميين .

حين رجعت الى سياوشاهى وقصصت على الرفاق ما جرى لى فى بويرهى، راحوا يضحكون مقهقهين، فقلت لهم : "لا وجود لمكان لا يمكن للثوريين العمل فيه. اذا كنا قد اخفقنا فى بعض الاماكن من قبل، فليس ذلك الا لاننا نقوم بالثورة على طريقة النبلاء دون ان نتوغل الى اعماق الجماهير، بل نطفو مثل قطرة زيت على سطح الماء."

حدث ان ذهبت الى بويرهى على رأس الوحدة بعد ان نظمت جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان. دخلت القرية يومئذ على صهوة حصان كقائد لجيش حرب العصابات، ونظمت اجتماعا جماهيريا القيت فيه خطابا. وقد كانت دهشة الاهالى عظيمة حين تعرفوا على.

فتلك المرأة الشابة التى كانت تستدعينى بحركة من يدها لاكسر طبقة الجليد، لم تستطع اخفاء دهشتها عندما رأتنى امتطى صهوة الحصان بعد انتهاء الخطاب، فصرخت بذعر: "يا الهى، أليس هو الفتى الذى كان يعمل فى قريتنا اجيرا؟ انه الآن قائد الجيش الثورى."!

هكذا كنا نذلل العقبات التى تواجهنا.

ولكن العقبة الاكثر جدية كانت ماتزال دون حل. واعنى مسألة العلاقات مع وحدات جيش الانقاذ الوطنى، وهى المسألة التى كلفت الشيوعيين الكوريين الكثير من الدماء.

٥- ولادة القوات المسلحة الجديدة

كان ربيع عام ١٩٣٢ هائجا جدا بسبب الاحداث التى هزت العالم. فالامبريالية اليابانية التى احتلت منشوريا، اصطنعت فيها دولة منشوكو العميلة ونصبت على رأسها "بويى" آخر اباطرة تشنغ الذى كانت ثورة صون يات صن قد خلعته عن العرش. وكانت اجهزة الاعلام المأجورة فى اليابان والمطبوعات الموالية لها فى الصين ومنشوريا ترفع عقيرتها بالحديث عن "انسجام الامم الخمس" وبناء "الفردوس فى ظل الامبراطور"، مسبغة بذلك المديح على دولة منشوكو التى كان الرأى العام التقدمى فى آسيا والعالم يعارضها ويدينها بشدة.

وكانت انظار العالم تتركز على نشاطات فريق عصبة الامم لتقصى الحقائق الذى وصل الى اليابان فى مهمة التحقيق فى اسباب حادثة ١٨ ايلول وتبعاتها.

وقد استقبل امبراطور اليابان هذا الفريق الذى يرأسه السير ليتون، كبير مستشارى مجلس شورى ملك بريطانيا، ويضم ممثلين عن القوى العظمى مثل الولايات المتحدة والمانيا وفرنسا وايطاليا، كما اجتمع الوفد مع رئيس الوزراء اليابانى ووزير القوات المسلحة البرية ووزير الخارجية. ثم انتقل بعد ذلك الى الصين، حيث قابل تشانغ كاى تشك وتشانغ سو ليانغ، كما التقى فى منشوريا بالجنرال هونزيو قائد جيش كوانتونغ، وقام بجولة تفتيشية على الموقع الذى جرت فيه حادثة ١٨ ايلول. وقد تبارت اليابان والصين فى الترحيب بالفريق وتكريمه وسعت كل منهما لاجتذابه الى جانبها. ان التكهنات بامكانية سحب اليابان لقواته المسلحة من منشوريا اذا ما توصل الفريق الى اكتشاف الحقائق ومارست عصبة الامم الضغوط، كانت مدار الاحاديث ليس فى الاوساط السياسية والاجتماعية والاعلامية وحسب، بل وبين تلاميذ المدارس الابتدائية والمسنين فى مجالس سمرهم بعد ان اصبحوا يتحسسون القضايا السياسية.

ومع ذلك، لم نبد نحن الذين كنا نعد العدة للكفاح المسلح فى آنتو، اى اهتمام بتلك الشائعات التى لا تستند الى اساس، فكنا ننكب على التدريب العسكرى وحده. وفى كل يوم،

كانت عضوات جمعية النساء فى سياوشاهى يأتين الى وادى توتشيديان وهن يحملن لنا الطعام فى صوان خشبية على رؤوسهن.

فى الثلث الثانى من شهر آذار، نظمنا فى آنتو دورة تدريبية قصيرة الامد لقيادات مفارز حرب العصابات الصغيرة التى انشئت فى محافظات عديدة من منشوريا الشرقية. فاجتمع فى وادى توتشيديان بسياوشاهى نحو عشرين شخصا.

كان مقررا للدورة ان تستمر ليومين، الدروس النظرية فى اليوم الاول، والتدريب العملى فى اليوم الثانى. وقد القيت محاضرة سياسية حول خطوط الثورة الكورية وتوجهاتها، ومحاضرة اخرى حول الانظمة الداخلية لجيش حرب العصابات ومبادئ نشاطاته. اما التدريب العسكرى فتولى باك هون الجزء الاكبر منه. وقد وسعنا تدريجيا خلال هذه الدورة مجالات التدريب، ابتداء من امور اولية مثل تشكيلات النظام المنضم وفك وتركيب الاسلحة وحتى الوصول الى القضايا التكتيكية مثل تنظيم الاغارة والكمائن، الخ...

تحولت آنتو الى قاعدة اساسية للشيوعيين الكوريين، والى مركز نشاطاتهم لتأسيس جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان. وتوافد من المحافظات المتاخمة لنهر دومان الى سياوشاهى عاملون سريون ومراسلون للاتصال بنا. وتناقلت السنة الناس خبر تأسيسنا جيش حرب العصابات، حتى وصلت الاخبار الى داخل الوطن. وكانت النتيجة ان شبانا متحمسين من كوريا ومنشوريا فى حدود العشرين من عمرهم بدؤوا يتوافدون الى آنتو معرضين انفسهم للخطر ليطلبوا تجنيدهم فى الجيش.

وفى هذه الفترة بالذات، اعتقلت الشرطة اليابانية بيون دال هوان حين كان فى طريقه الى آنتو مع ثمانية شباب من ووتشازى يريدون الالتحاق بالجيش، وزج بهم جميعا فى السجن. وقد زارنى العجوز بيون داى وو اثر تحرير البلاد، واعرب عن اسفه الشديد لان ابنه لم يستطع تحقيق غايته بالانضمام الى جيش حرب العصابات، وامضى عدة سنوات فى السجن دون جدوى.

ومن بين محافظات تشينتاو، كانت آنزى هى التى امدتنا باكبر عدد من المتطوعين. لقد كانت تتركز فى تلك المنطقة اجهزة الادارة والقمع المعادية، وكانت توجد فيها شبكة كثيفة من المخبرين. ففى اوائل نيسان ١٩٣٢، اوفدت الى تشينتاو وحدة حملة مؤقتة بقيادة العميد يكيدا، وكانت قوتها الاساسية مؤلفة من الفوج ٧٥ فى اللواء ٣٨ التابع للفرقة ١٩ فى رانام، تعززها وحدات اخرى للمدفعية والهندسة والاشارة. وقد عبرت هذه القوة نهر دومان،

وتدفقت الى آنزى ومناطق اخرى من تشينتاو بهدف القيام بعمليات "تأديب" فى منشوريا الشرقية.

ونظرا لهذا الوضع، ارسلت المنظمات السرية فى تلك المنطقة عددا كبيرا من الشباب الراغبين فى الالتحاق بالجيش الى آنتو. وكان هناك آخرون كثيرون يأتون بأنفسهم ودون توصية من اى منظمة عند سماعهم بأخبارنا.

فقد جاءنى تشين هان جيانغ من تونهوا يرافقه شاب صينى يدعى هو جى مين، كان يعمل استاذا فى دار المعلمين فى هيلونغ.

وكانت تأتينا فى بعض الايام جماعات مؤلفة من نحو عشرة شبان دفعة واحدة. وكان جيش الانقاذ الوطنى يعترض الكثيرين منهم ويقتلهم وهم فى طريقهم الينا.

كانت تجوب مناطق شمال شرقى الصين فى ذلك الحين قوات مناهضة لليابان من كل لون وشاكلة، منها قوات دونغبى للدفاع الذاتى، وقوات مناهضة لجيش جيلين، وجيش الانقاذ الوطنى المناهض لليابان، وجيش المتطوعين المناهضين لليابان، ووحدات الشعب الجبلية، وجمعية الداداو، وجمعية هونغتشيانغ. جميع هذه القوات المناهضة لليابان ذات الطابع القومى والمعروفة عموما بجيش الانقاذ الوطنى، كانت مؤلفة من موظفين وطنيين وفلاحين، ومن عسكريين وطنيين انفصلوا عن جيش دونغبى القديم ورفعوا راية مناهضة اليابان وانقاذ الوطن بعد احتلال الامبريالية اليابانية لمنشوريا.

ومن بين القوات المناهضة لليابان فى منشوريا، يمكن الاشارة الى ان اشهرها كانت تلك الوحدات التى يقودها كل من وانغ دى لين، وتانغ جى يو، ووانغ فينغ غى، وشو بينغ وين، وما تشان شان، ودينغ تشاو، ولى دو.

وكانت وحدة وانغ دى لين هى الاكبر عددا فى منشوريا الشرقية. وكان هذا الرجل قد امضى فترة من شبابه فى غابات مولينغ وسويفينهى باعتباره "بطل الغابة الخضراء"، وذلك بقيادته عصابة قطاع طرق، دون ان يكون له مبدأ او غاية. وعندما انضم مع اتباعه فيما بعد الى جيش جيلين الذى يشرف عليه تشانغ تسو سيانغ، تحول الى ضابط ذى مظهر عسكرى نظامى. وكان الى ما قبل حادثة ١٨ ايلول آمرا للكتيبة الثالثة من الفوج السابع فى اللواء الثالث من جيش جيلين القديم. وكان المدنيون يطلقون على وحدته اسم "الكتيبة الثالثة القديمة."

عندما غزا الجيش اليابانى منشوريا، استسلم قائد اللواء جى شينغ، والذى كان قائدا لوانغ

دى لين ايضا، وقابل قائد جيش كوانتونغ. وحين اقسم على الولاء للامبراطورية اليابانية، جرى تعيينه قائدا لحامية جيلين.

استشاط وانغ دى لين غيظا من خيانة قائده، فتمرد فى الحال واعلن النضال المناهض لليابان لانقاذ الوطن. وبعد ان توغل فى الجبال مع نحو ٥٠٠ جندى، اسس الجيش الصينى للانقاذ الوطنى وعين وو وى تشينغ قائدا للجبهة الامامية. وهكذا بدأ حرب المقاومة ضد جيش العدوان اليابانى.

وكان وو وى تشينغ وشا تشون هينغ وتشاى شى رونغ وكونغ سيان يونغ من مرؤوسيه المخلصين الذين اتخذوا من المنطقة المجاورة للوزوكو مركزا لنشاطهم فى التصدى للعدو فى مناطق تشينتاو، ثم اقاموا فيما بعد علاقات متينة معمدة بالدم مع جيشنا لحرب العصابات.

كانت قوة الدفاع الذاتى التى يقودها تانغ جى يو تعمل فى المناطق الجبلية من منشوريا الجنوبية، وكانت وحدة ما تشان شان العاملة فى مقاطعة هيلونغكيانغ تتصدى للجيش اليابانى المتقدم نحو الشمال. وفى المناطق النائية من آنتو التجأت وحدة القائد يو الخاضعة لسيطرة وو وى تشينغ. وكان افراد هذه الوحدة يتجاوزون كل الحدود فى تصرفاتهم.

ولكن جميع تلك القوات، دون استثناء، كانت تعتبر الشيوعيين الكوريين عملاء للامبريالية اليابانية، وترى ان الكوريين هم المذنب الاول فى دخول الجيش اليابانى الى منشوريا.

واضافة الى مواصلة الامبرياليين اليابانيين مؤامراتهم الهادفة الى زرع الشقاق بين الشعبين الكورى والصينى، لم تكن قد تلاشت من اذهان الصينيين بعد الانطباعات السيئة التى تلقوها عن الكوريين فى انتفاضة ٣٠ ايار وحادث وانبوشان.

ولم تكن الفئة العليا المتعنتة فى جيش الانقاذ الوطنى تملك القدرة السياسية على التقدير والتبصر بحيث تدرك ان الامتين الكورية والصينية مضطهدتان، وتعانيان بالقدر ذاته المصائب والكوارث من جانب المعتدين الامبرياليين اليابانيين، وانه لا يمكن للكوريين ان يكونوا عملاء لذلك العدو مثلما لا يمكن للصينيين ان يكونوا كذلك، وان الكوريين والصينيين ليسوا اعداء. كما كانوا يضمرون العداء للشيوعية دون تبصر. ذلك لان معظم افراد الفئة العليا فى جيش الانقاذ الوطنى كانوا ينحدرون من الطبقات الثرية. وقد ابتكر هؤلاء الناس على طريقتهم، الصيغة القائلة بان الكورى هو الشيوعى، وان الشيوعى هو

الفئوى، وان الفئوى بدوره هو عميل للامبريالية اليابانية، واتخذت من تلك الصيغة معيارا، وراحت تلاحق الشباب والكهول الكوريين وتقتلهم دون هوادة.

كان جيش العدوان اليابانى يقترف الاعمال الوحشية فى المدن والمناطق السهلية، بينما كان آلاف وعشرات آلاف جنود جيش الانقاذ الوطنى يرصدون الطرق والدروب فى المناطق الريفية والجبلية ويكبلون حركتنا تماما. لقد شكلت ممارساتهم العدائية عقبة خطيرة تهدد وجود جيشنا الفتى بالذات.

ولان الامبرياليين اليابانيين لم يكونوا معارضينا الوحيدين، وانما انضمت اليهم فى معارضتنا وحدات الشغب الجبلية، وكذلك وحدات الاستقلاليين، فقد وجدنا انفسنا نحن الشيوعيين الكوريين، فى حالة حصار معاد من الجهات الاربع بكل معنى الكلمة، وفى عزلة تامة.

وما لم نحسن العلاقات مع القوات الاخرى المناهضة لليابان، فانه من المستحيل علينا اضفاء الشرعية على وجودنا وعلى نشاطاتنا كجيش حرب العصابات. وما لم نحقق ذلك، لن نستطيع توسيع صفوفنا ولا شن عمليات عسكرية علنية.

لقد نظمنا وحدات حرب العصابات، ولكننا لم نستطع اضفاء الشرعية عليها، مما جعلنا فى وضع المكبلين عن الحركة فى غرفة خلفية. لم يكن بامكاننا رؤية الضوء الا بالخروج الى الدنيا، وهو ما لم يكن ممكنا. واصلنا ارتداء الملابس المدنية، ولم يكن بامكاننا سوى مداعبة "الماوزر" بايدينا ونحن محبوسون فى غرف خلفية ببيوت غريبة، واطلاق الحسرات المتواصلة: "كيف سنخوض النضال المناهض لليابان فى مثل هذه الظروف؟" وقد ساء الوضع اكثر حتى لم يعد بامكاننا سوى الاختباء فى قرى الكوريين، دون ان نتمكن من الخروج الى مناطق اخرى. وفى الليل فقط، كنا نخرج خفية فى جماعات صغيرة.

وهذا هو السبب الذى جعل الناس يطلقون علينا فى البداية اسم جيش حرب العصابات السرى.

فلم يكن علينا فى ذلك الحين ان نتفادى الجيش اليابانى وحسب، بل كذلك جيش الانقاذ الوطنى وفلول قوات جيش منشوكو، وكان علينا ان نلتزم الحذر ايضا من بعض القوميين والرجعيين الكوريين المعادين للشيوعيين. وقد اصبحت المشكلة خطيرة جدا، لاننا اذا خرجنا بشكل علنى كانوا يطلقون علينا النار ويقترفون ضدنا اعمالا طائشة اخرى لمجرد كوننا شيوعيين. وكان الوضع مماثلا فى آنزى وهيلونغ ووانغتشينغ وهونتشون.

وفى ظل هذا الوضع، لم يكن بامكاننا الاقامة في بيوت الشيوعيين وحدهم. فالمشكلة تصبح جدية حين نذهب الى تلك البيوت فى مجموعات تضم كل منها اكثر من عشرة اشخاص، ونستهلك ما لدى المضيفين الفقراء من مؤن، لنزيد بذلك حالهم سوءا.

كانت الامور ستسير على ما يرام ونندفع بحماسة الى النضال لو اننا تمكنا من اضفاء الشرعية على جيش حرب العصابات، وكنا سنمضى عندئذ صفوفا منتظمة فى وضح النهار، على ايقاع الحان المسير، ونقابل بالترحيب من جانب الاهالى، ونقوم بالعمل الدعائى بين الجماهير. ولكن عدم قدرتنا على عمل ذلك كانت تسبب لنا الكرب والغم.

فكنا كلما اجتمعنا لا نتوقف عن مناقشة كيفية التوصل الى اضفاء الشرعية على جيش حرب العصابات وتحسين علاقاتنا مع الوحدات المناهضة لليابان.

وكانت المسألة الاكثر جدية فى تلك المناقشات هى صواب او عدم صواب التحالف بين الشيوعيين والقوميين الصينيين. وكان عدد غير قليل من الرفاق يتساءلون اذا لم يكن فى اقدامنا نحن الشيوعيين على التحالف مع جيش الانقاذ الوطنى تخليا عن المبادئ الطبقية ومصالحة مع الفئة العليا من ذلك الجيش المؤلفة من اناس ينحدرون من اسر ثرية ويمثلون مصالح طبقة الاقطاعيين والرأسماليين والبيروقراطيين. وكانوا يصرون على انه بالامكان تحسين العلاقات مع ذلك الجيش بصورة مؤقتة، ولكن دون الوصول الى التحالف معه، وانه يتوجب علينا الرد بقوة على ممارسته العدائية.

ولكن هذا الطرح كان ينطوى على خطورة بالغة.

فانطلاقا من الموقف الثابت بان الاهداف المشتركة فى النضال والاوضاع المتماثلة، تجعل من جيش الانقاذ الوطنى حليفا استراتيجيا ممكنا لنا فى الحرب ضد اليابان، وعلى الرغم من وجود بعض المحدودية، الا اننى كنت اصر على تشكيل جبهة مشتركة مع ذلك الجيش وعدم الاقتصار على تحسين العلاقات فيما بيننا. وحتى ذلك الحين لم تكن قد طرحت بعد مسألة اقامة جبهة مشتركة بين قوتين مسلحتين تختلفان فى الفكر والمثل العليا، مما اثار جدلا ساخنا ومعقدا.

ان مسألة تشكيل جبهة من هذا النوع مع الوحدات المناهضة لليابان قد طرحت كذلك كمسألة جدية فى الحزب الشيوعى الصينى. اذ ان لجنته الحزبية فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة كانت تولى منذ وقت طويل اهتماما بجيش وانغ دى لين، وقد اوفدت اليه سبعة او ثمانية شيوعيين اكفاء للعمل مع وحداته. واوفدنا نحن ايضا لى كوانغ وشيوعيين

كوريين آخرين.

وقد اطلعت من خلال مراسلين عدة مرات على ان لى كوانغ منهمك فى هذه المهمة مع وحدة تونغ شان هو.

ومع تفاقم عسف جيش الانقاذ الوطنى، بدأ البعض يرى ان الجبهة المشتركة لا تعدو كونها وهما وطالبوا بان نرد بالنار لنثأر لقتلانا. وقد بذلت جهودا كبيرة لتهدئتهم. فاعتبار جيش الانقاذ الوطنى عدوا لنا ومعاقبته على الاضرار التى يلحقها بنا هو امر يتنافى مع غايتنا العظيمة وواجبنا فى مناهضة اليابان، فضلا عن انه عمل طائش يمكن له ان يقود جيش حرب العصابات الفتى الى الانتحار.

ولم يكن قلق الشيوعيين ورجال جيش حرب العصابات بشأن جيش الانقاذ الوطنى يقتصر على تشينتاو وحدها، بل كان يشمل امتدادات منشوريا كلها.

فعدد جنود جيش حرب العصابات فى كل محافظة كان قليلا جدا فى ذلك الحين، ولا يكاد يتجاوز بضع عشرات. كما ان هذا العدد المحدود كان معرضا للتصفية فى حال وقوعه فى يد جيش الانقاذ الوطنى، مما جعلنا غير قادرين على توسيع صفوفه على الرغم من رغبتنا فى ذلك.

وفى ظل هذا الواقع، فكرت بانه من العقلانية ان ينضم جيشنا لحرب العصابات الى وحدة القائد يو بصورة مؤقتة والعمل كمفرزة خاصة. وكانت الفرضية التى طرحتها فى تلك الحالة هى ان عملنا تحت يافطة جيش الانقاذ الوطنى سيتيح لنا التخلص من المعاملة الجنونية الفظة والحصول على كمية من الاسلحة، وانه يمكننا كذلك اذا ما عملنا بلباقة، ان نجتذبهم الى جانب الشيوعيين ونجعلهم حلفاء لنا. ثم طرحت الفكرة على الرفاق لمناقشتها.

وقد اجتمعنا لاجراء ذلك النقاش فى بيت كيم زونغ ريونغ فى سياوشاهى الذى كان يستخدم كمقر للمنظمة الحزبية، ودام ذلك اللقاء يوما كاملا، وهو الذى يطلق عليه اليوم اجتماع سياوشاهى. وقد جرت فيه مناقشات ساخنة جدا. فمنذ الصباح وحتى ساعة متأخرة من الليل، تناقشنا الى ان بحت اصواتنا حول امكانية وجدوى العمل كمفرزة متجولة ضمن احدى وحدات جيش الانقاذ الوطنى. وكان المدخنون وغير المدخنين على السواء يحملون السجائر التى يلفونها بأيديهم ويطلقون الدخان بكثافة. وما زلت اذكر حتى الآن الالم الذى احسست به فى عينى وصعوبة التنفس بسبب ذلك الجو المشحون بدخان التبغ. فأنا لم اكن ادخن فى ذلك الحين.

في نهاية النقاش، ايد الرفاق فكرتي.

قرر الاجتماع ارسال مندوب الى وحدة القائد يو التابعة لجيش الانقاذ الوطني لكي يتفاوض حول تلك المسألة، وتم تكليفي بالقيام بالمهمة. والواقع ان اختياري لم يتم من قبل الرفاق، بل انا الذي طلبت ذلك.

لم يكن بيننا في ذلك الحين من لديه خبرة في الدبلوماسية العسكرية. لذا عولجت مسألة اختيار المندوب الذي يجب ايفاده بصورة جدية. وكانت هناك مخاوف من رفض الطرف الآخر استقبال المندوب الذي نختاره ونرسله اليهم، ومن فرض مطالب جائرة في حال موافقتهم على التفاوض وزجنا في موقف حرج، وربما يصل بهم الامر الى قتل المندوب اذا ما استاؤوا منه في سياق المفاوضات. وكان هناك اجماع على ارسال مندوب كفء يمكنه مواجهة كل هذه الاحتمالات بمهارة.

لم يكن بيننا شخص تنطبق عليه هذه المواصفات. فمن اجل مقابلة القائد يو لا بد لنا من اختيار شخص متقدم في السن، ولكن كبار السن بيننا هم باك هون وكيم ايل ريونغ وهو جي مين فقط. كان كيم ايل ريونغ يكبرني باكثر من عشر سنوات، ولكنه لا يتقن الصينية. اما الباقون فكانوا متخرجين جددا من المدارس وعمرهم يتراوح بين ١٨ – ٢٠ عاما مثل تشاو يا فان.

اقترحت على الرفاق ان يوفدوني.

ولكنهم رفضوا اقتراحي قائلين انني قائدهم، ومن المحتمل ان يقتلني القائد يو لكوني شيوعيا، وهذا سيجعل الوضع اكثر صعوبة، وانه من المستحسن ان يذهب شخص ماهر بالدبلوماسية من بين الرفاق الصينيين مثل تشين هان جيانغ وتشاو يا فان وهو جي مين.

سألتهم: لماذا سيقتلني القائد يو اذا زرته؟ فاجابوني: كيف نعرف ذلك؟ اذا ذهبت اليه فقد يقتلك لكونك "غاوليبانغجي"(كلمة صينية لتحقير الكوريين – المترجم) وعندئذ سينتهي كل شيء. انه يقتل الآخرين، فلماذا لا يقتلك؟ ومن الافضل الا تذهب، لان جيش الانقاذ الوطني يلاحق في هذه الايام الشباب الكوريين بحنق اشد بسبب حادث وحدة غوان في وانغتشينغ.

والمقصود بحادث وحدة غوان انتزاع قوات حرب العصابات السرية في وانغتشينغ بقيادة الرفيق لي كوانغ السلاح من الوحدة المذكورة. وكانت النتيجة تدهور العلاقات بسرعة عاصفة بين جيش حرب العصابات وجيش الانقاذ الوطني ونشأ وضع اكثر صعوبة امام نشاطات جيش حرب العصابات. وقد اخبرني مراسل قادم من وانغتشينغ انه جرى اعتقال

واغتيال عدد من رجال جيش حرب العصابات على يد جيش الانقاذ الوطنى كعمل انتقامى بعد الحادث. وقد كاد الرفيق كيم تشايك ان يلقى حتفه فى ذلك الوقت تقريبا على يد وحدة شغب جبلية فى منشوريا الشمالية.

ولكننى واصلت مع ذلك الاصرار على الذهاب. ليس لانى كنت متفوقا على الآخرين فى فنون الدبلوماسية، وليس لانى املك حيلة خاصة اطوع بها القائد يو، وانما لان الواقع كان يؤكد ان وجود جيش حرب العصابات رهن بنتيجة مفاوضاتنا مع القائد يو، كما ان نجاحنا او اخفاقنا رهن كذلك باقامة العلاقات مع جيش الانقاذ الوطنى. فما لم نكسب هذا الجيش كحليف لنا، لن نستطيع الخروج او حتى تجاوز عتبات البيوت، فما بالك بخوض حرب عصابات فى منشوريا الشرقية. اضف الى ذلك، اننى كنت افكر باننا اذا لم نستطع تجاوز هذا الوضع الحرج بنجاح ولم نباشر النضال المسلح، فلسنا جديرين بان نكون ابناء كوريا، وليس هناك مبرر لبقائنا على قيد الحياة.

قلت لرفاقى: من يخشى الموت لن يستطيع القيام بالثورة. وانا على اى حال اتقن اللغة الصينية، وقد عانيت الشدائد فى مناسبات كثيرة اثناء عملى فى الحركة الشبابية. فاذا ما ذهبت الآن، فاننى سأتمكن بكل تأكيد من مقابلة القائد يو. لذا، لا بد لى من الذهاب بنفسى.

واخيرا، تمكنت من اقناعهم. ثم غادرت بصحبة باك هون، وتشين هان جيانغ وهو جى مين وشاب صينى آخر لا اذكر اسمه. كانت طريقنا محفوفة بالمخاطر، ولم تكن هناك اى ضمانة لسلامتنا.

كان مقر قيادة الوحدة التى توجهنا اليها فى ليانغجيانغكو. وقد اتفقنا على ان نقول اننا قادمون من جيلين وليس من آنتو اذا ما سألنا جيش الانقاذ الوطنى عن المكان الذى أتينا منه. لان ذكر اسم اى منطقة من منشوريا الشرقية التى يرابط فيها جيش حرب العصابات كان ينطوى على مخاطرة كبيرة.

وفى الطريق الى داشاهى التقينا بمفرزة من وحدة القائد يو. كان مئات الجنود يتقدمون نحونا بخطوات عسكرية بكل اعتزاز رافعين اعلاما كتب عليها "القائد يو". وكانوا يبدون وكأنهم تجسيد لشيء يرد فى "تاريخ الممالك الثلاث". وحيث ان وحدة هذا القائد كانت قد هزمت قبل وقت قصير وحدة من الجيش اليابانى فى نانهوتو وغنمت منها رشاشا، فقد كان الحديث يدور باعجاب عن مأثرتها.

نظر هو جى مين الى بقلق وقال:

"أليس من الافضل لنا ان نتجنبهم؟"

"لا. لنتقدم نحوهم".

قلت ذلك وانا اواصل المسير. ومضى اثنان من الرفاق الاربعة الى يمينى واثنان الى يسارى، وتقدمنا معا بخطوات ايقاعية منتظمة.

حين رآنا جنود جيش الانقاذ الوطنى، صاحوا بنا: "ايه، ايها (الغاوليبانغجى) تعالوا هنا!" ثم حاولوا اعتقالنا دون سؤال او جواب.

لكننى اعترضت على ذلك قائلا لهم بالصينية اننا نناضل مثلهم ضد اليابان ايضا، وانه ليس ثمة مبرر لاعتقالنا. فسألونى عما اذا كنت كوريا. فأجبتهم باعتزاز اننى كورى فعلا، ثم اشرت الى الرفيقين تشين هان جيانغ وهو جى مين وقلت انهما صينيان.

"اننا ذاهبون الى قائدكم لكى نناقش معه مسألة عاجلة. ارشدونا الى القائد"!

وحين طلبت منهم ذلك بصوت آمر، ارتبكوا قليلا ثم طلبوا منا ان نتبعهم.

وبعد ان قطعنا مسافة قصيرة، اصدر ضابط يرتدى بزة جيش دونغبى القديم الامر بالتوقف لتناول الغداء وحبسنا فى بيت احد الفلاحين.

وقد فوجئت بعد لحظات بدخول السيد ليو بين تشاو الى ذلك البيت. وقد كان هذا السيد معلمى فى مدرسة يووين الثانوية بجيلين. فقد علم لبعض الوقت فى تلك المدرسة مادة الرموز الكتابية للغة الصينية، ثم انتقل بعد ذلك للعمل فى مدرستى وينغيانغ وتونهوا الثانويتين. وكانت تربطه صداقة حميمة بالاستاذ شانغ وى، كما انه كان يعرف جيدا تشين هان جيانغ ايضا. وكان التلاميذ يتبعونه بمحبة واحترام شديدين لانه كان يحضر لهم كتبا جيدة وينظم اشعارا رائعة ويلقيها مترنما امام تلاميذه، فضلا عن نقاء سريرته واتساع ثقافته.

وما ان رأيناه حتى اطلقت انا وتشين هان جيانغ صيحات الفرح وركضنا للقائه. ويبدو لى ان تلك المشاعر قد ازدادت حدة بسبب الوضع الحرج الذى كنا فيه.

ولم يستطع السيد ليو بين تشاو اخفاء سعادته ودهشته، وراح يوجه الى السؤال تلو السؤال: "ما الذى جاء بك الى هنا يا كيم سونغ جو؟! كيف جئت؟ الى اين كنت ذاهبا ولماذا قبضوا عليك؟"

وبعد ان رويت له ما حدث لنا باختصار، توجه الى مرؤوسيه بصوت عال: "كرموا هؤلاء الاشخاص جيدا. اعدوا غداء جيدا وانا سأتناول الطعام معهم". وقد عرفنا بعد ذلك

انه هجر مهنة التعليم بعد غزو الجيش اليابانى لمنشوريا، وانضم الى وحدة القائد يو وانه يعمل الآن رئيسا لهيئة اركانه.

وبينما نحن نتناول الطعام، قال لنا السيد ليو بين تشاو انه لبس البزة العسكرية بعد ان فقد القدرة على الصبر امام دمار البلاد، ولكنه يعانى مشقات كثيرة لانه يقاتل العدو مع جنود جهلة وافظاظ تماما. ثم سألنا عما اذا كنا نرغب فى البقاء هناك والقتال معه. وبعد ان اعربنا له عن موافقتنا على اقتراحه، طلبنا منه ان يساعدنا فى مقابلة القائد يو. فقال ان ذلك ممكن اذا ما ذهبنا معه، لان القائد يو فى طريقه الآن من ليانغجيانغكو الى مدينة آنتو المسورة.

فقلت له عندئذ:

"ايها السيد المعلم، أليس من المفيد تنظيم وحدة خاصة بالكوريين؟ ألا تعتقد بان مشاعر الحقد على الامبرياليين اليابانيين فى قلوب الكوريين اشد مما هى فى قلوب الصينيين؟ لماذا اذن تسىء الوحدات المناهضة لليابان دائما الى الكوريين وتمنعهم من النضال ضد المعتدين؟"

"اوه، انى اتساءل نفس السؤال. وقد حذرتهم مرارا وتكرارا من هذا السلوك، ولكنهم يواصلون ممارسته. انهم جهلة وافظاظ لا يعرفون حقيقة الشيوعيين. وما السىء فى معارضة الشيوعيين لليابان؟"

وبدا على السيد ليو بين تشاو الغيظ وهو يقول ذلك.

حين سمعت ما قاله، فكرت بسعادة: لقد جرى كل شىء على ما يرام. وها نحنذا قد نجونا اخيرا. وبعثت باك هون الى سياوشاهى فى الحال لينقل الى الرفاق خبر سلامتنا، ووجود بارقة امل فى اضفاء الشرعية على جيش حرب العصابات لاننا ننعم بدعم نزيه من جانب رئيس هيئة اركان وحدة القائد يو.

بعد الغداء، بدأنا المسير نحو مدينة آنتو المسورة، مع السيد ليو بين تشاو.

كان لديه حصان خاص به، فطلبنا منه بالحاح ان يمتطيه، ولكنه رفض ذلك، وكان رده علينا: "كيف تريدوننى ان امضى راكبا بينما انتم تسيرون على اقدامكم. لنمش معا ونواصل حديثنا". هكذا، مشى معنا الى ان وصلنا المدينة المسورة.

كان معظم جنود القوات المناهضة لليابان يضعون على اذرعهم شرائط كتب عليها بالصينية: "بوفاشو بويومين"، اى: لا تخف الموت ولا تلحق الاذى بالشعب.

خلافا لملامح الجنود المتجهمة، كانت المبادئ التى يلتزمون بها سليمة ونضالية للغاية.

وقد حفزتنى تلك العبارة المكتوبة على التمسك بخيط من الامل فى التوصل الى نتيجة طيبة فى لقائى مع القائد يو.

وبفضل السيد ليو بين تشاو، استطعنا اللقاء بالقائد يو فى ذلك اليوم بالذات. وقد استقبلنا بلباقة وحفاوة وعاملنا معاملة ضيوف رفيعى المستوى. ربما لانه كان يفكر بسمعة رئيس اركان وحدته، او ربما كان يطمع فى ابقائنا الى جانبه بعد ان عرف اننا شبان شجعان، قادرون على القاء الخطب وكتابة المنشورات واستخدام الاسلحة، وباننا تلقينا تعليما فى المدارس الثانوية.

ومثلما خمنت فعلا، طلب القائد يو منا ان ننضم الى وحدته. وعرض على منصب آمر فرقة الدعاية التابعة لمقر القيادة.

كانت نيتى هى تنظيم جيشنا المستقل واضفاء الشرعية عليه، ولكنه طلب منى ان اتولى منصب آمر فرقة الدعاية، فاوقعنى بذلك فى موقف حرج للغاية. فاذا رفضت طلبه، فانه سيغضب دون شك، ولربما وجد السيد ليو بين تشاو ايضا نفسه فى موقف مزعج جدا.

على الرغم من ان الامر تحول نحو اتجاه سيء، الا اننى فكرت فى ان الحظ قد يكون حليفنا ما دمنا قد نلنا ثقة هذا الرجل. وهكذا وافقت على اقتراحه: "سنفعل ما تقوله ايها السيد القائد."

اعرب القائد يو عن سعادته بذلك. وامر احد مرؤوسيه فى الحال بكتابة وثيقة تعيينى فى المنصب.

هكذا، صرت آمر فرقة الدعاية بمقر القيادة. وكما عين هو جى مين معاونا لرئيس هيئة الاركان، وتشين هان جيانغ سكرتيرا للقائد يو. كانت نتيجة سخيفة وبعيدة تماما عن رغبتنا، ولكننا فى تلك الظروف لم نجد مفرا من صعود ذلك السلم. واقول مستبقا ان تلك المناصب التى سقطت علينا بسرعة البرق، كانت مفيدة جدا لاضفاء الشرعية على جيش حرب العصابات فيما بعد.

قارنت وضعى حين كنت كمن يعيش فى غرفة خلفية لبيت غريب، بهذا الوضع الذى نشأ من توغلى الى عمق قلب وحدة القائد يو بفضل توصية السيد ليو بين تشاو، ثم هتفت بينى وبين نفسى بسعادة: "الآن سيجرى كل شيء على ما يرام."!

ولكن حدثا مفاجئا وقع فى مساء ذلك اليوم بالذات. فقد اعتقل جنود جيش الانقاذ الوطنى نحو ٧٠ او ٨٠ شابا كوريا كانوا فى طريقهم من آنزى الى بويرهى واقتادوهم الى المدينة

المسورة.

ما ان رأيت من بعيد اولئك الشباب دون ان استطيع كظم سخطى وذهولى، حتى اسرعت الى حيث كان السيد ليو بين تشاو.

"ايها السيد المعلم، هنالك شىء خطير يحدث. لقد اعتقل جنودكم عددا كبيرا من الشباب الكوريين. كيف يمكن ان يكون بينهم موالون لليابان؟ من المؤكد انه لا وجود لعميل واحد بينهم. أليس من المفروض التحقق اولا من وجود عملاء لليابان ام لا قبل اعتقالهم؟"

بعد ان استمع ليو بين تشاو الى كلماتى، قال لى:

"اذهب يا سونغ جو وتحقق من ذلك بنفسك. اننا واثقون منك".

"ايها السيد المعلم، لا يمكننى ان اقوم بذلك وحدى. ارجوكم ان ترافقونى. فمن المعروف انكم خطيب مفوه، واذا تكلمتم فانكم تؤثرون حتى فى الكلب المولع باليابانيين. ما معنى مواصلة قتل غير الموالين لليابان بالجملة بدلا من التفكير باقناعهم بالنضال ضد اليابانيين؟"

"انك متحدث جيد يا سونغ جو، ولا حاجة لذهابى والقائى كلمة امامهم. اذهب وحدك".

وطلب منى الخروج بحركة من يده.

وما قاله المعلم ليو كان صحيحا بالفعل، ففى سنوات دراستى كنت القى الخطب بكثرة. فقد كنت اجوب جيلين وتونهوا وآنتو وفوسونغ وتشانغتشون وغيرها من المناطق والقى الكثير من الخطابات التى افضح بها نوايا الامبريالية اليابانية الشريرة فى الاعتداء على منشوريا، وادعو الى التضامن بين الشعبين الكورى والصينى. كان السيد ليو بين تشاو يعرف هذه الحقيقة جيدا.

"اذا انا تحدثت بالكورية ايها المعلم، فكيف يفهم رجال وحدتكم ما اقوله؟ وربما راودتهم الشكوك باننى اقوم بدعاية سيئة".

لوح السيد بيده مرة اخرى وحثنى على الخروج.

"لن يحدث لك شىء يا سونغ جو. ان اقصى ما ستفعله هو الدعاية للشيوعية. انا اضمن سلامتك. واقول لك انه بامكانك التحدث بكل اطمئنان".

كان يعلم اننى على اتصال بالحزب الشيوعى واننى اعمل فى الحركة الشيوعية.

"لا بد من القيام بالدعاية الشيوعية ايضا عندما يتطلب الامر ذلك. وما وجه السوء فى ذلك؟"

لولا الثقة المتبادلة بيننا لما اقدمت على التلفظ بهذه الكلمات امام السيد ليو بين تشاو. وحتى لو قتلونى بذريعة اننى شيوعى وعميل للامبرياليين اليابانيين لما استطعت منع ذلك ولما وجدت احدا اوجه شكواى اليه. ولكن لم يحدث اى شىء من ذلك بفضل علاقة الصداقة الحميمة بينى وبين المعلم ليو بين تشاو.

لقد كانت علاقتنا جيدة وغير متكلفة منذ زمن مدرسة يووين الثانوية فى جيلين. فقد كان يحيطنى منذ ذلك الحين بعواطفه الكريمة الصادقة.

وبينما كنا نتحدث، دخل القائد يو الى هيئة الاركان والقى نظرة الى الشباب المعتقلين من خلال النافذة وقال ان الجنود قد اعتقلوا كما يبدو اعضاء آخرين من الحزب الشيوعى، ثم هز رأسه وكأنه يريد ان يقول مستغربا متى استطاع هذا الحزب التكاثر هكذا فى ارض منشوريا.

عندئذ، ودون اضاعة لحظة واحدة، غمز السيد ليو بين تشاو بعينه وهو يقول: قم يا آمر فرقة الدعاية بسرعة وتحدث مع المعتقلين. ثم اضاف بنبرة متسائلة بانه من المستحيل ان يكون جميع الكوريين شيوعيين، وان يكون جميع الشيوعيين عملاء للامبرياليين اليابانيين.

حين سمع القائد يو هذه الكلمات، اظهر غضبا شديدا وزمجر قائلا:

"أليسوا كذلك؟ أليس الشيوعيين هم الذين تمردوا وحاولوا مصادرة الاراضى، بل وادخلوا هؤلاء الاوغاد اليابانيين الى هنا؟"

كان تحيز القائد يو ضد الكوريين متعنتا واعمى اكثر مما كنت اتصوره. ولم تكن فكرته الخاطئة عن الشيوعيين تقل سوءا.

فكرت بانه لا بد لى من اقناع القائد يو بخطأ موقفه مهما كان الثمن. وحين صممت على ذلك قلت له بجرأة:

"ايها السيد القائد، كيف عرفت ان الحزب الشيوعى سىء؟ هل قرأت ذلك فى كتاب ام سمعته من الآخرين؟ واذا لم يكن الامر كذلك، فلماذا تعتبرون الشيوعيين سيئين؟"

"عن اى كتب تتكلم؟ اننى اعرف ذلك لاننى سمعته. كل من له لسان يؤكد ان الشيوعيين اشرار فاسدون. ولهذا اعرف ايضا انهم كذلك".

فوجئت تماما حين سمعت كلامه. ولكننى طمأنت نفسى فى الوقت نفسه وفكرت بان كل شىء سيجرى على ما يرام. فقد ايقنت من قدرتى على اصلاح الموقف، لان الامر لا يتعلق بموقف يستند الى التجربة المباشرة، وانما هو سوء تفاهم ناتج عن الشائعات.

"اذا كنت ايها السيد القائد تنقاد دون تبصر لما يقوله الآخرون، ولا تملك رأيك الخاص، فكيف ستتمكنون من انجاز قضيتكم العظيمة؟"

وحيث ان تشين هان جيانغ وهو جى مين اللذين كانا معى هما شيوعيان ايضا، اضافة الى تأييد رئيس هيئة الاركان لنا، فقد وجد القائد يو انه محاصر.

اغتنمت الفرصة السانحة وواصلت كلامى قائلا:

"يا قائدنا المحترم، ما الفائدة من مواصلة قتل هؤلاء الشباب الثمينين؟ أليس من الافضل استخدامهم ولو لمرة واحدة كفصيلة صدامية؟ واذا لم تكن توجد بنادق كافية الآن، فيمكننا تسليحهم بالرماح. دعنا نجربهم كيف يقاتلون اليابانيين. اذا قاتلوا جيدا نكون قد توصلنا الى مرادنا. اما قتلهم لمجرد القتل فلن يجدينا اى نفع".

استمع القائد يو باهتمام الى كلامى ثم قال :

"يبدو انك على حق. طيب، فلتتول انت يا آمر فرقة الدعاية حل هذه المسألة بنفسك".

ذهبت الى حيث الشباب المعتقلون، ثم سربت اليهم ورقة صغيرة كتبت عليها: "طالما لا يوجد دليل فلا تعترفوا على الاطلاق بانكم اعضاء فى الحزب الشيوعى. اما بالنسبة الى منشور (نداء الى الجنود المناهضين لليابان) الذى عثر عليه معكم عند تفتيشكم، فقولوا انكم عثرتم عليه بالصدفة فى اى مكان"، ولم يكن هناك من يعرف كيف ظهرت تلك القصاصة الورقية وكيف وصلت الى ايديهم.

عندما دنوت منهم نظروا الى بعيون يشع منها الحقد. وبدا لى انهم يظنوننى شخصا تافها يقدم خدماته كعميل للقائد يو.

احسست بنظراتهم المفعمة بالعداء تسوط جسدى كله، فسألتهم:

"من منكم سمع باسم كيم سونغ جو من قبل؟"

وبمجرد توجيهى هذا السؤال، بدأ يتراخى جو التوتر الثقيل الذى كان يسيطر على المكان، وسمعت همسات متفرقة، اجاب بعضهم بالايجاب ورد آخرون بالنفى.

"انا كيم سونغ جو. واعمل الآن آمر فرقة الدعاية فى وحدة القائد يو.

لقد كلفنى القائد يو قبل قليل بان اسألكم عما اذا كنتم تريدون الانضمام الى جيش الانقاذ الوطنى والقتال معه. فمن منكم مستعد للقتال الى جانبنا؟"

فصرخوا بصوت واحد: "سنقاتل."!

نقلت بعد ذلك الى القائد يو استعدادهم للقتال، واقترحت عليه ضمهم الى وحدتنا وتجربتهم

فى المعركة مع الجيش اليابانى.

وبموافقة القائد يو على اقتراحى، تم حل مسألة حياة ومصير اولئك الشباب وفق خطتنا.

هكذا، فتحت امامنا آفاق عريضة لتحقيق الجبهة المشتركة المناهضة لليابان.

وحين اصبحنا على عتبة اضفاء الشرعية على جيش حرب العصابات، سبب لنا المستشار الكورى الذى يحرك القائد يو من خلف الكواليس المتاعب. لقد كان قوميا قديما ينتمى الى جماعة كيم زوا زين(٢٥). وقد تفرغ بعد ذلك للعمل فى الزراعة فى نانهوتو الى ان وقعت حادثة ١٨ ايلول، حيث التحق بجيش الانقاذ الوطنى. ولانه كان متعلما وذكيا فقد حظى بثقة القائد يو.

وكان هو المدبر الرئيسى الذى يحرض القائد يو على قتل الشيوعيين. وقد اثار ضجة فى ذلك اليوم أيضا قائلا ان قبول ٧٠ – ٨٠ شخصا فى وحدتنا دون التحرى عنهم هو تصرف طائش. ونبه الى انه قد يكون بينهم موالون لليابان. وكان من الممكن ان تواجه نشاطاتنا من جديد عقبات خطيرة ما لم نوقفه عند حده.

ذات يوم، سألت القائد يو بصورة عابرة:

"سمعت ان هناك كوريا يخدم فى وحدتك. لماذا تخفونه عنى؟"

ابدى القائد يو شيئا من الدهشة لانى لم اره بعد، وبعث احد مرؤوسيه لاحضاره.

حين التقيت به وجها لوجه، رأيت انه رجل طويل القامة ومربوع الجسم.

وكنت البادئ بالحديث معه:

"تسعدنى معرفتك ايها السيد. انك تكبرنا سنا ولديك خبرة اكبر فى الحياة، وكلى امل بان تقدم لنا آراءك الصائبة، لاننا شباب لا نعرف الا القليل".

قدم نفسه الى بدوره. وقال انه تلقى بسعادة كبيرة، ككورى، نبأ مجىء شاب كورى يتقن الصينية وانضمامه الى مقر القيادة ليعاون القائد يو كرئيس لفرقة الدعاية.

ولانه تجرأ على الاشارة الى نفسه ككورى وتحدث عن الامة ، فقد اغتنمت الفرصة لاوجه اليه هجمتى:

"لماذا اذن تواصل قتل الراغبين فى القتال ضد اليابانيين بدلا من ان تجمع شملهم؟ أمن العدل قتل الناس لمجرد اختلاف فكرهم؟ ليس ثمة ظلم اشد من الظلم المفروض على الكوريين الذين يعانون آلام حرمانهم من العيش على ارض وطنهم، ويتعرضون للاعتقال والقتل على يد جيش الانقاذ الوطنى هنا فى ارض منشوريا التى التجأوا اليها. لا بد من

توحيدهم بغض النظر عن ايديولوجيتهم، وعن انتمائهم الى الشيوعية او القومية، وتوجيههم للنضال ضد الامبرياليين اليابانيين. ما الفائدة من نبذهم وقتلهم باستمرار؟"

اقر الرجل باننى على حق، وتأملنى باهتمام نفاذ. وهكذا، تهدم الحاجز الثانى.

ابتسم القائد يو عندما انتهت محادثتنا فى جو ودى.

عندئذ اقترحت عليه ان يكلف شخصا مثل هو جى مين بمنصب آمر فرقة الدعاية كمهمة اضافية اذا كان قد وثق بى وان يكلفنى بمنصب قائد وحدة مكونة من الكوريين.

وقد ايد السيد ليو بين تشاو ايضا اقتراحى واعتبره صائبا.

سألنى القائد يو عن كيفية تأمين السلاح اذا تشكلت وحدة للكوريين على حدة.

فأجبته: "لا تقلقوا بشأن هذه المسألة. لن نمد يدنا لنطلب الصدقات منكم. سوف ننتزع البنادق من العدو ونسلح بها الوحدة".

فبدا عليه الارتياح لهذه الاجابة وقال:

"طيب. نظم الوحدة. ولكن، ما الذى سأفعله انا اذا ما وجهتم الينا فيما بعد البنادق التى سنعطيكم اياها؟"

"يمكنكم الاطمئنان تماما بهذا الشأن. فمثل هذا الغدر لن يحدث على الاطلاق. ولو افترضنا انه حدث، ألن يكون بامكان وحدة قوية مثل وحدتكم ان تسحق مستجدين مثلنا؟"

لوح القائد يو بيده وهو يطلق قهقهة مدوية ويقول اننى اخذت مزاحه مأخذ الجد.

ولانه كان يمكن للقائد يو ان يغضب اذا ما حاولنا الانفصال منذ البداية عن جيش الانقاذ الوطنى، فقد التمست منه باعتباره القائد الاعلى لتلك الوحدة، ان يطلق عليها اسما بنفسه.

عندئذ تدخل السيد ليو بين تشاو الذى كان يقف بجانبه وقال: "من المناسب تسميتها بالمفرزة الخاصة. ولتكن المفرزة الخاصة بالكوريين."

وقد تقبل القائد يو هذا الاقتراح، وتقبلته انا ايضا.

لقد تم ارساء الاسس لاضفاء الشرعية على جيش حرب العصابات السرى بكل نجاح بولادة المفرزة الخاصة. وبضمنا الى هذه المفرزة رجال جيش حرب العصابات السرى فى آنتو واولئك السبعين او الثمانين معتقلا فى وحدة القائد يو، حققنا شرعية وحدتنا. فأمسكت انا وتشين هان جيانغ وهو جى مين بأيدى بعضنا البعض وخرجنا معا من مكتب القائد. ورحنا نطوف طول الليل حول سور المدينة ونحن نردد "انه انتصارنا!"، "نجاحنا العظيم."!

قدم لى هو جى مين سيجارة وطلب منى ان اجرب ابتلاع الدخان قائلا ان يوما حافلا كهذا يستحق ان نسكر قليلا بشيء من الخمر، ولانه غير موجود، فلا بأس من ان نفعل ذلك بدخان سيجارة.

ولاول مرة فى حياتى اخذت نفسا من السيجارة، لكننى شعرت بانى اختنق، ورحت اسعل لوقت طويل. وقد ضحكنا نحن الثلاثة مقهقهين.

قال هو جى مين مازحا:

"كيف يمكن لشخص لا يستطيع ابتلاع دخان سيجارة ان يكون قائدا لجيش حرب عصابات كامل؟"

فور عودتى الى سياوشاهى، نقلت خبر نجاح المفاوضات الى الرفاق القابعين فى غرفة منعزلة، فحملونى على اكتافهم وهم يطلقون صيحات الفرح والظفر، وخرجوا الى الفناء صارخين "مرحى، مرحى" باصوات مدوية هزت القرية كلها.

بل ان كيم ايل ريونغ المشهور بصوته الرنان، غنى اغنية "آريرانغ". وقد كان مستغربا ان يغنى، وهو الرجل الخشن، اغنية كئيبة مثل "آريرانغ" فى ذلك اليوم الاحتفالى الذى يتطلب اغنية مرحة وايقاعية تنفع للرقص او مارشا حماسيا متدفقا.

فشده كيم تشول (كيم تشول هى) من ذراعه وسأله:

"ماذا اصابك يا اخى؟ لماذا تغنى هذه الاغنية فى مثل هذا اليوم السعيد؟"

"لا ادرى، لقد انسابت من فمى رغما عنى. ولكننا على كل حال، تجاوزنا صخورا وعرة لا حصر لها مثل ممر آريرانغ الجبلى. أليس كذلك؟"

توقف كيم ايل ريونغ عن الغناء ونظر الى كيم تشول والدموع تترقرق فى عينيه.

حين سمعت ما قاله لم استطع الا الاستغراق فى تأمل عميق. فكم من المصاعب كان علينا ان نجتازها، كما قال، من اجل الوصول الى هذا اليوم؟ ويمكننى ان أؤكد ان حياة كيم ايل ريونغ كانت تراكما لتلك المحن. فقد اختبر الحركة القومية كعضو فى جيش الاستقلال، ثم اختبر بعد ذلك الحركة الشيوعية. كما انه عاش حياة بوهيمية فى كوريا ومنشوريا وبريموريه، مطلقا الزفرات ومنتحبا بدموع غزيرة.

كانت اغنية "آريرانغ" خلاصة لحياته تلك المفعمة بالمعاناة. وفى ذلك الحد التاريخى الفاصل، حيث عليه ان يستعيض عن الآهة بالابتسامة وينتقل من التقاعس الى الهجوم، اراد ان يودع بتلك الاغنية الحزينة ماضيه الحافل بالآلام ويغنى من اعماقه، تحت السماء

الزرقاء، السعادة التى تمنحه اياها هذه الانطلاقة الجديدة.

لو لم نلتق يومئذ بالسيد ليو بين تشاو فى منتصف الطريق، فما الذى كان سيحل بمصيرنا ومصير جيش حرب العصابات؟ كلما اتذكر الآن ذلك السيد الراحل، اتوجه اليه بينى وبين نفسى بالشكر والامتنان.

كان السيد ليو بين تشاو اكثر الجميع سعادة بنجاح مفاوضتنا مع القائد يو. وعندما غادرنا المدينة المسورة رافقنا حتى مسافة بعيدة عن ثكنته، وقد شد على ايدينا وقال بصوت منفعل: لم نعد اعداء، وانما اشقاء وجيشين صديقين، هكذا سنلحق الهزيمة معا بالغزاة الامبرياليين اليابانيين.

حين بلغنى خبر وفاته بكيت بحرقة وانا استعيد ذكرى ايام المفاوضات التى لا تنسى فى مدينة آنتو المسورة وذكريات الحياة فى مدرسة يووين الثانوية.

بفضل نجاحنا فى الحوار مع القائد يو، تمكنا من اضفاء الشرعية على وجود جيش حرب العصابات ونشاطاته وصرنا نملك الجيش الذى يمكننا ان نتحالف معه فى حرب المقاومة ضد الامبريالية اليابانية. كما توصلنا الى القناعة باننا اذا رفعنا الراية العظيمة لمحبة البلاد والامة سنتمكن من تشكيل جبهة مشتركة وخوض النضال المشترك حتى مع القوميين من بلد آخر، على الرغم من الاختلاف فى الفكر والمثل العليا.

وقد كان لهذه القناعة تأثير كبير على حياتى السياسية طوال اكثر من نصف قرن. فكلما صادفت مسألة اجتذاب القوميين ذوى المفاهيم المختلفة او شرائح متنوعة من الشخصيات المنحدرة من الطبقات المالكة ذات السوابق الحياتية المعقدة، وارى بين كوادرنا من يترددون ويتصرفون وفق احكام مسبقة بهذا الشأن، اسارع الى توجيههم بضرورة امتلاك سعة فى الافق والصدر، مستندا بذلك الى نتائج المفاوضات مع القائد يو.

بعد ان رجعت الى سياوشاهى، ابلغت لى كوانغ الذى كان مشغولا بالعمل مع جيش الانقاذ الوطنى الصينى فى منطقة وانغتشينغ بمضمون الاتصالات مع القائد يو وسبب تشكيل المفرزة الخاصة بالكوريين، وكلفته بمهمة الاسراع فى تشكيل مفرزة خاصة فى وانغتشينغ اسوة بتجربة آنتو.

كان لى كوانغ يعمل حتى ذلك الحين فى ظروف السرية. فارسلت اليه سرية لاتاحة الفرصة امامه لتشكيل مفرزة خاصة هناك والانتقال من النشاطات السرية الى الشرعية.

والمقصود بالمفرزة الخاصة هو وحدة خاصة مؤلفة من الكوريين. وقد كانت مفرزتى

ومفرزة لى كوانغ هما الوحيدتان اللتان عملتا بصورة شرعية من خلال العلاقة بجيش الانقاذ الوطنى.

يمكننا القول ان تسمية وحدتنا بالمفرزة الخاصة فى ذلك الوقت كانت اجراء تكتيكيا لضمان النشاط الشرعى لجيش حرب العصابات وتوثيق الروابط وتشكيل الجبهة المشتركة المناهضة لليابان مع جيش الانقاذ الوطنى.

بعد تشكيلنا المفرزة الخاصة، دفعنا بمزيد من العنفوان عجلة العمل التمهيدى لتأسيس جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان باسرع ما يمكن عن طريق توسيع صفوف المفرزة الخاصة واعادة تكوينها.

وقد رافق بناء صفوف المفرزة مناظرات كثيرة.

فبعض الرفاق كانوا يبدون قلقا شديدا لقلة المنحدرين من الطبقة العاملة فى صفوف جيش حرب العصابات. بناء على تحليلنا المعلومات المتعلقة باكثر من ١٠٠ راغب فى الالتحاق بالجيش، وجدنا ان معظمهم من منشأ طلابى او فلاحى. فذهل بعض الرفاق امام هذه الحقيقة وتساءلوا: ألا تشكل قلة العمال خرقا للمبادئ الماركسية اللينينية فى تنظيم الجيش الثورى؟ واضافوا: ألن يكون ذلك عاملا فى تفسخ هذا الجيش فى المستقبل؟

عندئذ اوضحت لهم بصبر ومثابرة بان الاصرار على ان تكون الطبقة العاملة هى الفئة الرئيسية فى تركيبة الجيش الثورى هى المبدأ العام للعلم العسكرى الماركسى – اللينينى، ولكن ذلك لا يعنى ضرورة تطبيقه بصورة آلية. ففى بلادنا، يشكل الفلاحون اغلبية السكان المطلقة، بينما العمال ادنى بكثير عدديا بالمقارنة مع الفلاحين. ولكن هذا لا يعنى تأجيل تأسيس جيش حرب العصابات بانتظار ازدياد عدد العمال. ثم ان ذوى المنشأ الفلاحى او الطلابى فى بلادنا يملكون وعيا ثوريا عاليا وروحا وطنية لا تقل عما لدى الطبقة العاملة. وحتى لو كان منشأهم الطبقى مختلفا، فان استرشادهم بفكر الطبقة العاملة فى النضال سيكون كافيا. وكثرة عدد الفلاحين او المثقفين لا يعنى تفسخ الجيش الثورى.

حتى فى اقامة نظام القيادة لم نعتبر الصيغ الجاهزة شيئا مطلقا، بل شكلنا الصفوف وفق تنظيم للمراتب يكون فيه عدد المقاتلين الذين ينفذون الاوامر اكبر بكثير من عدد من يصدرونها، بما يتفق وخصائص حرب العصابات ومقتضياتها. وهذا يعنى اننا بسطنا نظام القيادة الى اقصى حد. فلم نقم قسما منفصلا للتموين فى الوحدة، ولم نعين آمرا له. بل اعددنا الجميع للعمل كطهاة وغسالين ومقاتلين، بل وكعاملين سياسيين عند الضرورة.

ولو كان لدينا فى ذلك الوقت كتاب مثل "عن الحرب" لكلاوزفيتس(٢٦)، لكنا استفدنا منه فائدة كبيرة. كان مستوانا آنذاك لا يتعدى معرفة ان نابوليون هو الذى ابتدع نظام ٣ – ٣ فى التشكيلات العسكرية. اما بالنسبة لكلاوزفيتس، فلم نكن نعرف سوى اسمه.

اثناء الحرب العالمية الثانية، استطعت الحصول للمرة الاولى على كتاب "عن الحرب"، وقد نال ذلك الكتاب تعاطفى بسهولة لانه يلح على ضرورة زيادة عدد الجنود المقاتلين من خلال تبسيط نظام القيادة.

تم تنظيم جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان باتخاذ السرية وحدة قتالية اساسية له. وقد جرى اختيارى قائدا عاما له، ومارست فى الوقت نفسه مهام المفوض السياسى.

صنعنا زى الجيش العسكرى من قماش اخضر كنا نصبغه بعصارة تستخرج من شجر البلوط. وكانت تعلق على الجانب الايسر من الصدر قطعة قماش حمراء خماسية الاضلاع يكتب عليها رقم السرية. وقررنا ان تحمل القبعة نجمة حمراء كشارة مميزة، وكنا نلف الساقين بطماق ابيض. والحقيقة اننا كنا راضين تماما عن استكمال الزى العسكرى كعمل اخير فى سياق تأسيس جيش حرب العصابات.

حسب نظام البزة الذى اكتمل بعد مناقشات عديدة، تمت تعبئة عضوات اتحاد النساء لتفصيلها وخياطتها.

وحتى امى المريضة عملت بكل اخلاص فى هذه المهمة، فكانت تقص القماش وتعمل بنفسها على ماكنة الخياطة.

فى اواخر نيسان عام ١٩٣٢، عقدنا فى آنتو الاجتماع التمهيدى الاخير لتنظيم جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان. ناقشنا فى هذا الاجتماع موعد ومكان حفل تأسيس الجيش، واجريت الاختبارات النهائية لاختيار الراغبين فى الانضمام الى الجيش وحددنا مناطق نشاطاته المباشرة، كما اتخذنا الاجراءات العامة المتعلقة بتلك النشاطات.

بعد هذا الاجتماع، اجتمع الراغبون فى الالتحاق بالجيش فى ليوجيافينفانغ (فاتشايتون)، عند مصب سانداوبايهى ثم انتقلوا الى سياوشاهى. من بين اكثر من مئة راغب فى الالتحاق بالجيش، لا أكاد اتذكر الآن سوى تشا كوانغ سو، وباك هون، اضافة الى كيم ايل ريونغ، زو دوك هوا، كومبو (اسم مستعار)، زو ميونغ هوا، لى ميونغ سو القادمين من سياوشاهى، وكيم تشول (كيم تشول هى)، كيم بونغ كو، لى يونغ باى، كواك (لست اذكر

بقية الاسم) المندوبين عن سينغلونغتشون، ولى بونغ كو، بانغ اين هيون ممثلى سانرينفانغ، وكيم زونغ هوان، لى هاك يونغ، وكيم دونغ زين (من داخل الوطن)، وباك ميونغ سون، آن تاى بوم (آنزى) وهان تشانغ هون (منشوريا الجنوبية.(

فى صباح ٢٥ من نيسان عام ١٩٣٢، اقمنا حفل تأسيس جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان على قطعة ارض مرتفعة فى وادى توتشيديان.

اصطف الجنود فى ذلك المكان المحاط بغابة من اشجار اللاركس وهم يرتدون الزى العسكرى الجديد ويتنكبون البنادق، بينما احتشد جانبا الاهالى الذين قدموا من مناطق سياوشاهى وسينغلونغتشون تغمرهم الحماسة والهياج.

القيت نظرة ملؤها الحب الى المقاتلين المتهيجين والممتلئين حيوية وشجاعة، ولكن احداثا من الماضى سيطرت على ذهنى فجأة. فتساءلت كم من الدروب كان على رفاقنا ان يقطعوها لتشكيل هذه القوات المسلحة، وكم من الاجتماعات عقدوا ومن الخطب القوا، وكم من الجبال العصية اجتازوا، وكم من التضحيات المؤلمة تحملوا. لقد كان جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان وليدا لثورتنا لا يقدر بثمن، تطلب خروجه الى النور مسيرات شاقة ودموعا غزيرة ومعارك دامية وتضحيات رفاق لا حصر لعددهم.

مدفوعا بالرغبة فى ان ارى فى وادى توتشيديان جميع الرفاق الشهداء والراحلين الذين لم يروا هذا اليوم، بدأت اتكلم بانفعال.

وما ان اعلنت تأسيس جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان، حتى اطلق رجال الجيش صرخات الانتصار وقابلنى الاهالى بالتصفيق الحار.

فى اليوم الاول من ايار، العيد الكفاحى للطبقة العاملة فى العالم كله، دخل جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان الى حاضرة محافظة آنتو رافعا العلم الاحمر، واقام عرضا عسكريا بخطوات ثابتة على ايقاع الابواق والطبول.

وكان كيم ايل ريونغ الذى عين آمرا لجيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان هو اول من بدأ الغناء فى ذلك العرض.

وقد هرع يومئذ ضباط وجنود القوات المناهضة لليابان، فضلا عن سكان المدينة، الى الشوارع وكانوا يهزون ايديهم رافعين اصبعهم الابهام الى اعلى ترحيبا بنا او يصفقون مهنئين.

عندما عادت الصفوف الى وادى توتشيديان بعد انتهاء عرضها، ركض تشا كوانغ سو

وكيم ايل ريونغ نحو بيتنا ليأتيا بوالدتى التى كانت تلزم فراش المرض.

كان وجهها ذاويا من المرض، وجبينها مغضن، وكان الشيب قد بدأ يغزو شعرها، ولكن عينيها كانتا تبتسمان بهدوء. تقدمت امى من لى يونغ باى وداعبت طويلا بندقيته وجعبة ذخيرته وشارة النجمة الحمراء. ثم انتقلت الى كيم تشول، وزو دوك هوا، وكيم ايل ريونغ، وبانغ اين هيون وتشا كوانغ سو على التوالى وهى تداعب بنادقهم وتربت على اكتافهم.

وشيئا فشيئا، اغرورقت عيناها بالدموع، ثم قالت اخيرا:

"وافرحتاه! الآن اشعر بالطمأنينة لانه صار لنا جيشنا. أريدكم ان تلحقوا الهزيمة بالاوغاد اليابانيين وتسترجعوا البلاد".

كان صوتها متهدجا، ولا شك فى انها فكرت عندئذ بزوجها وبالوطنيين الآخرين الذين رحلوا عن هذه الدنيا وهم يتمنون استعادة الوطن، ولكنها لم تفكر بجهودها الكبيرة التى بذلتها من اجلها.

بعد ذلك، توالى ظهور وحدات جيش حرب العصابات واحدة بعد اخرى فى آنزى، ووانغتشينغ، وهونتشون، وهيلونغ وغيرها من مناطق منشوريا الشرقية. كما قام شيوعيون كوريون صامدون، منهم كيم تشايك، وتشاى يونغ كون، ولى هونغ كوانغ، ولى دونغ كوانغ بتنظيم وحدات اخرى على التوالى فى منشوريا الشمالية والجنوبية، ووجهوا فوهات المدافع الى العدو.

كان ربيع ١٩٣٢ يتقدم وسط ازيز رصاص الحرب الكبرى المناهضة لليابان .

الفصل السادس

سنة المحن

نحو منشوريا الجنوبية

الصورة الاخيرة

السراء والضراء

أ يكون التعاون مستحيلا ؟

فى ظل المثل العليا للوحدة

مع جيش الانقاذ الوطنى

سياوشاهى فى الخريف

على هضبة لوزوكو٣٩٣

الفترة: ايار ١٩٣٢ – شباط ١٩٣٣

١ـنحو منشوريا الجنوبية

بعد توفير الظروف لبدء نشاطات جيش حرب العصابات المناهض لليابان واعلان تأسيسه، جرى بين رفاقنا جدال جدى حول كيفية البدء بالخطوة الاولى فى نشاطهم.

حين رجعنا الى سياوشاهى بعد العرض العسكرى فى المدينة المسورة، وزعنا الجنود الى جماعات من ٣ ـ ٤ اشخاص ليناموا فى غرف غير مشغولة فى بيوت الفلاحين، ومنحناهم بضعة ايام للراحة بينما كنا نناقش مسألة تحديد توجه نشاط جيش حرب العصابات. وقد جرت المناقشات فى جو حماسى مثل ذاك الذى ساد اجتماعى كارون ومينغويكو، وعرضت آراء من كل لون.

كانت المفاهيم عن حرب العصابات تختلف تمام الاختلاف من واحد لآخر، وكذلك الآراء والتفسير حول تكتيكاتها. فلم يكن بالامكان التوصل الى الاجماع فى اصوات جماعتنا المكونة من اكثر من ١٠٠ شاب يختلفون عن بعضهم البعض فى مستواهم التعليمى ومسيرة حياتهم وانتمائهم التنظيمى.

ويمكن تصنيف اقتراحاتهم، بخطوطها العريضة، فى ثلاث فئات:

الاولى منها هى نظرية الجماعات الصغيرة التى تتلخص فى تنظيم الكثير من الجماعات المسلحة ذات البنية البسيطة من اجل سرعة المناورة والحركة، وذلك

لالحاق الهزيمة بالعدو من خلال معارك استنزاف متواصلة، دون التقيد بنماذج مسبقة فى تشكيل الوحدات من سرايا وكتائب وافواج وفرق. وكان انصار هذه النظرية يرون ضرورة تقسيم جيش حرب العصابات الى جماعات صغيرة متعددة والعمل فى كل الاماكن وفق خطة عمليات موحدة تضعها هيئة الاركان لتصفية الامبرياليين اليابانيين.

وقد اكد هؤلاء على ان خوض حرب العصابات باتخاذ هذه الجماعات الصغيرة كوحدة اساسية يمكن لها ان تكون شكلا جديدا لنضال التحرر الوطنى فى المستعمرات.

وكان من انصار هذه النظرية عدد كبير من الشباب الذين جاؤوا من تونهوا وآنزى، المتأثرين اكثر من سواهم فى المناطق الاخرى بخط لى ليسان اليسارى المغامر. وكانت

هذه الرواسب السامة ماتزال موجودة فى اسلوب تفكيرهم.

انتقد تشا كوانغ سو هذه النظرية بصرامة باعتبارها بلانكية حديثة. وكنت متفقا معه فى تقويمه ذاك.

كان جوهر النظرية يتلخص فى تفادى المجابهة المسلحة الشاملة بالوحدات الكبيرة لان قوات الامبريالية اليابانية العسكرية قوية وجبارة، والاستعاضة عن ذلك بجماعات صغيرة تلقى القنابل على زعماء العدو مثلما فعل را سوك زو وكانغ وو كيو، واحراق اجهزة السيطرة المعادية ومعاقبة العناصر الموالية لليابان وخونة الامة.

اى انها كانت نوعا من الارهاب يتنكر فى زى حرب العصابات.

وكان تبنيها يعنى فى الواقع التخلى عن معارك الوحدات الكبيرة، والتراجع بالتالى فى النضال. فلم نستطع تقبلها.

فى الفترة التى سبقت وتلت تأسيس جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان، شهدت اليابان والصين حادثتين مثيرتين قام بهما وطنيون كوريون. كانت الاولى منهما القاء الشهيد لى بونغ تشانغ قنبلة على عربة يجرها حصانان وكان يستقلها امبراطور اليابان امام بوابة ساكورادا فى القصر الامبراطورى فى طوكيو، والاخرى هى حادثة القنبلة التى رماها الشهيد يون بونغ كيل فى حديقة هونغكو بشنغهاى فى ٢٩ نيسان من ذلك العام. رغم ان لى بونغ تشانغ قد اخفق فى قتل امبراطور اليابان لانه لم يصب الهدف، الا ان يون بونغ كيل نجح فى قتل الجنرال سيراكاوا قائد الجيش اليابانى فى شنغهاى وموراى القنصل العام اليابانى فى شنغهاى وكاواهاسى رئيس جمعية الجالية اليابانية فى المدينة نفسها، واصاب بجراح بليغة كلا من الوزير المفوض اليابانى فى الصين وقائد الفرقة التاسعة واميرالا وعددا آخر من كبار الساسة والعسكريين الذين احتشدوا فى حديقة هونغكو احتفالا بميلاد الامبراطور اليابانى، الامر الذى اثار اصداء مدوية فى داخل بلادنا وخارجها.

وفى التاسع من كانون الثانى عام ١٩٣٢، اى فى اليوم التالى لاعتقال لى بونغ تشانغ بتهمة قذف القنبلة على موكب الامبراطور، نشرت صحيفة "كومينريباو" الناطقة بلسان الكومنتانغ الصينى الخبر تحت عنوان بارز يقول: "الكورى لى بونغ تشانغ يلقى قنبلة نحو الامبراطور اليابانى. الامبراطور ينجو من الكارثة". وتحدثت صحف اخرى باسهاب عن مأثرة لى بونغ تشانغ باعتبارها خبرا خاصا. استاء الجيش والشرطة اليابانيون فى المكان جدا من نشر تلك الاخبار، فداهموا دار صحيفة "كومينريباو" ودمروها، كما اغلقوا كل

الصحف التى نشرت اخبار "الكارثة."

كما قوبلت عملية يون بونغ كيل ايضا، بالثناء من قبل الشعبين الكورى والصينى. فبعد حادثة حديقة هونغكو، توافد عدد من الشخصيات الاجتماعية الصينية المشهورة لطلب مقابلة كيم غو، منظم ومحرك العملية من وراء الكواليس. وحتى زعماء حكومة الكومنتانغ الصينية الرجعية الذين اتخذوا موقفا استسلاميا فى مواجهة الغزو اليابانى، تأثروا بروح المقاومة الصلبة للامة الكورية وبطولتها، بحيث وعدوا بالتعاون الاقتصادى مع الكوريين المقيمين فى الصين.

كان لى بونغ تشانغ ويون بونغ كيل كلاهما مرؤوسين لكيم غو وعضوين فى رابطة الوطنيين الكوريين التى يترأسها كيم غو نفسه. وكان اسلوبها الاساسى فى النضال المناهض لليابان هو الارهاب.

وعقب المأثرتين اللتين قام بهما لى بونغ تشانغ ويون بونغ كيل، جرى فى ديرن اعتقال اعضاء من رابطة الوطنيين بعد اخفاقهم فى مهمة اغتيال قائد جيش كوانتونغ اليابانى بتكليف من كيم غو. وكان مخططهم، فى الاصل، يتضمن كذلك اغتيال مدير شركة السكك الحديدية فى منشوريا، ورئيس قسم الشؤون الخارجية المعين حديثا، مغتنمين فرصة مجيء كبار الساسة والعسكريين اليابانيين الى المحطة لاستقبال فريق ليتون لتقصى الحقائق التابع لعصبة الامم من فينغتين الى ديرن. وكان كيم غو قد ارسل رجاله لاغتيال الحاكم العام فى كوريا ايضا.

وبانسجام مع الجو العام فى ذلك الحين، حيث كان آن زونغ كون الذى قتل ايتوهيروبومى بالرصاص يحظى بالمديح والاشادة كبطل قومى، وكانت جاليات المواطنين الكوريين المقيمين فى اميركا وبريموريه ومنشوريا، ناهيك عن كوريا كلها تغلى بحماسة لاخبار عمليتى لى بونغ تشانغ ويون بونغ كيل، كان الارهاب يخلب الباب الكثير من الشباب الكوريين الذين يتلظون حقدا على العدو. ولهذا، لم يكن مستغربا ان تطرح نظرية الجماعة المسلحة للنقاش فى الاجتماع المخصص لتحديد توجه نشاطات جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان. وكان دعاة هذه النظرية يؤكدون انه اذا ما توالت الاعمال البطولية مثل تلك التى اقدم عليها يون بونغ كيل فى كل انحاء كوريا واليابان والصين فسوف تهتز قلعة الحكم الامبريالي اليابانى من اساسها.

اما التوجه الثانى فكان يصر على الانتقال الفورى الى الهجوم المسلح الشامل. فبينما كان

اناس من امثال كيم ايل ريونغ يهتمون بنظرية الجماعة المسلحة، كان باك هون وكيم تشول (كيم تشول هى) وغيرهما يعقدون الآمال على المجابهة المسلحة الفورية. لقد كان مفهوما الى حد ما ان يصر باك هون الذى شهد فى المدن الكبرى عمليات صاخبة يشارك فيها عشرات الآلاف من جنود الجيش النظامى والجماهير المنتفضة، وان يؤكد على ضرورة الاسراع فى شن الهجوم المسلح الشامل، مزدريا نشاطات الجماعات المسلحة. ولكن، الغريب فى الامر ان يصر كيم تشول الذى كان يعيش فى بيت حمويه، فى خطبة حماسية، وبما لا ينسجم مع دماثة خلقه، على وجوب توسيع ابعاد النضال منذ البداية.

وقد كان لدى الداعين الى الهجوم المسلح الشامل حججهم ايضا: لقد حققت اليابان هدفها باحتلال منشوريا بكل سهولة انطلاقا من حادثة ١٨ ايلول، وغزت شنغهاى ومناطق هامة اخرى من اراضى الصين الاساسية. وقد ولدت فى المقاطعات الشرقية الثلاث دولة جديدة عميلة ترفع علم "دولة منشوكو". فماذا سيكون الهدف التالى لليابان؟ انه اراضى الصين الرئيسية والاتحاد السوفييتى بالتأكيد. وبالرغم من ان الجيش اليابانى عمد الى تخفيف سرعة هجومه، مراقبا تطورات الوضع، الا انه سينقض دون ريب على الصين والاتحاد السوفييتى متذرعا بأى حجة. ولهذا فان البدء بعملية المواجهة العسكرية الجبهية بالوحدات المشكلة سيكون صفعة توجه الى قذال الامبريالية اليابانية التى تنزلق الى مستنقع الحرب. ان الانتقال الى الهجوم الديناميكى هو مطلب يفرضه التاريخ على جيشنا، جيش حرب العصابات.

ضرب كيم ايل ريونغ عرض الحائط باصرارهم الراديكالى هذا مستشهدا بالمثل القديم: "على قد لحافك مد رجليك". لقد كان اقتراحهم فى الواقع طائشا وذاتيا، لا يأخذ بعين الاعتبار درجة استعداد جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان .

صحيح ان خط النضال المسلح الذى طرحناه فى اجتماع كارون كان يتوقع المجابهة المسلحة الشاملة مع الامبريالية اليابانية. ولم يكن ثمة شك فى ان الشكل الاساسى للنضال المسلح المناهض لليابان يجب ان يكون مجابهة مسلحة منتظمة وشاملة. الا ان سلوك هذه الطريق منذ البداية ودون اعداد مسبق، لن يعنى بالنسبة لجيش حرب العصابات الذى ولد لتوه الا الانتحار.

اما الرأى الثالث فكان يدعو الى الحذر والحرص متعللا بانه لا بد لنا من معرفة عدونا ومعرفة انفسنا على السواء لكى نخرج منتصرين دائما، اما اذا خالفنا ذلك فلن نستطيع

تفادى الهزيمة.

وكانت حجج الداعين الى نظرية الحذر كالتالى: ان عدونا قوى بينما لا نزال نحن من حيث العدد والنوعية مجرد جنين خرج لتوه الى النور. طبعا، لا شك فى اننا سنكتسب المقدرة والصلابة فيما بعد، ولكن، لا بد لنا الآن من تنمية قوتنا عدديا ونوعيا بصبر ومثابرة ومن خلال العمل فى الخفاء. وطالما ان طبيعة نضالنا تتصف بطول المدى، فلا بد لنا من مراكمة القوى دون توقف لنلحق الهزيمة بالعدو بضربة واحدة حين يضعف.

كانت هذه النظرة موضع استنكار بسبب فتورها وابهامها. ولم يكن بالامكان معها تخمين الوقت اللازم.

هذا النوع من الجدال لم يكن يحدث لاول مرة فى سياوشاهى. فقد اجرينا مناقشات مماثلة من قبل، سواء فى غويوشو حين نظمنا الجيش الثورى او فى كارون عند اقرار خط النضال المسلح او فى اجتماع مينغويكو الذى اتخذنا فيه قرار خوض حرب العصابات المنتظمة. لذا، لم يكن فى وسع اولئك الذين لم يشاطرونا الحياة التنظيمية منذ وقت بعيد، ان يدركوا غاياتنا بعمق.

ويمكن القول ان الاختلافات حول اهمية مسألة توجه نشاطاتنا كانت مثالا حيا يثبت عدم نضوج جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان الفتى. كانت وحدتنا مؤلفة من شبان يختلفون فى مهنهم ومستوى معارفهم ومناطق نشوئهم وانتماءاتهم التنظيمية السابقة. فكان بينهم شباب واظبوا بانتظام على قراءة مطبوعات مثل "دونغآ ايلبو" و"زوسون ايلبو" والكتب المقررة فى المدرسة الثانوية، وهم يتطلعون دائما الى تطوير تلك المعارف. بينما انتمى آخرون الى جيش حرب العصابات تراودهم احلام وردية بتحويل المجتمع متأثرين بقراءة روايات "المتشرد الصغير" لتشانغ كوانغ تشى و"هروب" لتشاى سو هاى، بينما كان هناك آخرون لم يتلقوا اى تعليم مدرسى، ولكنهم امضوا عدة سنوات من الممارسة السياسية فى منظمات ثورية، مثل الحرس الاحمر وطليعة الاحداث، الى ان التحقوا بالصفوف المسلحة وحملوا البندقية التى حصلوا عليها بانفسهم. ولهذا، كان من الطبيعى ان تظهر اختلافات فى المستوى الفكرى على صعيد ادراك المفاهيم والظواهر.

فى ظل هذا الوضع، وجدنا انفسنا مضطرين الى توجيه اهتمام خاص للعمل التنظيمى والسياسى من اجل ضمان وحدة الفكر وجماعية العمل ووحدة العادات الحياتية داخل صفوفنا. وكخطوة اولى، شعرنا بضرورة اتخاذ اجراءات تكفل جعل الجميع يدركون

المبادئ التكتيكية والخطوط الاساسية الهامة لجيش حرب العصابات، وحذرنا من ان عدم القيام بذلك قد يعرض جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان حديث العهد الى خطر الانهيار منذ البداية.

تجولت فى القرية مع تشا كوانغ سو، لاوضح الامر للرفاق الذين لم يدركوا غرضنا التكتيكى:

"ان نظرية الجماعات المسلحة تنطوى على فكرة السير على خطى آن زونغ كون. وهى نظرية واهمة لانها تطرح الحاق الهزيمة بالامبريالية اليابانية عن طريق الارهاب. فعلى الرغم من مقتل ايتو هيروبومى، الا ان السيطرة اليابانية مازالت قائمة. بل انها خلقت (دولة منشوكو) وهى تمد مخالبها الآن الى عمق اراضى الصين الرئيسية. يمكن بالطبع لجيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان ان يعمد الى العمل منقسما الى جماعات عديدة، اذا لزم الامر، ولكن لا يمكن لهذه الجماعات ان تكون الوحدة القتالية الاساسية".

"اما الطرح القائل بالانتقال الفورى الى الهجوم المسلح الشامل فهو غير واقعى ايضا. فمن العبث طرح القتال وجها لوجه بين وحدة حرب العصابات التى لا يزيد عددها الا قليلا عن مئة جندى، وبين الجيش اليابانى الذى يضم ملايين الجنود. فمن السذاجة محاولة الحاق الهزيمة بمئات الآلاف من الاعداء بهجوم يشنه مئة مقاتل. ارجوكم الا تستخفوا بالعدو ايها الرفاق".

"ما الذى علينا ان نفعله اذن؟ لنعمل حاليا فى وحدة بمستوى سرية. فالجماعات الصغيرة لن تحقق النجاح المنشود. فاذا توسعت الوحدة فيما بعد، سيكون بامكاننا العمل فى وحدة اكبر من السرية، اما الامر العقلانى الآن فهو العمل بمستوى السرية. انتم تعرفون جيدا ان وضعنا الحالى لا يسمح لنا بتشكيل وحدات كبيرة منذ البداية. والحرب ضد اليابان لن تكون قصيرة الامد تنتهى ببضع معارك. ولهذا لا بد لنا من ان نخطو الخطوة الاولى بوحدة صغيرة ثم ننمى ونوسع قواتنا المسلحة دون توقف فى مسار الحرب، بانتظار الفرصة المناسبة لاحراز الانتصار النهائى من خلال المعركة الحاسمة التى ترافقها الانتفاضة الشعبية المسلحة الشاملة. علينا القيام بتحركات سريعة وبأسلحة خفيفة لمباغتة حشود العدو المركزة وتفتيتها تمهيدا لهزيمته وهو مبعثر القوى، وان نتفادى وحداته الكبيرة ونصفى وحداته الصغيرة الضعيفة، وان نحتفظ على الدوام بالتفوق الاستراتيجى والتكتيكى على العدو، وان نهزم الامبريالية اليابانية بمعارك استنزاف متواصلة. هكذا يجب ان تكون

حرب العصابات، وهنا بالذات تكمن فضيلتها الباهرة. ايها الرفاق الداعون الى التزام الحذر ومراكمة القوى فى الخفاء لهزيمة العدو بضربة واحدة عندما تحين الفرصة، هل تظنون ان تلك الفرصة ستأتى تلقائيا دون نضال وتضحية، ودون اراقة الدماء؟ اعلموا ان احدا لن يقدم لنا استقلال البلاد على طبق. علينا ان نخلق تلك الفرصة بانفسنا من خلال النضال".

هكذا اقنعت الجنود بهدفنا.

طبعا، لم يفهمنى الجميع فى الحال. فقد كان بينهم شباب يصرون على آرائهم بكل عناد.

ففكرت بان النضال العملى وحده هو الذى سيحسم مناظرتنا الحبلى بالاختلافات، وسيبين من هو الذى على حق، ولم اضن بالوقت من اجل دراسة وجهة نشاطات جيش حرب العصابات.

فى ذلك الوقت، كانت وحدتنا التى انطلقت على طريق الحرب المناهضة لليابان تواجه المهام التالية: اولا، تمرس جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان فى خضم النضال العملى؛ ثانيا، توسيع صفوفه كما وكيفا فى اسرع وقت؛ ثالثا، ارساء قاعدة جماهيرية وطيدة لتكون نقطة ارتكاز للجيش الثورى وجمع شمل اوسع الجماهير على اختلاف طبقاتها وفئاتها حول جيش حرب العصابات.

ووجدنا ان السبيل لتحقيق ذلك هو فى القيام بالحملة الى منشوريا الجنوبية، وحددناها كاستراتيجية رئيسية لعام ١٩٣٢.

لقد كان لوحدتنا التى شكلناها فى آنتو ملامح تميزها عن غيرها من الوحدات المسلحة فى المحافظات والمناطق الاخرى. فهذه الوحدات الاخيرة كانت مؤلفة من شباب ينتمون الى المحافظات نفسها التى شكلت فيها تلك الوحدات، بينما كانت وحدة آنتو مؤلفة من عناصر طليعية مختارة من عدة محافظات فى منشوريا الشرقية والجنوبية وتقدميين آخرين من داخل الوطن. وبينما كانت الوحدات الاخرى تتبنى مبدأ ممارسة النشاط المستقر فى مناطق محافظاتها، طرحت وحدتنا العمل فى منطقة جبل بايكدو وتوسيع نطاق نشاطاتها الى مناطق حوض نهرى آمروك ودومان، وعدم اقتصار مسرح نشاطها على منطقة واحدة او منطقتين.

بالرغم من ان آنتو كانت منطقة مؤاتية جدا لحرب العصابات من الناحية الطبوغرافية، الا انه لم يكن بامكاننا البقاء فيها وحدها. فجيشنا الوليد كان بحاجة الى الخروج الى الامتدادات الشاسعة لكى ينمو ويتصلب فى الشدائد ويضرب جذوره وسط الشعب. كان لا

بد لنا من الاحتراس بالطبع من الميول الداعية الى الاسراع فى خوض النضال. ولكن، كان علينا فى الوقت نفسه الا نقتل الوقت ونحن نقبع فى مكاننا سعيا وراء الحفاظ على قوتنا فقط.

كان هذا هو احد الاسباب الرئيسية فى اختيارنا الحملة كخطوة اولى لجيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان.

وكان الهدف الرئيسى والعاجل للحملة الى منشوريا الجنوبية هو اقامة اتصال مع وحدات جيش الاستقلال العاملة فى مناطق حوض نهر آمروك. وكنا عازمين على تشكيل جبهة مشتركة مع وحدة جيش الاستقلال التى يقودها ريانغ سى بونغ والمرابطة فى منطقة تونغهوا بمنشوريا الجنوبية. وكانت تلك الوحدة تضم مئات الجنود وتدعى كذلك باسم الجيش الثورى الكورى.

فى الوقت الذى تم فيه تأسيس جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان فى آنتو، كان ريانغ سى بونغ يحقق انتصارات فى المعارك ضد الجيش اليابانى وجيش منشوكو بالتعاون مع جيش الدفاع الذاتى الذى يقوده تانغ جى يو. وقد اسعدتنا كثيرا تلك الاخبار عندما وصلتنا الى سياوشاهى.

لقد هز باك هون رأسه متسائلا عما اذا كان ريانغ سى بونغ يرحب بالتعاون مع الشيوعيين وهو القومى المناصر لمجموعة كوكمين، والمتشرب بروح العداء للشيوعية حتى النخاع. ولكننى اكدت على وجوب تحقيق جبهة متحدة مع وحدات جيش الاستقلال مهما كلف الامر، واشرت الى انه لا يمكن وجود مبرر يحول دون توحيد قوى مواطنى امة واحدة تسرى فى عروقهم الدماء نفسها وتلاحمهم فى الهدف المشترك، الا وهو النضال المناهض لليابان، ما دمنا قد توصلنا الى تشكيل جبهة مشتركة حتى مع جيش الانقاذ الوطنى فى الصين.

لقد رأيت ان التعاون ممكن مع ريانغ سى بونغ نظرا لعلاقتنا الشخصية، فقد كان صديقا حميما لوالدى، وكان يحبنى كثيرا. وقد سمعت فى طفولتى ان كيم سى وو وريانغ سى بونغ قد تأخيا مع والدى فى هواتين والتقطوا معا صورة تذكارية فى تلك المناسبة وكانت حميمية العلاقة بين القائد ريانغ ووالدى كبيرة جدا. ولولا تلك العلاقة لما كتب رسالة توصية من اجل التحاقى بمدرسة هواسونغ، ولما زارنى فى مدرسة يووين الثانوية وقدم لى النقود كلما جاء الى جيلين. لقد كنت اقتر فى نفقاتى فى ذلك الوقت الى اقصى حد لاوفر الرسوم

المدرسية، فكنت استغنى حتى عن تناول قرص من الحلوى حين كان الجميع يأكلونه. وقد كانت النقود التى تلقيتها منه ذات فائدة كبيرة فى لحظات حرجة.

وبالرغم من ان العلاقة بينى وبين ريانغ سى بونغ اخذت تفتر بسبب خيبة املى من مجموعة كوكمين بعد حادث وانغتشينغمين، الا ان مشاعر امتنانى نحوه بقيت راسخة فى ذاكرتى.

لم يكن من قبيل الصدفة ان تخطر لى فكرة زيارة ريانغ سى بونغ، حين كنت اقدح زناد فكرى لايجاد مخرج لجيش حرب العصابات الذى تأسس حديثا. وفضلا عن نيتى باقامة الجبهة المتحدة، كنت اشعر برغبة عارمة فى الاستماع الى نصائح ذلك الرجل وكلماته المشجعة، خصوصا وانه يملك تجربة عدة سنوات فى العمليات القتالية.

لقد كان ريانغ سى بونغ قائدا محنكا ومجربا بالمقارنة معنا نحن المنفعلين فرحا بالحملة دون ان نعرف بعد ما هى المعركة. ومع اننا اقسمنا اكثر من مرة امام الاستقلاليين على ان لا نقلد طريقة جيشهم فى القتال، الا ان ذلك لم يكن يعنى الاستخفاف بخبرتهم وتقنيتهم العسكرية، وانما عدم اتباع عادتهم السيئة فى رفض الاعتماد على الشعب.

حين عانينا الارهاب الابيض على يد مجموعة كوكمين فى وانغتشينغمين، قررت وانا اكبح سخطى، قطع كل صلة بشيوخ جيش الاستقلال. ولكننا من اجل القضية المقدسة المشتركة فى التحرير الوطنى، قررنا التغاضى عن اخطائهم السابقة. ولو توقفنا عند ادانة ماضيهم لما استطعنا ان نحقق التعاون معهم.

الى جانب وحدة ريانغ سى بونغ، كانت تعمل فى منشوريا الجنوبية وحدات مسلحة مناهضة لليابان يقودها شيوعيون كوريون مثل لى هونغ كوانغ ولى دونغ كوانغ. وكان الاول منهما قد نظم فى ايار ١٩٣٢ وحدة مسلحة باسم جيش بانشى العمالى الفلاحى للمتطوعين. وقد تحولت هذه الوحدة فيما بعد الى جيش حرب العصابات فى منشوريا الجنوبية، التابع للفيلق الثانى والثلاثين من الجيش الاحمر العمالى الفلاحى الصينى، والفيلق الاول من جيش دونغبى الثورى الشعبى.

لقد اكتسب لى هونغ كوانغ شهرة واسعة ليس بسبب استراتيجيته البارزة والفريدة فى فن القيادة وحسب، وانما كذلك لان المطبوعات المعادية، مثل صحيفة جيش كوانتونغ وصحيفة دولة منشوكو، نشرت عنه معلومات خاطئة باعتباره "جنرالة."

ولتلك التسمية الخاطئة قصة مضحكة. فعند عودته الى قاعدته بعد معركة الهجوم على

دونغسينغ، امر لى هونغ كوانغ مقاتلة من جيش حرب العصابات باستجواب الاسرى. وقبل ان تبدأ تلك الجندية استجوابهم، قدمت نفسها للاسرى قائلة: "انا لى هونغ كوانغ"، وطلبت منهم ان يعترفوا حول استعدادات الشرطة وخطتها "التأديبية."

بعد اطلاق سراحهم، نشر اولئك الاسرى الاشاعة بان "لى هونغ كوانغ فتاة حسناء فى العشرين من العمر تقريبا". وهكذا، انتشرت هذه الاشاعة بين رجال الجيش اليابانى.

واذا كان لى هونغ كوانغ قد اظهر كعسكرى ذكاءه واقدامه دون تحفظ فى بوتقة النضال المسلح، فقد برز لى دونغ كوانغ ككادر سياسى كفء فى بناء الحزب وتوعية الجماهير وتنظيمها. فكان اسمه معروفا جيدا فى منطقة منشوريا الشرقية منذ النصف الثانى من العشرينات.

لقد روى لى قصة لى دونغ كوانغ كل من كيم زون وسو تشول وسونغ مو سون.

فمنذ كان تلميذا فى مدرسة دونغسينغ الثانوية فى لونغجينغ، بدأ يبرز كقائد للحركة الطلابية. وقد وصلت حتى جيلين اخبار هربه من سجن لونغجينغ، حيث كان معتقلا بسبب الحادثة الاولى للحزب الشيوعى فى تشينتاو.

عندما قابلت الرفيق سو تشول فى هاربين فى صيف عام ١٩٣٠، قال لى بصورة عابرة ان لى دونغ كوانغ يعرفنى. ونقل لى قوله بانه رآنى اثناء محاضرة السيد آن تشانغ هو فى جيلين، ثم رآنى مرة اخرى فى اجتماع مندوبى الفلاحين فى منطقة بانشى الذى عقد فى ووليهيجى. لذا، طلبت من سو تشول ان يطلع لى دونغ كوانغ على استراتيجية نضالنا وينقل اليه رغبتى فى ان تتاح لنا فرصة اللقاء وتبادل التحية وخوض النضال يدا بيد فى خندق واحد.

حين كنا نستعد للحملة الى منشوريا الجنوبية، كان لى دونغ كوانغ يتولى منصب امين اللجنة الحزبية فى الدائرة بمحافظة بانشى. ثم تولى فيما بعد منصب امين اللجنة الحزبية فى منطقة منشوريا الجنوبية الخاصة، وكان فى الوقت نفسه رئيسا لقسم التنظيم فى اقليم منشوريا الشرقية والجنوبية.

ومثلما هو الوضع فى منشوريا الشرقية، كان الشيوعيون الكوريون فى منشوريا الجنوبية ايضا يشكلون صلب القوات المسلحة المناهضة لليابان.

وقد اردنا الاتصال بهم عند ذهابنا الى منشوريا الجنوبية. واعتبرت انه من المفيد جدا لتطوير جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان ان تتصل الوحدات المشكلة حديثا

بعضها ببعض لتبادل الخبرات ومناقشة وسائل القتال. وكنا نحتفظ فى الواقع بروابط وثيقة مع وحدات حرب العصابات فى منشوريا الجنوبية طوال مسيرة النضال المسلح المناهض لليابان. وقد ارتبطت فى اثناء ذلك بعلاقة وطيدة مع كل من لى هونغ كوانغ ولى دونغ كوانغ ويانغ جينغ او .

وكان قد جرى انشاء منظماتنا فى ليوهى وسينغجينغ وبانشى واماكن اخرى كثيرة من منشوريا الجنوبية. وقد ارسلنا لهذا الغرض عددا كبيرا من خيرة كوادر اتحاد الشباب الشيوعى واتحاد الشباب المناهض للامبريالية عندما كنا نعمل فى المنطقة الوسطى من منشوريا. ومن بين اولئك الكوادر كان تشاى تشانغ غول وكيم وون وو. بيد ان المنظمات التى تم تشكيلها بفضل جهودهم تعرضت لخراب فادح بعد حادثة ١٨ ايلول.

كان يمكن لمسيرتنا الى منشوريا الجنوبية ان تفتح طريقا مؤاتيا لانعاش هذه المنظمات وبث الحماسة فى نفوس الثوريين المترددين.

هنالك بعض المؤرخين الذين توحى كتاباتهم بان كل نشاطاتنا بعد تأسيس جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان قد تقدمت بسهولة ودون اى عوائق او عقبات، وان الرياح كانت تدفع شراعنا كما نشتهى. ولكن الثورة ليست بالعمل البسيط الى هذا الحد.

فبعد ان حددنا المسيرة الى منشوريا الجنوبية كأول طريق لجيش حرب العصابات الوليد، كان علينا ان نتحمل الكثير من العذابات النفسية والشدائد لنقل ما عزمنا عليه الى الواقع.

فى ايار عام ١٩٣٢، عقدنا فى بيت كيم زونغ ريونغ، وهو مقر اللجنة الحزبية فى الدائرة، اجتماعا للعناصر القيادية فى الحزب واتحاد الشباب الشيوعى العاملين فى مختلف محافظات منشوريا الشرقية، وناقشنا مسألة الحملة الى منشوريا الجنوبية ومسألة انشاء القاعدة. وقد حظى مشروعنا بشأن الحملة بتأييد وموافقة جميع الحاضرين. وقد تقبله بكل سرور حتى اولئك الشباب الذين انقسموا الى مجموعتين او ثلاث مجموعات واثاروا جدلا حادا داخل الوحدة.

ذات يوم من الايام حيث كنا نعجل بالاستعداد للحملة، جاءنى فجأة تشا كوانغ سو الذى تم تعيينه رئيسا لاركان الوحدة، واقترح على بجدية:

"ما رأيك ايها الرفيق القائد، فى مغادرتنا سياوشاهى خلال الايام القليلة القادمة ما دامت الحملة مقررة؟ اننا على مقربة من الطريق التى تمر منها قوافل العدو. ولدينا الآن نقص كبير فى المؤن. كيف يمكن لقرية سياوشاهى التى لا تزيد عن اربعين بيتا ان تواصل اطعام

مئة شخص اضافى مهما بلغ بها الكرم والسخاء؟"

اقتنعت فورا بمشكلة شح المؤن، خصوصا وان الفلاحين الجائعين كانوا قد هبوا قبل وقت قصير فى الانتفاضة الربيعية.

اما مسألة كثرة مرور قوافل العدو على الطريق القريب فلم تكن تشكل مبررا للاسراع فى بدء المسيرة.

ولم اوافق كذلك على اقتراح تشا كوانغ سو بمغادرة آنتو متخفين، وقلت له:

"ايها الرفيق رئيس الاركان، ما رأيك فى ان نجرب خوض معركة، ما دمنا قد حملنا السلاح؟"

"معركة؟"

"اجل، لقد نظمنا الوحدة، ويجب ان نبدأ القتال. لا مبرر لبقائنا مكتوفى الايدى نتفرج على العدو الذى يتنقل بالقرب منا. سنغادر حين نشاء، ولكن لا بد لنا قبل ذلك من اطلاق الرصاص فى ارض آنتو. فلا مجال للحديث عن تصليب عود الجنود دون خوض معركة. واذا ما رتبنا الامر جيدا، فسنتمكن من الحصول على المؤن اللازمة للحملة".

فوافق تشا كوانغ سو على اقتراحى بسرور.

وفى ذلك اليوم بالذات، خرج بنفسه الى الطريق العام برفقة باك هون لاجراء استطلاع طبوغرافى. كانت عملية استطلاع تهدف الى اختيار مكان مناسب لنصب كمين. واقترحا ان نكمن عند ممر جبل سياوينغجى للهجوم على احدى قوافل الشحن المعادية. وكان اقتراحهما يتفق تماما مع مشروعى. فقد كنت اعتبر ان الكمين هو انسب شكل قتالى عام لحرب العصابات.

يقع ممر سياوينغجى فى منتصف الطريق بين آنتو ومينغويكو. وكان طريقا مختصرة للمرور من داديانجى الى داشاهى، ويبعد نحو اربعين رى عن سياوشاهى بقياس خط النظر. لم يكن الجبل وعرا، وكان الطريق يمضى متلويا فى اوديته، مما يجعله مكانا مناسبا لنصب الكمين. وكان العدو ينقل على هذا الطريق المواد الحربية التى تحتاجها قواته المنتشرة فى منطقة آنتو.

ابلغتنا احدى المنظمات المحلية فى الوقت المناسب بان وحدة نقل من جيش منشوكو العميل قد غادرت مينغويكو باتجاه آنتو وهى تحمل اسلحة ومواد تموينية. فبدأت مسيرة ليلية مستعجلة نحو ممر سياوينغجى مع مجموعة مختارة من الجنود الذين سيشاركون فى

الحملة، وحين وصلنا المكان وزعتهم فى كمائن على جانبى الطريق.

ليس من العقلانية نصب الشراك ليلا. فوسط الظلمة التى تحول دون تمييز العدو من الصديق، تصبح الهجمات المباغتة اكثر فعالية من الكمائن. واذكر اننا لم ننصب سوى عدد قليل جدا من الكمائن الليلية على امتداد الحرب المناهضة لليابان.

ولكننا لم نأخذ ذلك بعين الاعتبار حينئذ، بسبب افتقارنا الى الخبرة. ولحسن الحظ اننا استطعنا تفادى كارثة الاشتباك فيما بيننا بفضل ضوء القمر الذى كان بدرا فى تلك الليلة.

وصلت القافلة الى ممر سياوينغجى فى وقت متأخر من الليل. فارسل جنود الموقع الاول المرابطون فى مكان متقدم نحو مئة متر الى الامام اشارة بظهورها. كانت قافلة الشحن مؤلفة من اثنتى عشرة عربة تجرها الخيول.

كنت متوترا ومنفعلا الى حد يمكن معه سماع نبضات قلبى. ووعيت جيدا فى تلك اللحظة ان اقدام الانسان على عمل يقوم به للمرة الاولى يثير فيه مشاعر القلق والانقباض والعصبية. نظرت الى باك هون الذى كان يربض بجانبى فوجدته متوترا جدا هو الآخر. ويمكن تصور الحالة التى كان فيها الجنود الآخرون بسهولة، بمقارنتها مع حال باك هون الذى تخرج من كلية هوانغفو العسكرية وله خبرة قتالية سابقة.

تركت مفرزة الكمين الاولى القافلة تمر دون ان تتعرض لها. وعندما اصبح نصف القافلة ضمن منطقة مفرزة الكمين الثانية، صعدت فوق صخرة واطلقت من مسدسى رصاصة البدء. فدوت على الفور اصوات الرصاص والهتافات لتهز جنبات الوادى.

استطعنا تمييز رجالنا بسهولة لاننا ربطنا اذرعنا بمناديل بيضاء، بينما راح الاعداء الذين فوجئوا يطلقون النار على غير هدى ودون تمييز. وقد توارى اكثر من عشرة جنود معادين وراء عرباتهم وقاوموا بضراوة. ولو اننا اضعنا الوقت فى اطالة مدة تبادل اطلاق النار، لكنا اوقعنا انفسنا فى موقف غير مؤات.

فبعد نحو عشر دقائق من النيران المتبادلة، اندفعنا الى الهجوم وانهينا المعركة فى لحظة واحدة. واخيرا استسلم العدو بعد وقوع اكثر من عشر اصابات فى صفوفه بين قتيل وجريح، واسرنا عددا مماثلا من جنود العدو، وكانوا جميعهم من جيش منشوكو العميل، باستثناء يابانى واحد برتبة رقيب.

القيت خطابا قصيرا ذا مضمون مناهض لليابان امام الاعداء المستسلمين .

ثم رجعنا فى تلك الليلة الى موتياوتون ومعنا عشر عربات محملة بالغنائم، منها ١٧

بندقية ومسدس واحد، وكمية كبيرة من دقيق القمح تكفى لاطعام مئة رجل خلال شهر كامل، واقمشة واحذية عسكرية واشياء اخرى عديدة. وقد كانت الغنائم كبيرة جدا كغنيمة فى المعركة الاولى.

بعد منتصف الليل، اشعلنا نارا فى الفناء وجلسنا حولها ونحن نأكل فتائل العجين المسلوقة التى صنعناها من قمح الغنائم. وكان ذلك احتفالا متواضعا بانتصارنا فى المعركة الاولى.

وكان قلبى مايزال ينبض بقوة حتى ذلك الوقت. كان للطعام مذاق خاص، ولكن اروع شىء فى تلك الليلة كان الانشراح الذى احسست به. ومازلت حتى اليوم، وبعد انقضاء ٦٠ عاما، اتذكر بكثرة السعادة والانفعال اللذين احسست بهما يومئذ لانتصارنا الاول.

كان تشا كوانغ سو يحدق بالنار والدموع تسيل تحت زجاج نظارتيه المقربتين، ثم شد على يدى بقوة وقال بصوت اجش:

"هيه، سونغ جو! لم تكن المعركة شيئا خارق الصعوبة".

كان هذا انطباع رئيس الاركان عن المعركة الاولى.

وكان انطباعى مماثلا، ويمكن اختصاره بما يلى: القتال ليس خارقا. ويمكن لاى انسان القيام به اذا كان لديه السلاح والجرأة. والعدو ليس قويا كما كنا نعتبره حتى ذلك الحين. لقد جثى جنود العدو امامنا ورفعوا ايديهم مستسلمين. فلنعد العدة لمعارك اكبر ونحن ممتلئون بالثقة. الانتصار ممكن، ونحن قادرون على تحقيقه.

"كم ستكون سعادتنا اكبر لو ان كيم هيوك كان معنا الآن! لو انه كان حيا لارتجل الشعر. من المؤسف انه فارقنا بسرعة! لماذا لا يكون معنا الآن كيم هيوك وسين هان ولى كاب وزاى وو وكونغ يونغ؟"

هكذا غمغم تشا كوانغ سو وهو يمسح الدموع التى كانت تسيل على خديه. لقد تذكر الرفاق الذين قد فارقوا صفوفنا الى الابد دون ان يروا ولادة جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان.

وانا فكرت ايضا بالرفاق الذين ضحوا بحياتهم فى سبيل تأسيس هذا الجيش. وتراءت امام عينى ملامحهم، بصورة حية، فلم استطع كبح ألمى وحزنى. فلو انهم مازالوا على قيد الحياة لكانت الوحدة اشد قوة وبأسا.

نزع تشا كوانغ سو نظارته وامسكها بيده وهو يقف امام النار، وبدأ يلقى كلمة وهو يلوح بيديه:

"ايها الرفاق! لقد خطونا الخطوة الاولى واحرزنا الانتصار الاول. لمن يعود الفضل فى هذا الانتصار؟ انه يعود لنا نحن الجالسين هنا".

فتح ذراعيه وكأنه يود احتضان مستمعيه ورفعهم الى اعلى، ثم واصل قائلا:

"كلما امسكنا البندقية، فلا بد لنا من اطلاق النار منها وتحقيق الانتصار. أليس كذلك؟ لقد قضينا هذه الليلة على قافلة. وهذا ليس سوى حادث صغير. ولكنه يعنى بدء قضيتنا العظيمة. وبعبارة اخرى، ان الساقية الصغيرة التى تتدفق من جبل ناء، تكون قد بدأت مسيرتها نحو البحر المحيط".

لم ار تشا كوانغ سو منفعلا كما رأيته فى تلك الليلة.

لقد القى خطابا رائعا، اكثر حيوية واقناعا من هذه السطور التى اكتبها من الذاكرة. ومن المؤسف اننى لا استطيع نقل ذلك الخطاب كله مثلما القاه.

"ايها الرفاق، كم هو القتال مجد لنا! لقد وفر لنا البنادق والمؤن والملابس والاحذية ... لقد تعلمت هذه الليلة حقيقة ديالكتيكية عظيمة وعميقة. سنوزع الآن البنادق التى غنمناها من العدو. وسنستخدمها فى ابادة اعداء آخرين. وهكذا سنحصل على مزيد من البنادق والمؤن. ستكون لدينا رشاشات ومدافع. وسنملأ الاكياس بالارز الذى نغنمه. فلنأكله ونتقدم بجرأة. ولننتزع الاسلحة والمؤن من الامبرياليين اليابانيين كما فعلنا اليوم الى ان نلحق بهم الهزيمة نهائيا. هذا هو اسلوبنا فى الحياة والنضال".

ما ان انتهى من خطابه حتى كنت اول المصفقين له. وقد عبر الجميع عن تأييدهم لما قاله بالتصفيق الحاد.

وبعد ذلك، وقف احدهم ليغنى. لا استطيع ان اتذكر اذا كان زو دوك هوا ام باك هون، ولكن الاغنية كانت مؤثرة جدا.

هكذا، خطونا الخطوة الاولى مفعمين بالثقة.

٢ـ الصورة الاخيرة

فى احد تلك الايام التى كانت وحدتنا فيها تستعد على قدم وساق للحملة، جاءنى اخى الصغير تشول جو لرؤيتى فى سياوشاهى. كان قد وصل الى منطقتى تونهوا وآنزى فيما وراء حدود آنتو خبر معركة ممر سياوينغجى التى اباد فيها جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان قافلة جيش منشوكو العميل التى يقودها مستشار عسكرى يابانى، وصار ذلك الانتصار الحربى مدار احاديث حماسية فى كل مكان، حتى ان المنظمات الثورية فى سونغجيانغ وداديانجى وليوشوهيجى اوفدت مراسلين الى سياوشاهى لمعرفة تفاصيل ذلك الخبر.

ظننت اول الامر ان اخى جاء ايضا بمهمة مماثلة، وعاملته بناء على ذلك معاملة عادية.

ولكنه، خلافا لما ظننته، لم يسألنى اى سؤال عن معركة الكمين فى ممر سياوينغجى. بل امضى اليوم كله دون ان يقول كلمة واحدة وهو يراقب الجنود الذين يتدربون النظام المنضم حينا، ويجدل صنادل القش حينا آخر مع عناصر وحدة الحملة فى الغرفة الملحقة بمقر القيادة. فقد كانت صنادل القش من بين الاشياء الضرورية الواردة فى قائمة مستلزمات الحملة التى حددتها القيادة.

فغيرت رأيى مقدرا انه جاء لتقديم المساعدة فى الاستعدادات من اجل انطلاق وحدة الحملة. عندئذ ذهبت الى القرية لمقابلة مسؤول منظمة الفلاحين فيها. وحين رجعت فى موعد العشاء، قال لى تشول جو الذى كان ينتظرنى انه يريد العودة الى البيت. فدعوته لتناول العشاء معى، لكنه رفض طلبى واصر على العودة. احسست ان لديه شيئا يريد ان يقوله، ولكنه لم ينطق به، مكتفيا بالنظر الى بقلق وقد بدت على وجهه تعابير غير عادية.

استشففت انه لم يأت الى سياوشاهى للمساعدة فى الاعداد للحملة، وان وراء مجيئه سببا خفيا. واذا كانت لديه مشكلة لم يعرضها على، فلا بد ان تكون متعلقة بأمى او به.

لم ادخل الى مقر القيادة، بل رافقته حتى مدخل القرية لوداعه. وفى الطريق سألته فجأة:

"اية مشكلة حدثت فى توتشيديان؟"

عندما قلت "توتشيديان" كنت اعنى بيتنا فيها. ولست ادرى لماذا احسست بالخوف من نطق كلمة "بيتنا."

"لا شيء، لم تحدث اية مشكلة." قال تشول جو ذلك وهو يتكلف الابتسام. وكان بامكانه اظهار اى ابتسامة ليخدع عينى، لانه كان يتقن الكلام بتشكيلة غنية من الاصوات الهزلية فضلا عن كونه ممثلا جيدا. ولكن ابتسامته تلك كانت تحمل شيئا من الكآبة، وما لبثت ان تلاشت من طرف شفتيه على الفور. فحاول تفادى نظراتى بالتطلع الى الفضاء من فوق كتفى.

"قل لى ما الذى يقلقك. اذا ما ذهبت دون ان تخبرنى فلن استطيع الاطمئنان. قل لى ذلك دون مزيد من المواربة".

اطلق تشول جو زفرة عميقة وقال دون رغبة:

"لقد تفاقم مرض امنا كثيرا. انها لم تأكل لقمة واحدة منذ يومين".

وصلت كلماته هذه الى مسامعى كدوى الرعد. فارتعشت وكأن تيارا قد مسنى. فقد كنت اعرف ان امى مصابة بمرض مزمن.

حتى الوقت الذى كنا فيه نقيم فى باتاوكو، لم تكن امى تلزم الفراش الا فى احيان نادرة. ولكن المرض اخذ يشتد بين حين وآخر منذ وفاة والدى فى فوسونغ ومغادرتى البيت الى جيلين للدراسة. وكان تشول جو يبلغنى بذلك فى رسائله من وقت لآخر.

خشيت اول الامر ان تكون امى قد اصيبت بمرض مستوطن. فكثيرون من سكان المنطقة كانوا مصابين بذلك المرض. وكان يقال ان من يصابون به تتشنج ايديهم وتتورم مفاصل اصابعهم ويشعرون بألم فى الحنجرة، ويفقدون القدرة على العمل الى ان يموتوا قبل بلوغهم الثلاثين.

ومن اجل حماية امى من هذا الوباء تحديدا، جاء او دونغ زين الى فوسونغ ذات مرة، بعد وفاة والدى، ونصح امى بان تنتقل الى جيلين.

عندما رجعت الى بيتى فى العطلة المدرسية، لاحظت ان امى لا تشكو من ذلك المرض، وانما من حمى سببها الارهاق الشديد. عندئذ فكرت مغموما بان الاعياء الذى تراكم طوال حياتها المعذبة، قد انتهى الى ايذاء صحتها، ذلك انها لم تكن تعرف الراحة. ولكننى احسست بشيء من الاطمئنان حين عرفت انها لا تعانى من ذلك المرض المستوطن الرهيب.

وبعد انتقالها الى آنتو، بدأت تعانى مرضا فى المعدة كانوا يسمونه فى ذلك الحين

"زوك". وكانت تشكو من انها تشعر بان شيئا كبيرا جدا يتحرك فى بطنها وكأنه يريد الصعود الى حلقها. وانا افكر الآن بانه ربما كان سرطان المعدة.

لقد شخص الاطباء مرضها حينذاك بانه "زوك"، الا انهم لم يتمكنوا من تقديم وصفة لعلاجها. ولم تجد كل الادوية نفعا. وحين كانت تأتيها تلك النوبات كانت تتمدد فى الفراش، او تمتنع عن تناول الطعام او تكتفى بتناول بضع ملاعق من حساء خفيف .

لقد بذل رفاقى آنذاك جهودا كبيرة لشفاء امى. وكان جميع اصدقائى الذين يعملون معى فى اتحاد الشباب الشيوعى يرسلون اليها الادوية. فاذا ما وجدوا فى الصحف اعلانا عن ادوية يخيل اليهم انها قد تفيد امى، كانوا يشترونها مهما كان ثمنها ويرسلونها اليها بالبريد. وكانت تلك الطرود البريدية تصل الى بيتنا من جيلين وشنيانغ، او من هاربين ولونغجينغ على السواء.

كما ان المتخصصين بطب كوريو التقليدى فى منطقة آنتو قدموا مساعدة مخلصة لشفاء امى. وعالجها زملاؤهم فى داشاهى بلا مقابل.

لقد كشفت لى عينا تشول جو المحتقنتان وملامحه الحزينة ان مرض امى قد وصل الى نقطة حرجة. سألته عما اذا كان فى البيت ارز، فاجابنى انه قد نفد تماما.

اشتريت فى اليوم التالى مالا واحدا من الدخن بنقود قدمها لى رفاقى، ثم توجهت الى وادى توتشيديان. قدرت ان هذه الكمية من الدخن ستكفى افراد اسرتى الثلاثة (امى وتشول جو ويونغ جو) لمدة شهر، وبعد هذه الفترة سأكون قد رجعت من الحملة الى منشوريا الجنوبية.

وبالنظر الى وضع اسرتى التى لم تكن تملك ما يكفى لصنع الحساء كثير الماء، فان خمسة عشر كيلوغراما من الدخن تشكل كمية هائلة يمكن للاسرة ان تقيم بها حفلة زفاف.

ولكننى لم اكن راضيا، ولو من بعيد، عن تلك الكمية. ومع ان الاحزمة كانت تضغط بشدة على كتفى، الا اننى لم اكن اشعر بثقل حمولتى. بل كانت تبدو لى خفيفة كأنها الريش بالمقارنة مع المحبة التى كانت تكنها لى امى.

فى احدى المرات، حدثنى والدى عن لى رين يونغ، قائد وحدة المتطوعين الفاضلين فى المحافظات الثلاث عشرة.

لقد كان اختياره لذلك المنصب حدثا شديد المأساوية وفيه كثير من العبر. فحين زاره قادة وحدات جيش المتطوعين الفاضلين فى المنطقة الشرقية ليعرضوا عليه ان يكون قائدا اعلى

لهم، وجدوه يعنى بأبيه العجوز الذى كان فى ايامه الاخيرة. فرفض لى رين يونغ طلبهم قائلا انه يمكن لشخص آخر ان يقود جيش المتطوعين الفاضلين، ولكن لا يمكن للمرء ان يرى اباه مرة اخرى اذا ما توفى، فكيف اجرؤ على مغادرة البيت وترك والدى الذى قد يموت بين لحظة واخرى؟ لا اريد ان اكون ابنا عاقا.

ولم يوافق على طلبهم الا بعد اربعة ايام.

اجتمع المتطوعون الفاضلون من كل انحاء البلاد تحت قيادة لى رين يونغ، حتى زاد عددهم على ثمانية آلاف متطوع. ثم انضمت اليه بعد وقت قصير وحدتا هو وى ولى كانغ نيون، فارتفع عدد قواته الى عشرة آلاف جندى. والتحق به ايضا ثلاثة آلاف جندى آخر مسلحين بالبنادق من الجيش الكورى القديم.

اختار قادة وحدات جيش المتطوعين الفاضلين فى كل انحاء البلاد لى رين يونغ قائدا اعلى لهم، وزحفوا تحت قيادته نحو سيؤول. كان هدفهم النهائى الهجوم على المدينة وتقويض هيئة المقيم العام بضربة واحدة والغاء معاهدة الحماية.

وبينما كانت وحدات جيش المتطوعين الفاضلين تقتحم سيؤول حسب خطة العمليات المقررة، تلقى لى رين يونغ خبر موت ابيه، فاوكل القيادة الى شخص آخر ورجع الى مسقط رأسه بكل بساطة. وقد جاء خبر ذهابه مترافقا مع خبر هزيمة الطليعة التى يقودها هو وى، فأدى ذلك الى نتائج وخيمة فى ضعضعة معنويات الوحدة والوصول بها الى التفكك والانحلال.

اثناء قيادتى للحركة الطلابية، ناقشت فى جيلين مع اعضاء رابطة ليوكيل للطلاب سلوك لى رين يونغ ذاك. وقد استنكر كثيرون منهم موقف قائد المتطوعين قائلين انه تصرف ابله. وعلقوا بانفعال بانه ليس رجلا ولا وطنيا اذا كان خبر موت ابيه قد دفعه للتخلى عن قيادة عشرة آلاف متطوع، والحاق الضرر بعملية الهجوم العظيمة على سيؤول.

ومع ذلك، لم ينقد الجميع لى رين يونغ، بل كان بينهم من دافعوا عنه. بل واشادوا به كابن بار مؤكدين انه كان من الطبيعى والصحيح ان يعود ليؤدى مهمته باخلاص ازاء ابيه الراحل.

ان تسمية الابن المخلص تطلق حاليا على المخلصين للوطن ولابويهم على السواء، اما فى ذلك الوقت، فلم يكن يعتبر مخلصا الا ذاك الذى يخلص لوالديه.

وقد اعترضت على سلوك لى رين يونغ مؤكدا انه لا يمكن ان يكون نموذجا للابن

المخلص الحقيقى على الاطلاق.

"ان من يمكن تسميته ابنا بارا حقا، هو ذاك الذى يحب بلاده واسرته على السواء. كيف يمكن ان يكون بارا ذاك الذى يهتم بأسرته فقط متجاهلا نكبة موطنه؟ لقد حان الوقت لتصحيح مفهومنا الكونفوشى للوفاء. فلو زار لى رين يونغ قبر ابيه وقدم له فروض الاحترام بصب كأس من الخمر واشعال البخور امام الضريح بعد انجاز مسؤوليته وتحقيق هدفه لتألق اسمه اكثر امام الاجيال القادمة".

كان لهذا الاعلان وقع القنبلة على الافكار البالية لاولئك الغارقين حتى آذانهم بالاخلاقيات الاقطاعية والمفهوم الكونفوشى للوفاء.

فانقسم اعضاء رابطة ليوكيل للطلاب الى مجموعتين وجرى بينهما جدال حاد عما اذا كان يمكن اتخاذ كلماتى كمرجع ام لا.

لقد اصبحت هذه المسألة بسيطة واضحة ولا تستحق الجدال بالنسبة لاعضاء اتحاد الشباب العامل الاشتراكى واعضاء رابطة الاحداث عندنا فى الوقت الحاضر، الا انها كانت آنذاك مسألة عويصة فى الواقع، وكان من الصعب تحديد ما هو الصحيح وما هو الخطأ فى هذا الشأن. ولكى يعى الشعب ويؤمن بالاجماع بان الوفاء الحقيقى هو فى حب البلاد والاسرة على السواء، تطلب الامر تاريخا من عشرات السنين وتجارب ممهورة بالدماء والدموع.

وبينما انا فى طريقى الى بيتنا فى وادى توتشيديان، حاملا كيس الدخن على ظهرى، خطرت ببالى فجأة قصة تخلى لى رين يونغ عن القيادة. وقد تشكلت لدى قناعة، لا ادرى سببها، بان سلوكه كان صحيحا. لقد كان مستغربا حقا بالنسبة لى، انا الذى انضممت الى رفاقى فى اتهام قائد المتطوعين بانه ابله، ان اكتشف بصيصا من العدالة فى سلوكه، وان اتعاطف معه ولو وجدانيا، وان اتفهم موقفه بعض الشىء.

لا يمكن لانهماك المرء فى الثورة ان ينسيه اسرته. فالثورة تهدف الى تحقيق الخير للانسان، فكيف يمكن للثورى فى هذه الحالة ان يتجاهل ذويه ويظهر عدم المبالاة بمصير والديه وزوجته وابنائه؟ لقد نظرت دائما الى سعادة الاسرة ومصير البلاد النظرة نفسها. واكدت منذ زمن بعيد انه اذا مر الوطن بموقف حرج، فلا يمكن للاسرة ان تطمئن، واذا ما وقعت الاسرة فريسة الهموم فان ملامح الوطن بدورها تصبح داكنة ومظلمة. وانطلاقا من هذه القناعة، استطعنا ان نتخذ دون تردد اجراء لم يسبق له مثيل فى تاريخ الحروب، وذلك

بايفاد قوات فوج كامل الى مؤخرة العدو لانقاذ اسرة احد جنودنا. هذه اخلاقيات وواجب رفاقى لا يمكن ان يلتزم بها الا الشيوعيون الكوريون.

في بداية الامر، سعيت جاهدا لان اكون مخلصا لهذه القاعدة. حتى بعد اطلاق سراحى من السجن وانتقال مسرح نشاطى الى منشوريا الشرقية، كنت اتردد على البيت بين حين وآخر، واحمل الادوية لامى المريضة منتهزا لحظات فراغى اثناء تنقلى من مكان الى آخر متخذا تونهوا وآنتو مركزا لنشاطى.

ولكن هذا لم يرق لامى. فعندما ازدادت زياراتى للبيت، استدعتنى الى جانبها فى احد الايام ونصحتنى قائلة:

"اذا كنت تريد ان تصنع الثورة فيجب عليك ان تنذر لها نفسك تماما، واما اذا كنت تريد ان تهتم بشؤون المنزل، فدع ما عداها. عليك ان تختار احد الامرين. وانا ارى انه من الافضل ان تكرس نفسك للثورة دون ان تقلق بشأن الاسرة، لان تشول جو موجود معى ويمكننا ان نتدبر امورنا بأنفسنا".

منذ ذلك الحين، قللت من زيارتى للبيت.

ونادرا ما ذهبت الى البيت بعد تأسيس جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان.

ندمت على ذلك. وعذبتنى فكرة انه كان على ان اقوم بواجبى الاخلاقى كابن، حتى وان كانت امى تحذرنى من ذلك. والواقع انه لم يكن من السهل الاخلاص للاسرة والبلاد فى الوقت نفسه.

مع اقترابى من توتشيديان تسارعت خطاى تلقائيا. ولكن مزاجى كان ينقلب الى القلق اكثر فاكثر. وكنت اشعر بالغم كلما فكرت فى اننى ذاهب للقاء امى المريضة مرضا خطيرا.

كان القصب الطويل يتمايل مع الريح فى المستنقعات. وبسبب كثرة هذه النباتات، كانت القرية تسمى فيما مضى "كالبات" (قرية سهول القصب). ولكن، منذ ان اصبحت اسرة كيم بيونغ ايل القاطنة فى القرية السفلى تصنع الخزف قبل عدة سنوات، صارت حتى هذه القرية النائية تشهد تحولا اكتسبت معه اسم توتشيديان (قرية الخزف).

عبرت جذع الشجرة المستخدم كجسر، واتجهت الى القرية العليا. واذ ذاك بدا لعينى الكوخ المألوف المسقوف بالقش. كان سياجه المصنوع من النفل بطريقة مهلهلة يميل الى الارض، ويبدو سقفه مهجورا لان قشه لم يستبدل فى الوقت المناسب. هكذا كان بيتى الذى

بقى مهملا لعدة سنوات بسبب عدم وجود ايدى رجال تعتنى به.

لم اكد اجتاز البوابة وادخل الفناء حتى فتح باب الغرفة فجأة.

"اماه"!

هتفت بذلك وانا اتقدم مسرعا من المرأة المبتسمة التى استندت الى الباب .

"عرفت انك القادم من وقع خطواتك".

لم تتمالك امى نفسها من الفرح وهى تداعب حمالة كيس الحبوب الذى وضعته على المصطبة. وكنت قد هيأت نفسى لتلقى تأنيبها بسبب زيارتى. ولكنها لحسن الحظ لم تعنفنى.

وبينما نحن نتبادل التحية حاولت ان ارصد حالة امى الصحية من خلال وجهها وصوتها وحركاتها. وبدا لى انه لم يطرأ تغير كبير على حالتها ظاهريا عما كانت عليه فى الشتاء الماضى. ولكن كان واضحا انها قد فقدت حيويتها الى حد كبير. لقد ضمر ثدياها، ونحف عنقها، وبدأ يظهر الشيب فى شعرها. وحين رأيتها فكرت بحزن كيف استطاع الزمن ان يترك كل هذه الآثار المؤسفة على ملامح امى الحبيبة.

تحدثت معها حتى ساعة متأخرة من الليل. ولم تكن ثمة نهاية لاسئلتها: اين وصل الجيش اليابانى الآن؟ ما الذى سيفعله جيش حرب العصابات؟ كيف سأتحالف مع السيد ريانغ سى بونغ؟ ما الذى علينا عمله فى قاعدة حرب العصابات؟

ادارت امى خيط الحوار، مقتصرة على القضايا السياسية وحدها. فاذا ما طرحت مسائل الحياة العائلية او حالتها الصحية، كانت ترد بكلمات مقتضبة لتفتح على الفور موضوعا آخر، ولم يكن بامكانى الا مجاراتها.

حين لاحظت انها تحاول اخفاء مرضها امامى، قدرت ان حالتها خطيرة بالمقدار نفسه. وادركت انه لم يبق لها الا القليل فى الحياة. وحين فكرت بذلك احسست بشىء بارد يسيل على ظهرى وابتلعت دموعى قبل ان تغادر عينى.

فى صباح اليوم التالى، اعددت الفطور وتناولته فى وقت مبكر، ثم ذهبت مع اخى تشول جو الى الجبل لجمع الحطب. اذ كنت قد تجولت حول البيت ورأيت انه لم يبق فيه سوى حزمة او اثنتين من الحطب. وفكرت بان قلبى سيطمئن قليلا اذا ما احضرت للبيت بعض الحطب قبل مغادرتى.

وبالرغم من اننى كنت انوى جمع حطب يكفى الاسرة لعدة اشهر، الا ان الامر لم يسر مثلما اشتهيت. فلأن الجبل لم يكن بعيدا، لم تكن فيه حتى اشجار يابسة. فاضطررت الى

قطع شجيرات صغيرة.

"يا تشول جو، الا توجد اشجار افضل من هذه للوقود؟"

فاجاب اخى وهو يرفع سرواله القطنى.

"لنجمع حمولتنا من اى نوع من الحطب. اذا ما عرفت امنا باننا خرجنا لجمع الحطب فستعنفنا".

لقد كان يبدو طفلا فى مظهره، ولكن كلماته جعلتنى الاحظ انه اصبح راشدا.

وبينما هو يقطع الحطب بالمنجل، كان ينظر بقلق نحو القرية من حين لآخر. كان يخشى ان تعرف الام بخروجنا خفية لجمع الحطب. فقد كان يعلم انها لا تريدنى ان اقلق بشأن الاعمال البيتية.

انهلت على الشجيرات اقطعها بمنجلى بسرعة.

عند الغروب، نزلنا من الجبل ونحن نحمل الحطب. وحين وصلنا المنعطف المطل على حقول القصب، لمحنا امى تقف عند طرف الفناء.

وفى اثناء نزولى متوكئا على عصا، لم استطع التخلص من الافكار المقلقة التى تسلطت على عقلى. فقد آلمنى كثيرا اضطرارى الى وداع امى المريضة للانطلاق فى الحملة. كنت مشوش الذهن. فقد حددنا مدة الحملة بشهر او شهرين، ولكن لا يمكن لاحد مع ذلك ان يخمن ما الذى سيحل بمصيرى، ولا التبدلات التى قد تطرأ على مسيرة الوحدة فى هذه الفترة.

تساءلت فى نفسى: اذا ما واصلت خوض النضال السرى عدة سنوات اخرى، مثلما فعلت حتى الآن، ألن استطيع التردد على البيت مرة كل بضعة شهور لمواساة امى ومعالجة شؤون الاسرة؟ أليس هذا هو واجبى الاخلاقى كابن امام امه التى امضت حياتها فى عوز وعانت آلاما نفسية اكثر من الجميع؟ لقد عادت جدتى قبل فترة قصيرة الى موطنها، واذا ما غادرت انا الآن منطقة آنتو كما هو مقرر، فكيف ستتمكن امى المريضة والقلقة ان تواجه تكاليف الحياة وحدها؟ ولكن، هل يجوز لى التخلى عن خطة الحملة الى منشوريا الجنوبية التى تشكل جزءا من برنامج نشاطات جيش حرب العصابات السنوى، بسبب شؤونى العائلية الخاصة؟

لكن امى التى كانت تنتظرنا عند البوابة قالت لى بانزعاج:

"ما هذا! هل تظننا سنفتقد الحطب فى مثل هذه القرية الجبلية؟"

فابتسمت وانا امسح العرق عن جبينى بدلا من الرد على سؤالها.

"اراك تسلك سلوكا غريبا. فانت لم تكن تتصرف هكذا فى فوسونغ او فى سينغلونغتشون. ولكنك تبدى فى هذه الايام اهتماما كبيرا بشؤون الاسرة".

وكان صوتها واهنا وهى تقول لى ذلك. فتظاهرت باننى لم اسمع كلماتها، وقلت لها وانا ادخل الفناء: "لم اشم العشب منذ وقت طويل، وقد شعرت الآن بالانتعاش ."

فى تلك الليلة، جلسنا معا، نحن الاربعة، حول المائدة لاول مرة منذ وقت طويل. كان على المائدة طبق من سمك الرميح المشوى وقد وجدته لذيذا جدا. سألت الام من اين حصلت على هذا السمك، فاجابتنى ان اخى الاصغر قد صاده بالصنارة وجففه بتعليقه بافريز السقف ليكرم به اخاه الكبير. وقالت انه كان شديد القلق من نقص الطعام عند مجيئى. لم اعد استطيع أكل تلك الأسماك التى بطول الاصبع من التأثر، وابقيت بعضها فى الطبق.

بعد ان استغرق اخى الاصغر فى النوم، قالت الام بنبرة جادة، وهى ترفع جذعها الذى اسندته الى الحائط.

"يبدو لى انك تغيرت الى حد ما عن الماضى. لم اكن اتصور ان تزورنى حاملا على ظهرك كيس حبوب من اجل مساعدة امك. اعرف انك فعلت ذلك بسبب مرضى. شكرا على اهتمامك المخلص، ولكننى لست ممن يجدون السلوى فى مثل هذه الاشياء. هل ترانى اجتزت معك الجبال الوعرة فى فوسونغ وعملت على تأسيس جمعية النساء من اجل تلقى مثل هذه السلوى اليوم؟ عليك ان تنجز قضيتك العظمى، ان تحقق وصية والدك، أليس كذلك؟ كم من الكوريين يعيشون فى حالة اسوأ منى. اياك ان تقلق بشأنى. وغذ الخطى فى طريقك".

وكان صوتها يتهدج من الانفعال وهى تقول ذلك.

رفعت رأسى. فتوقفت امى عن الكلام وهى تضغط شفتيها. كنت اعيش لحظة الذروة وانا اتمثل فى اعماق قلبى نصائحها التى تلخص فيها مفهومها للحياة، فكانت تهز روحى مثل اعصار.

وبعد ان التقطت الام انفاسها، واصلت قائلة:

"لنتحدث عن مسألة الحطب. طبعا، يمكنك ان تجمع الحطب اذا لم يكن لديك عمل ... ولكن، اياك ان تقلق بشأن الاسرة. عليك ان تفكر بانه ليس لك فى هذا العالم ام ولا اخوة،

هل تفهمنى؟ اذا نجحت فى عملك الثورى بعيدا عن البيت فمن المحتمل ان استعيد عافيتى. فلترحل اذن دون ابطاء مع وحدتك. هذه هى امنيتى".

فاجبتها فورا:

"سأضع ارادتك نصب عينى دائما. اريد ان ابيت هذه الليلة هنا، وفى الغد سأذهب الى سياوشاهى، ثم انطلق من هناك مع وحدتى الى منشوريا الجنوبية لالتقى بالسيد ريانغ سى بونغ".

احسست برغبة شديدة فى البكاء، فأدرت وجهى نحو الجدار.

اما امى التى كانت منفعلة جدا، فقد جذبت نحوها سلة ادوات الخياطة، واخذت تثبت زرا فى سترتى العسكرية.

فجأة وبدون سبب، تذكرت ما رأيته يوم جنازة والدى.

لم تكن امى يومذاك ترتدى ثوب الحداد، ولم تذهب الى المقبرة. بل البستنا نحن ثلاثة الاخوة فقط ثياب الحداد وارسلتنا الى المقبرة. على الرغم من ان عمى وعشرات الاستقلاليين بمن فيهم او دونغ زين وزانغ تشول هو وريانغ سى بونغ قد رافقوا النعش، الا ان امى لم تذهب معهم.

وبعد بضعة ايام، عندما اقبل عيد "دانو" فى الشهر القمرى الخامس، توسلنا اليها ان تذهب معنا لرؤية القبر. ولكنها لم توافق قائلة لنا ان نذهب وحدنا لانه لا حاجة لذهابها هناك. وقد اعدت لنا مع ذلك القرابين وعلمتنا، نقطة نقطة، كيف نشعل البخور ونصب الخمر، وكيف نقدم فروض الاحترام امام الضريح. واعتقد انها لم ترافقنا حتى لا نراها تبكى.

لقد كانت تذهب لزيارة قبر الوالد وحدها. ولكنها خالفت هذه العادة مرة واحدة عندما جاءت لى كوان رين الى فوسونغ، ولم تكن قد شاركت فى جنازة والدى. فرافقتها امى حينذاك لتدلها على القبر. وقد بكت لى كوان رين بحرقة على الراحل حتى كاد ان يغمى عليها، وكان على امى عندئذ ان تواسيها.

هكذا كانت امى، قلما تذرف الدموع رغم شدة عواطفها. لقد كانت ذات طبع صلب يصعب العثور على امثالها بين النساء. وقد بقيت فى ذاكرتى الى الابد صفاتها المذهلة تلك التى اثارت اعجابى فى طفولتى.

ولهذا، وبالرغم من انها كانت تعانى الوحدة فى الفراش، فقد استطاعت ان تدفعنى دون تردد الى طريقى، وان تقدم لى نصائح جدية تتغلغل الى اعماق روحى وجسدى لتتحول الى

مبادئ التزم بها طول حياتى. لقد كانت امى تفعل ذلك كله وكأنها تضربنى.

اعتقد ان امى لم تكن امرأة عادية. وللسبب نفسه اعتبرت السيدة زانغ كيل بو ام ما دونغ هى امرأة استثنائية ايضا. لقد التقيت بها بعد التحرير. ولكنها لم تذرف الدموع امامى. لقد كانت النساء الاخريات يبكين عند اللقاء بى، اما هى فلم تبك.

طلبت منها ان تنتقل الى بيونغ يانغ حيث يعيش كثيرون من رفاق ابنها فى السلاح، لكنها قالت انها تريد اكتشاف الاعداء الذين وشوا بابنها، وعادت الى قريتها دون ان يشعر احد بذلك.

لم اكن راغبا فى النوم. فخرجت الى الخارج ورحت اتمشى على امتداد سياج النفل المائل، مستمتعا ببرودة الجو. وفى اثناء ذلك، خرج تشول جو ايضا بهدوء.

جلست واياه على حزمة حطب وتبادلنا الحديث. وقد اعترف اخى بانه لم يساعد امنا كما يجب، لانه كان منهمكا فى نشاطات اتحاد الشباب الشيوعى، ولكنه سيحسن سلوكه من الآن فصاعدا كى لا اقلق انا لشؤون الاسرة. فى الواقع، كنت ارغب فى ان اطلب منه ذلك، ولكنه بادر الى طرح الامر بنفسه، مما جعلنى اشعر بالراحة.

تناولنا فى صباح اليوم التالى خثارة فول الصويا، ووجدناها لذيذة جدا. وبعد الانتهاء من تناول الفطور، ذهبت لرؤية جارنا كيم زونغ ريونغ، لابحث معه مصير اخوى الصغيرين. قلت له بصراحة انه يتعين على ان اذهب فورا الى منشوريا الجنوبية، ولكننى محجم عن مغادرة توتشيديان بسبب وضع اسرتى. فقال لى ان اترك له كل هذه الامور دون ان يساورنى القلق لانه سيعتنى جيدا باخوى وامى المريضة.

ورجعت الى البيت لاعد العدة للرحيل.

وبينما كنت اشد رباط الحذاء، اخرجت امى من صندوق مجدول من القش اربع اوراق نقدية من فئة الخمسة يوانات، وقدمتها الى:

"احتفظ بهذه النقود؛ ستجد نفسك فى حياة التجوال بحاجة الى النقود فى مناسبات كثيرة. على الرجل ان يحمل فى جيبه مبلغا من المال لمواجهة الحالات الطارئة. ألم تسمع اباك يقول ان السيد صون يات صن تمكن فى الفترة الاخيرة من وجود بلاد تشنغ من الافلات من سجنه فى سفارة اجنبية بمساعدة عامل تنظيف كان قد منحه بعض النقود؟"

اخذت النقود منها، ولكن يدى ارتعشت ولم استطع وضعها فى جيبى. فوقفت حائرا دون ان اعرف ما على عمله. كنت اعرف جيدا ان تلك العشرين يوانا هى تجسيد لحياة امى

المعذبة. فقد جمعتها قرشا قرشا من غسل وخياطة ملابس الآخرين ومن اعمال مضنية اخرى شققت يديها. لقد كان ذلك المبلغ كافيا لشراء بقرة متوسطة، او لاعالة افراد الاسرة الثلاثة سنة كاملة. فقد كانت البقرة الكبيرة تباع حينذاك بخمسين يوانا.

نزلت عن المصطبة التى امام الباب مترنحا، كما لو ان ثقل تلك النقود قد اخل بتوازنى، وودعت امى وانا انحنى بتوقير: "الى اللقاء يا اماه، حافظى على صحتك!". ما كنت افكر فيه عندئذ هو ألا تخرج كلمات الوداع بصوت غير مألوف، كى لا انتزع الدموع من عينى امى. ولهذا استخدمت كلمات عادية وايحاءات مألوفة.

"اذهب يا بنى، اسرع".

قالت امى ذلك وهى تهز رأسها وترسم ابتسامة على وجهها العليل.

ما ان خطوت الخطوة الاولى حتى سمعت صوت اغلاق الباب ورائى. تقدمت بضع خطوات اخرى، ولكنى لم استطع الابتعاد عن البيت، فأخذت ادور حوله مرة ومرتين وثلاثا ... وانا امسك العشرين يوانا فى يدى.

وخلال تلك اللحظات، انتعشت فى ذهنى اجزاء من الافكار التى ارقتنى طول الليلة الفائتة واثقلت على روحى: متى عساى اعود الى هذا الفناء؟ هل طريقى هذا الذى سأمضى فيه هو واعد حقا؟ وما الذى ينتظرنى فى هذا السبيل؟ وهل ستتحسن صحة امى فى اثناء ذلك؟

وبينما انا ادور حول البيت غارقا فى هذه التأملات، فتح الباب من جديد وسمعت صوت امى يؤنبنى بصرامة:

"ما الذى يشغلك حتى الآن؟ لماذا تتردد؟ لقد اتخذت القرار باستعادة البلاد، فكيف يمكنك القيام بهذه القضية الجليلة اذا كنت واهن الروح تقلقك الامور المنزلية؟ قبل ان تقلق لاوضاع الاسرة عليك ان تفكر فى عمك وخالك السجينين، فى بلادك المغتصبة وشعبك. لقد حرمنا الاوغاد اليابانيون من بلادنا منذ نحو اثنتين وعشرين سنة. ولهذا عليك يا ابن كوريا ان تفكر وتعمل ببعد نظر. اذا خطر لك بعد اليوم ان تأتى الى هذا البيت لانك قلق علىّ، فلا تفكر بالاقتراب من الباب، لاننى لن استقبل مثل هذا الابن ابدا".

كان لكلمات امى وقع الصاعقة على روحى.

وبينما هى تستند برأسها الى اطار الباب، وكأن تلك الكلمات قد استنفدت كل قواها، تطلعت الى بنظرة ملؤها الحب والحماسة والغضب. لقد بدت لى ملامحها مثلما رأيتها حين دفعتنى الى رينتشيانغ، دون ان تسمح لى بقضاء ليلة واحدة في البيت، يوم وصلت الى

باتاوكو بعد مسيرة الف رى.

لقد عجبت، انا ابنها، حين رأيت لاول مرة ذلك الوجه الصارم والسامى الذى يشع حماسة واستقامة. وبدا لى ان تلك الحمية والعدالة المتأججة ستحول جسدها الى رماد بين لحظة واخرى.

كنت اعتقد حتى ذلك الوقت اننى اعرف جيدا هذه المرأة التى منحتنى الحياة وربتنى. ولكنها كانت تتطلع الى فى تلك اللحظة من علو روحى شاهق لا يمكننى الوصول اليه حتى فى الخيال.

لم يكن وجهها حينئذ وجه ام، وانما وجه معلمة. فغمرنى الفخر والسعادة لان لى اما رائعة ومشكورة مثلها.

"الى اللقاء قريبا يا اماه".

خلعت القبعة وانحنيت مرة اخرى باحترام. ثم سرت بخطوات واسعة الى خارج القرية.

بعد عبور جذع الشجرة الممدود كجسر فى القرية السفلى، التفت الى الوراء، فرأيت صورة امى بملابسها البيضاء وهى تتبعنى بنظراتها ويدها تمسك باطار الباب. كانت تلك هى صورتها الاخيرة التى انطبعت فى حدقتى عينى. من اى ركن من اركان ذلك الجسد الذاوى ظهرت تلك الروح السامية والصلبة التى هزت قلبى بشدة؟ ولو لم تكن هذه الام الرائعة مريضة، فكم ستكون سعادتى وانا انطلق على هذا الطريق؟ وضغطت شفتى بشدة كى امنع نفسى من البكاء.

لم يكن وداعا عاديا كذاك الذى يجربه المرء عشرات او مئات المرات فى حياته، وانما كان فراقا ابديا ولا لقاء بعده، خلف فى نفسى ذكرى تعصر فؤادى طول حياتى. اذ لم ار امى بعد ذلك.

بعد بضعة شهور، تلقيت خبر موتها المحزن. وكان اول ما شعرت به فى تلك اللحظة هو الندم لانى لم اقل لها كلمات اكثر دفءا، لحظة فراقنا الاخيرة. ومع ذلك، لم يكن بامكانى، فى الواقع، التصرف على نحو آخر، لانها لم تكن تحب الفراق العاطفى.

وحتى الآن، بعد ان اصبحت مسنا، لم انس ما حدث فى تلك اللحظات. ان المرء يواجه فى حياته مثل هذه المواقف اكثر من مرة. ويتعرض مصيره عندئذ لتبدل، مهما كان طفيفا، يؤدى فيما بعد الى احداث تحول معتبر فى مصيره الاصلى. ولو ان امى اعربت يومذاك عن قلقها حول وضع الاسرة، ونطقت ولو كلمة واحدة يمكنها ان تضعف عزيمتى، فما

الذى كان سيحدثه ذلك من نتائج فى قلب ذلك الابن الذى كان يتأهب للتحليق نحو الفضاء الفسيح؟

منذ تلك اللحظة التى غادرت فيها سهل سياوشاهى على رأس صفوف جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان الفتى، قطعت مع رفاقى فى السلاح طوال عشرات السنين طريقا حافلا بالمعارك الدامية والبرد القارس والجوع الذى يفوق تصور الانسان. ثم امضيت بعد ذلك نصف قرن فى الابداع والبناء تحت راية الاشتراكية.

وكلما وجدت نفسى فى مأزق حرج يمتحن ايمان الثورى على امتداد هذا الطريق المحفوف بالشدائد والمحن من اجل مصلحة الوطن والامة، كانت تخطر فى بالى قبل اى فكرة او مقولة فلسفية، تلك الكلمات التى قالتها امى وهى تودعنى عند ذهابى الى منشوريا الجنوبية، واتذكر صورتها الاخيرة وهى ترتدى ملابس بيضاء وتراقبنى وانا ابتعد، وعندئذ يزداد ايمانى وتصميمى.

٣ـ السراء والضراء

بالتوافق مع انطلاق جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان الى منشوريا الجنوبية، ارسل القائد يو بدوره وحدة مكونة من مائتى جندى الى منطقة تونغهوا، يقودها رئيس هيئة اركانه، ليو بين تشاو الذى يعتبره ذراعه اليمنى. وكان الهدف من ارساله هو التوصل الى تحالف مع جيش الدفاع الذاتى الذى يقوده تانغ جى يو والحصول من خلاله على اسلحة. فقد كان القائد يو يجد عناء شديدا فى ذلك الحين بسبب نقص الاسلحة. كان جيش الدفاع الذاتى فى اراضى منشوريا الجنوبية الذى يتخذ من مقاطعة لياونينغ قاعدة رئيسية له يمتلك اسلحة اكثر واحدث من تلك التى تمتلكها وحدة القائد يو التابعة لجيش الانقاذ الوطنى.

حين علم السيد ليو بين تشاو بخبر حملتنا، زارنى فى سياوشاهى ليقترح على الذهاب معا الى منشوريا الجنوبية، لانهم تلقوا كذلك امرا بالذهاب الى هناك، اى ان طريقنا واحد. واضاف قائلا اننا اذا ذهبنا معا فسيساعدنى على مقابلة تانغ جى يو وان اتصالنا به قد يحل لنا مشكلة الاسلحة.

وافقت بسرور على اقتراح السيد ليو بين تشاو. فقد كنا فى الواقع نفتقر الى الاسلحة. كما ان ذهابنا برفقة وحدة من جيش الانقاذ الوطنى سيتيح لنا تفادى الاشتباك مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان التى قد نصادفها فى الطريق، ونضمن بذلك امننا ايضا.

كان تانغ جى يو فى الاصل، قائد الفوج الاول فى الحامية الاقليمية لمنطقة دونغبيآنداو. وبعد حادثة ١٨ ايلول، نظم جيش لياونينغ الشعبى للدفاع الذاتى بهدف النضال ضد اليابان من اجل انقاذ البلاد. وكان تحت قيادته اكثر من عشرة آلاف جندى. وكانت قواته التى تتخذ من منطقة تونغهوا قاعدة لعملياتها تخوض معارك قاسية فى منطقة منشوريا الجنوبية اساسا ضد وحدات جيش كوانتونغ اليابانى المرابط فى شنيانغ. وقد اعتادوا فى ذلك السياق القيام بعمليات مشتركة مع وحدات الجيش الثورى الكورى التابع لمجموعة كوكمين.

كانت معنويات جيش لياونينغ الشعبى للدفاع الذاتى عالية جدا فى الشهور الاولى، وقد

حقق نجاحات لا بأس بها فى المعارك. ولكن تانغ جى يو اخذ يتذبذب عندما تحول الوضع لصالح الطرف اليابانى وواجهته مصاعب كثيرة.

وبالرغم من ان عصبة الامم كانت قد ارسلت الى منشوريا فريقا لتقصى الحقائق برئاسة ليتون بهدف الوقوف على حقيقة حادثة ١٨ ايلول، الا ان الجيش اليابانى واصل توسيع نجاحاته فى المعارك دون ان يجد نفسه مقيدا بوجود ذلك الفريق. فقد استولت الامبريالية اليابانية على جينتشو فى اوائل كانون الثانى عام ١٩٣٢، وفى الثامن والعشرين من الشهر نفسه، افتعلت حادثا فى شنغهاى باسلوب تآمرى ولصوصى. اذ اقدم اليابانيون على تدمير مصانع ومتاجر الصينيين وقتلوا رجال الشرطة بذريعة تعرض خمسة كهنة يابانيين فى هونغكو بشنغهاى للضرب، واتبعوا ذلك تحريك مشاة البحرية لشن هجوم مسلح واسع النطاق على مدينة شنغهاى. لقد كان الهدف من افتعال ذلك الحادث هو تحويل شنغهاى الى رأس جسر للاعتداء على اراضى الصين الرئيسية. كان قادة الدوائر العسكرية اليابانية يحسبون ببلاهة انهم اذا ما احتلوا شنغهاى فى معركة خاطفة، فسيتمكنون من بسط هيمنتهم على الصين كلها مستفيدين من ذلك النجاح.

الا ان الجنود والسكان فى شنغهاى بادروا على الفور الى شن هجوم مضاد بطولى وسددوا ضربات قاصمة لجيش العدوان اليابانى. ومع ذلك، فقد باءت هذه المقاومة بالاخفاق من جراء سياسة الخيانة وبيع الوطن التى انتهجتها حكومة الكومنتانغ الرجعية بزعامة تشانغ كاى تشك ووانغ جينغ وى، واسدل الستار على حادث شنغهاى بابرام "اتفاقية شونغهو" المذلة والمعادية للثورة.

لقد اخمد اخفاق المقاومة فى شنغهاى همة جيش الانقاذ الوطنى وجيش الدفاع الذاتى والقوى المسلحة الوطنية الاخرى والشعب وكل انصار النضال المناهض لليابان.

ان حادث شنغهاى وعملية تقبل "اتفاقية شونغهو"، تدلان على ان السياسة الرجعية الخائنة للوطن التى انتهجتها حكومة الكومنتانغ كانت تشكل العقبة الكبرى امام قوى الانقاذ الوطنى المناهضة لليابان. ولم تكتف زمرة الكومنتانغ الرجعية بحجب المساعدة عن المقاومة فى شنغهاى، بل عرقلت تلك المقاومة واعتبرتها عملا اجراميا. لقد توقف تشانغ كاى تشك ووانغ جينغ وى عن تقديم العتاد الحربى لجيش الطريق التاسع عشر وصادرا اموال الدعم المرسلة الى شنغهاى من كل انحاء البلاد، ولم يتورعا من جهة اخرى عن اقتراف الاعمال الخيانية المخزية مثل اصدار الاوامر السرية الى البحرية الصينية لتموين

الطرف اليابانى بالمؤن والخضروات.

لم يكتف رجعيو الكومنتانغ بأنهم لم يقاوموا اليابان بأنفسهم فحسب، بل منعوا ابناء الشعب من مقاومة اليابان. وكانت بنادقهم مصوبة الى قلوب المناهضين لليابان حيثما كانوا. واصبح المنادون بمقاومة اليابان، دون استثناء، ضحايا ارهاب الكومنتانغ ومشانقه.

لقد تشدق تشانغ كاى تشك منذ وقت مبكر بانه اذا ما تعرضت الصين للدمار على يد الامبريالية، فسيتمكن الصينيون من الحفاظ على حياتهم حتى ولو تحولوا الى عبيد محرومين من الوطن، اما اذا وصل الحزب الشيوعى الى الحكم، فلن يستطيعوا الحفاظ على حياتهم حتى ولو كعبيد. وهذا، ان دل على شىء، فانما يدل على ان تشانغ كاى تشك وزمرته الرجعية كانوا يخافون الثورة الشعبية اكثر مما يخافون القوى العدوانية الامبريالية الاجنبية ويحترسون منها، كما يدل على انهم كانوا بأنفسهم خدما اذلاء وعملاء مخلصين للامبرياليين.

لقد كان لممارسات تشانغ كاى تشك الخيانية تأثير فكرى سلبى على الفئات العليا فى جيش الانقاذ الوطنى وجيش الدفاع الذاتى التى كانت على علاقة، بشكل او بآخر، بالكومنتانغ وتمثل مصالح امراء الحرب القدماء والطغمة البيروقراطية والسياسية.

ان جبروت الجيش اليابانى السائر على طريق التوسع، كان احد العوامل فى انهيار معنويات جيش الانقاذ الوطنى. وقد اقترح فريق عصبة الامم لتقصى الحقائق برئاسة ليتون فى تقريره وضع منشوريا تحت اشراف دولى مشترك، وليس تحت السيطرة اليابانية. لكن اليابان واصلت عملياتها القتالية ضاربة عرض الحائط بهذا الاقتراح. فواصلت قواتها المسلحة الزحف شيئا فشيئا على شانهايكوان ومنشوريا الشمالية. واحتلت تدريجيا تلك المناطق الشاسعة لتركز قواها باتجاه ريهى.

عشية الزحف الى منشوريا الشمالية، عبأت الامبريالية اليابانية اجهزة استخبارات جيش كوانتونغ اليابانى من اجل تفكيك جيش دونغبى سياسيا، والقيام باعمال الرشوة والمكائد من خلال عملائها لتمزيق الوية ذلك الجيش وبث العداء فيما بينها وتوريطها فى نزاع على الهيمنة.

فاذا اراد اليابانيون مهاجمة ما تشان شان، استمالوا الى جانبهم شو بينغ وين، وبعد ان يهزموا الاول، يوجهون ضربة ساحقة الى الثانى بسهولة. وهكذا تمكنوا من سحق الوحدات المناهضة لليابان فى منشوريا الشمالية بكل سهولة بضربها واحدة بعد الاخرى.

ولم يكن لعملية تفكيك الوحدات المناهضة لليابان تلك الا ان تؤثر على وانغ دى لين فى منشوريا الشرقية وتانغ جى يو فى منشوريا الجنوبية. وقد رفع تانغ جى يو راية الانقاذ الوطنى ومناهضة اليابان راكبا موجة الاندفاعة الثورية لدى الشعب، ولكنه لم يشن عمليات نشطة وجريئة، وانما تصرف بحذر مكتفيا بمراقبة توجهات الوضع.

وقتذاك، كان عدد غير قليل من قادة الوحدات الصينية المناهضة لليابان بمن فيهم دينغ تشاو، لى دو، سينغ جيان تشينغ يحلمون بان الاعتماد على عصبة الامم وحدها كفيل بحل كل الامور دون الحاجة الى خوض نضال نشط ضد اليابان. بل ان الامر بلغ بهم حد التأكيد على المزاعم السخيفة القائلة "ان تشانغ سو ليانغ لم يواجه الجيش اليابانى بهدف تصفية قطاع الطرق الشيوعيين. اذ لا بد من القضاء اولا على هؤلاء، ليكون بالامكان طرد الجيش اليابانى فيما بعد. لان الحزب الشيوعى هو الذى ادخل اليابانيين."

فى ربيع العام الذى انطلقنا فيه الى منشوريا الجنوبية، القت احدى وحدات جيش الدفاع الذاتى القبض على جو باو جونغ. حينذاك، سأل جو باو جونغ الضباط الذين اعتقلوه عن سبب تسمية وحدتهم بجيش الدفاع الذاتى.

فكان ردهم على الشكل الآتى: "ان كلمة الدفاع الذاتى تعنى الحفاظ على القوى الذاتية، وهو امر صعب التحقيق فى الظروف السائدة. وبما ان الوضع كذلك، فكيف يمكننا مقارعة اليابانيين؟ فما لم يهاجمنا اليابانيون، لا نجد مبررا لمهاجمتهم. هذا هو ما ندعوه الدفاع الذاتى."

هكذا كان اسلوب تفكير جيش الدفاع الذاتى ووجهة نظره السياسية. وكان تانغ جى يو الذى فقد الثقة وسقط فريسة الذبذبة قد اهمل الوحدات التابعة له ولم يعد يشرف عليها. ويمكن القول ان قيام القائد يو بايفاد ليو بين تشاو الى قيادة جيش الدفاع الذاتى فى ذلك الوقت كان اجراء مناسبا تماما.

وبعد ظهر الثالث من حزيران، غادرت وحدة حملتنا سياوشاهى، وكان دليلنا هو رئيس جمعية الفلاحين فى شاهى (ساسياوشاهى)، فعبرنا نهر ايرداو ووصلنا الى قرية ليوجيافينفانغ. وكنا قد حددنا مسافة قصيرة لقطعها فى اليوم الاول. وهكذا قررنا المبيت فى تلك القرية والقيام بعمل سياسى فيها.

قيل لنا ان هذه القرية سميت ليوجيافينفانغ منذ بنى فيها شخص يدعى "ليو" مطحنة للقمح.

وبعد العشاء، اشعلنا نارا فى فناء الطاحونة الرحب.

وقد توافد اناس حتى من القرى المجاورة حين بلغهم خبر قدوم جيش حرب العصابات. وكان مسؤولو المنظمات فى القرية قد جمعوا حصائر القش من البيوت، كما جلبوا جذوع الاشجار الجافة والعوارض الخشبية ليجلس القادمون عليها.

كان عدد من اجتمعوا هناك عدة مئات. وقد تحدثنا معهم الى ما بعد منتصف الليل ونحن نجلس بازدحام حول النار.

لقد وجهوا الى اسئلة كثيرة جدا. فعلى الرغم من اننى قمت باعمال تنظيمية وسياسية كثيرة بين الشعب فى حياتى، الا اننى لم اتلق يوما مثل ذلك الوابل من الاسئلة. فقد كان على ان اتحدث الى المجتمعين طوال ساعات متواصلة، الى ان وجدت نفسى غير قادر على الاستمرار بسبب البحة التى اصابت صوتى.

سألونى فى البداية عن هوية جيش حرب العصابات وعن الفرق بينه وبين جيش الاستقلال. كانوا يعرفون ان جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان قد تأسس فى سياوشاهى قبل شهر واحد. كانت هذه الاسئلة تبدو بسيطة وعادية، بيد انها كانت تعكس آمالهم التى يعلقونها على القوات المسلحة الجديدة وشكوكهم بقدراتها. فاذا كان جيش الاستقلال وجيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان يناضلان من اجل تحرير كوريا، فلما يجرى تعقيد الامور وتأسيس جيشين منفصلين؟ وهل لدى جيش حرب العصابات الوليد القدرة على هزيمة الجيش اليابانى، وهو ما لم يستطع تحقيقه الاستقلاليون انفسهم؟ اذا ما كانت لديه هذه القدرة، فما هى ضمانة ذلك؟ هذه هى باختصار، على ما اذكر، الاشياء التى كان يود معرفتها اهالى قرية ليوجيافينفانغ الذين كانوا مستائين جدا من جيش الاستقلال ويشعرون بخيبة امل شديدة لهزائم هذا الجيش المتتالية.

حاولت التحدث ببساطة ووضوح قدر الامكان:

ان جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان ليس شيئا خارقا. انه جيش شعبى بكل ما فى الكلمة من معنى، يناضل ضد الامبريالية اليابانية. وهو مكون من ابناء العمال والفلاحين امثالكم، ومن الشباب الطلبة والمثقفين. ورسالته هى القضاء على السيطرة الاستعمارية للامبريالية اليابانية وتحقيق استقلال الامة الكورية وتحررها الاجتماعى.

وجيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان هو جيش من نمط جديد، يختلف عن جيش المتطوعين الفاضلين وجيش الاستقلال. واذا كانت الفكرة الهادية لجيش الاستقلال

هى القومية البورجوازية، فان الفكرة الهادية لجيش حرب العصابات المناهض لليابان هى الشيوعية. والشيوعية بكلمات بسيطة، هى نظرية تطالب ببناء عالم ينعم فيه الجميع بالحرية والمساواة دون تمييز ما بين غنى وفقير وما بين رفيع ووضيع.

وعلى خلاف المثل الاعلى للاستقلاليين الذين يتطلعون الى بناء مجتمع تكون السيادة فيه للاثرياء، فان المثل الاعلى لجيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان هو بناء عالم يكون سادته هم الكادحون. واذا كان جيش الاستقلال يرى فى الناس العاديين من امثالكم متعاونين ومتعاطفين مع حركة استعادة الوطن، فاننا نعتبركم المكلفين بانجاز الثورة المناهضة لليابان وسادتها. واذا كان جيش الاستقلال يسعى للوصول الى تحرير البلاد بتعليق الآمال الكبيرة على القوى الخارجية والاعتماد عليها، فاننا ننوى استرجاع البلاد، بالاعتماد على قوتنا الذاتية التى نثق بها.

صحيح ان جيش الاستقلال قد ورث جيش المتطوعين الفاضلين، وبذل جهودا كبيرة لخوض معارك دامية ضد الغزاة اليابانيين خلال اكثر من عشر سنوات فى سهول وجبال منشوريا والمنطقة الشمالية من الوطن. ولكن قدرة جيش الاستقلال راحت تتضاءل شيئا فشيئا حتى اصبح وجوده فى خطر الآن. لهذا اسسنا جيشا جديدا، وهو بالتحديد جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان، عاقدين العزم على تحقيق الانتصار فى قضية استعادة الوطن المقدسة التى لم يستطع جيش الاستقلال تحقيقها.

عندئذ سألنى شاب قروى عن عدد آلاف الجنود الذين يضمهم جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان.

فاجبته ان تعداده لم يبلغ آلاف الجنود وانما بضع مئات فقط لان هذا الجيش مازال حديث العهد، ولكن عدده سيزداد بسرعة ليصبح آلافا وعشرات الآلاف على الرغم من قلة عدده الآن.

وبعد ان سمع الشاب هذا الجواب، سألنى من جديد عن الاجراءات التى يجب اتباعها للانضمام الى جيشنا.

فاجبته بانه لا وجود لاجراءات او شكليات خاصة بهذا الشأن، واننا نقبل فيه كل الشباب المستعدين للقتال دون استثناء، ما داموا يتمتعون باللياقة البدنية المناسبة، ويستطيعون التقدم للانضمام بتوصية من المنظمات الثورية او بتقديم طلب مباشر الى وحدتنا.

فاحاط بى عدد من الشباب القرويين فورا، وسألونى عما اذا كان بامكاننا ان نقبلهم فى

الحال اذا ما طلبوا الانضمام الى الجيش.

لقد كان ذلك بالنسبة لنا مكسبا كبيرا.

"كيف لا، ولكنكم ستقضون بعض الوقت دون اسلحة. وعليكم انتزاعها من العدو فى ساحة المعركة. فاذا كنتم تصرون على الانضمام الى الجيش رغم هذه الظروف، فاننا نقبلكم هنا بالذات ".

والتمس الشبان السماح لهم بمرافقتنا حتى ولو بدون اسلحة.

هكذا، اصبح لدينا عدد من المستجدين. كانت تلك هدية غير متوقعة من ليوجيافينفانغ لجيش حرب العصابات الفتى. لقد كدنا نخرج عن طورنا من الفرح امام هذه الهدية. ويمكن بسهولة تصور فرحتنا الغامرة بانضمام نحو عشرة شباب دفعة واحدة الى صفوفنا، اذا اخذنا بعين الاعتبار الاوضاع فى ذلك الحين، حيث كنا نفقد احيانا رفيقين او اكثر فى مسعانا لكسب رفيق ثورى واحد.

ان الثوريين الذين ينامون الليل فى العراء وسط الرياح الهائجة، ويسكنون جوعهم احيانا بحفنة من الثلج، لديهم متعة خاصة وفريدة لا يمكن للبورجوازيين والنفعيين ان يتمتعوا بها ابدا. انها متعة الرضا الروحى التى يشعرون بها عندما يجدون رفاقا جددا فى السلاح. حينما طلب اشخاص كانوا غرباء حتى وقت قريب، الانتماء الى الجيش مصممين على التضحية بحياتهم، شعرنا بسعادة لا حدود لها ونحن نلبسهم الزى العسكرى ونسلمهم الاسلحة. انها سعادة لا يمكن لآخرين ان يعرفوها على الاطلاق. وقد اعتبرنا ذلك فرحا ومتعة على طريقتنا.

فى تلك الليلة، اقام رجال جيش حرب العصابات حفلة سمر ترحيبا بالجنود الجدد. وقد غنيت انا وتشا كوانغ سو ايضا.

ان الفضل فى تحقيق هذا المكسب الكبير الذى توصلنا اليه بجهود ضئيلة يعود الى ان الرأى العام كان يتجه بمعظمه نحو جيش حرب العصابات المناهض لليابان بعد حادثة ١٨ ايلول مباشرة.

ففى ذلك الوقت، كان الشباب يشعرون بانه لم يعد بامكان الكوريين ان يعيشوا مطمئنين حتى فى منشوريا، لان اليابان قد احتلتها ايضا. وانه عليهم فى ظل هذا الوضع ان ينطلقوا الى معركة الحياة او الموت المصيرية. وقد كانت تلك هى الحالة المعنوية السائدة والمشتركة.

واصلنا تبادل الحديث حتى الفجر. وعندئذ فقط، بسطنا حصائر القش والاسل حول النار ونمنا في الهواء الطلق لاول مرة بعد تأسيس جيش حرب العصابات.

وعلى الرغم من ان سكان القرية قد اثاروا ضجة شديدة قائلين انه من العار عليهم ان يتركوا رجال جيش حرب العصابات ينامون في العراء وهم في قرية يقطنها الكوريون، الا اننا لم نذهب للنوم في البيوت الريفية التي خصصها لنا مسؤولو المنظمات في القرية. صحيح اننا رفضنا دعوة القرويين بدعوى عدم الحاق الضرر بمصالحهم، ولكنني اظن ان الدافع وراء تصرفنا ذاك كان مشاعر حماستنا الرومانسية، ذلك اننا كنا نفكر في انه يتوجب على الثوري ان يفضل المضجع الخشن على الفراش الدافئ الوثير.

وعند عودتنا من الحملة الى منشوريا الجنوبية، امضينا ليلة ايضا في هذه القرية. وقد بتنا ليلتنا تلك امام بيت العجوز الصيني المدعو لو سيو وين. فقد كانت امام بيته خرائب مستودع فسيح كان يستخدم فيما مضى لتخزين البطاطا. فاحطناه بسياج محبوك من القش واشعلنا نارا في وسطه وامضينا فيه تلك الليلة.

وحين رأى العجوز لو سيو وين اننا نعد طعامنا ومنامنا في العراء بدلا من ان ندخل الى بيته، جاءني وطلب مني ان ابيت في غرفته اذا كنت لا اريد السماح لمرؤوسي بذلك.

"لو انك كنت غريبا عنا ايها السيد سونغ جو، لكان تصرفك مفهوما الى حد ما. ولكن كلا منا يعرف الآخر منذ اقامتنا في جيوآنتو، أليس كذلك؟"

فتوسل العجوز متأسفا، وشكا من انني اتصرف معه بدبلوماسية.

في الحقيقة، كنت قد تعرفت اليه منذ زمن بعيد. فعندما كانت اسرتي تقيم في غرفة من النزل الذي يديره ما تشون ووك، رأيت العجوز لو سيو وين هناك مرتين او ثلاث مرات. وقد خلف في نفسي سلوكه المتدفق بالحيوية والحماسة آنذاك انطباعا لا يمحى.

قال انه لا يستطيع النوم مطمئنا في فراشه بينما الشبان الذين عادوا من حملة مناهضة لليابان قطعوا فيها الف ري يأكلون وينامون في العراء. وبقي يتحدث معي حتى ساعة متأخرة من الليل.

وكان مطلعا على الوضع السياسي كما هو الحال عموما بين سكان ليوجيافينفانغ. فكان يعرف ان الجيش الياباني قد اصطنع دولة عميلة تدعى منشوكو بعد حادثة ١٨ ايلول واتخذ تشانغتشون عاصمة لها بعد استبدال اسمها الى سينجينغ ونصب بويي على عرشها.

ومن الاحاديث التي تبادلتها مع العجوز ولا تزال محفوظة في ذاكرتي، الحديث عن آن

زونغ كون. فقد اعلن العجوز ان الرجل الذى يكن له اكبر احترام بين الشهداء الكوريين هو آن زونغ كون.

"لقد كان السيد آن زونغ كون هو رجلا عظيما من الشرق. حتى ان الجنرال الاعلى يوان شى كاى نظم الشعر الذى يشيد بصنيع الشهيد آن".

لقد ترك كلام العجوز هذا اعمق الاثر فى نفسى.

بعد ان اقدم آن زونغ كون على قتل ايتوهيروبومى بالرصاص، ذاع صيته بين الصينيين فى منشوريا ككائن اسطورى حتى ان بعض الشخصيات الصينية علقت صورته على جدران البيوت وكان منهم من ينظر اليه بتأليه.

سألت لو سيو وين بصورة عابرة، وانا معجب بتقديره العميق لآن زونغ كون:

"كيف تعرف ايها الجد آن زونغ كون جيدا رغم انك لست كوريا؟"

"ليس هناك بين سكان منشوريا من لا يعرفه. بل وكان هناك من دعا الى اقامة تمثال من البرونز له فى محطة هاربين. وحتى الآن مازلت اقول لاولادى : اذا ما اردتم ان تكونوا ثوريين فعليكم ان تحذوا حذو السيد صون يات صن، واذا اردتم ان تكونوا رجالا مشهورين عليكم ان تحذوا حذو آن زونغ كون. ايها القائد كيم، ها انتذا قد اسست جيشا، فلماذا لا تزيح من الطريق بعض الزعماء الكبار، مثل قائد جيش كوانتونغ اليابانى؟"

لم استطع سوى الابتسام حين سمعت هذه الكلمات الساذجة.

"وما فائدة قتل قائد جيش كوانتونغ اليابانى وحده؟ اذا ما قتلنا هونزيو فسوف يحل هونزيو جديد محله، تماما مثلما ظهر ايتوهيروبومى آخر بعد موت ايتوهيروبومى. لن نحقق شيئا يذكر من خلال الارهاب".

"باية طريقة ستقاتل اذن ايها القائد؟"

"يقال ان لدى جيش كوانتونغ اليابانى مئة الف جندى، وانا اريد مواجهة هؤلاء المئة الف".

حين سمع العجوز لو سيو وين ذلك، شد على يدى بقوة من فرط الانفعال .

"ايها القائد كيم، انك رجل عظيم حقا! رجل من نوع آن زونغ كون".

فقلت مبتسما:

"لا تبالغ فى امتداحى يا جدى. لست رجلا عظيما مثل آن زونغ كون، ولكننى مصمم الا اعيش مثل عبد محروم من الوطن".

عندما غادر جيش حرب العصابات القرية فى اليوم التالى، رافقنا لو سيو وين لمسافة طويلة، وهو يشعر بالحزن لفراقنا. كلما اتذكر قرية ليوجيافينفانغ، يرد الى ذاكرتى ذلك اللقاء المؤثر مع العجوز لو سيو وين.

فى الليلة التالية، خيمت وحدتنا بالقرب من نهر ايرداوبايهى ثم واصلت طريقها بعد ذلك الى ان اشتبكنا بغتة مع مفرزة استكشاف من جيش الامبريالية اليابانية العدوانى كانت تنتقل من فوسونغ الى آنتو. وكنت ابعث كلما انطلقنا فى المسير مفرزة استكشاف مكونة من ثلاثة او اربعة اشخاص تتقدم الصفوف. وقد جرى الاشتباك بين هذه المفرزة بالذات ومفرزة العدو المتقدمة.

اقول بصراحة اننى ارتبكت جدا فى تلك اللحظة. فقد كانت معركة المواجهة الاولى التى نخوضها بعد تأسيس جيش حرب العصابات، كما كانت معركة الصدام الاولى مع الجيش اليابانى الذى يتبجح بانه ليس هناك من يصمد امامه. لقد وجهنا فى ممر سياوينغجى الضربة الاولى للعدو فى كمين، وكان ذلك وفق خطة محكمة ودقيقة، ولكن ما يحدث الآن مختلف تماما. فالخصم هنا ليس جيش منشوكو العميل التافه، بل الجيش اليابانى الرشيق والعنيد، ذا الخبرات القتالية الوافرة. وبالمقارنة مع هذا العدو، كنا جماعة من المبتدئين الذين لم يخوضوا سوى تجربة واحدة.

ولم نكن نعرف حتى ذلك الحين كيفية خوض معركة اشتباك من هذا النوع. وسواء اذا نظرنا الى الامر من ناحية هدف الحملة او من ناحية المبدأ الاساسى لحرب العصابات، فقد كان من المناسب لنا ان نتفادى، قدر الامكان، وقوع هذا الاشتباك غير المفيد والذى قد يؤثر سلبا على عملنا خلال الحملة الطويلة. كما ان كتب الحرب القديمة تعلمنا مبدأ "فيسيل كيوكهو" اى تجنب العدو القوى وضرب العدو الضعيف.

ما الذى علينا عمله اذن؟

كان جنود الوحدة كلهم يتطلعون الى بنظرات متوترة، بانتظار قرارى. وقد وجدت ان الحل المناسب هو احتلال موقع مناسب للامساك بزمام المبادرة قبل وصول قوة العدو الرئيسية فأصدرت الى عناصر الحملة الامر بالانتقال بسرعة الى السفح الشمالى للمرتفع، وهو المكان الذى كانت مفرزتنا المتقدمة تطلق النار منه، ثم ارسلت جماعة من المقاتلين الى جنوبى الطريق. وهكذا اطبقنا على مفرزة الاستكشاف المعادية بنيراننا من شمالى وجنوبى الطريق.

ما لبثت ان ظهرت بعد قليل القوة المعادية الرئيسية. وكان جنودها يسيرون لاهثين على الطريق وهم يحملون امتعتهم الشخصية. وللوهلة الاولى قدرت ان عددهم يساوى سرية. وحين لاحظ العدو ان مفرزته الاستكشافية قد ابيدت، حاول محاصرتنا.

امرت الجنود بعدم اطلاق النار قبل ان اطلق رصاصة الاشارة. ورصدت الجبهة الامامية بانتظار دخول جنود العدو فى مدى اسلحتنا لاننا لم نكن نملك الا قليلا من الذخيرة.

ما ان اطلقت رصاصة الاشارة حتى فتحت الوحدة كلها النار فى آن واحد.

حاولت معرفة معنويات مقاتلينا وانا اصغى الى ازيز الطلقات التى تدوى فى عدة مواقع. لقد كانت كل طلقة منها تعكس حماسة الجنود وهيجانهم، كما تعكس فى الوقت نفسه فقدانهم السيطرة على انفسهم وتهورهم.

لقد تساقط جنود العدو بالجملة، ولكنهم كانوا واثقين من تفوقهم العددى، فأعادوا تشكيل صفوفهم القتالية وشنوا هجوما عنيفا على جانبى موقعنا. فسحبت بعض رجال القوة الرئيسية الموزعة على شمالى الطريق وجنوبيه ووضعتهم على جناحى الموقع بسرعة خاطفة. حالما احتلوا مواقعهم ابادوا العدو المتقدم من هناك برمايات قنص بارعة.

ومع ذلك، لم تتراجع القوات الرئيسية المعادية خطوة واحدة، بل واصلت التقدم نحو مواقعنا بعناد ومثابرة. فدافعنا عن مواقعنا بصمود وجلد حتى بدحرجة الصخور من اعلى، ولكن جنود العدو واصلوا هجومهم بصورة مستميتة.

انتهزت فرصة ضعف حدة اندفاع العدو، واصدرت الامر للوحدة كلها بالانتقال الى الهجوم المضاد. علا صوت البوق مدويا فى ارجاء الغابة، فاندفع رجال جيش حرب العصابات كالبرق على المنحدر ليطاردوا العدو الهارب ويقضوا عليه. وقد تمت ابادة السرية المعادية كلها، ما عدا بعض الهاربين. وحتى وسط معركة الالتحام تلك، كان كيم ايل ريونغ يصيح مبتهجا كلما اردى جنديا معاديا : "لقد سقط وغد آخر."

وقد سقط ايضا عدد من مقاتلينا.

دفنا الرفاق الشهداء فى تلك الهضبة المجهولة واقمنا احتفالا جنائزيا امام قبورهم.

القيت كلمات الوداع بصوت متهدج امام الجنود الذين يشهقون منتحبين وهم يمسكون قبعاتهم بأيديهم. لم اعد اذكر كلمة واحدة مما قلته حينذاك. ولكن ما اتذكره هو اننى عندما انهيت خطابى ورفعت رأسى، رأيت اجساد جنودنا تهتز بشدة، فانتابتنى قشعريرة حين انتبهت الى ان صفوفهم اصبحت اقصر مما كانت عليه عند مغادرتنا ليوجيافينفانغ.

بعد لحظات، اصدرت الامر بمعاودة المسير. فاصطف الجنود جميعهم على الطريق، ما عدا تشا كوانغ سو الذى بقى جاثيا على القبر. لم يكن قادرا على مغادرة المكان، لاننا دفنا اولئك الرفاق دون توابيت وفى مكان مهجور .

صعدت على السفح وصرخت به، وانا اهز كتفيه بشدة:

"ما هذا يا كوانغ سو؟ انهض فورا"!

وقد كانت صرختى قوية ونفاذة لدرجة ان الفتى نهض مستندا على ركبتيه وكأن نابضا يدفعه الى اعلى.

فخفضت صوتى وهمست فى اذنه .

"الرجال ينظرون الينا. اين ذهبت حماستك فى انك ستنهض ثمانى مرات اذا ما سقطت سبع؟"

مسح تشا كوانغ سو دموعه وسار فى مقدمة الصفوف صامتا.

وفيما بعد، ندمت لزمن طويل لما فعلته فى تلك اللحظة. عندما تلقيت خبر استشهاد تشا كوانغ سو فى معركة بعد انقضاء اربعة اشهر على ذلك الاشتباك، كان اول ما خطر الى ذهنى هو الندم والقول لنفسى:

(لماذا عاملت تشا كوانغ سو معاملة قاسية يومذاك ؟ ألم اكن استطيع طلب النهوض منه بكلمة اخرى؟)

بعد أن فقدنا اولئك الرفاق فى السلاح لم استطع بدورى النوم أو تناول الطعام خلال عدة ايام.

كان جميع الشهداء من اعضاء النواة منذ مرحلة "ت . د"، وقد ساروا معنا الطريق نفسها وشاطرونا السراء والضراء.

طبعا، لا يمكن تصور النضال دون تضحيات. فلا مفر من ان ترافق الثورة التضحية بالارواح. وما دامت هذه الخسائر تقع حتى فى سياق العمل السلمى لتحويل الطبيعة ، فكيف لا يقع القتلى فى النضال المسلح الذى تزج فيه كل انواع الاسلحة وكل الوسائل المتاحة لتحقيق النصر؟ ولكننا اعتبرنا مع ذلك ان الخسارة التى تعرضنا لها على الحدود ما بين محافظتى آنتو وفوسونغ قاسية وجائرة اكثر مما ينبغى. فمهما كانت التضحيات التى ترافق الثورة، الا اننى كنت افكر فى انه لا يمكن وقوع مثل تلك الخسارة الفادحة فى صفوفنا التى ما زالت تخطو خطواتها الاولى.

واذا ما حسبنا تلك الخسارة وفق عملية حسابية، فاننا سنجدها غير كبيرة، اذ ان عدد الجنود الذين سقطوا لا يزيد على عشرة. وخسارة عشرة جنود ليس شيئا يذكر اذا ما قورن بالمعارك الحديثة حيث يسقط آلاف او عشرات آلاف الرجال دفعة واحدة. ولكننا لا نحسب بهذه الطريقة فى الواقع خسائرنا من رفاق السلاح. فالعمليات الحسابية غير مجدية لتقدير قيمة الحياة الانسانية.

ان كل مناضل سار معنا على طريق النضال هو كائن ثمين جدا لا يمكن مقارنته باى شىء فى هذا العالم. لقد كانت عقيدتى هى انه لا يمكن مبادلة جندى واحد من جيشنا بمئة من جنود العدو. فقد كان بمقدور العدو ان يجند الآلاف وعشرات الآلاف من الجنود بين ليلة وضحاها باستخدام قانون التعبئة وقوانين الدولة الاخرى، وان يزج باولئك المجندين فى ميدان المعركة باعداد كبيرة، اما نحن فلم نكن نملك مثل تلك الوسائل المادية او السلطة الجبرية. وحتى لو كانت لدينا مثل هذه القوة، فاننا كنا سنعتبر كل رفيق ثورى ثروة ثمينة لا يمكن مقارنته باى شىء. فمن اجل الحصول على رفيق يشاطرنا الغاية والهدف او رفيق فى السلاح يشاركنا الحياة والموت، وتشكيل منظمة من هؤلاء الناس، كان لا بد من بذل جهود جبارة ومكابدة الكثير من المصاعب والشدائد.

لهذا السبب، وطوال مرحلة النضال الثورى المناهض لليابان، لم اكن افخر بالمعركة التى نخسر بها شهيدا واحدا، حتى ولو كبدنا العدو فيها مئة قتيل من جنوده.

يقدر المؤرخون ان المعركة التى جرت على الحدود بين محافظتى آنتو وفوسونغ كانت معركة ناجحة ادت الى ابادة سرية كاملة من العدو بتحويل معركة الاشتباك الى هجوم مضاد بصورة حاذقة. طبعا، مما لا شك فيه ان هذه معركة مظفرة. واهمية هذه المعركة لا تكمن فى ان جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان الفتى قد سحق سرية كاملة من الجيش النظامى المعادى وحسب، وانما تكمن كذلك فى تحطيم خرافة جبروت الجيش اليابانى لاول مرة فى تاريخ نضال حرب العصابات. لقد تأكدنا من خلال هذه المعركة ان الجيش اليابانى جيش قوى فى الواقع ولكنه ليس الجيش القاهر والاقوى الذى لا يعرف الهزيمة ولا التراجع، وتأكدنا من اننا اذا خضنا معركة ببراعة وبالاساليب المناسبة لحرب العصابات، فاننا سنتمكن من هزيمة ذلك الجيش الجبار بقوات محدودة العدد.

ومع ذلك، فقد كلفتنا هذه المعركة غاليا، لاننا فقدنا فيها نحو عشرة من ابناء الرعيل الاول

لمنظمة "ت . د."

(اذا ما فقدنا هذا العدد من رفاق السلاح لسحق سرية معادية واحدة، فكم من التضحيات علينا ان نتكبد حتى نقهر الجيش العدوانى الامبريالى اليابانى المنتشر فى كوريا ومنشوريا والذى ينوف عدده على مئة الف جندى!)

هذا ما فكرت به وانا اتطلع الى الوراء، بينما نحن نبتعد عن ساحة تلك المعركة على الحدود بين محافظتى آنتو وفوسونغ، حيث كان دخان البارود مايزال يلف المكان، وحيث دفنا جثث الرفاق. من خلال تلك المعركة الاولى، ادركنا بالاجماع اننا سنتجشم عناء كبيرا ونكابد تضحيات مؤلمة فى سياق حرب العصابات.

ان الحرب المناهضة لليابان التى خضناها طوال ما يزيد على عشر سنوات بعد المعركة المذكورة، رافقتها بالفعل آلام ومصاعب وتضحيات لا يمكن قياسها ابدا بمفاهيم الانسان الجاهزة عن الحرب.

٤ـأ يكون التعاون مستحيلا ؟

كان طريق مسيرة جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان من آنتو حتى تونغهوا يمر وسط جبال شاهقة وعرة واودية سحيقة كتلك التى فى منطقة الحدود الشمالية لبلادنا. فما بين آنتو وفوسونغ تمتد سلسلة جبال تشانغباى، وما بين فوسونغ وتونغهوا تنتصب سلسلة لونغكانغشان المكونة من جبال شديدة الوعورة، مثل سانتشاجيلنغ وسانداولاويلنغ وغيرهما.

واصلت وحدتنا مسيرتها الشاقة عبر هذه السلاسل الجبلية طوال شهر تقريبا. ففى النهار، كنا نشق طريقنا بين الاشجار لنتفادى الصدام مع العدو على الدروب المطروقة. وفى الليل نمارس العمل السياسى والتدريبات القتالية فى القرى المأهولة بالكوريين التى كنا نأوى اليها.

وقد امضينا عدة أيام فى فوسونغ للعمل مع المنظمات الثورية فيها. وهناك التقيت بتشانغ وى هوا.

لقد ابدى أسفه الشديد لقصر مدة اقامتنا فى فوسونغ وطلب منى تأجيل رحيلنا ليومين او ثلاثة ايام تقديرا للمودة التى قامت بيننا فى ايام الدراسة. وكنت راغبا فى الموافقة على طلبه، لان فوسونغ كانت مكانا لا يمكننى نسيانه حيث احتفظ بذكريات لا حصر لها من الماضى.

مع ذلك، كان على ان اصدر الأمر للوحدة بمواصلة المسير بعد ثلاثة او خمسة ايام من وصولنا تنفيذا لخطتنا المقررة. فمهما كانت فتنة ذكرياتى ومهما بلغت آلامى لفراق الصديق الحميم، كان على ان اتحمل حزن وداع تشانغ وى هوا من اجل مقابلة القائد ريانغ سى بونغ.

ان المسافة من فوسونغ الى تونغهوا، كما قيل لنا، تبلغ خمسمائة رى تقريبا. ولكننا كلما كنا نتقدم كانت تعترض سبيلنا جبال اشد وعورة وتصبح مسيرتنا اكثر صعوبة، وكأنها تريد تأكيد المثل الكورى القديم القائل: "وراء كل جبل يوجد جبل آخر اضخم منه". وبينما

كنا نقطع مئات الريات عبر القمم الشاهقة والاودية السحيقة، استنفدنا جميعنا قوانا وظهر بيننا بعض المرضى. وقد شعرت أنا ايضا بالارهاق الشديد.

وعندما اصبحنا على مقربة من تونغهوا، اقترح تشا كوانغ سو ان نستريح يوما او يومين فى ايرداوجيانغ قبل ان ندخل تونغهوا.

"أتريدنا ان نستريح ونحن على مدخل تونغهوا، بعد ان قطعنا خمسمئة رى دفعة واحدة، ونحن الذين رفضنا اطالة مدة اقامتنا فى فوسونغ؟ مثل هذا الطرح لا يتناسب مع طبعك يا تشا كوانغ سو".

لم يكن بامكانى الموافقة على اقتراح وتعمدت توجيه هذا السؤال اليه رغم انى كنت احدس بصورة غامضة غايته من ذلك.

خلع تشا كوانغ سو نظارته واخذ يمسحها بالمنديل قبل الاجابة. وكانت هذه عادة يبديها كلما اضطر الى الاصرار على رأيه بعناد.

"الجميع مرهقون تماما. وانت ايضا، ايها الرفيق القائد، بلغ تعبكم اقصاه. طبعا، يمكنك ان تنكر ذلك، ولكنك لن تخدع عينى. وهناك بيننا مرضى لا يكادون يستطيعون المشى الا بمساعدة الآخرين. فكيف يمكن لنا ان نظهر امام القائد ريانغ سى بونغ ونحن فى هذه الحالة؟"

"ليس السيد ريانغ سى بونغ ضيق الافق الى حد لا يفهم معه حالتنا هذه".

"لنفترض ان القائد بصير وسيفهم الامر. ولكن، ما الذى سنفعله بعيون المئات من جنوده ؟ سيكون من المؤسف ان ينظروا الينا كجماعة من الغوغاء عديمى الانضباط. واخشى عندئذ ان تذهب مسيرتنا الشاقة والطويلة هباء".

لاحظت فى نبرة صوته انه لا يمكن لاحد دفعه الى التراجع. وفكرت كذلك بان قلقه ليس مجرد نزوة بلا اساس. فمن المحتمل جدا ان يزدرى جنود جيش الاستقلال فى تونغهوا مظهرنا البائس. وعندئذ قد نخفق فى مسعانا لتحقيق التعاون الذى خططنا له. وبدا لى انه لا بأس بالاستراحة ليوم أو يومين فى ايرداوجيانغ، مثلما اقترح تشا كوانغ سو، لندخل بعد ذلك الى مدينة تونغهوا فى صفوف منتظمة وبحيوية ونشاط.

فأمرت الوحدة كلها بالتوقف عن المسير واقامة مخيم فى ايرداوجيانغ. وبعد ذلك، بعثت مراسلا الى القائد ريانغ لكى يبلغه بان جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان الذى جاء من آنتو للتعاون مع جيش الاستقلال يستريح الآن قرب تونغهوا.

بقينا نستريح فى قرية ايرداوجيانغ بانتظار عودة المراسل من تونغهوا.

اقمنا مقر القيادة فى بيت عليه طاحونة ماء. وقد اولانى الزوجان المسنان اللذان يعيشان فى البيت عناية مخلصة.

وبينما كنت اقدم محاضرة سياسية امام نحو عشرة جنود لاشرح لهم قواعد السلوك اللازمة للعمل مع جيش الاستقلال، لامنى صاحب البيت لانى لا اهتم بنصيحته القلبية.

"لقد قال الحكماء القدماء ان من يتكلم كثيرا تضعف قوته، ومن يفرط فى الابتهاج يصاب بانحراف المزاج، ومن يغضب بكثرة تذوى ارادته.

ان الاقلال من التفكير والتخلى عن القلق وتفادى الافراط فى العمل والاقلال من الكلام والضحك هى اسس ومتطلبات قواعد الحياة الصحية المتوارثة منذ القدم. ولكن كيف يمكن لقائد مثلك ان يحافظ على قوته ويقى صحته اذا كان يكثر من الكلام والقلق والتفكير؟ أضف الى ذلك انكم محاربون مدعوون لتحقيق استقلال كوريا".

شرح لى العجوز بجد عشرات الاساليب للحفاظ على الصحة يصعب على ان احفظها فى ذهنى، واكد على انه يجب على الاعتناء جيدا بصحتى من اجل الغاية العظيمة التى لن تتحقق فى وقت قصير. فاضطررت الى ان اتوقف عن القاء المحاضرات السياسية واعهد بها الى تشا كوانغ سو.

وبعد الاستماع الى هذا العجوز، عرفنا انه ممن يقدسون هو زون(٢٧)، وكان ما شرحه لنا خلال وقت طويل هو التعاليم الصحية الواردة فى كتاب "دونغوى بوكام" الطبى. لا ادرى اين وكيف اكتسب هذه المعارف، الا انه كان واسع الاطلاع على اساليب الوقاية الصحية.

وقبل ان نغادر ايرداوجيانغ، اعطى هذا العجوز الى تشا كوانغ سو عدة اكياس ورقية صغيرة تحتوى على بذور اللوتس واقراص مجففة من الحضض الممزوج بالعسل، وقال انه سيكون ممتنا اذا ما استخدمت فى تحسين صحة القائد، رغم ضآلة كميتها.

لم استطع ان اتقبل بسهولة تلك المقويات التى اعدها لتحسين صحته ورفضتها بحذر:

"اشكر كرمكم ايها الجد، ولكننى لا استطيع قبول هذه الادوية. ألا يمكننا نحن الشباب ان نعيش حتى وان كنا نعانى من ضعف النشاط او فقر الدم؟ اما انت الذى عانيت مرارة الحياة دون ان تعرف يوما من الراحة، فيجب ان تتناول هذا الدواء لتحافظ على صحتك حتى ترى يوم استقلال كوريا".

غضب العجوز قليلا حين سمع ذلك واصر على اعطائى الدواء.

"المقويات لا تفيدنا كثيرا نحن الذين عشنا حياتنا كلها. اما انتم فانكم الطلائع المكلفة بتحقيق استقلال كوريا. واذا كنا نحن جذع شجرة هرمة ومتعفنة، فانكم الصنوبر والخيزران الاخضر".

غادرنا ايرداوجيانغ حين عاد المراسل من تونغهوا واخبرنا بان القائد ريانغ الذى تلقى رسالتى اعرب عن رغبته فى الترحيب بدخول جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان الى تونغهوا واسند الى مرؤوسيه مهمة التحضير للترحيب بجيش حرب العصابات. حلق رجال جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان ذقونهم، وكووا سراويلهم فى ايرداوجيانغ، وانطلقوا فى مشية عسكرية نحو المدينة، سائرين بخطوات منتظمة وواثقة ومرددين الاغانى الثورية حسب الاوامر التى يوجهها اليهم الضابط القائد.

عندما اصبحنا على الطريق، كلفت كيم ايل ريونغ بقيادة الصفوف ورحت اناقش مع تشا كوانغ سو تفاصيل خطة المفاوضات التى سنجريها مع ريانغ سى بونغ. كنت اركز كل تفكيرى على العمل الوشيك مع جيش الاستقلال. وبالرغم من ان عجوز بيت طاحونة الماء قد اكد مرارا على ضرورة مراعاة قواعد الصحة، اى عدم الافراط فى التفكير والقلق والعمل والكلام وحتى الضحك، الا اننى لم استطع ان اراعى تلك القواعد الصارمة. فقد كان علينا ان نفكر ونقلق ونناقش كثيرا، واكثر من سوانا، ذلك ان عملنا كله من الفه الى يائه كان امرا خاصا لابداع ما هو جديد وشق طريق غير مطروقة.

كنت مهتما الى اقصى الحدود بالموقف الذى سيتخذه ريانغ سى بونغ فى المفاوضات مع جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان. لقد ابدى تشا كوانغ سو ارتيابه منذ البداية بنتيجة هذه المفاوضات، بينما احتفظت انا بافتراضات متفائلة.

ما ان ظهر امام اعيننا من بعيد منظر مدينة تونغهوا، حتى خطرت فى بالى قصة ممتعة عن ريانغ سى بونغ، كان والدى قد رواها لى ولأمى بشكل عابر حين كان يتذكر رفاقه فى النضال واحدا واحدا وهو طريح الفراش.

عشية حركة الاول من آذار، جرى فى مسقط رأس القائد ريانغ مشروع تحويل الحقول البعلية الى حقول للارز، بمبادرة من رابطة التعاون المشترك للفلاحين الفقراء. وقد انضم بيت القائد ريانغ الى هذه الرابطة ايضا، ودعم بفعالية هذا المشروع لانه يعرف ان زراعة الارز اكثر جدوى من المحصولات الاخرى. الا ان شيوخ الفئة العليا رفضوا ذلك بعناد

بذريعة ان زراعة الارز غير معروفة جيدا فى المنطقة. واستمر هذا الخلاف اليومى الساخن الذى لم يسبق له مثيل بين الشيوخ المعارضين والشباب المؤيدين الى ما قبل موسم البذار الربيعى بقليل.

ولكن الشباب لم يتمكنوا من التغلب على عناد الشيوخ. ومع مجيئ موسم البذار، زرعت الرابطة الدخن والشعير فى الحقول البعلية التى اقترح الشباب تحويلها الى حقول ارز. فتنفس الشيوخ الصعداء حين رأوا ان الاعمال الزراعية تجرى حسب مشيئتهم دون ان يتمكن الشباب من اجراء التحويل الذى يريدونه.

الا ان ريانغ سى بونغ الذى كان يتزعم فريق الشباب، كان يتحين الفرصة لتنفيذ خطته. وذات ليلة كان نقيق الضفادع يعلو فيها معلنا بدء موسم غرس اشتال الارز، ذهب بالثور الى الحقول خفية وحرث عدة قطع من حقول الدخن والشعير التى بدأت بالانتاش وغمرها بالماء دون ان يراه احد.

عندما رأى الشيوخ حقول الدخن والشعير وقد تحولت الى حقول ارز مغمورة بالماء، استولى عليهم الذهول وراحوا يصرخون بغضب: "لعنة الله عليك! جعلت زراعة رابطتنا تذهب سدى، وعليك ان تعرف انه اذا اخفقت زراعتنا هذه السنة، فستتحول انت ايضا الى شحاذ."

الا ان ريانغ سى بونغ استطاع ان يجنى فى خريف ذلك العام اربعة وعشرين كيسا من الارز من تلك الحقول نفسها التى لم تكن تغل اكثر من تسعة اكياس من الدخن او الشعير.

ذهل شيوخ الرابطة واطروا عليه وهم يفرقعون بألسنتهم: "الحقيقة ان سى بونغ رجل غير عادى". ومنذ ذلك الحين، بدأت بيوت كثيرة فى قريته وفى القرى المجاورة بزراعة الارز. وصار الشيوخ المتعنتون الذين كانوا يقودون الرابطة يتقبلون مقترحات ريانغ سى بونغ بطيبة خاطر.

لماذا خطرت فى بالى هذه النادرة ونحن نقترب من تونغهوا؟ لعل السبب فى ذلك هو توجه تفكيرى نحو تبرير تفاؤلى بشأن المفاوضات مع القائد ريانغ.

لقد هجر القائد ريانغ مسقط رأسه (تشولسان) عشية حركة الاول من آذار وذهب الى محافظة سينغجينغ فى منشوريا الجنوبية، حيث التقى بوالدى لاول مرة.

حينذاك، عمل ضابط تفتيش فى مجموعة تونغوى. وبعد تشكيل مجموعة زونغوى، تم تعيينه قائد سرية واصبح كادرا مهما يتمتع بثقة القائد او دونغ زين. وكانت سريته ترابط

فى فوسونغ، حيث اتيحت لى فرصة مقابلته.

فبعد فترة قصيرة من انتقال اسرتنا من باتاوكو الى فوسونغ، استدعى ريانغ سى بونغ من جديد الى مركز محافظة سينغجينغ وجاء زانغ تشول هو الى فوسونغ ليحل محله. وعندما تشكلت مجموعة كوكمين نتيجة دمج المجموعات الثلاث، اسند الكوادر القياديون فى جيش الاستقلال القيادة العسكرية العليا الى ريانغ سى بونغ الذى يتميز بسلوكه السوى وقدرته التنفيذية، ويحظى بثقة الاهالى. ولم يقتصر نفوذ ريانغ سى بونغ على الجيش وحده، وانما تعداه الى داخل الحزب الثورى الكورى الذى يضم كبار قادة المجموعات الثلاث.

وكان القائد ريانغ يحبنى محبة قلبية دائما، قائلا انه تآخى مع ابى كيم هيونغ جيك. وقد قدم لى مساعدة اقتصادية كبيرة فى جيلين سوية مع او دونغ زين، سون زونغ دو، زانغ تشول هو، لى وونغ، كيم سا هون وهيون موك كوان.

وبعد حادث وانغتشينغمين، تشكل لدينا انطباع سىء عن الفئة العليا لمجموعة كوكمين ولم تتح لى خلال مدة طويلة فرصة اللقاء مع ريانغ سى بونغ القائد العسكرى لهذه المنظمة الرجعية. ولكننى كنت موقنا من ان محبة القائد ريانغ لى وثقته بى لم تتغيرا ابدا.

كانت هذه الذكريات تثير فى نفسى مشاعر التعاطف تجاه ريانغ سى بونغ كانسان ووطنى. ولم اكن راغبا فى تذكر اشياء اخرى فى الماضى يمكن لها ان تلقى ظلالا قاتمة على نشاطاتنا للتعاون. بل حاولت ان اتذكر الاشياء التى يمكنها ان تفتح آفاقا تفاؤلية امام مفاوضاتنا. ويمكن تفسير ذلك من خلال غريزة الحفاظ على الذات ورغبتى فى تجنب المحن غير المؤاتية من اجل انجاح المفاوضات.

كانت محافظات دونغبيآنداو العشرون، بما فيها تونغهوا، موضوعة كلها تحت اشراف يو جى شان الحاكم العسكرى والادارى للمنطقة، الذى كان فى وقت ما جنرالا يقود الفيلق الثلاثين بتكليف من تشانغ تسو لين، الا انه فقد ثقة تشانغ سو ليانغ به لانه لم يظهر مهارة فى قمع تمرد جمعية داداو فى حزيران ١٩٣٠. وقد وزع يو جى شان قوات الدفاع عن المقاطعة المؤلفة من لواء واحد تقريبا، ونشرها فى كل الاماكن الهامة فى منطقة دونغبيآنداو ونصب نفسه حاكما اعلى للمنطقة. وفى اعقاب حادثة ١٨ ايلول، نظم لجنة الدفاع عن تلك المنطقة وترأسها بنفسه، وتعاون بنشاط مع السلطة العميلة فى مقاطعة فينغتين محافظا على الاتصال بقادة جيش كوانتونغ اليابانى.

وبضمان تعاون يو جى شان، اوكل جيش كوانتونغ مهمة الحفاظ على الامن العام فى

المنطقة الى قوات الحامية المستقلة وجيش منشوكو العميل والشرطة، ولم يزج فيها قواته الكبيرة. وكانت معظم قوات جيش كوانتونغ تتركز فى منشوريا الشمالية.

فانتهز هذه الفرصة جيش لياونينغ الشعبى للدفاع الذاتى الذى يقوده تانغ جى يو، مع وحدة الجيش الثورى الكورى التابعة لريانغ سى بونغ، وقاما بتطويق حاضرة محافظة تونغهوا. فوقع كل الموظفين اليابانيين وافراد اسرهم فى فرع القنصلية اليابانية فى تونغهوا، بمن فيهم رئيسه اوكيتسو يوشيرو فى الحصار بانتظار النجدة.

وحين علمت قيادة جيش كوانتونغ بذلك، ارسلت نحو مئة شرطى لانقاذ مواطنيها بالتعاون مع قوات يو جى شان، ذلك ان كل قوات جيش كوانتونغ كانت قد رحلت الى منشوريا الشمالية. فانقسم جيش يو جى شان الى وحدتين لكى يضيق على القوات المشتركة للقائدين ريانغ وتانغ من الشمال ومن جهة فينغشينغ.

وقد القى ايداكاكى، رئيس اركان جيش كوانتونغ خطابا مذاعا قال فيه: "ايها اليابانيون فى تونغهوا، غدا صباحا ستصلكم تعزيزات من فينغتين، فارجو منكم ان تقاوموا بعناد حتى موعد وصولها."

هكذا كانت القوات المناهضة لمنشوكو واليابان فى مقاطعة فينغتين تهدد الجيش العدوانى اليابانى وجيش منشوكو العميل فى كل مكان، وقد توافق ذلك مع وصول فريق عصبة الامم لتقصى الحقائق الى منشوريا فى اعقاب حادثة ١٨ ايلول. ولهذا، فقد كانت معنويات رجال الجيش الثورى الكورى وجيش الدفاع الذاتى الذين يسيطرون على حاضرة محافظة تونغهوا عالية جدا.

دخل جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان الى حاضرة محافظة تونغهوا مساء ٢٩ حزيران.

وقد ظهرت فى شوارع المدينة لافتات ترحيبية تقول: "نرحب بجيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان!" و"تسقط الامبريالية اليابانية!" و"لنحقق استقلال كوريا!". وخرج المئات من رجال جيش الاستقلال والاهالى الى الشارع لكى يستقبلونا بحفاوة وهم يصفقون ويلوحون بايديهم. يبدو لى ان ريانغ سى بونغ خطط لان يجعل من دخول جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان الى تونغهوا مناسبة لاحداث انعطاف فى توسيع وتطوير حركة الاستقلال.

انقسمت قوة حملتنا الى قسمين. ذهب رجال جيش الانقاذ الوطنى بقيادة ليو بين تشاو الى

بيوت الصينيين، وكان دليلهم مندوب قيادة جيش الدفاع الذاتى، وتوزع رجال جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان الذين اقودهم على بيوت الكوريين للاقامة فيها.

بعد ان دلنا رجال جيش الاستقلال على مكان اقامتنا، لم يشاؤوا العودة من حيث جاؤوا، بل بقوا معنا لتبادل الحديث. وكانت انطباعاتهم عن وحدتنا جيدة جدا على غير توقع. ولم يخفوا حسدهم قائلين انه عندما وصلتهم انباء قدوم جيش حرب العصابات من آنتو تصوروا انه جيش متخلف مسلح بالحراب او بنادق الفتيل، ولكنهم رأوا فيه شبانا منضبطين كالجيش النظامى.

فى تلك الليلة، زرت القائد ريانغ سى بونغ فى بيته. فاستقبلنى بسعادة. سألته اولا عن صحته وصحة زوجته ونقلت اليه تحيات امى.

"مازالت امى تتحدث عنكم بكثرة حتى بعد انتقالها الى آنتو. لقد قالت لى ان السيد القائد ريانغ اقام جنازة ابى مع اصدقاء آخرين، وانك اوصيت بى للالتحاق بمدرسة هواسونغ، وانه يجب على الا انسى هذا الفضل".

بعد سماع هذا الكلام، لوح القائد ريانغ بيده اشارة الى عدم موافقته:

"لا داعى الى القول انها منة او عناية فقد كنت متآخيا مع ابيك. ومهما فعلت لن استطيع ان ارد الجميل لوالدك على النصائح الكثيرة التى قدمها الى. وامك، كيف هى صحتها؟ لقد سمعت انها تعانى الكثير من مرض معدتها بعد انتقالها الى آنتو".

"اجل، يبدو لى انها فى حالة خطرة. فهى فى الآونة الاخيرة، تلزم الفراش فى معظم الاحيان".

هكذا، بدأ حديثنا بتبادل عبارات التحية.

ثم اشرت الى الانطباعات التى تلقيتها لدى دخول مدينة تونغهوا.

"عندما خرج المئات من جنودكم الى الشارع للترحيب بنا مصفقين، اغرورقت اعيننا بالدموع من التأثر والانفعال. ان وجوههم المشرقة بعثت السعادة فى نفوسنا".

"بالرغم من ان جنودنا لا يتقنون القتال كما يجب، الا انهم يكرمون ضيوفهم جيدا".

"كلامكم متواضع جدا. سمعنا قبل مغادرتنا آنتو ان وحدتكم استولت بكل سهولة على حاضرة محافظة تونغهوا بعد تطويقها بالتعاون مع جيش لياونينغ الشعبى للدفاع الذاتى".

"ليس هذا بالنجاح الذى يستحق الافتخار. فلو لم نستول على مدينة بعشرات آلاف جنود جيش الدفاع الذاتى الذين حشدناهم، لما كان لنا الحق بتناول الطعام".

ومع ان ريانغ سى بونغ كان يتكلم بتواضع، الا انه حدثنى بكل تفاصيل معركة تطويق حاضرة محافظة تونغهوا.

فى ذلك اليوم، انتهى حديثنا عند هذا الحد، وامضيت تلك الليلة فى بيته. لم اشرح له غرض زيارتى ولم يسألنى هو عن ذلك. ومع اننى شعرت بالقلق لان ريانغ سى بونغ لم يسألنى عن الهدف من حملتنا، الا ان قناعتى بالنجاح فى المفاوضات قد تأكدت اكثر من خلال الحفاوة الكريمة والودودة التى قوبلنا بها.

بعد تناول الفطور فى اليوم التالى، بدأنا الحديث فى المسألة الجوهرية.

حينذاك بادرنى القائد ريانغ بالقول:

"كما تعرف، ايها القائد، فان ارض منشوريا تحولت حاليا الى خلية نحل. ذلك ان اعدادا لا تحصى من النحل قد نهضت، لتلسع بابرها السامة اليابان، هذا الضيف الثقيل. تانغ جى يو، لى تشون يون، سو يوان يوان، سون سيو وان، وانغ فينغ غى، دينغ تى مى ووانغ تونغ سوان ... هؤلاء كلهم نحل دونغبيآنداو، وهنالك كثير من النحل أيضا فى منشوريا الشرقية والشمالية. واعتقد اننا سنخرج منتصرين اذا ما ناضلنا متحدين فى هذه الظروف. فما هو رأيك؟ "

كان اقتراحه يتفق مع مهمة حملتنا. وكان من المفرح ومن حسن الحظ بالنسبة لنا ان يفكر القائد ريانغ فى التعاون ويبادر باقتراحه علينا.

اعجبت بسعة افقه فى تحليل حركة الاستقلال بمجملها، وتقبلت ما طرحه بسعادة كبيرة.

"انى موافق على قولكم بوجوب النضال متحدين. والحقيقة اننا جئنا اليكم من اجل مناقشة هذه المسألة. فانا اعتقد ايضا بانه يمكن الحاق الهزيمة بالامبرياليين اليابانيين اذا ما اتحدت الوحدات العسكرية الكورية، وكذلك الصينية، واذا ما ناضل وطنيو كوريا والصين وشعباهما متحدين فى حزمة واحدة".

نظر ريانغ سى بونغ الى مبتسما وقال:

"اذا كنتم موافقون فما علينا الآن الا مناقشة المسألة بالتفصيل".

"ان الوضع القائم، ايها القائد، يفرض علينا الاتحاد، ولكن هنالك للاسف الشديد شقاقا فى صفوف امتنا. فصفوف الشيوعيين غير متلاحمة، وكذلك الامر بالنسبة للقوميين، واقل من ذلك هو التلاحم بين القوميين والشيوعيين. فكيف يمكننا فى مثل هذا الوضع ان نقاتل اليابان، وهى العدو القوى؟"

"السبب فى ذلك يعود كليا الى السياسة الخاطئة التى تنتهجها الفئات اليسارية. وانت تعرف هذا الامر جيدا لانك تنتمى الى اليسار كما قيل لنا. لقد فقد اليساريون ثقة الشعب بسبب نضالهم الطائش. وحولوا الفلاحين الى عصاة بتحريضهم على اثارة نزاعات بشأن المحاصصة وابادوا الاقطاعيين باسم شهر ايار الاحمر ... لذلك، اصبح الصينيون يديرون ظهورهم للكوريين. والسبب فى ذلك كله يعود الى دعاة الحركة الشيوعية".

هذا الكلام لا يمكن ان يقوله الا اولئك الذين اشمأزوا من اعمال العنف التى قام بها الشيوعيون. لم احمل كلامه على انه تعبير عن العداء للعمال والفلاحين وتعاطف مع الاقطاعيين والرأسماليين، لان ريانغ سى بونغ نفسه عانى الفقر والعوز الشديدين كفلاح قبل اشتراكه فى حركة الاستقلال. فمنذ مطلع كل سنة جديدة، كان عليه ان يعانى ملاحقة الاقطاعى من اجل تسديد ديونه المتراكمة. ولانه كان فلاحا بالمحاصصة، فقد كان وضعه اشبه بوضع القن المكبل بالديون وكان ينحدر من نسل فلاح فقير يقيم اوده بما يشبه المعجزة ويسكن جوعه بحساء البنيك مع اوراق الفجل الجافة.

وهكذا قدرت ان استنكاره لنضال العنف الذى ينظمه الشيوعيون لا يعنى انه يعارض المثل العليا للشيوعية بحد ذاتها او انه يدافع عن الافكار المضادة لها، اى الرأسمالية. كان يسخر وينتقد اسلوب الحركة وطريقة النضال التى ينتهجها بعض الشيوعيين، وليس المثل العليا للشيوعية بذاتها. ومع ذلك، فقد كان لمواقفه وسلوكه ازاء تلك الطريقة تأثير لا ريب فيه على مفهومه ووجهة نظره الى النظرية. وللاسف الشديد ان الاخطاء اليسارية التى ارتكبها الشيوعيون الاوائل فى توجيههم للحركة الجماهيرية ادت الى نتائج مؤسفة فى اجتثاث التعاطف مع الشيوعية من اذهان اناس كثيرين كانوا يميلون الى التيار الفكرى الجديد. ومن خلال الحديث مع القائد ريانغ سى بونغ، شعرت مرة اخرى بمدى فداحة عواقب الاخطاء التى اقترفها الجيل السابق من الشيوعيين فى منطقة منشوريا.

ومع اننى اعترفت بالاخطاء الطائشة التى اقترفها بعض الشيوعيين، الا اننى شعرت بضرورة تصحيح احكام ريانغ سى بونغ المتحيزة، والذى كان يصف النضال الجماهيرى برمته بانه عمل ضار يقوض الوحدة الوطنية، فقلت له:

"لقد كنتم محقين، ايها القائد، عندما اشرتم الى ان بعض قياديى الحزب الشيوعى الكورى قد انحرفوا انحرافا مفرطا فى النضال الطبقى. والحقيقة ان تصرفاتهم اليسارية الطائشة قد الحقت اضرارا كبيرة بنا. فهم الذين دفعوا الناس فى نهاية المطاف الى اعتبار الكوريين

عملاء لليابانيين. ولكننى، ايها القائد، اعتقد ان تمرد الفلاحين ضد الاقطاعيين امر حتمى. فانتم عملتم فى الزراعة زمنا طويلا وتعرفون جيدا ما هو نصيب مالك الارض وما هى حصة الفلاح من المحصولات فى الخريف. فالفلاحون المحرومون من المحاصيل التى جنوها بعملهم المضنى لا يملكون شيئا، ولا يجدون حتى ما يسدون به رمقهم او يسكنون جوعهم، فيتمردون من اجل الحفاظ على وجودهم. فهل يمكننا اعتبار تمردهم امرا ضارا دون تبصر وتفهم؟"

بقى القائد ريانغ صامتا ولم ينبس ببنت شفة، ولست ادرى اذا كان صمته بسبب استيائه من حجتى بحتمية النضال الجماهيرى ام لانه وجد كلامى صحيحا.

وفى اليوم نفسه، اقامت وحدة جيش الاستقلال حفلة ترحيب بجيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان. كان بين رجال جيش الاستقلال عدد كبير من الشباب الذين تلقوا تأثيرا شيوعيا من اعضاء منظمة "ت . د" والعاملين السياسيين السريين الذين بعثناهم حينما كنا فى ليوهى وسينغجينغ. وكانت حفلة الترحيب التى تولى هؤلاء الشباب تنظيمها مهيبة وحارة جدا. وقد شارك فيها كذلك عدد كبير من الكوريين المقيمين فى حاضرة محافظة تونغهوا.

وقد تعاقب على الحديث فى الحفلة المضيفون والضيوف، وغنوا على التوالى، وتبدت فى اثناء ذلك الفروق الشخصية ما بين جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان وجيش الاستقلال. فقد تأثر رجال جيش الاستقلال بشدة بصراحة وتواضع وتفاؤل رجال حرب العصابات، كما اعجبوا بانضباطهم وحماستهم. وحسدونا كثيرا بصورة خاصة على اغانينا الثورية وبنادقنا التى من طراز ٣٨.

وقد بدت الحيرة على بعضهم، فتهامسوا متسائلين "من اين ظهر هؤلاء المقاتلون المتدفقون بالحيوية؟"، وقال بعضهم الآخر: "نتمنى ان يتحقق التعاون معكم. ألا تعرفون كيف تمضى مفاوضاتكم مع القائد ريانغ؟."

وفى ذلك اليوم، زار القائد ريانغ جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان، قائلا انه يريد رؤية الجيش الذى يقوده سونغ جو. فرحب جنودنا به بحرارة وهم يصفقون ويؤدون له التحية العسكرية ليتركوا فى نفسه انطباعا جيدا، ولكن جو المودة هذا ما لبث ان تحول فجأة الى جو عدائى حين القى القائد ريانغ خطابا مناهضا للشيوعية.

"ان تحقيق استقلال كوريا يتطلب اولا منع الاعمال المفيدة للعدو. الا ان الحزب

الشيوعى يقدم الآن على مثل تلك الاعمال. ونجده يحرض النزاعات فى المصانع بين العمال والرأسماليين، وفى الارياف بين الفلاحين والاقطاعيين، وفى البيوت بين الازواج والزوجات بدعوته الى المساواة بين الجنسين. وكثيرا ما يبذر الشقاق والتناحر بين المواطنين ويقيم حواجز عدم الثقة بين امتنا وغيرها من الامم بمناداته بالمصادرة والاسقاط".

اثار خطابه مشاعر السخط بين رفاقنا. وتطلع اليه تشا كوانغ سو بكراهية وقد شحب وجهه.

وشعرت بدورى بالاستياء من خطابه المناهض للشيوعية. ولم استطع ان افهم السبب فى القائه مثل هذا الخطاب.

"ايها القائد، نحن لسنا ممن يقومون باعمال تخدم العدو. اننا نناضل من اجل تحرير الامة الكورية وتحقيق مصالح جماهير الشعب العامل. ولا بد للعمال والفلاحين وغيرهم من جماهير الكادحين من ان يكونوا القوة الاساسية فى معركة استقلال كوريا، لانه لا يمكن تحقيق الانتصار بالاعتماد على بعض المناضلين والابطال فقط، كما كان يحدث فى الماضى".

ما ان استمع رفاقى الى كلماتى هذه حتى ضجوا بتوجيه الانتقادات الى مجموعة كوكمين: أليس فى اقدام هذه المجموعة على قتل ستة شباب وطنيين ابرياء فى وانغتشينغمين خدمة للعدو؟ وبالرغم من اقتراف مجموعة كوكمين هذه الجريمة النكراء امام الامة فانها تتجرأ على توبيخنا متشدقة باننا نقوم باعمال تخدم العدو، دون ان ندرى ما هى هذه الاعمال المزعومة.

وتعالت اصوات الاحتجاج من كل مكان.

غضب القائد ريانغ جدا، وراح يوجه الشتائم الينا. وقد اذهلنى غضبه المنافى للقواعد الاخلاقية. واستغربت اقدامه المفاجئ على التنديد بنا، فاقدا السيطرة على نفسه. أتكون بعض كلماتنا قد مست كبرياءه، ام ان احدا غير راغب فى التعاون قال شيئا للقائد ريانغ كى يشوه سمعتنا؟ كان لا بد من وجود سبب لغضبه على اى حال.

فسعيت لاقناعه بهدوء وصبر.

"يا سيدى، لا اجد مبررا لغضبك الشديد. وستدرك جيدا مع مرور الوقت حقيقتنا وستعرف من نكون.

وارى ان تحقيق التفاهم المتبادل يحتاج الى الاكثار من الاتصالات ما بين وحدتكم وجيشنا لحرب العصابات".

لم يرد القائد ريانغ بشىء على هذه الكلمات.

رجعت الى مقر اقامتى وانا اشعر بشىء من الامل والثقة فى اننى قادر على اقناع القائد ريانغ بالالحاح الدؤوب والمتواصل رغم ان موقفه المناهض للشيوعية كان يبدو ثابتا لا يمكن زحزحته عنه. ان عدم الثقة بالآخرين يمكن وصفه بأنه نوع من الشوفينية، اما الثقة بهم فيمكن اعتبارها قمة الانسانية. فاعتبرت ان اسمى انسانية بالنسبة لوطنيى بلد تحتله قوى اجنبية هى تحقيق الوحدة الوطنية وتحرير آبائهم واخوتهم ومواطنيهم بتوحيد قوى الامة.

وكان هذا بالضبط هو هدفى عندما جئت لزيارة ريانغ سى بونغ قاطعا مسافة الف رى على رأس جيش حرب العصابات الذى لم يمض الا شهر واحد على ولادته.

فى ذلك اليوم، وبعد قطع المفاوضات، اخبرنا عضو من منظمتنا فى مدينة تونغهوا بان جيش الاستقلال يحيك مؤامرة لتجريد جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان من السلاح.

وبالرغم من صعوبة تصديق مثل هذا الخبر، الا اننا انسحبنا من تونغهوا كالبرق، آخذين فى اعتبارنا أسوأ الاحتمالات. وهكذا فارقنا السيد ليو بين تشاو ايضا.

لقد اضطر جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان الى مغادرة تونغهوا، ليتجنب الاصطدام مع جيش الاستقلال، ودون ان ينجز المهمة الملحة بتحقيق التعاون ضد اليابان. فكان يسود صفوف الجيش جو من الاكتئاب. مشى تشا كوانغ سو بتثاقل وصمت فى مؤخرة الصفوف فيما هو يتفحص خط سيرنا المرسوم فى مفكرته.

"ايها الرفيق كوانغ سو، لماذا تبدو متعكر المزاج اليوم وكأنك مغتاظ؟"

قلت له ذلك وانا اتكلف الابتسام بعد ان حدست حالته المعنوية.

ويبدو ان تشا كوانغ سو كان ينتظر هذه الفرصة، فدس المفكرة فى جيبه وهو يهمهم:

"وهل تريدنى ان اضحك فى هذه الظروف؟ اننى وبكل صراحة، اكاد اموت غيظا. لقد ذهبت هباء اراقتنا الدماء وجهودنا المضنية فى المسير مسافة الف رى. أليس كذلك؟"

"ولماذا يرى الرفيق رئيس الاركان ان مفاوضاتنا مع جيش الاستقلال قد اخفقت؟"

"او تظنها ناجحة اذن؟ لقد عمد القائد ريانغ فى نهاية المطاف الى تدبير مؤامرة لتجريدنا

من السلاح بدلا من التعاون معنا".

"يبدو لى ان الرفيق رئيس الاركان قد رأى تعابير وجوه الفئة العليا وحدها ولم ير وجوه الفئة الدنيا. ألم تلمح اعجاب رجال جيش الاستقلال ونظرات الحسد فى عيونهم عندما رأوا جيشنا لحرب العصابات؟ اننى افضل الاهتمام بهذه الواقعة اكثر من اهتمامى باشاعة المكيدة.

ليس المهم هو سلوك الفئة العليا، وانما موقف الفئة الدنيا. وقد رأيت فى موقف هذه الفئة امكانية التعاون".

لم اقل هذا الكلام لانى كنت مقتنعا به قناعة راسخة. بل عبرت بذلك عن هاجسى ورغبتى فقط.

اما فى دخيلة نفسى فكنت مغموما. وكانت تعذبنى هذه الفكرة: لماذا يصعب الى هذا الحد التعاون ما بين جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان وجيش الاستقلال اللذين ينتمى منتسبوهما الى امة واحدة، بينما يجرى بين قوات من امم مختلفة، كالتعاون بين القائد ريانغ سى بونغ وتانغ جى يو، والتعاون بيننا وبين القائد يو؟ أيكون من المستحيل حقا التعاون مع القائد ريانغ؟

ان مسألة ما اذا كان جيش الاستقلال يدبر، فعلا، المكائد لتجريدنا من السلاح ام لا، بقيت مجهولة لزمن طويل. وكنت اتمنى ان تكون هذه الانباء بلا اساس، رغم اعتقادى بانها قد تكون صحيحة لان من قدمها لنا هم اعضاء منظمتنا. ولكن، حتى لو كانت تلك انباء صحيحة، لم اكن مستعدا لتحميل القائد ريانغ مسؤوليتها. ان لفكر الانسان حدوده، وهذا قانون. ومن اجل تجاوز تلك الحدود لا بد من انقضاء الزمن واكتساب الخبرة من التجارب. ولهذا السبب بالذات، لم اتسرع فور مغادرتى تونغهوا الى الاستنتاج بان التعاون مع جيش الاستقلال مستحيل. بل احتفظت بالامل فى مجىء اليوم الذى يفهم فيه القائد ريانغ حقيقة اخلاصنا ويدخل باب التعاون معنا. فالوطنية هى اشبه ما تكون بنهر او جدول يجرى نحو بحر التحالف مع الشيوعية.

وبعد مرور عدة سنوات منذ ذلك، التقيت بتشاى يون كو، القائد فى جيش الاستقلال الذى انتقل مع وحدته الى الجيش الثورى الشعبى الكورى، وتذكرنا معا بتأثر احداث صيف عام ١٩٣٢. وحسب ما قاله لى، فان من دبر مكيدة تجريدنا من السلاح لم يكن القائد ريانغ، وانما مرؤوسه، رئيس الاركان لديه. فبينما كان القائد ريانغ يسعى جادا للتعاون مع جيش

حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان، كان رئيس الاركان ذاك يفترى علينا من وراء الكواليس بنشر الدعاية المناهضة للشيوعية، ودبر مع مرؤوسيه المخلصين له مؤامرة تجريد وحدتنا من السلاح.

قضى كلام تشاى يون كو قضاء تاما على ارتيابنا فى القائد ريانغ سى بونغ. وتنهدت بارتياح حين سمعت ان القائد ريانغ حزن حزنا شديدا لانقطاع العلاقات معنا وانه لم يكن متورطا بأى شكل فى مكيدة تجريدنا من السلاح. وكنت سعيدا جدا، وذلك فى المقام الاول لانى تأكدت مرة اخرى من انه انسان نظيف ونزيه فيما يتعلق بروحه الوطنية وواجبه الاخلاقى، رغم انه فارق هذه الدنيا. ليس هنالك ما هو اكثر مدعاة للسعادة والرضى من التأكد من نزاهة انسان كنت تعتبره كذلك منذ عشرات السنين، والاحتفاظ بصورة نقية لا تشوبها شائبة عنه.

كان خطأ القائد ريانغ يتلخص فى عدم استشفافه مكيدة العدو. بالرغم من انه كان رجلا مستقيما وصارم الطبع، الا انه كان يجهل ان رئيس اركانه يحيك المؤامرة تحت ذقنه لاحباط التعاون معنا. كما انه لم يستطع اكتشاف سوء دخيلته حين كان يشوه سمعة الشيوعيين بخبث. وهكذا مات القائد ريانغ وهو متأسف لانه انخدع بمكائد العدو.

فحين كان القائد ريانغ سى بونغ على وشك الموت، حول موقفه المعادى للشيوعية الى التحالف معها. وكانت اوضاع جيش الاستقلال الداخلية حينذاك شديدة التعقيد. فقد تفاقمت الاعمال التخريبية التى يقوم بها الجواسيس وعملاؤهم وظهر الهاربون والمنشقون عن الوحدة. وتعالت من جهة اخرى الاصوات المطالبة بالتعاون مع الشيوعيين.

ولم يعد بامكان القائد ريانغ، هو الآخر، ان يتجاهل الشيوعيين. فاعترف بمجىء مرحلة جديدة يمارس فيها الشيوعيون الذين ظهروا كقوة رئيسية فى الثورتين الكورية والصينية، نفوذهم ويفرضون سيطرتهم، واعاد النظر بصرامة فى موقفه من الشيوعية، وقرر فى نهاية المطاف التحالف مع الشيوعيين.

ان تحول القائد ريانغ الى التحالف مع الشيوعيين، وهو الذى لم يستطع ان يتخذ قرار التعاون معنا بسبب سوء فهمه للشيوعية وعدائه لها دون ارادته، قد سجل بذلك نقطة تحول فى حياته وفى تاريخ نضال جيش الاستقلال. ان اختياره طريق التحالف مع الشيوعية قد تحقق من خلال عمله المشترك مع يانغ جينغ او، وكان يفكر كذلك فى التعاون معنا.

وكان اخشى ما يخشاه الامبرياليون اليابانيون هو ان تمد وحدة ريانغ سى بونغ يدها الينا.

لان التعاون بين الجيش الثورى الشعبى الكورى وجيش الاستقلال كان يعنى تحقيق الوحدة السياسية والعسكرية ما بين الاتجاه الشيوعى والاتجاه القومى فى حركة التحرر الوطنى فى بلادنا، وهو ما يشكل تهديدا كبيرا للعدو.

فعملت اجهزة الدرك والبوليس وتنظيمات التجسس اليابانية بصورة مخططة على حياكة المؤامرات لاغتيال ريانغ سى بونغ وتفكيك جيش الاستقلال من داخله. وانضمت الى هذه المؤامرات قوة الدرك فى فينغتين وجهاز هوكوشيما التابع لهيئة الحاكم العام فى كوريا. كما ان "فرقة حرب عصابات دونغبيآنداو التابعة لجهاز العمليات الخاصة فى جيش كوانتونغ اليابانى" كانت تراقب هى الاخرى القائد ريانغ وتتعقبه.

وقد انتشرت اشاعة تقول انه تم تخصيص اكثر من مئة الف يوان كأرصدة للعمليات السرية الهادفة الى اغتيال ريانغ سى بونغ. وانه جرت ايضا تعبئة باك تشانغ هاى وعملاء آخرين فى سينغجينغ لتنفيذ هذه المهمة.

ومن اجل استدراج القائد ريانغ سى بونغ، ارسل الاعداء اليه فى نهاية المطاف خائنا يدعى وانغ كان على علاقة به من قبل، حين كان يساعد جيش الاستقلال. وذات يوم، ذهب الخائن وانغ الى ريانغ سى بونغ وقال له ان الجيش الصينى المناهض لليابان يرغب فى مقابلته من اجل تقديم المساعدة الى وحدته. فانخدع ريانغ بهذه الكلمات وخرج فى اثر وانغ دون حذر ليذهب الى دالاجى التى قال له ان الجيش المناهض لليابان ينتظره فيها.

وفى منتصف الطريق، اشهر الخائن مسدسه فجأة وقال للقائد ريانغ مهددا: "الست وانغ مينغ فان الامس. اذا كنت تريد الحياة فاستسلم للجيش اليابانى."

فأخرج القائد ريانغ مسدسه، وهو يطلق صرخة مدوية، ولكن الاعداء الذين كانوا يتربصون به فى حقول السرغوم فتحوا النار عليه فورا واردوه قتيلا.

كما وصف تشاى ايل تشون فى احدى المناسبات، فان "كلمات باك زى سانغ البليغة بانه يتقبل العقاب من ملك كايريم (كوريا) ولكنه يرفض المرتبة الاجتماعية والثواب من الملك اليابانى" قد تحولت بكاملها الى روح القائد ريانغ حتى لترتعش منها فرائص العدو.

اننى افكر احيانا: "لو ان القائد ريانغ اختار، فى وقت ابكر من ذلك بقليل، طريق التحالف مع الشيوعية، لكان مصيره قد اختلف عن ذلك". وربما كان هذا التفكير انعكاسا لاملى المبدد ومواساة لحزنى على وفاته.

"لن اتمكن من مواصلة النضال المناهض لليابان، اما انتم فعليكم الحفاظ على حياتكم

والذهاب الى القائد كيم إيل سونغ. وليس ثمة خيار آخر سوى هذا السبيل من اجل الحفاظ على وجودكم".

كانت هذه الكلمات هى وصية القائد ريانغ لجنوده قبل ان يطبق عينيه. ولم تكن هذه الكلمات مجرد وصية عادية، بل كانت بمثابة اعلان للتحالف مع الشيوعية يطلقه وطنى دفع حياته ثمنا لتقويض جدار العداء للشيوعية.

استجابة لهذا الاعلان، جاء الى جبل بايكدو بعد اربع سنوات، اكثر من ثلاثمائة جندى من رجال جيش الاستقلال الذين رحبوا بنا عندما دخلنا شارع تونغهوا، وقد جاء على رأسهم القائد تشاى يون كو، لينضموا الى الجيش الثورى الشعبى الكوري. وقد استقبلتهم حينذاك فى هواتين.

لقد دفن الكوريون المقيمون فى محافظة هوانرين جثة القائد ريانغ فى الجبل القريب من قريتهم، ولم يتركوا للقبر اى اثر او علامة حتى لا يكتشفه العدو.

ولكن رجال الجيش والشرطة اليابانيين نبشوا هذا القبر، وقطعوا رأس الراحل وعلقوه فى شارع تونغهوا.

وقد تعرض افراد اسرة القائد ريانغ ايضا للاضطهاد القاسى. فلم يتحملوا مضايقة رجال الجيش والشرطة اليابانيين والمنشوريين واضطروا الى تبديل كنيتهم من ريانغ الى كيم، وانتقلوا الى موقع جبلى ناء فى محافظة هوانرين التى تبعد اكثر من الف رى عن السكك الحديدية وعاشوا حياة عزلة مثلما يعيش الخلد فى باطن الارض.

بعيد التحرر، ارسلت عاملينا الى منشوريا الجنوبية ليحضروا افراد عائلة القائد ريانغ الى الوطن. فعادت زوجته (يون زاى سون) وابنه وابنته وصهره.

"لا بد انك يا سيدتى قد عانيت الكثير من المشقات بعد وفاة القائد، وهمت على وجهك لتجنب ملاحقة الجيش والشرطة اليابانيين المستمرة".

فردت السيدة يون زاى سون على تحيتى هذه وهى تذرف الدموع وترتعش مطولا:

"ايها القائد المحترم، ان شتى صنوف الحزن تتلاشى لدى رؤية وجهكم. ان حياة التشرد لم تكن بالغة المشقة. فانتم من عانيتم المحن والشدائد لطرد الاعداء اليابانيين".

"اننى اشعر بالذنب لانى لم اكتب اليك مطلقا. فقد كنت مشغولا جدا فى مرحلة النضال".

"ايها القائد العزيز، المذنب هو نحن. لقد كنا نسمع اخبار القائد ونحن فى ذلك الجبل النائى. وكلما كنت اسمع تلك الاخبار، كنت الوم بينى وبين نفسى زوجى الذى مات فى

الغربة لانه لم يتبعكم".

"ولكن القائد ريانغ ناضل بصلابة وصمود مع ذلك حتى الرمق الاخير".

وبعد ذلك، ادخلنا ريانغ وى زون، ابن القائد ريانغ الى مدرسة مانكيونغداى الثورية.

وعندما انعقد الاجتماع المشترك لمندوبى الاحزاب والمنظمات فى شمالى كوريا وجنوبيها فى نيسان ١٩٤٨، زار السيد كيم غو هذه المدرسة، ولم يخف عجبه بعد التقائه ابن القائد ريانغ هناك.

"لم اتصور ان تقدم السلطات فى شمالى كوريا التعليم حتى لابن قائد من جيش الاستقلال فى هذه المدرسة المتخصصة بتربية ابناء مقاتلى حرب العصابات".

"فى هذه المدرسة، لا يتعلم ابناء المغاورين وحدهم، وانما ابناء جميع الوطنيين الذين استشهدوا وهم يعملون فى الجمعيات العمالية والفلاحية داخل الوطن. اننا لا نميز بين من استشهدوا فى النضال من اجل الوطن، بغض النظر عن انتماءاتهم التنظيمية".

حين سمع كيم غو كلماتى هذه، تأثر جدا وهتف: "هذه المدرسة هى رمز للوحدة الوطنية"!

تخرج ريانغ وى زون من هذه المدرسة وخدم ككادر سياسى فى احدى وحدات القوات الجوية، ولكنه مات بعد انتهاء الحرب فى حادث طائرة.

لقد خيب سماع هذا الخبر املى، لاننى ظننت ان نسل القائد ريانغ قد انقطع.

ولكن، كان لدى ريانغ وى زون لحسن الحظ ابن واحد يدعى ريانغ تشول سو. الا انه كان مقعدا بسبب اصابته بشلل الاطفال.

وقد سعى الحزب جاهدا لتمكينه مثل غيره من الاطفال من انهاء جميع مراحل الدراسة الابتدائية والثانوية والجامعية خلال اربع عشرة سنة. وخلال اربع سنوات من دراسته فى جامعة كيم إيل سونغ، كان زملاؤه يحملونه كل يوم فى عربة المقعدين الى قاعة درسه فى الطابق السابع عشر من المبنى. ان احترام جيلنا الثانى وجيلنا الثالث للشهداء الوطنيين وجد تعبيرا عنه فى محبتهم الحارة لحفيد الشهيد الوطنى المقعد.

وحاليا، يبدع ريانغ تشول سو الاعمال الادبية فى فراشه بعد ان اصبح كاتبا يخدم جمهوريتنا بفعالية.

لدى ريانغ تشول سو ابنان اثنان وبنت واحدة. وحسب تسلسل النسب، فان هؤلاء هم ابناء حفيد ريانغ سى بونغ. وكلما جاء عيد تشوسوك (العيد الخريفي – مترجم)، يصاحبون

والديهم لزيارة قبر والد جدهم فى مقبرة الشهداء الوطنيين. وهم لا يعرفون الوان الالم والبؤس التى عاناها والد جدهم فى حياته.

واننى لآمل الا تلقى على كواهل هؤلاء الاطفال الابرياء من جديد الاعباء النفسية الثقيلة المترتبة على معضلة الخيار بين معاداة الشيوعية او التحالف معها.

٥- فى ظل المثل العليا للوحدة

اسرعت وحدتنا فى مسيرتها نحو ليوهى، التى كانت معروفة على نطاق واسع شأنها شأن سينغجينغ وتونغهوا وهواتين وبانشى، كقاعدة مهمة للحركة الاستقلالية الكورية فى منطقة منشوريا الجنوبية. وفضلا عن استقلاليى الجيل القديم، كان يوجد هناك الكثير من المناضلين الشباب المتطلعين الى الشيوعية. كما كان قد اقيم فى هانيهى بمحافظة ليوهى مركز سينهونغ للدورات الدراسية الذى كان معروفا جيدا بانه المدرسة العسكرية الاولى فى تاريخ حركة الاستقلال فى بلادنا.

عندما اخترنا ليوهى كواحد من اهداف مسيرتنا، كنا نقصد من ذلك الى القيام بنشاطات سياسية مكثفة من اجل توسيع القاعدة الجماهيرية لجيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان فى هذه المنطقة. كما اننا كنا نهدف الى صقل الوعى الثورى لدى سكان مناطق سانيوانبو وغوشانجى وهايلونغ ومينغتشيانغ التى سنمر منها فى طريق عودتنا الى آنتو، وتشديد العمل فى الوقت نفسه لتوسيع صفوف جيش حرب العصابات. وفى هذا كانت تكمن احدى المهمات الاستراتيجية التى وضعناها حين اخترنا منشوريا الجنوبية للتوجه فى الحملة اليها.

توقفت الوحدة اولا فى سانيوانبو وغوشانجى وليوهى وهايلونغ، حيث قامت بالعمل مع المنظمات الثورية.

فى اعقاب حادثة ١٨ ايلول، تعرضت معظم المنظمات الثورية فى هذه المنطقة لدمار شديد او للتفكك من جراء الارهاب الابيض المعادى، وكان شيوعيو الجيل الجديد قد بنوا تلك المنظمات بدمائهم وعرقهم خلال عدة سنوات. وكان بعضها فى حالة لا يمكن معها اعادة بعثها لان جميع اعضائها قد اعتقلوا او قتلوا.

كانت منطقة هايلونغ هى المكان الذى عانى اكبر العواقب من حادثة ١٨ ايلول. ففيها كانت توجد القنصلية اليابانية، ومد فيها العدو مخالبه باصرار اكبر. وحيثما ذهبنا، كنا نجد اناسا يتطلعون بلهفة للاتصال بالمنظمة.

ففى كل مكان اقمنا فيه، كنت التقى باعضاء المنظمات الحزبية القاعدية التى توسعت

بالاعتماد على المنظمة الحزبية الاولى وعناصر النواة فى اتحاد الشباب الشيوعى واتحاد الشباب المناهض للامبريالية ومسؤولى اتحاد الفلاحين وجمعية النساء المناهضات لليابان وفرقة الاطفال الكشافة لكى اطلع من خلالهم على سير نشاطات كل منظمة وابحث معهم المهمات الثورية والنضالية العاجلة. وقد اتاح لى ذلك ان اكتشف بعض المشاكل التى لا يمكن التغاضى عنها فى اسلوب تفكير وعمل بعض اعضاء تلك المنظمات الثورية.

كانت المشكلة الاولى هى النزعة الانهزامية التى اخذت تتفشى بسرعة بعد حادثة ١٨ ايلول.

وقد تبدت هذه النزعة قبل كل شىء فى اعتقادهم بان كل شىء قد انتهى حين رأوا ان اليابان قد احتلت حتى منشوريا. وكان كثيرون منهم يقولون: لقد الحقت اليابان الهزيمة بروسيا التى تملك اكبر مساحة فى العالم، كما انها هزمت امبراطورية تشنغ؛ وهى تفتح اشداقها الآن لتبتلع حتى ارض الصين الرئيسية بعد ان احتلت منشوريا؛ لا ندرى مدى قوة الجيشين الامريكى والبريطانى، ولكنهما لن يصمدا امام الجيش اليابانى، ولهذا فان الامل باستقلال كوريا فى الوقت الذى يمكن لليابان فيه ان تغزو العالم كله هو اشبه بانتظار لا نهاية له. هكذا كانت الاوهام حيال الجيش اليابانى التى ظهرت بمناسبة حربى تشنغ – اليابان وروسيا – اليابان، تشيع وتروج اكثر فاكثر فى ذلك الوقت.

بل كان هناك بعض الناس الذين يفكرون فى ان الحديث عن امكانية انتصار الامة الكورية على الامبريالية اليابانية ما هو الا كلام فارغ لا طائل منه. اذا نمت وجهة النظر هذه، فانها قد تؤدى الى الاستسلامية القائلة: ما فائدة القيام بالثورة التى لن تحقق الانتصار؟

وما لم يتم التغلب على هذه الانهزامية، لم يكن فى وسعنا ان نجمع شمل الشعب ولا ان نعبئ قوى وطنية كبيرة للنضال.

ولهذا، اخترنا جنود وضباط الوحدة المؤهلين سياسيا وعمليا، وارسلناهم الى الجماهير لكى يلقوا المحاضرات ويقيموا المناظرات التوضيحية حول موضوع حادثة ١٨ ايلول وآفاق الثورة الكورية.

اجتذب خبر النضال المسلح المناهض لليابان اكبر اهتمام من جانب الجماهير. وكان لديهم فضول خاص لمعرفة حجم جيش حرب العصابات المناهض لليابان ومبادئه الاستراتيجية والتاكتيكية. فانى القيت خطابا له نفس مضمون الخطاب الذى القيته امام اهالى ليوجيافينفانغ وقوبلت بعاصفة من التصفيق.

كان موضوع محاضراتنا ومحادثاتنا الذى يلقى اهتماما كبيرا هو المعركة التى خضناها على حدود آنتو – فوسونغ. والواقع ان تصفية سرية معادية كان نجاحا زهيدا لا يمكن مقارنته بانتصار اليابان التى ابتلعت دفعة واحدة اراضى منشوريا الشاسعة واصطنعت "دولة منشوكو". الا ان الجماهير استمعت الى حكاية هذه المعركة باهتمام كبير. وكان تقديرهم شديدا لجيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان الفتى الذى خطا خطوته الاولى حين احكمت اليابان سيطرتها على منشوريا، وقد اباد سرية كاملة من الجيش اليابانى على الطريق فى وضح النهار.

كان المستمعون يريدون معرفة كل التفاصيل عن سياق المعركة، بل وتفاصيل سلوك جيش العدو الجبان الذى هرب متخليا عن مقاومة هجومنا، كما كانوا يمطروننا بوابل من الاسئلة ليتأكدوا من كل شىء. وكنا نجد انفسنا مضطرين الى شرح كل ذلك مرتين او ثلاث مرات فى كل مكان.

وبينما كنت ارصد اصداء نتائج تلك المعركة على الجماهير، استطعت ان اتأكد مجددا من انه اذا ما اردنا ان نقنعهم بامكانية تحقيق استقلال البلاد بالقوى الذاتية لامتنا، فاننا بحاجة الى عمليات محددة وليس الكلام، وانه من الاهمية بمكان اظهار جبروت جيش حرب العصابات من خلال خوض المعارك الفعلية.

وكانت هناك قضية اخرى هى انه مع تأسيس جيش حرب العصابات، بدأ يظهر بين كثير من الشبان الميل الى اعتبار النضال المسلح شيئا مطلقا والاستهانة بالنشاطات الثورية السرية. فصاروا يزدرون الحياة التنظيمية، معتبرين انه لا جدوى من الاجتماعات ليل نهار والاقتصار على الكلام وحده او توزيع المنشورات، فى الوقت الذى يدمر فيه العدو كل شىء دون رحمة مستخدما الدبابات والمدافع والطائرات، وانه من الافضل لهم ان يقتلوا ولو يابانيا واحدا اكثر بحملهم السلاح لانهم لن يحصلوا على اى شىء عن طريق النشاطات السرية.

لقد كانوا يجهلون حقيقة ان النضال المسلح تقوم به عناصر النواة الذين تم اعدادهم فى بوتقة الحياة التنظيمية، وانه بدون الاستناد الى الخزان الضخم الذى تشكله المنظمة، لا يمكن بناء الصفوف المسلحة، ناهيك عن توسيعها. كان يمكن القول ان ذلك هو ايضا من نتائج مرض الطفولة اليسارية التى تولدت من حادثة ١٨ ايلول.

ولم يكن من الصعب تعريف الجماهير بالسبب فى ان المنظمة هى خزان جيش حرب

العصابات المناهض لليابان، وانه لا يمكن الحديث عن النضال الثورى او خوضه بمعزل عن المنظمة، وان توقف المنظمة عن العمل يعنى القضاء على الجسد التنظيمى الضخم للثورة. وشرحنا للجماهير بصورة مقنعة انه اذا ما استطاع الشيوعيون الكوريون ان يؤسسوا جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان فى كل انحاء منشوريا ويشرعوا بحرب المقاومة، فان الفضل فى ذلك يعود كليا الى ان الجماهير الثورية اجادت العمل بطريقة منظمة فى الفترة السابقة.

كما ان ميل السكان فى منشوريا الجنوبية للرد على ارهاب مجموعة كوكمين بالارهاب كان مشكلة اخرى واجهتنا. ففى ذلك الحين، كثف رجعيو مجموعة كوكمين فى منشوريا الجنوبية ارهابهم ضد الشيوعيين والقوميين الراديكاليين المنادين بتحويل المسار.

فأصر اعضاء اتحاد الشباب الشيوعى واتحاد الشباب المناهض للامبريالية فى منطقة ليوهى على ان يجابهوا بالعنف الفئة اليمينية من مجموعة كوكمين التى تعودت على الارهاب. وكانوا لا يريدون ان يقبلوا بسهولة المسوغات التى اوضحنا فيها عدم ملاءمة الرد على ارهاب مجموعة كوكمين بالارهاب. وقالوا اننا اذا تغاضينا عن اعمالهم ولم نرد عليها بالاسلوب نفسه، فان ذلك سيؤدى الى تشجيع الارهاب.

ومن اجل افهامهم السبب فى عدم صحة الرد على الارهاب بالارهاب وان الاقدام على ذلك هو طيش يلحق اضرارا فادحة بالثورة، كنت مضطرا الى تقديم شرح مطول:

ان ذبح الوطنيين على يد مجموعة كوكمين هو جريمة خطيرة لا تغتفر بالطبع، كما ان فقدان هؤلاء الوطنيين المخلصين على ايدى ابناء امتهم هو مأساة لنا جميعا لا يمكن ان نقدم شكوى بشأنها فى اى مكان. وبسبب هذه الجريمة، ستكون مجموعة كوكمين مدانة الى الابد من جانب امتنا واجيالنا القادمة. واستطيع ان افهم بطبيعة الحال قراركم فى الانتقام من مجموعة كوكمين، ووصمها بجماعة الابادة البشرية. ولكن، يجب علينا ان نمعن التفكير فى سبب هذه الفاجعة قبل ان نشحذ سكين الانتقام. اقول لكم انه يجب عدم اعتبار جميع اعضاء كوكمين سيئين بحجة تحولها الى وكر للفئة اليمينية من القوميين. والمسألة تكمن فى ان الامبريالية اليابانية التى تسعى الى جعل كوكمين مجموعة رجعية، ترسل اليها عملاءها وتكلفهم بمهمة تفتيتها باستمرار. وقد شجعت بمكر اعمال الانقسام والمواجهة ضمن صفوف مجموعة كوكمين بينما راحت تراقب بعين متيقظة الفئة الراديكالية، القوة الصاعدة فيها. اذا ما اسقطنا مجموعة كوكمين بالارهاب، فلن يستفيد ويفرح لذلك سوى الامبرياليين

اليابانيين. ولهذا، يتوجب علينا ان نكشف مؤامرات العدو ونميط اللثام عن عملائه المتسللين الى مجموعة كوكمين، وان نعزل في الوقت نفسه الفئة العليا الرجعية في مجموعة كوكمين. ويجب الا ننسى ان ضمانة الانبعاث الوطنى تكمن فى الوحدة.

فهز الشباب رؤوسهم موافقين على طرحى، واكدوا ان كل شىء صار واضحا لهم.

وفى الوقت الذى كنا نقوم فيه تلك الاتجاهات لدى الرفاق، كلفناهم بمهمة اعادة بناء المنظمات الثورية المدمرة وتنسيقها بسرعة، وجمع شمل اوسع عدد من الناس حولها، واعداد عناصر النواة وارسالهم الى الوحدات المسلحة، وتوسيع المنظمة الحزبية بشيوعيين شباب من اصول عمالية وفلاحية ممن تم اختبارهم فى خضم النضال العملى، وتعزيز العمل ايضا مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان.

واثناء اقامتنا فى مناطق سانيوانبو وغوشانجى وليوهى وهايلونغ، تطوع عدد كبير من الشباب للانضمام الى وحدتنا. ويمكن اعتبار ذلك ملخصا لنشاطاتنا السياسية الجسورة فى منشوريا الجنوبية.

وفى سبيل حل المسائل العالقة فى احياء الحركة الثورية فى منطقة ليوهى، كان علينا ان نرفع دور اعضاء المنظمة الحزبية الاولى، وخصوصا تشاى تشانغ غول، وعناصر النواة فى اتحاد الشباب الشيوعى الذين كان قد تم ايفادهم للعمل هناك. وهذا هو بالتحديد السبب الذى دفعنا الى بذل قصارى الجهود للبحث عن تشاى تشانغ غول الذى انقطع اتصاله بنا منذ سنة. فاذا ما التقينا معه، يمكننا ان نناقش بجدية مسألة تعميق الثورة وتطويرها فى منشوريا الجنوبية بما يتلاءم مع الظروف الجديدة التى اصبح فيها احتلال الامبريالية اليابانية لمنشوريا امرا واقعا وشرعنا فيها بالنضال المسلح، وان نقدم له توجيها سليما للعمل. هكذا، كان تشاى تشانغ غول بمثابة مندوب لنا فى منشوريا الجنوبية.

كانت ليوهى هى منطقة عمله وفقا لقرار منظمة "ت . د"، وكان هو كذلك مرتبطا بعمق بهذا المكان. ففيه بدأ خدمته فى جيش الاستقلال، وحصل على توصية من ريانغ سى بونغ للالتحاق بمدرسة هواسونغ.

بعد اغلاق هذه المدرسة، رجع تشاى تشانغ غول الى سريته الاصلية وعمل مستشارا لجيش الاستقلال، وكرس فى الوقت نفسه كل ما لديه من الطاقة والحماسة لتوسيع مجال نفوذ منظمة "ت . د" فى مناطق منشوريا الجنوبية الشاسعة متخذا ليوهى كمركز. وفى اثناء ذلك شارك فى الاغارة على فرع القنصلية اليابانية فى حاضرة محافظة جينتشوان.

واذا كانت صفوف منظمة "ت . د" قد توسعت وتطورت بسرعة فى ليوهى وسينغجينغ وغيرهما من مناطق منشوريا الجنوبية، فان ذلك يعزى الى النضال الدؤوب والمهارة والحنكة المجربة لتشاى تشانغ غول الذى يمكن القول انه كان سيد هذه المنطقة، فضلا عن الجهود التى لا تعرف الكلل من جانب كيم هيوك وتشا كوانغ سو. وبالرغم من انه كان يعيش وسط جيش الاستقلال الذى يمنع تغلغل الاتجاهات الفكرية الجديدة، فانه لم يكتف بعدم اخفاء طبيعته الشيوعية، بل امسك بزمام المبادرة فى توعية الجنود التقدميين فى جيش الاستقلال حتى حول عددا غير قليل منهم الى انصار للشيوعية. وكان طموحه وجرأته فى العمل المباشر مع الناس يحظى بالتقدير والاعجاب حتى ان قائده كان يغض النظر عن نشاطه السياسى ولا يخبر رؤساءه بشيء عنه حتى عند ذهابه للعمل السياسى فى اماكن تبعد ما لا يقل عن ١٠ رى عن الثكنة وبقائه هناك عدة اشهر.

كانت ليوهى تخضع لنفوذ قوى من جانب الفئويين وعناصر الزمرة المحافظة من القوميين، المعتادين على تدبير المكائد المعادية للشيوعية. فحين نظم عناصر جماعة م . ل ما يسمى "برابطة الاهالى" فى محافظة بانشى، قاموا بمواجهات مع المنظمات القومية فى منشوريا الجنوبية، وبينما كان جيش الاستقلال يتعرض لخطر الانقسام بسبب المواجهة بين زمرتى الراديكاليين والمحافظين، كان هناك بعض اشخاص الفئة اليسارية المتطلعة الى الاشتراكية، يستعجلون تشكيل الجبهة الوطنية الوحيدة بالتواطؤ مع جماعتى هوايو وسوسانغ.

اضف الى ذلك، ان اشخاصا من الزمرة المحافظة، وخصوصا هيون موك كوان وكو اى هو شنوا هجمة رجعية واسعة ضد اتباع الاتجاه الفكرى الشيوعى.

ووسط هذا الجو المعقد، نظم تشاى تشانغ غول اتحاد الشباب المناهض للامبريالية فى منطقة ليوهى وعمل على توسيع صفوفه بسرعة.

وحين رأى الفئويون ذلك بدؤوا التضييق عليه، والقول انه ليس هناك حاجة الى اتحاد الشباب المناهض للامبريالية فى ليوهى نظرا لان الاتحاد العام للشباب الكوريين فى الصين، هو المنظمة الوحيدة للشباب الكوريين المقيمين فى الصين. كما ان عناصر جماعة م . ل راحت تدس العناصر الدخيلة الى اتحاد الشباب المناهض للامبريالية فى ليوهى لتفكيكه من داخله. كما جلبت عشرات الشباب من منطقة بانشى الى دانيكو وشكلت منهم منظمة ارهابية تدعى "زمرة الهراوة" وقدمت الى الشرطة بعد ذلك معلومات مزيفة تقول

ان جيش الاستقلال يعد للتمرد فى سانيوانبو، واقترفت بعد ذلك بالتعاون مع الشرطة، اعمال عنف هستيرية ضد كوادر اتحاد الشباب المناهض للامبريالية.

وقتذاك، كبح تشاى تشانغ غول تلك المكائد وانقذ الضحايا من الخطر.

لم يرد تشاى تشانغ غول على استفزازات الفئويين بعقوبات عسكرية. فقد كان منذ البداية جسورا فى تعامله مع الناس وفى معالجة الامور. وعندما التقيته فيما بعد فى كارون، قال لى انه يستغرب حقا كيف استطاع ضبط نفسه ولم يطلق الرصاص على اولئك الفئويين وهو يرى الكوادر جرحى او يتقيؤون الدم بفعل هراوى الفئويين.

لدى ذهابنا الى ليوهى، كان تشا كوانغ سو مبتهجا بذلك اكثر من غيره. ولم يخف انفعاله كما لو انه صبى وهو يتصور اللقاء مع تشاى تشانغ غول. وكانت لتشا كوانغ سو كذلك علاقة فريدة بليوهى، شأنه شأن تشاى تشانغ غول. فحين كان هذا الاخير يتجول تحت قيادة ريانغ سى بونغ، متمنطقا بمسدس ذى ست طلقات، كان تشا كوانغ سو يعمل معلما للاطفال. وقد ارتبطا بعلاقة رفاقية من ذلك الحين لتماثل اهدافهما.

ذات مرة، قال تشاى تشانغ غول مازحا وهو يتذكر لقاءه الاول مع تشا كوانغ سو:

"على الرغم من اننى رجل متكبر فى تعاملى مع الآخرين، فقد شعرت بالانجذاب نحو تشا كوانغ سو منذ النظرة الاولى. فهو يبدو متهورا فى الظاهر، ولكنه ينطوى فى داخله على كنز ثمين. وقد كان يستقر فى رأسه نحو عشرة كارل ماركس".

وحين سمعه تشا كوانغ سو يقول ذلك، اكتفى بالابتسام.

فأضاف تشاى تشانغ غول:

"لو اننى كنت فتاة، لكنت اول من تختار هذا المتهور زوجا لها. يبدو لى ان فتيات جيلين قد اصبن بالعمى".

كان تشا كوانغ سو مايزال اعزب فى فترة اقامته فى جيلين. ولهذا كان تشاى تشانغ غول يقول دائما وهو يتصنع الجد، انه سيكون وسيطه فى الزواج، وسوف يقود بنفسه الفرس التى سيمتطيها للذهاب الى بيت عروسه فى يوم زفافه.

وكلما التقيا، كانا ينغمسان فى المزاح، كأن يقول احدهما للآخر: بما انك اخى الصغير فيجب عليك ان تحترمنى بصفتى اخاك الكبير، الا ان علاقتهما الرفاقية كانت وثيقة وحارة جدا الى درجة تثير حسد الآخرين. ويمكن القول ان هذه المشاعر الرفاقية قد تعمقت اكثر فاكثر فى ايام توسيع صفوف اتحاد الشباب الشيوعى واتحاد الشباب المناهض للامبريالية

على امتداد مناطق ليو هى وسينغجينغ وتيلينغ. فقد انشأ تشاى تشانغ غول وتشا كوانغ سو معا فرع اتحاد الشباب الشيوعى الكورى فى غوشانجى، كما شكلا منظمات التنوير، مثل جمعية دراسة العلوم الاجتماعية فى محافظات عديدة من منشوريا الجنوبية، مثل سينغجينغ وليو هى وبانشى، باتخاذ وانغتشينغمين مركزا لها.

وقد تولت هذه الجمعية مهمة دراسة ونشر الماركسية اللينينية والنظرية الموجهة للثورة الكورية. كانت طريقة ادارتها اشبه ما تكون بنظام التعليم العالى بالمراسلة حاليا.

فقد كانت هذه الجمعية تقوم بتنوير الشباب بطريقة استدعائهم والقاء المحاضرات عليهم لمدة نصف شهر، خلال موسم انخفاض الاعمال الزراعية، وتلقى عليهم الدروس فى اماكن اقامتهم كل بضعة شهور فى فصول السنة الاخرى، او ترسل اليهم الكتب الدراسية الضرورية.

كان اعضاء الجمعية يجتمعون مرة كل اسبوع ليناقشوا ما استوعبوه بعد مراجعتهم للمحاضرات بانفسهم ورجوعهم الى المراجع المتخصصة، فاذا ما واجهتهم مسألة غير مفهومة، فانهم يبحثون عن حل لها باسلوب الاسئلة والاجوبة الخطية الى ان يستوعبوا تماما ما تعلموه.

فى خريف العام الذى انعقد فيه مؤتمر الاتحاد العام للشبيبة فى منشوريا الجنوبية، استمعت الى تشا كوانغ سو يتحدث حول نشاطات جمعية دراسة العلوم الاجتماعية فى ليو هى واعجبت جدا باصالة طريقة ادارتها وابداعيتها، وقدرت رفاقى الثلاثة فى السلاح (تشاى تشانغ غول وتشا كوانغ سو وكيم هيوك)، الذين قادوا هذه الجمعية، كاناس يتمتعون بطموح كبير وبدرجة عالية من روح المبادرة الابداعية. فطريقة الادارة التى ابدعوها فى خضم الممارسة العملية، اقنعتنا بانه اذا ما قدحنا زناد عقولنا حتى فى ظروف النضال السرى القاسية، فانه سيكون بمقدورنا ان نربى الشباب بكل نجاح ليكونوا رواد العصر وصانعى التاريخ.

بينما كنت اقود الوحدة نحو سانيوانبو، وانا اتخيل امام عينى مشهد اللقاء الذى سيتم بعد قليل مع تشاى تشانغ غول، كنت اشعر ايضا بقلبى يخفق بقوة لا تقل عن تلك القوة التى يخفق بها قلب تشا كوانغ سو.

لقد انقضت سنتان تقريبا على فراقى له بعد تشكيل المنظمة الحزبية الاولى فى كارون. فى اثناء هذه الفترة، تنقل تشاى تشانغ غول هنا وهناك من اجل تنظيم منظمات حزبية

اخرى وتوسيع مختلف اشكال المنظمات الجماهيرية فى مناطق منشوريا الجنوبية الشاسعة بما فيها ليوهى وسينغجينغ وهايلونغ وتشينغيوان وبانشى، وفى سبيل اتخاذ الاستعدادات البشرية والمادية اللازمة لتأسيس القوات المسلحة الثورية الدائمة وهو يقود فى الوقت ذاته مفرزة من الجيش الثورى الكورى. وفى ربيع عام ١٩٣١، استبدل اسم قيادة جيجيانغ للجيش الثورى الكورى باسم الجيش الثورى الشرقى وصار قائدا لهذا الجيش. وقد بعث الى هذا الخبر مع مراسله، الذى اضاف ان تشاى تشانغ غول قلق جدا بسبب الشقاق بينه وبين الفئة الرجعية فى مجموعة كوكمين.

وبعد ذلك، انقطعت اتصالاتى مع ليوهى، الامر الذى جعلنى اشعر بقلق جدى. ولم يكن سبب قلقى هو كونه مغامرا فطريا ومتفائلا لا يتردد عن الزج بنفسه فى اى مهمة فحسب، بل كذلك لانه كان شيوعيا يعمل تحت مراقبة الزمرة الرجعية فى مجموعة كوكمين التى راحت تتخذ من الارهاب وسيلة لحل كل المسائل. ويمكن القول انه كان هدفا لرقابة خاصة من وجهة نظر مجموعة كوكمين.

وفى اواخر العام الذى جرى فيه حادث وانغتشينغمين، اعتقل رجعيو مجموعة كوكمين ستة من الشيوعيين الشباب، كان منهم تشاى تشانغ غول وتشاى دوك هيونغ وحاولوا ان يقتلوهم فى دانيوكو. وهذا الحادث بقى مسجلا فى التاريخ باسم حادث ليوهى.

بمناسبة هذا الحادث، ضاعفت قوى التجديد داخل مجموعة كوكمين، وهى القوى المتطلعة الى التيار الفكرى الجديد، تنديدها بالزمرة الرجعية. وكان تشاى تشانغ غول الذى وقع ضحية هذا الحادث، يصر اسنانه غضبا وحقدا ويقول انه سينتقم من الفئة العليا فى مجموعة كوكمين التى تحولت الى الفاشية تماما.

بعد سماع هذا الخبر، اوفدت باك كون وون الى منطقة ليوهى لكى ينقل اليه رسالة قلت فيها:

"ان المواجهة مع مجموعة كوكمين، بغض النظر عن شكلها، مضرة ولا فائدة منها.

فلا يمكن ولا يجوز ان تحدث اراقة الدماء بين ابناء الامة المتطلعين الى مناهضة اليابان. ألسنا نحن من سيطرنا على انفسنا، رغم صعوبة ذلك، حتى عند فقداننا المحزن لستة من رفاقنا فى وانغتشينغمين؟ عليك ان تتصرف بحذر وحكمة وتبتعد تماما عن الطيش والخفة".

فى اعقاب حادث ليوهى، انقسمت مجموعة كوكمين الى فريقين بمناسبة اجتماع اللجنة

التنفيذية للحزب الثورى الكورى ومؤتمر مندوبيه المنعقدين فى آب ١٩٣٠. كان هيون موك كوان، ريانغ سى بونغ، كو اى هو، كيم مون كو، ريانغ ها سان وغيرهم، يصرون بعناد على التمسك بالنهج القائم ويسعون الى فرض ذلك. بينما كان هناك اشخاص من زمرة الشباب، مثل كو وون آم وكيم سوك ها ولى زين تاك ولى وونغ وهيون ها زوك ولى كوان رين يعارضونهم ويصمون الحزب الثورى الكورى بانه حزب فاشى وغير شعبى، وانه لا بد من حله واعادة تنظيمه كطليعة للثورة الطبقية لكى يمثل المحرومين، ويمارس فى الوقت ذاته قيادة طبقية على الفلاحين الكوريين فى منشوريا. وكان اصرارهم هذا توجها تجديديا مفيدا لتحويل مسار الحزب.

انطلاقا من هذا التناقض فى المثل العليا، انغمست الزمرتان فى صراع دموى تسعى كل منهما من خلاله الى دحر الزمرة الاخرى وتقويضها.

فلجأت الزمرة المؤيدة لمجموعة كوكمين الى شن حرب ارهابية للاطاحة بالزمرة المعارضة لها، وذلك بموافقة حكومة مقاطعة فينغتين ورشوة الموظفين الحكوميين ورجال الجيش والشرطة فى الصين. وفى هذه العملية اغتالوا خمسة اشخاص من الطرف المعارض، منهم لى زين تاك. وردا على ذلك، قامت الزمرة المعارضة لمجموعة كوكمين بمهاجمة مقر المجموعة واعدمت آمرالسرية الرابعة كيم مون كو رميا بالرصاص. وبعد ذلك، اعلنت بيان خروجها من مجموعة كوكمين وانشأت منظمة باسم اللجنة المعادية لكوكمين بهدف اسقاطها.

كان قلقى على سلامة تشاى تشانغ غول يستند الى هذه الخلفية السياسية. ومن موقع يبعد نحو عشرة رى عن سانيوانبو، امرت الوحدة بزيادة السرعة فى المسير. كان شوقنا الى مقابلة تشاى تشانغ غول فى اقرب وقت يزود اقدامنا باجنحة.

ولكن حينما وصلنا الى سانيوانبو، صعقنا الخبر المحزن الذى ابلغنا به اعضاء المنظمة هناك. فقد قالوا لنا انه جرى اعتقال تشاى تشانغ غول على يد يمينيى مجموعة كوكمين اثناء توجيه عمل فرع اتحاد الشباب الشيوعى فى غوشانجى، وليس هناك من يعرف الى اى مكان اقتادوه. كما زارنا شاب، كنيته باك، من فرع اتحاد الشباب الشيوعى فى سانيوانبو فور سماعه خبر مجىء جيش حرب العصابات وابلغنا اخبارا مماثلة. قال ان ارهابيى مجموعة كوكمين استدرجوا تشاى تشانغ غول واغتالوه فى قرية جيانغجياندیان بمحافظة جينتشوان، ثم روجوا اشاعة تقول انهم اعدموه لانه عميل للحزب الشيوعى. وكان هناك

من اكدوا انه قتل وهو يعمل متنقلا ما بين هايلونغ وتشينغيوان.
كان يبدو على اى حال انه لم يعد ثمة وجود لتشاى تشانغ غول فى هذه الدنيا.
خنقنى السخط والحزن ولم اعد قادرا على الكلام او ذرف الدموع.
كيف استطاع ان يغادرنا بطريقة لا تليق به، هذا الابن المتحمس من ابناء منظمة "ت . د" الذى كان يتدفق عاطفة واندفاعا على الدوام؟ لقد داهمنا حزن عظيم لا يقل قوة عن ذاك الحزن الذى استبد بنا عند الحدود بين محافظتى آنتو وفوسونغ.
فبالنسبة لثورتنا، كانت خسارة مؤلمة حقا، ان يجرى اغتيال رفيق مخلص فى السلاح مثل تشاى تشانغ غول، فى تلك الايام المضطربة التى ظهر فيها على حلبة التاريخ نضالنا المسلح على هيئة جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان بانضباطه وزيه العسكرى، وعندما بدأت تدوى عاليا اصوات رصاصه ايذانا بعصر جديد فى اراضى منشوريا الشاسعة.
تشا كوانغ سو الذى جلس بجانبى، كان يبلل بدموعه اعشاب المرج الذابلة تحت الشمس المحرقة.
رغبت فى رؤية افراد اسرة رفيقى الراحل، فتوجهت على رأس الوحدة الى غوشانجى. وخرجت زوجته لاستقبالنا مع ولدها الذى مازال يحبو واخى زوجها الصغير. كانت امرأة فولاذية الارادة، فلم تذرف الدموع امامنا، بل التمست منا ان نقبلها فى عضوية جيش حرب العصابات لتحل محل زوجها الذى كان يتمنى مقارعة الاعداء اليابانيين بالسلاح.
عدلنا برنامج مسيرتنا المقررة وامضينا تلك الليلة مع اسرة الفقيد.
وعندما غادرت وحدتنا قرية غوشانجى فى صباح اليوم التالى، صاحبتنا ارملته الى مسافة بعيدة لوداعنا.
لم اجد كلمات لمواساتها، فاكتفيت بضم ولدها الى صدرى ومداعبة خديه. كان الطفل الذى لم تظهر له سوى سنين اثنتين يشبه اباه تماما. ولم تصدر عنه وهو يلمس وجهى بيديه الصغيرتين سوى كلمة "بابا". وحين رأته امه انفجرت بالبكاء لاول مرة. واحسست بدورى كذلك بشىء رطب فى عينى وانا الصق خدى بخد الطفل، فرحت اتطلع لبعض الوقت نحو قرية غوشانجى.
"ايتها السيدة، لنرب هذا الولد جيدا حتى يسير على خطى ابيه".
لم استطع ان اقول اكثر من ذلك لانى شعرت بغصة فى حلقى.

عندما ابتعدت الوحدة حوالى خمسة رى عن غوشانجى انتبه كيم ايل ريونغ الى ظلال الكآبة التى تغطى وجوهنا، فاقترح اطلاق الرصاص تحية للفقيد. لقد حسب دون ريب انه يمكن لاطلاق الرصاص ان يغير مزاجنا. هكذا كان كيم ايل ريونغ عميقا فى تفكيره، وربما كان السبب فى ذلك هو معاناته ما لا حصر له من المحن والشدائد.

فقلت له: "لا اريد تصديق خبر موته لمجرد سماع الاشاعة. فكيف يمكننا ان نطلق الرصاص وداعا له دون ان نرى جثته؟"

ما ان وصلنا الى ليانغجيانغكو عبر مينغتشيانغ حتى تلقينا نبأ مفاجئا يقول ان نحو عشرين جنديا من جيش الاستقلال المختبئين فى منطقة فوسونغ يدبرون مؤامرة للغارة على وحدتنا وتجريدها من السلاح بالتنسيق مع وحدة صينية مسلحة تضم سبعين او ثمانين جنديا. وكان الرأس المدبر لهذه المؤامرة هو جيش الاستقلال التابع لمجموعة كوكمين. فبعد ان استعلم هذا الجيش طريق مسيرة جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان من مينغتشيانغ الى لينغجيانغكو، هرع الى وحدة الصينيين المناهضة لليابان واخبرها ان وحدتنا هى القوة الرئيسية للجيش الشيوعى. فتربص الفريقان بنا فى القرية التى سنمر بها وراحا ينتظران وصولنا.

من اطلعنا على ذلك هم اعضاء اتحاد الشباب الشيوعى فى ليانغجيانغكو. فقد كان هناك عدد كبير من اعضاء المنظمة والشباب الذين اعرفهم. وفور وصولنا الى ليانغجيانغكو، هرعوا الينا ليخبرونا بما يدبر لنا.

فى هذه اللحظة بالذات، تعالت بين رجال جيش حرب العصابات اصوات مدوية تنادى بتصفية ارهابيى مجموعة كوكمين والانتقام من قتلة تشاى تشانغ غول. وحتى اولئك الرفاق الذين انضموا الى لتهدئة الشباب فى ليوهى عندما صرخوا مطالبين بالقضاء على ارهابيى كوكمين والانتقام من قتلة تشاى تشانغ غول وستة الشهداء الذين قتلوا فى وادى هوايماو عند التحضير لمؤتمر الاتحاد العام للشبيبة فى منشوريا الجنوبية، هرعوا الى مقر القيادة قائلين ان للصبر حدودا وقدموا لى اقتراحا يدعو الى تلقين الارهابيين درسا جديا عن النضال المنظم جيدا. لقد كان من السهل قول ذلك الكلام، ولكن المشكلة لم تكن قابلة للحل بمثل تلك السهولة. فالخصم اولا وقبل كل شىء، متفوق علينا عدديا.

ولكن هذا الاختلال فى القوى لم يكن هو المشكلة الكبرى. فالقضية الاصعب كانت تتمثل فى ان اولئك الخصوم ليسوا هم العدو. ويمكن القول ان تقاتل الوحدات المسلحة بعضها ضد

بعض، وهى الوحدات التى تناضل من اجل هدف مشترك هو مناهضة اليابان لانقاذ الوطن، لن يكون الا ضربا من الكاريكاتور الذى سيؤدى فقط الى وضع فوضوى كذاك الذى كان سائدا فى اوائل الثلاثينات. لقد كان من السخف نشوب صراع بين جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان وجيش الاستقلال وهما جيشا امة واحدة، ولكن الاغرب من ذلك كان تحالف جيش الاستقلال مع وحدة الصينيين المناهضة لليابان للهجوم على جيش حرب العصابات.

ولا بد انه سيكون هناك غالب ومغلوب فى حالة وقوع القتال. ولكن ايا من الطرفين لن يستطيع تفادى الادانة الاخلاقية فى مثل هذه المعركة. ولن تكون هناك اكاليل غار تزين عنق الغالب ولا دموع لمواساة تضحية المغلوب.

ولو اننا اشتبكنا دون ترو باحدى الوحدات الصينية المسلحة، فقد يؤدى ذلك الى خلق عقبات لا يمكن تذليلها امام نشاطاتنا. وستتحطم الجبهة المشتركة مع جيش الانقاذ الوطنى التى حققناها بصعوبة ونعود الى الحالة السابقة حيث كنا نقتل الوقت فى تنظيف اسلحتنا ونحن محبوسون فى غرف خلفية ببيوت الآخرين. كما ان الهجوم على وحدة جيش الاستقلال ستكون له عواقب لا تقل سوءا عن تلك. فاذا هاجمت وحدة الجيش الشيوعى وحدة جيش الاستقلال فسيدير الشعب ظهره لنا ويعاملنا بفتور. كما ان العناصر المناوئة للشيوعية ستديننا، وستحصل بذلك على فرصة ذهبية للافتراء علينا.

لم تكن هذه النتائج هى ما نرغب فيه. فقد كان امرا لا يمكن حتى تصوره ان تدور رحى المعركة الدامية بين جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان وجيش الاستقلال وان يصوب احدهما بنادقه الى الآخر. الا ان جيش الاستقلال كان يعد لهذه المعركة الدامية فى مكان مجاور لنهر سونغارى.

كلما تذكرت صيف عام ١٩٣٢، يكون اول ما يخطر فى بالى هو هذا الحدث. لم اعد استطيع النوم حينذاك وانا افكر بطريقة احل بها هذه المسألة المفاجئة بما يتفق والبرنامج السياسى للوحدة الوطنية والقضية العظمى فى الانقاذ الوطنى المناهض لليابان. ويمكن القول ان التفكير فى حل تلك المسألة قد قصر عشر سنوات من عمرى.

لم اكن استطيع انا ايضا ان اكبح مشاعر الغضب والاشمئزاز المتنامية فى داخلى نحو الجيش التابع لمجموعة كوكمين الذى اقترف ضدنا، نحن ابناء الامة نفسها، كل انواع الدناءات بما فيها الفظائع الوحشية التى تخجل الضوارى عن ارتكابها، ولكنه لم يتجرأ مع

ذلك على خوض معركة واحدة ضد العدو المشترك وهو الجيش اليابانى. وعندما تشاورت مع الضباط القادة بهذا الصدد، اجمعوا على القول بانه لا بد لنا من انزال ضربات عقابية قاسية بفاشيى مجموعة كوكمين، وصاحوا جميعهم بغضب:

"علينا ان نوقفهم عند حدهم ونجعلهم يمتنعون عن تحدينا. يجب ان نلقنهم درسا قاسيا كيلا يلطخوا ايديهم ثانية بدماء ابناء امتهم".

وصرخ تشا كوانغ سو وعيناه تقدحان شررا انه حان الوقت للثأر للرفاق الذين سقطوا على يد مجموعة كوكمين.

وبهذا المعنى، فقد كانت كل الوحدات المسلحة التى تحيط بنا فى ذلك الوقت معادية دونما استثناء. فجيش الاستقلال او جيش الانقاذ الوطنى او عصابة اللصوص الخيالة او جمعية هونغتشيانغ او جمعية داداو، جمعيها كانت معادية لنا. واذا كان جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان قد وقع فى هذا المأزق، فان السبب فى ذلك يعود الى انه لم يكن هناك شهود مثل ليو بين تشاو، يمكنهم اثبات كون وحدتنا مفرزة خاصة تابعة لجيش الانقاذ الوطنى. ومع اننا استطعنا التوصل الى اضفاء الشرعية على وحدتنا بوساطة ليو بين تشاو، الا اننا كنا نجد انفسنا دائما معرضين لخطر الهجمات من جهات عديدة ما لم يصاحبنا كفيل ذو نفوذ مثله.

فى اثناء عودتنا من تونغهوا، انسحبت وحدة القائد يو من آنتو وتراجعت مع وحدة وانغ دى لين الى منطقة محافظة نينغآن البعيدة، فاصبحت آنتو منطقة محايدة. واستسلمت قوات الدفاع الذاتى واحدة بعد اخرى للجيش اليابانى دون خوض اى معركة تستحق الذكر. وتخلت بعض تلك الوحدات فى ذلك الوقت عن شعار مناهضة دولة منشوكو ومقاومة اليابان وتحولت الى قوات رجعية تتحرك وفق اشارات عصا المستشارين العسكريين اليابانيين. وكان هذا هو السبب فى تجرؤ وحدة الصينيين المناهضة لليابان على اتخاذ قرار ابادة وحدتنا التى كانت معروفة بانها القوة الرئيسية فى الجيش الشيوعى.

اما فلول جيش الاستقلال الذين كانوا يصدقون بصورة عمياء دعاية مجموعة كوكمين المعادية للشيوعية، فقد حاولوا تحدينا بمساعدة القوات المناهضة لليابان التى تحولت الى الرجعية، دون ان يعرفوا حقيقة اهدافنا. فكرت بجدية فى هذه المسألة. فعلى الرغم من ان اولئك الناس هم جماعة مسلحة يمينية، تحولوا الى عصابة، الا انه لم يكن بمقدورنا اتخاذ اجراء انتقامى ضدهم او معاقبتهم بالاساليب العسكرية لان الدماء التى تسرى فى عروقهم

هى دماء الامة نفسها التى تجرى فى عروقنا ولانهم يجازفون بحياتهم فى النضال لانقاذ الامة. فكان علينا ان نقنعهم بالوسائل السياسية مهما كلف الامر. هكذا كنا نقدر الجبهة المتحدة المناهضة لليابان ونعلق عليها اهمية مطلقة.

على هذا النحو، توجه عدد من الرفاق وعلى رأسهم باك هون الى ايرداوبايهى حيث ترابط وحدة جيش الاستقلال.

"ايها الرفيق باك هون، ان سلاحك اليوم هو صوتك، وليس بندقية. يجب عليك ان تقنع رجال جيش الاستقلال بالكلام، دون ان تطلق رصاصة واحدة. ولانك طلق اللسان ومنفتح الطبع، فستتمكن من التأثير عليهم للحيلولة مسبقا دون حدوث قتال بين ابناء الامة الواحدة. عليك ان تضع نصب عينيك انه من غير المسموح به استخدام السلاح فى اى حال من الاحوال. اذا اطلقنا طلقة واحدة هنا فقد تنتهى الجبهة المتحدة مع القوميين الى الاخفاق. ما هو رأيك؟ هذه المهمة لا تتفق مع طبيعتك. فهل يمكنك ان تنجزها؟"

عندما سألت باك هون هذا السؤال، هرش رأسه مبتسما وقال:

"هذه المهمة صعبة، ولكننى سأحاول انجازها ".

بعد مغادرة باك هون، بقيت اجول لساعات طويلة على ضفة نهر سونغارى. وكنت اتمنى بينى وبين نفسى الا تنطلق رصاصة واحدة فى هذه الليلة. كما ساورنى القلق بشأن قدرة باك هون على اقناعهم.

صحيح انه كان محرضا بارعا ورجلا حاذقا لانجاز اى مهمة. ولكنه حين يغضب يتصرف بتهور ودون تفكير فى النتائج. وكان طبعه هذا يذكرنى بطباع الدب ويجعلنى فى قلق متواصل.

ورغم معرفتى بهذه النقيصة لدى باك هون، فقد ارسلته الى معسكر جيش الاستقلال، لانه لم يكن هناك من هو اكثر كفاءة منه.

فى ذلك الحين، كان تشا كوانغ سو هو الوحيد الذى يمكن مقارنته مع باك هون فى القدرة على انجاز هذه المهمة. وكانت الظروف تفرض على تشا كوانغ سو ان يظهر كفاءته فى العمل. لكن موت تشاى تشانغ غول اصابه بصدمة لم يستطع ان يتمالك نفسه منها حتى ذلك الحين.

(يا باك هون، ارجو منك ان تعود مكللا بالنجاح). هذا ما كنت اكرره بينى وبين نفسى دون توقف وانا اتجه بنظرى نحو ايرداوبايهى.

من حسن الحظ ان المصيبة التى كنا نقلق من وقوعها لم تحدث.

تأثر رجال جيش الاستقلال بدعوة رفاقنا الملحة الى التعاون لتحقيق وحدة القوى الوطنية. ولكن، على الرغم من استيائهم من سلوك قادتهم، الا انهم لم يعبروا من قبل عن تذمرهم بصورة عملية. فأعربوا بصراحة عن ندمهم من موقفهم المتردد، وصمموا على تسليم اسلحتهم لرفاقنا والانضمام عن طيب خاطر الى صفوف جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان.

ومع ان الفئة العليا لجيش الاستقلال لم تكن راغبة فى الانصهار معنا، الا ان الجنود فى الفئة الدنيا كانوا يشعرون، حتى العظم، بضرورة التعاون معنا والنضال سوية بالقوى المتضافرة، بدلا من المجابهة، ووضعوا ايديهم بأيدينا، وقد شكل ذلك الخطوة الاولى لاتحادنا مع جيش الاستقلال.

هكذا، اجتزنا محنة اخرى دون مخاطر. وكان من حسن الحظ فى الواقع اننا استطعنا، نحن الشباب الذين كنا فى العشرينات من عمرنا، ان نظهر سماحة وصبرا لا نظير لهما من اجل تجسيد البرنامج السياسى للوحدة الوطنية الكبرى، فى الوقت الذى كنا نشعر فيه بسخط وحقد لا حدود لهما ضد مجموعة كوكمين بسبب مصرع تشاى تشانغ غول، اضافة الى احباط مفاوضاتنا مع ريانغ سى بونغ. ولو اننا فقدنا صوابنا فى ذلك الحين واندفعنا وراء مشاعر الانتقام للاطاحة بمجموعة كوكمين او لخوض مجابهة مسلحة مع جنود جيش الاستقلال، لما كان فى وسعنا اليوم ان ننظر بكرامة واعتزاز الى وجوه الاجيال الشابة ولما كنا رأينا ايضا ذلك المشهد التاريخى الذى انتقل فيه اكثر من ثلاثمئة جندى من جنود القائد ريانغ الى الجيش الثورى الشعبى الكورى رافعين راية التعاون ومتحدين برد الشتاء القارس.

ليس هناك فى العالم مشاعر اعظم واكثر نقاء وسموا من محبة الوطن والامة.

ويمكن القول ان روح الوحدة الوطنية هى اسمى روح فى تلك المحبة. ومنذ رفع الشيوعيون الكوريون مرساتهم من اجل التحرير الوطنى وحتى اليوم، احتفظوا فى كل زمان ومكان بكل عناية وثبات، بالمثل الاعلى للوحدة الوطنية ولم يبخلوا بالجهود من اجل تكريسها على ارض الواقع.

٥-مع جيش الانقاذ الوطنى

اثناء اقامتى فى ليوهى، بعثت باحد المراسلين الى منطقة بانشى لاقامة اتصال مع لى هونغ كوانغ ولى دونغ كوانغ. وبينما نحن عائدون، بعد انتهاء حملتنا الى منشوريا الجنوبية، كان هذان الرجلان منهمكين بدورهما فى خوض عمليات حرب عصابات. فالحرس الاحمر المسلح (الشهير بفرقة صيد الكلاب، اى القضاء على العملاء) الذى شكلاه بعد حادثة ١٨ ايلول، لمكافحة العملاء المنتمين الى جمعية بومين وغيرها من التنظيمات الموالية لليابان، اعيد تنظيمه فى شهر ايلول ١٩٣٢ ليصبح جيش بانشى لمتطوعى العمال والفلاحين.

كان هذا الجيش مؤلفا من شبان كوريين تمرسوا وتصلب عودهم فى خضم مختلف اشكال النضال الجماهيرى، وخصوصا فى الحصول على الحبوب ومعاقبة العملاء وانتزاع الاسلحة والانتفاضة المعادية لليابان. واعتبارا من صيف عام ١٩٣٢، سعى لى هونغ كوانغ ولى دونغ كوانغ بجهد لارساء قواعد لحرب العصابات المناهضة لليابان.

وكانت تنتشر نوادر وحكايات كثيرة حول وقائع اظهرا فيها مواهب استثنائية خلال حملة معاقبة العملاء.

لم تكن غايتى من اللقاء بهما هى مجرد القيام بزيارة مجاملة لهما، لانهما سيدا هذه المناطق من منشوريا الجنوبية، بل كان هدفى الاساسى يكمن فى اقامة تفاهم متبادل. وكنت اريد بشكل خاص ان اتبادل معهما خبرات النضال.

والمسألة الاخرى التى كانت تهمنى هى معرفة مفهومهما وموقفهما فيما يتعلق بمستقبل الثورة الكورية. وكنت ارغب ايضا فى اطلاعهما على رأيى وموقفى ازاء المهمات العاجلة الملقاة على عاتق الشيوعيين الكوريين والاستماع الى آرائهما فى هذا الشأن.

وكان اهم ما فى الامر هو ان اتبادل معهما الآراء حول بعض المسائل العملية مثل، كيف يمكن للشيوعيين الكوريين الذين شرعوا بالنضال المسلح متبعثرين فى كل انحاء منشوريا ان يقيموا اتصالات فيما بين المناطق، وكيف ينسقوا العمليات مع الجوار، وما هى اساليب تحقيق المساعدة والتعاون فى نشاطاتهم. كما رغبت فى تبادل الآراء حول هذه المواضيع مع كيم تشايك، تشاى يونغ كون، لى هاك مان، لى كى دونغ وهو هيونغ سيك الذين يعملون

فى منشوريا الشمالية. ويمكن القول ان منشوريا الجنوبية ومنشوريا الشمالية كانتا جارينا وجناحينا. وكان التعاون معهما يشكل حلقة ووسيلة هامتين تؤثران تأثيرا هائلا على تطوير مجمل النضال المسلح.

لم يستطع ذلك المراسل الذى بعثته الى بانشى من اللحاق بالوحدة الا بعد مغادرتنا هايلونغ ووصولنا الى مينغتشيانغ، وقد اخبرنا بانه لم يستطع ان يقابل لى هونغ كوانغ ولى دونغ كوانغ لانهما كانا يعملان فى مواقع اخرى، ولهذا ترك رسالتى اليهما لدى المنظمة السرية هناك.

فأجلت اللقاء معهما، وبدأت القيام بعمل عسكرى وسياسى مكثف فى مينغتشيانغ. وكان الهدف النهائى الذى تطلعنا اليه عند البدء بتلك النشاطات هو الحصول على مزيد من الاسلحة وتوسيع الصفوف. ولتحقيق هذا الهدف كان لا بد لنا من القيام بعمل سياسى ونشاطات دبلوماسية عسكرية.

وقد قدمت مينغتشيانغ لنا بعض النقاط المؤاتية لبلوغ هذا الهدف. اذ كان بين كبار موظفيها عدد كبير من زملائى السابقين فى مدرسة يووين الثانوية فى جيلين. ولو نظرنا الى سوابقهم لوجدنا انهم كانوا طلابا دمثين لم ينتسبوا الى اى جماعة يسارية او يمينية. ولم يشاركوا كذلك فى الحركات السياسية، ولكنهم كانوا يدرسون بجد واجتهاد. وقد اصبحوا يمسكون الآن بزمام السلطة الفعلية فى مينغتشيانغ. فبعد تخرجهم من المدرسة الثانوية، اشتغلوا فى هيئات الادارة فى المحافظة التابعة لحكومة الكومنتانغ، ثم التحقوا بقوات الدفاع الذاتى عند غزو اليابان لمنشوريا وتقلدوا فيها مناصب رفيعة.

كما كان يوجد فى مينغتشيانغ ممثل القيادة العامة لجيش الدفاع الذاتى برئاسة تانغ جى يو التى مقرها فى تونغهوا. فاذا ما احسنا التفاوض مع هذا الممثل بدعم من زملائى السابقين فى المدرسة، فسنتمكن من الحصول على الاسلحة. وادراكا منى لهذا الواقع، قررت البقاء مع الوحدة هناك للقيام بعمل مكثف مع جيش الدفاع الذاتى.

ومع ذلك، فان الضباط الآخرين فى وحدتنا لم يظهروا اهتماما كبيرا بهذا العمل. بل ان معظمهم اعتبروا الاتصال بجيش الدفاع الذاتى مغامرة وكانوا يقولون انه من المستحيل تماما الحصول على الاسلحة من خلال العمل مع جيش الدفاع الذاتى طالما ان المفاوضات مع الكورى ريانغ سى بونغ قد اجهضت بسبب الخلاف فى وجهات النظر، والاسوأ، ان ذلك الجيش اصبح الآن فى حالة التفكك، ويقال ان بعض وحداته تحوك الدسائس لابادة

الشيوعيين باشراف مستشارين يابانيين، وانهم لن يوافقوا على دخول القائد بنفسه الى هذه المصيدة.

فقلت لهم عندئذ: ان وجود المستشارين اليابانيين فى وحدات جيش الدفاع الذاتى لا يجعلنى اقلق كثيرا. فاذا كانت لديهم القدرة على اكتشاف الشيوعيين، فان لدينا ما يكفى من الجرأة لخداع رقابتهم والتسلل الى قيادة ذلك الجيش واقناع فئته العليا بقبول اقتراحاتنا. اما حالة التفكك التى تسود جيش الدفاع الذاتى فقد تشكل ظرفا مؤاتيا لتحقيق هدفنا بسهولة. لانهم سيدركون انه من الافضل لهم تسليم اسلحتهم لنا نحن الذين نناضل ضد اليابان، بدلا من تسليمها الى الاوغاد اليابانيين او عصابات اللصوص او التخلى عنها ببساطة. ولاننا استطعنا من قبل التفاهم مع القائد يو المتعنت ونجحنا فى تحقيق التعاون معه، فليس هناك سبب يمنعنا من التوصل الى ذلك مع جيش الدفاع الذاتى.

لكن الضباط طلبوا منى مع ذلك ان اعيد التفكير اكثر فى خطتى، قائلين ان النجاح فى التفاوض مع القائد يو كان مجرد صدفة لا تكاد تحصل الا مرة واحدة من بين الف حالة، وان ذلك النجاح ما كان له ان يتحقق ولولا وجود للسيد ليو بين تشاو فى تلك الوحدة.

فكان على ان اعاود اقناعهم بالقول انه ليس من اللائق بالشيوعيين البقاء فى الغرف الجانبية والاهتمام بالمماحكات الكلامية وحدها، وان مساعدة السيد ليو بين تشاو كانت كبيرة حقا فى اضفاء الشرعية على جيش حرب العصابات، ولكنه ليس من المنطق العلمى فى شىء ان نفسر النجاح الذى حققناه آنذاك بانه مجرد صدفة، لاننا لو لم نبادر الى بذل الجهود لتحسين العلاقات مع جيش الانقاذ الوطنى لما كان بامكان السيد ليو بين تشاو ان يساعدنا، وان المسألة تتلخص فى العمل بجرأة ومبادرة.

واخيرا توجهت الى مقر قيادة وحدة جيش الدفاع الذاتى برفقة احد جنود الاتصال.

كانت الثكنة مكتظة بالعساكر، وكان المدخل يعج بحركة العربات المحملة بالاعتدة الحربية التى تتوافد دون انقطاع.

اوقفنا حارس البوابة ثم سألنا بلهجة اهالى شانتونغ: "ماذا تريدون؟". ولم تكن عيناه السوداوان تدققان فى وجهينا، وانما فى زى جيش حرب العصابات الذى نرتديه والقبعة ذات النجمة الخماسية، وهى ملابس مختلفة تماما عن زى جيش الدفاع الذاتى.

فاجبته باللغة الصينية محاكيا قليلا لهجة شانتونغ:

"نحن من مفرزة خاصة لجيش الانقاذ الوطنى جاءت من آنتو. انا كيم إيل سونغ قائد

المفرزة الخاصة. جئت لمقابلة قائدكم، فخذنى اليه".

"كيم إيل سونغ؟ ولكن، أليست مفرزة كيم إيل سونغ الخاصة شيوعية؟"

كما ان الحارس الآخر الذى تظهر على وجهه آثار الجدرى نظر الى فى استغراب وهو يغمغم باسمى. ربما انه سمع ذات مرة ان وحدة كيم إيل سونغ هى وحدة شيوعية، وقد تذكر ذلك الآن.

"اننا مفرزة خاصة للقائد يو. ألا تعرف القائد يو؟"

وحيال موقفى المهيب، قال الحارس الذى يحمل آثار الجدرى: "اجل، اننى اعرفه. لقد غنمت وحدته من الجيش اليابانى فى نانهوتو مدفعا رشاشا. القائد يو هو رجل عظيم". ثم رفع اصبعه الابهام.

فى نهاية المطاف، اثبت اسم المفرزة الخاصة بالقائد يو فعاليته. وكان هذا الاسم فعالا حيث ترابط قوات صينية مناهضة لليابان. لهذا السبب، كنا نرفع دائما لافتة مفرزة الكوريين الخاصة فى جيش الانقاذ الوطنى اثناء مسيرتنا، لكى نتجنب الصدام مع الوحدات المعادية لليابان.

وبعد قليل، دخل الحارس الاول الذى يتكلم بلهجة شانتونغ الى الثكنة لكى يعود الينا ومعه رجل ممتلئ الجسم. فى ذلك الحين، كان رجال جيش الانقاذ الوطنى مايزالون يرتدون البزات العسكرية التى كانوا يلبسونها وهم يخدمون فى جيش تشانغ سو ليانغ. ولكن الضابط الذى ظهر للتو عند المدخل وراء الحارس اثار استغرابى لانه كان يرتدى قميصا قصير الكمين وسروالا لا يكاد يصل حتى ركبتيه وينتعل حذاء مدنيا مصنوعا من القماش. وكان شعره المدهون بالزيت يلمع.

"آه، من أرى؟ ألست المسؤول كيم سونغ جو؟"

كان ذلك الضابط هو تشانغ، احد زملائى السابقين فى مدرسة يووين الثانوية والذى لم يكن احد يناديه باسمه، وانما بلقب "تشانغ مديد القامة". وقد دعانى بالمسؤول متذكرا ايام يووين، حين كنت اتولى مسؤولية المكتبة. فقد اعتاد ان يعاملنى بلطف فى ذلك الحين ايضا ويدعونى "بالمسؤول كيم" او "المسؤول سونغ جو."

تصافحنا بسعادة، ثم تحدثنا طويلا عن ذكريات ايام المدرسة. كان لقاؤنا هذا بعد فراق ثلاث سنوات. احسست بالندم لانى غادرت جيلين على عجل دون ان اودع زملائى فى المدرسة بعد اطلاق سراحى من السجن. وقد اعتبرت ذلك لاول وهلة امرا لا مفر منه لانى

كنت مشغولا الى اقصى الحدود آنذاك وكانت تسيطر على فكرة التضحية بكل ما هو شخصى فى سبيل الثورة، لكن هذا التقصير بمغادرة جيلين دون ان اتبادل التحية مع معلمى وزملائى كان يضايقنى ويعذبنى، ويثقل على قلبى مثل قطعة من الرصاص.

حين رأيت تشانغ امامى، بدأت تتوارد الى ذهنى وقائع واحداث كثيرة، ومشاعر تفاؤل طلابية من فترة الدراسة فى مدرسة يووين الثانوية كنت اظنها قد اختفت تماما وراء الافق. حتى اننى بدأت اشعر بأننى لست فى فناء ثكنة لا يسمع فيه الا وقع الاحذية العسكرية، وانما وسط الحديقة العابقة برائحة الليلك فى مدرسة يووين الثانوية، واننى اذا امسكت بيد تشانغ، وخرجت معه من الثكنة حيث كنا ومشينا بضع خطوات فسنصل الى تل بيشان والى ضفاف نهر سونغارى، حيث نستسلم لمداعبة الريح الخفيفة.

كان مفعول تلك الذكريات اشبه بمفعول عطر يبعث النشوة فى النفس.

شبك تشانغ ذراعه بذراعى دون تكلف، كما اعتاد ان يفعل حين كنا طلابا، ثم قادنى الى مكتبه وهو يطلق ضحكات مجلجلة.

"من المؤسف ان صورة المسؤول كيم لم تظهر فى الصورة الفوتوغرافية التذكارية التى التقطناها بمناسبة التخرج من المدرسة".

قال ذلك وهو يدعونى الى الجلوس. ثم اضاف:

"عندما التقطنا الصورة التذكارية، تذكرناك وقلنا لو ان المسؤول كيم لم يهجر الدراسة لكوفئ كأفضل تلميذ. هل فتنت الثورة عقلك الى درجة التخلى عن الدراسة الثانوية؟"

فاجبته بمداعبة مرحة وانا ابتسم.

"طبعا، وارى انك انت ايضا لم تستطع التغلب على هذه الفتنة، واصبحت ضابطا فى جيش الدفاع الذاتى يتدلى المسدس على خاصرتك".

بعد ان استمع تشانغ الى حديثى، ربت على ظاهر يدى وعيناه تطرفان.

"الحق معك. قبل حادثة ١٨ ايلول، كنا حمقى لا نعرف ما يدور فى العالم. ولم نستيقظ الا عندما انقضت اليابان على منشوريا".

"أرأيت، ألم اقل لك من قبل انه لا يمكن للانسان ان يعيش خارج السياسة؟"

"لقد كنت اصم اذنى عن حديثك آنذاك. آه، لا اعرف لماذا تتحول الاوضاع بهذا الشكل الاستعراضى! ان ارض منشوريا هذه يسودها جو بالغ التوتر كما لو ان عاصفة عاتية قد اكتسحتها".

فكرت فى ان تشانغ قد قدر الوضع السائد تقديرا صحيحا.

فمسيرة التاريخ على ارض منشوريا كانت تحفل بالمتغيرات المفاجئة التى تذهل العالم. وكانت تلك التبدلات تخلف نتائج لا رحمة فيها على مصير الناس. والى ما قبل سنوات قليلة، كان تشانغ نفسه يتطلع الى دراسة التاريخ فى جامعة بكين. ولكنه عندما رأى الجيش اليابانى يبتلع منشوريا، تخلى عن حلمه فى التخصص بالعلوم التاريخية وانضم الى جيش الدفاع الذاتى.

لم يكن هناك من يتصور ان يتحول السيد ليو بين تشاو الى رئيس هيئة اركان احدى وحدات جيش الانقاذ الوطنى ويتجول فى ساحات المعارك وهو الذى كان يعتبر الاوسع علما بين العلماء، والشارح المولع بتفسير اشعار تو فو(١٩) الرعوية.

"انظر، ايها المسؤول كيم، لقد اصبحت بدورى بطلا يرتدى البزة العسكرية بفضل حادثة ١٨ ايلول".

قال تشانغ ذلك، ثم ابتسم بكآبة.

"لم تكن وحدك من ارتدى البزة العسكرية. فانى ايضا قد اصبحت عسكريا وجئت الى مينغتشيانغ. وها نحن نجلس الآن وجها لوجه ليس كزميلين سابقين فى الدراسة فقط، وانما كذلك كعسكريين نناقش الاوضاع العامة. فيا لها من صدفة سعيدة"!

قال تشانغ ان "الفضل" فى كل هذا يعود الى الاوغاد اليابانيين، وانه يظن ان الناس قد اصبحوا "بفضلهم" عقلاء الى حد ما.

وبعد ذلك، عرفت انه كان فى وحدة تشانغ عدد آخر من زملاء دراستى فى مدرسة يووين الثانوية. وفى مساء ذلك اليوم، استطعت اللقاء بهم والتحدث معهم حتى ساعة متأخرة من الليل. وقد شعرت بالرضا والارتياح حين رأيت انهم لم يعودوا شبابا بعيدين عن السياسة لا يحلمون الا بانهاء دراستهم والحصول على الشهرة مثلما كانوا فى الماضى. لقد اصبحوا يدينون اليابان ويسخرون باصوات منفعلة من تشانغ كاى تشك ويصفونه بانه اكثر المخلوقات التى انجبتها الامة الصينية تشوها.

تحدثنا ايضا حول العمليات المشتركة بين جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان وجيش الدفاع الذاتى. وقد رحب زملائى فى المدرسة الذين يعملون فى قيادة جيش الدفاع الذاتى بالتعاون مع وحدتنا.

وهكذا اتيح لى ان اتوغل بسهولة فى وحدة جيش الدفاع الذاتى وان التقى كذلك بمندوب

القيادة العامة لهذا الجيش فى مينغتشيانغ.

وفى احد تلك الايام، وافقت على طلب تشانغ، والقيت خطابا امام اعضاء قيادة هذه الوحدة. وكان فى عداد الحاضرين مندوب القيادة العامة ايضا.

بدأت الخطبة بنداء مؤثر: "ايها السادة، لننطلق معا."

"يتوجب على جيش الدفاع الذاتى وجيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان ان يبذلا جهودهما للقيام بعمليات مشتركة. ان وصم جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان بانه جيش شيوعى والنظر اليه بعين العداء، انما هو عرقلة للنضال المناهض لليابان، ومساعدة اليابان... .

وحرى بجيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان وجيش الدفاع الذاتى ان يمدا يد العون الى وحدات جيش الاستقلاليين الكوريين، ويعملا على تشكيل جبهة مشتركة معها. وعليهما ان يشحذا يقظتهما ازاء المؤامرات الماكرة والشرسة للامبريالية اليابانية التى تحاول الهيمنة على الشعبين الكورى والصينى عن طريق زرع بذور الشقاق بينهما واضعافهما بالاستفادة من الخلاف بينهما... .

والمطلوب من جيش الدفاع الذاتى ان يقنع القوات المسلحة المدنية بما فيها جمعيتا داداو وهونغتشيانغ، وكذلك عصابات قطاع الطرق، لكى تتخلى عن قتل وسلب السكان الكوريين والصينيين الابرياء، ودفعها كذلك للمشاركة بفعالية فى النضال المناهض لليابان. فعلى جميع الوحدات المسلحة المدنية، الكبيرة منها والصغيرة ان تنصهر فى قوات انقاذ وطنية مناهضة لليابان.

من الملاحظ ان بعض الوحدات المناهضة لليابان يتملكها الخوف امام قوة الجيش اليابانى، فتهرب احيانا الى عمق الاراضى الصينية، او تستسلم فى احيان اخرى. ويجب علينا ان ندرك ان الاستسلام او التخلى عن القضية فى منتصف الطريق يعنى الانتحار".

كان هذا ملخص مضمون الخطاب الذى القيته آنذاك.

وقد ابدى الحاضرون موافقتهم الحماسية.

بعد ذلك، سلمنا ممثل القيادة العامة عشرات البنادق.

وخلال ما يقرب من الشهرين، قمنا فى مينغتشيانغ بالعمل الدعائى فى اوساط الجماهير وبالتدريبات العسكرية وذلك بحماية من جيش الدفاع الذاتى، وفى الوقت نفسه اخترنا الشباب المتحمسين لتوسيع صفوف الجيش. فازدادت صفوفنا التى لم يكن يتجاوز عددها

الاربعين شخصا عند مغادرة آنتو الى مئة وخمسين تقريبا. جاء الشباب فى مينغتشيانغ ومحيطها الى وحدتنا باستمرار لكى يطلبوا منا ان نضمهم الى الجيش وذلك بعدما سمعوا خبر تشكيل كيم سونغ جو لوحدة كبيرة وبدئه العمل. لقد قمنا بالنشاط فى مينغتشيانغ بحرية تامة كما لو اننا الممسكون بزمام السلطة.

وبناء على المعلومات التى حصلنا عليها عن طريق المراسل الذى بعثنا به الى آنتو، فان الوضع فى منشوريا الشرقية ايضا كان جيدا للغاية. ومن خلال رسالة كيم زونغ ريونغ التى نقلها ذلك المبعوث الينا، عرفنا ان القوى الباقية من وحدتنا التى تركناها فى آنتو قد ازدادت كثيرا خلال تلك الفترة وانه تم تشكيل وحدات جديدة لجيش حرب العصابات يبلغ قوام كل منها اكثر من مئة جندى فى وانغتشينغ وآنزى وهونتشون.

فقررت نقل حلبة نشاطنا الى المنطقة الوسطى (وانغتشينغ) من منشوريا الشرقية، حيث بدأ نضال حرب العصابات بالانتقال من المرحلة الجنينية الى مرحلة التطور الكامل، وان اخوض هناك نضالا مسلحا طموحا بمضافرة القوى مع الوحدات فى المحافظات الاخرى. لقد كان احد الدروس الهامة التى استخلصناها فى سياق الحملة الى منشوريا الجنوبية هو انه فى مرحلة ضعف قوة جيش حرب العصابات، يكون من المفيد والفعال شن العمليات بالاستناد الى قاعدة دعم معينة.

لقد رسمنا خط سيرنا بحيث نصل مباشرة الى آنتو دون المرور بفوسونغ. وفى الطريق، اصطدمت وحدتنا عدة مرات مع قطاع طرق ومجموعات من فلول القوات المناهضة لليابان المهزومة. فكانوا يطمعون ببنادقنا الحديثة ويحاولون انتزاعها منا بالقوة. ولهذا كان علينا ان نجتاز بعض المواقف الخطرة.

فى احدى تلك اللحظات، ظهر امامنا فجأة، مثل معلم فنون القتال فى الحكايات القديمة، شيخ طيب القلب ينتمى الى مجموعة تشاموى، وقاد وحدتنا بسلام حتى ليانغجيانغكو عبر طريق جبلى. وقد كان اجتياز الجبال حينذاك تدريبا مفيدا، كما شكل اعدادا لنا لخوض نضال حرب العصابات طويل المدى فيما بعد.

حين كنا على وشك مغادرة ليانغجيانغكو، وصل اليها احد الافواج التابعة للقائد يو. وكان هذا الفوج يسمى فوج القائد مينغ وقد جاء مع الفوج ايضا تشين هان جيانغ الذى كان يعمل سكرتيرا لدى قائد الفوج مينغ.

ما ان رآني تشين هان جيانغ من بعيد حتى ركض نحوى فاتحا ذراعيه وهو يصيح متهللا:

"سونغ جو، كم من الوقت مضى دون ان نلتقى"!

احتضننى معانقا ودار بى كما لو انه لم يقابلنى منذ عشرات السنين.

لم التق تشين هان جيانغ منذ افترقنا بعد المفاوضات مع القائد يو فى آنتو. وفى حساب الزمن، لم تكن قد مضت الا ثلاثة اشهر منذ ذلك الحين. ولكن تشين هان جيانغ كان يتأملنى بعينين تتدفقان بمشاعر المحبة الرفاقية، وكأنه حسب تلك الشهور الثلاثة ثلاث سنوات او ثلاثين سنة.

ولم استطع انا بدورى ان اكبح جماح السعادة التى يشعر بها المرء فى اللقاءات التى تحدث كمعجزة بعد فراق طويل. ان ثلاثة اشهر لا تعدو كونها جزءا صغيرا من حياة الانسان. ولكننى كنت اشعر كما لو ان شطرا كبيرا من حياتى قد انقضى فى هذه الشهور الثلاثة.

يقال ان الحياة الحافلة بالشدائد والتجارب تجعل الزمن يبدو طويلا، وانا ارى ان تلك المقولة صحيحة.

"لم نكن نعرف مكان تواجد وحدتك يا سونغ جو، ولهذا طلبنا معلومات عنكم من اماكن عديدة. لقد اخبرونا ان وحدتك قد عادت من منشوريا الجنوبية، ولكن احدا لم يكن يعرف مكان وجودها بالضبط. وفجأة وصلنا خبر يقول ان الجيش الشيوعى الكورى بدأ الاتحاد مع جيش الاستقلال فى ليانغجيانغكو".

هذا ما قاله لى تشين هان جيانغ بعد ان قدمنى الى قائد الفوج مينغ.

"شكرا يا رفيق تشين. اننى ايضا كنت مشتاقا لرؤيتك. ولكن ما هو السبب فى مجيئك الى ليانغجيانغكو؟"

"لقد امرنا وانغ دى لين بالعمل فى هذه المنطقة حتى فى ربيع العام القادم. ما رأيك فى ان نعمل معا فى ليانغجيانغكو لبعض الوقت؟"

وتقدم قائد الفوج مينغ ايضا بالاقتراح نفسه.

فقبلت دعوتهما يحدونى الامل فى ان عملنا مع فوج مينغ سيؤدى الى المزيد من توطيد الجبهة المشتركة مع جيش الانقاذ الوطنى التى تم تشكيلها بجهد جهيد.

وحيث ان فوج مينغ كان يتبع لجيش تشانغ سو ليانغ النظامى الى ان تمرد وانفصل عنه،

فقد كانت لديه اسلحة واعتدة حديثة. بل انه كان يمتلك المدافع والمدافع الرشاشة ايضا. وكانت قدرته القتالية اكبر بما لا يقارن مع وحدات جيش الانقاذ الوطنى الاخرى التى تتجول ببضع بنادق وسيوف ورماح. وقد وفر هذا الفوج الحماية لجيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان خلال اقامتنا فى ليانغجيانغكو.

فى ذلك الحين، كانت اغلبية الوحدات المناهضة لليابان التى تم تكوينها فى منطقة منشوريا قد تفككت او استسلمت امام الهجمة القوية التى شنها الجيش اليابانى، وانتقلت للعمل تحت امرته. الا ان قوات وانغ دى لين واصلت الحفاظ على تماسكها لقوتها الكبيرة. ومع ذلك، كانت وحداتها تتراجع الى دونغنينغ، فى الطرف الشرقى من منشوريا والى اراضى الاتحاد السوفييتى، حيث لا تصل نيران الجيش اليابانى. نتيجة عجز الوحدات المناهضة لليابان وتفككها، فقد عدد غير قليل من كوادرنا العسكريين والسياسيين الثقة بهذه الوحدات. وكان هناك من يرى انه لا جدوى من تحقيق الجبهة المشتركة مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان لانه لم تعد هناك طريقة لاصلاح حالة التذبذب والفوضى التى وصلت اليها، بينما اصر آخرون على قطع تلك العلاقات التى لا طائل منها ووجوب قيام جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان بشن النضال وحده. وكان فى اسلوبى التفكير هذين مخاطر لا يمكن التساهل معها.

ان التخلى عن الجبهة المشتركة المعادية لليابان انما كان يعنى الدفع بالقوات المسلحة الهائلة التى تضم عشرات آلاف الجنود الى جانب العدو، والمشاركة فى تنفيذ المآرب التكتيكية للامبرياليين اليابانيين الذين يسعون الى تحطيم القوات المعادية لليابان واحدة تلو الاخرى.

ومع ان طابع هذه الوحدات المتذبذب وغير الحازم قد نشأ بسبب المحدودية الطبقية لفئتها العليا، الا ان السبب الاساسى فيه هو خوفها من العدو. ومن اجل وضع حد لذبذبة تلك الوحدات ومنع انهيارها، كان لا بد من تعزيز العمل مع جنودها، وفى الوقت نفسه نفخ روح الثقة بالنصر فى نفوسهم من خلال المعارك.

انطلاقا من هذا الواقع الملح، درسنا التدابير الواجب اتخاذها للقيام بذلك فى جلستين للجنة الجنود المناهضين لليابان عقدناهما فى ليانغجيانغكو، وحضرهما تشين هان جيانغ ولى كوانغ وهو جى مين وغيرهم من العاملين السياسيين فى جيش الانقاذ الوطنى والكوادر العسكريين والسياسيين القادمين من مختلف محافظات منشوريا الشرقية.

فى هذا الاجتماع، تم الاستماع اولا الى تقرير عن سير العمل فى جيش الانقاذ الوطنى، ثم تبادلنا الخبرات التى حصلنا عليها فى اثناء هذا العمل وقمنا بتحليل واجمال اوضاع الوحدات المناهضة لليابان وميولها.

ونظرا لان الغالبية العظمى من الوحدات المناهضة لليابان قد تخلت عن حرب المقاومة بانسحابها الى مناطق آمنة او باستسلامها للعدو، فقد تحولت الى جيش رجعى، وكان الجيش اليابانى فى اثناء ذلك يوسع مناطق احتلاله دون ان تواجهه اى عقبات. وفى ظل هذا الوضع، تبنى المشاركون فى الجلستين قرارا تقوم بمقتضاه القوات المشتركة المؤلفة من وحدتنا ووحدة وو وى تشينغ وفوج مينغ بشن عمليات هجومية على حاضرتى محافظتى تونهوا وايمو من اجل توجيه ضربات للجيش اليابانى ورفع معنويات الجنود والسكان الوطنيين.

وقد وافق قائد الفوج مينغ ايضا على خطتنا للمعركة ورحب بها.

فانقسمت وحدة جيش الانقاذ الوطنى المؤلفة من الفى جندى الى ثلاثة اقسام انطلقت على التوالى باتجاه خط سكة حديد جيلين– تونهوا وباتجاه آنزى وصوب حاضرة محافظة تونهوا، اما وحدتنا فقد انتقلت مع فوج مينغ على امتداد الطرق الجبلية، مارة عبر الجهة الشرقية من بويرهى ودافوتشايهى، ووصلت الى الغابة القريبة من داهوانغكو الى الجنوب من تونهوا. ومن هناك، ارسلنا فرقة استطلاع الى حاضرة محافظة تونهوا للتأكد مرة ثانية من دقة المعلومات التى قدمها الينا كو زاى ريم عن تحركات العدو واوضاعه.

فى ذلك الحين، كانت ترابط فى حاضرة محافظة تونهوا قوات ضخمة تضم وحدة حامية يابانية، ومقر اللواء الثالث والفوجين الرابع والتاسع من حامية جيلين وقوات حرس المطار، التابعة لجيش منشوكو العميل، وشرطة القنصلية اليابانية وشرطة منشوكو العميلة. وكان العدو قد اقام شبكة حراسة مكثفة فى حصون بوابات السور وامام مدخل فرع القنصلية.

فى الساعة الثالثة من فجر الثانى من ايلول، هاجمت كافة الوحدات المشتركة فى وقت واحد حاضرة محافظة تونهوا المسورة. فتقدمت وحدتنا باتجاه البوابة الجنوبية، اما وحدة جيش الانقاذ الوطنى بقيادة هو جى مين فقد اندفعت الى داخل الحاضرة عبر البوابتين الغربية والشمالية.

حين اجتازت القوات المتحالفة السور بسرعة، داهمت مقر قيادة العدو اولا، ثم استولت

دفعة واحدة على قيادة اللواء المعادى وفرع القنصلية ومركز الشرطة، وسددت فى الوقت نفسه، ضربات قاصمة الى وحدة فرعية من اللواء المعادى. وهكذا سيطرنا على الوضع تماما.

عندئذ اضطر العدو المذعور الى ارسال طائرتين ليهاجمنا بمدافعهما الرشاشة وبالقنابل.

وقد ادى ذلك الى وقوع اضطراب فى صفوف جيش الانقاذ الوطنى. ولو استمر هذا الوضع حتى بزوغ الفجر، لكان من المحتمل ان يتحول وضع المعركة الى غير صالحنا، ولكنا تعرضنا لخسائر فادحة. لذا، شرحت لتشين هان جيانغ وهو جى مين التبدل المفاجئ الذى طرأ على المعركة، واقترحت خطة تكتيكية جديدة نقوم بمقتضاها بالانسحاب من المواقع التى نحتلها ونضرب العدو عن طريق استدراجه.

بموجب هذه الخطة، تمركزت وحدتنا فى المرتفع القائم جنوبى غرب حاضرة المحافظة، واحتلت وحدات جيش الانقاذ الوطنى مرتفعا مجهول الاسم الى الجنوب من غوانتونجى. وفى هذين الموقعين، نصبنا كمينا لسحق العدو الذى يطاردنا. وحين رأى جنود وحدات جيش الانقاذ الوطنى ان الوضع الذى ظنوه فى غير صالحنا قد تحول تحولا مفاجئا وكاملا، اخذوا يطاردون العدو الهارب وقد ارتفعت معنوياتهم حتى السماء.

لم تنشر المطبوعات الصادرة آنذاك اى اخبار جديرة بالذكر عن هذه المعركة. ولست اعرف جيدا سبب ذلك، ولكن ربما كان السبب هو الرقابة الاعلامية الصارمة التى كانت تفرضها السلطات اليابانية فى ذلك الحين. ولم يعرف الناس بان هذه المعركة قد جرت فى تونهوا فى اوائل ذلك الخريف الذى يوافق الذكرى ال٢٢ لدمار كوريا.

يمكن القول ان معركة حاضرة محافظة تونهوا تشبه، من حيث مواصفاتها، معركة حاضرة محافظة دونغنينغ التى دارت فى ايلول ١٩٣٣. فكلا العمليتين تم التخطيط لهما وتنفيذهما بالاستناد الى التعاون بين وحدتنا وقوات جيش الانقاذ الوطنى. كما ان المعركتين كانتا متشابهتين تقريبا من حيث حجمهما. ومع ذلك، فان الاولى تتمتع باهمية خاصة لانها كانت المعركة الاولى من هذا النوع فى تاريخ النضال المشترك للشعبين الكورى والصينى، والتى توجت بالظفر ضد الجيش اليابانى على شكل عملية مشتركة لجيش حرب العصابات المناهض لليابان ووحدات الصينيين المناهضة لليابان.

"لقد كان الصينيون متهيبين للغاية امام سمعة العسكرية اليابانية التى دحرت دولتين كبريين مثل تشنغ وروسيا دفعة واحدة. لكنهم تحرروا اليوم تماما من هذا الشعور بالتهيب.

لقد توصلنا الى الانعتاق الروحى قبل تحرير الارض من الاحتلال ".

هكذا، صاح تشين هان جيانغ وهو يعانقنى، ومازلت اذكر بوضوح حتى الآن الدموع التى ترقرقت من عينيه حينذاك.

"لنبق معا يا سونغ جو على هذا الطريق دائما".

قال تشين هان جيانغ ذلك بانفعال شديد، وهو يشد على يدى بقوة. وعندما نطق عبارة "هذا الطريق" كان يقصد بها النضال المشترك. وقد حافظ على هذا القسم الى ان استشهد فى احدى المعارك.

بعد نحو اسبوع من معركة حاضرة محافظة تونهوا، خاضت وحدتنا بالتعاون مع جيش الانقاذ الوطنى عملية مماثلة ضد حاضرة محافظة ايمو. وقد خرجنا منها منتصرين ايضا. وقد وصلت اخبار قليلة عن هذه المعركة الى العالم، الا ان اصوات الرصاص التى دوت هناك، خلفت اصداء بالغة الاهمية.

٦-سياوشاهى فى الخريف

فور عودتنا الى ليانغجيانغكو دعونا الى اجتماع يحضره حتى اولئك الذين كانوا فى سياوشاهى ولم يشاركوا فى الحملة الى منشوريا الجنوبية لكى نستعرض نتائج نشاطاتنا خلال نصف سنة بعد تأسيس جيش حرب العصابات. كان الموضوع الرئيسى بالطبع هو الحملة الى منشوريا الجنوبية. وقد اعترف مقاتلو جيشنا بالاجماع ان صفوفنا المسلحة قد نمت وتطورت بسرعة فائقة خلال هذه الفترة، وانهم توصلوا الى القناعة بانه من الممكن جدا الحاق الهزيمة بالامبريالية اليابانية باسلوب حرب العصابات .

ومن اجل الانتقال بحرب العصابات الى مرحلة جديدة، طرحنا على الوحدة فى هذا الاجتماع المهمات التالية:

اولا – نقل قاعدة جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان الى منطقة وانغتشينغ.

ثانيا – تعميق العمل مع صينيى جيش الانقاذ الوطنى المناهض لليابان.

ثالثا – الدقة فى قيادة نضال حرب العصابات الذى بدأ يتوسع باندفاع كبير فى منطقة منشوريا الشرقية، والتعجيل باقامة قواعد ثورية والدفاع عنها بثبات.

وكانت المسألة التى اثارت اكبر قدر من النقاش الجدى بين هذه النقاط الثلاث هى مسألة نقل قاعدة نشاطات جيش حرب العصابات الى وانغتشينغ.

ناقشت هذه المسألة طوال عدة ايام مع الكوادر السياسيين والعسكريين الذين قدموا من آنتو وآنزى وهيلونغ.

لم يوافق الرفاق القادمون من آنتو على مسألة الانتقال. واظهروا استياءهم متسائلين عن السبب فى نقل جيش حرب العصابات الذى تم تأسيسه فى آنتو الى وانغتشينغ، وعما سيبقى فى آنتو اذا ما انتقل الجيش منها. كان هذا عنادا بسيطا من اناس لم يتخلصوا بعد من مفاهيم التعصب الاقليمى الضيق.

وعلى النقيض من ذلك، زعم الرفاق القادمون من آنزى وهيلونغ بان الامر الطبيعى والمناسب، سواء من الناحية الاستراتيجية او من الناحية الطبوغرافية، هو ان تنتقل وحدة

آنتو التى تشكل اصل جيش حرب العصابات ومنشأه الى قلب تشينتاو حيث توجد تجمعات الكوريين. وأكدوا على ان ذهاب هذه الوحدة ذات القدرة القتالية الكبيرة الى وانغتشينغ، سيحدث تحولات كبيرة فى نشاطات وحدات حرب العصابات فى آنزى وهونتشون وهيلونغ وغيرها من المحافظات المجاورة.

واعترف الرفاق من آنتو ايضا بان وانغتشينغ هى انسب مكان من حيث الظروف الطبوغرافية. واهم فوائدها انها قريبة من كوريا. كما ان منطقة حواضر الاقضية الستة على ضفاف النهر متأثرة جدا "برياح جيلين"، مما سيجعل منها على المدى الطويل مصدرا مضمونا للموارد البشرية والمادية اللازمة لحرب العصابات. فاذا استخدمناها كموطئ قدم، فاننا سنوفر اندفاعة قوية للثورة داخل الوطن. كما ان الجماهير فى منطقة وانغتشينغ تملك قدرة نضالية بارزة وروحا ثورية تم اظهارها دون تحفظ فى دعم معركة تشينغشانلى ومعركة فينغويكو اللتين يمكن اعتبارهما قمة فى تاريخ النضال المسلح لجيش الاستقلال. وكانت وانغتشينغ كذلك قاعدة نشاطات الهيئة العسكرية والادارية لجيش الطريق الشمالى. ومئات من رجال جيش الاستقلال وطلبة المدرسة العسكرية الذين عملوا فى هذه المنطقة كانوا يأكلون من الحبوب التى يزرعها سكانها.

مهما يكن من امر، لم نستطع ان ننتقل الى وانغتشينغ بصورة اعتباطية. لذا، تعمقنا فى نقاش الخيارين خلال عدة ايام: فاما ان نخوض نضال حرب العصابات بقوانا الذاتية بعد ارساء قاعدتنا فى محافظة آنتو، واما ان نواصل النشاطات الشرعية مع جيش الانقاذ الوطنى، ونوسع شيئا فشيئا وحدات الكوريين.

لقد اعتبرت انه من الاهمية بمكان ان نوطد شرعية جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان، هذه الشرعية التى حصلنا عليها بالدماء حتى ولو تعرض نشاطنا لبعض قيود من جراء الاعمال المشتركة مع جيش الانقاذ الوطنى، وان نثبت للاخوة الصينيين – الذين يرون ان الكوريين المقيمين فى منشوريا هم يابانيون من درجة ثانية – ان امتنا ليست عميلة للامبريالية اليابانية وليست مفرزة استطلاع لها، وان وحدات الشيوعيين الكوريين المسلحة التى يعتبرونها موالية لليابان، ليست كذلك فى الواقع، انما هى ضد اليابان بكل المفاهيم.

فى نهاية المطاف، اخترنا الاقتراح الداعى الى المضى فى الحفاظ على شرعية جيش حرب العصابات، والعمل لبعض الوقت مع جيش الانقاذ الوطنى، ومن جهة اخرى توسيع

الصفوف المسلحة بمد نطاق نفوذنا من خلال ممارسة النضال ثم دمج هذه الصفوف فى كيان واحد بعد توسيعها.

بعد اقرار هذا المشروع، اخترنا خيرة العاملين السريين لارسالهم الى مناطق مختلفة من منشوريا الشرقية، مثل آنزى وهيلونغ وهونتشون وغيرها. كما ارسلنا آخرين الى وحدات جيش الانقاذ الوطنى التى ترابط فى لوزوكو. وقد شكلنا مفرزة خاصة اخرى لايفادها الى وانغتشينغ. وابقينا على كيم ايل ريونغ فى آنتو. فترتب على ذلك ان تقلصت وحدتنا من مئة وبضع عشرات الى اربعين جنديا فقط.

وقد اعرب كوادر اللجنة الحزبية فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة عن رضاهم حين رأونى اكثر من ارسال عناصر من وحدتى الى المحافظات الاخرى. وقد طلب منى هؤلاء الكوادر فى مناسبات عديدة ان انتقى شبانا اكفاء من وحدتى، وهى صفوة جيش حرب العصابات، وارسلهم لتعزيز مفارز حرب العصابات فى مناطق اخرى.

لقد انقضت اربعة اشهر على مغادرة وحدتنا سياوشاهى للقيام بالحملة الى منشوريا الجنوبية. وكانت الطبيعة فى ليانغجيانغكو تكتسى بمزيد من الوان الخريف يوما بعد يوم. فاذا خرج المرء فى الصباح وجد اوراق الاشجار المتساقطة مغطاة ببقع متفرقة من الصقيع تنذر بقدوم شتاء قارى قارس عما قريب.

ومع تبدل الفصل وبرودة الجو، بدأت افكر بأمى المريضة. ولكن ذلك كان مجرد قلق وحسب، لانه لم يكن بامكانى الذهاب الى سياوشاهى لزيارتها فى توتشيديان.

لقد كنت احترق شوقا لرؤيتها، الا اننى كنت مضطرا الى تأجيل الزيارة عدة مرات.

ومع اقتراب موعد انطلاقنا الى منشوريا الشمالية، قدم لى تشا كوانغ سو فى احد الايام رزمة من الادوية ولست ادرى من اين حصل عليها، ونصحنى بالذهاب الى توتشيديان. وحين رآنى مترددا، قال لى منتقدا اننى لا استحق القيمة التى ينطوى عليها اسمى، وانه لن يكلمنى ثانية اذا كنت، انا قائدهم، اهمل امى.

كان هذا هو ما دفعنى للذهاب الى سياوشاهى.

وفيما انا اسير على الطريق ورزمة العقاقير فى يدى، كنت قلقا وانا افكر اذا كانت امى ستوبخنى قائلة اننى اهتم بأمور تافهة. وفكرت بانها ستفرح عندما اخبرها ان تشا كوانغ سو هو من ارسل اليها هذه الادوية.

فكرت فى ان كيس الدخن الذى حملته اليها سيكون قد نفد منذ وقت طويل. فكيف تقيم

الاسرة اودها اذن، خصوصا وان امى لا تستطيع العمل؟ لقد طلبت منى بالحاح ألا افكر بشؤون الاسرة، وكأنه لا وجود لها ولاخوى الصغيرين، متعللة بان العناكب لن تنسج خيوطها على فم شخص حى، ولكن شتان ما بين الكلام والواقع: كيف يمكننى التخلى عن التفكير بأبوى اللذين منحانى الحياة وبأخوى؟

وكلما كنت اقترب من توتشيديان برزمة الادوية الخفيفة، كانت خطواتى تصبح اكثر تثاقلا دون ان اعرف السبب. وقلقت حين خطر لى انه ربما يكون مرض امى قد تفاقم، ولكن اكثر ما كان يقلقنى هو عودتى من منشوريا الجنوبية دون التوصل الى تحقيق التعاون مع القائد ريانغ. لو اخبرت امى بذلك فانها ستشعر بأسف شديد. لقد الحت على بالتعجيل فى الحملة الى منشوريا الجنوبية، لانها كانت سعيدة وراضية الى اقصى الحدود لكون ابنها ذاهبا لاقامة تحالف من صديق زوجها. فلم تكن امى ترضى ان يدير الشباب ظهورهم لرواد حركة الاستقلال مكتفين باطلاق الاحكام على افكارهم ومبادئهم.

المسألة التى كانت تثقل كاهلى اكثر من سواها هى حالتها الصحية. فعندما ودعتها آخر مرة كانت معدتها عاجزة عن هضم حتى الحساء السائل جدا. واذا كانت حالتها لم تتحسن خلال فترة غيابى، فلا بد ان تكون فى وضع خطر، وتعانى آلاما مبرحة. ولم يكن من السهل التنبؤ بما صارت اليه.

رحت اغذ الخطى دون ان اتمكن من ابعاد هذه الافكار المقلقة التى كانت تضغط على روحى.

ولم استطع التخلص من تلك الهواجس حتى وانا اعبر جسر الجذوع المألوف فى توتشيديان.

فى كل مرة كنت اعبر فيها هذا الجسر، كانت امى تفتح الباب على مصراعيه، وهو أمر كان يثير استغرابى. ربما كانت لديها حاسة خاصة تتيح لها تمييز ابنائها من وقع اقدامهم. ولكن الباب لم يفتح فى ذلك اليوم، خلافا لما كنت آمل به، ولم يكن الدخان ينبعث من المدخنة على الرغم من ان الوقت كان موعد اعداد العشاء، كما اننى لم المح اخوى الصغيرين يحملان الحطب او يخرجان الماء الآسن.

سحبت مقبض الباب بصعوبة وانا اشعر بقلق وتوتر جمدا الدم فى عروقى. وكدت اهوى على المصطبة فورا. فقد كان فراش امى خاويا. والهبت ذهنى فكرة اننى "وصلت متأخرا"، حين دنا منى تشول جو بصمت وتعلق بكتفى دون ان اعرف من اين ظهر.

قال متلعثما وهو يمسح وجهه المبلل بالدموع بصدرى:

"لماذا جئت الآن؟"

كان جسده يختلج بقوة. ثم انفجر باكيا بصوت اجش مثل طفل.

عندئذ ظهر اخى يونغ جو وركض نحوى ليتعلق بخاصرتى اليسرى.

افلت رزمة الادوية لتسقط على المصطبة وضممت اخوى الصغيرين بقوة. لم تكن هناك حاجة لسؤالهما عن امى، لان بكاءهما يوضح كل شىء. كيف حدثت هذه الفاجعة اثناء غيابى عن البيت! ولماذا لم تتمتع امى حتى بسعادة الامومة الاخيرة فى رؤية ابنها عند موتها؟ يا لامى التى ولدت وسط البؤس وعانت منه طول حياتها! عندما توفى زوجها، ضغطت شفتيها وابتلعت دموعها مفكرة بنكبة البلاد المعذبة، وقضت نحبها بعد ان كرست كل ما فى جسدها وروحها، ليس من اجل سعادتها الخاصة، وانما من اجل سعادة الآخرين.

لقد كانت قلقة دائما من ان تجتذبنى العواطف، وانتهى الى التخلى عن القضية الكبرى. ألا تكون قد عجلت فى الرحيل عن هذا العالم لاعتقادها بان حياتها اصبحت عبئا على انا الذى كرست نفسى للثورة؟

وفيما انا اداعب اطار الباب الذى كانت امى تستند اليه عندما ودعتها آخر مرة، فكرت بالسعادة التى سأشعر بها اذا اتيحت لى رؤيتها مرة اخرى، حتى ولو انبتتنى اكثر مما فعلته فى المرة الماضية.

"قل لى يا تشول جو، ألم تقل امنا شيئا فى اللحظة الاخيرة من حياتها؟"

فى تلك اللحظة، دخلت السيدة كيم من البوابة واجابتنى بدلا من تشول جو .

"قالت امك لى ما يلى: (... اذا جاء ابنى سونغ جو بعد موتى، فأرجو منك ان تعامليه كما كنت اعامله. لا تسمحى له بنقل رفاتى اذا جاء قبل تحقيق استقلال كوريا واذا كان مايزال هناك اوغاد يابانيون على ارضها. بل لا تسمحى له بالاقتراب من الباب. ولكننى اعتقد ان سونغ جو لن يغادر القتال قبل ان يحقق هدفه، ولا تظنى انى اقول هذا تفاخرا بابنى.) ثم طلبت منى بعد ذلك ان افتح باب الغرفة. وبقيت تنظر طويلا الى جسر الجذوع".

تهادت كلمات المرأة الى سمعى فى غموض كما لو انها قادمة من "بلد سماوى" بعيد. غير اننى استطعت ان افهم بوضوح تام المغزى العميق والمأساوى الذى تضمه كل كلمة من كلماتها.

وبينما انا احتضن اخوى الصغيرين، وجهت نظرى نحو ذلك الجسر. وحاولت ان

اتصور شوق امى الى وحزنها لانها لم تستطع رؤية ابنها الحبيب عند موتها. ولكننى اجهشت بالبكاء قبل ان اعبر بوابة تلك التخيلات.

وبعد عدة دقائق من البكاء، رفعت رأسى فالتقت عيناى بعينى جارتنا المخضلتين. لقد كانت نظرة تلك المرأة فى غاية الرقة والتفهم حتى اننى كدت ان اشعر انها نظرة امى.

"اشكرك ايتها الجارة على ما بذلته من جهد للاعتناء بأمى ".

فرغم الحزن والالم الذى كان يمزق قلبى، استطعت استعادة صوابى ولو لبرهة، ووجهت كلمات الشكر الى تلك المرأة التى كانت الى جانبها حتى آخر لحظة من حياتها.

فاجهشت الجارة بالبكاء:

"لا داعى للتحدث عن العناء. فلم اكن اتردد عليها بكثرة. وبسبب تقصيرنا فى العناية بها كما يجب، لم يكن هناك حتى من يساعدها فى تسريح شعرها. وكان اخواك يتغيبان عن البيت بكثرة لقيامهما بالعمل الثورى. ذات يوم، طلبت امك منى ان اقص لها شعرها حتى اذنيها كما يقصون شعر الصبيان، قائلة انه يستحكها ... ولكننى لم اتجرأ على الامساك بالمقص لاقص شعرها. يا للشعر اللامع المسترسل! فرفضت طلبها. عندئذ توسلت الى لكى البى رغبتها قائلة انها لولا الحكة التى يسببها لها شعرها لاحست بالانتعاش والخفة كما لو انها تطير الى السماء. ... فاضطررت ... ذلك الشعر"...

واختنقت المرأة بالدموع قبل ان تكمل كلامها.

ففكرت بانه كان على ألا اسمع هذه الكلمات. وشعرت بقلبى يتفتت. لقد عكفت امى طوال حياتها على احاطة ابنائها برعاية حانية، ولكن هؤلاء الابناء لم تتح لهم الفرصة حتى لاظهار اخلاصهم لها بتسريح شعرها وهى على فراش الموت.

حين كنت اعيش فى فوسونغ من قبل، حدث ان شاهدت صبيا فى مثل عمرى يحمل امه المريضة على ظهره من شارع نانديانجى الى شارع سياونانمين ويتصبب عرقا وهو يبحث عن طبيب. حينذاك، اجمعنا على القول انه ولد بار. وقد ذكرتنى كلمات الجارة فجأة بملامح ذلك الصبى.

وبالمقارنة معه، لا يمكننى ان اعترض حتى ولو اعتبرونى ابنا غير بار. فما الذى عملته لامى فى العشرين سنة التى عشتها؟ فى طفولتى، كنت ادعوها لتجلس فى اكثر الاماكن دفئا وراحة فى الغرفة واحاول تدفئة يديها الباردتين بانفاسى عند عودتها من البئر. وفى الصباح، كنت اخفف عنها بعض اعباء الشؤون المنزلية، فأقدم الطعام للدجاج واحضر

الماء فى الدلو.

ولكنى، منذ ان انطلقت فى طريق الثورة، لم افعل شيئا يستحق الذكر لامى. أيكون اسلافنا القدماء قد ابتدعوا من اجلى تحديدا المثل القائل: "المحبة تسيل من اعلى الى اسفل وليس من اسفل الى اعلى"؟ انها مقولة حكيمة حقا. فأنا لم اسمع حتى الآن عن ابناء اعتنوا بآبائهم واحترموهم باخلاص يفوق محبة الآباء لهم.

"ألم تقل لكما امنا اى شىء يا تشول جو؟" سألت اخى ذلك السؤال وانا افكر بانه لا يمكن للوصية التى تركتها امى فى هذا العالم ان تقتصر على الكلمات التى قالتها الجارة.

مسح اخى عينيه بظاهر كفه واجابنى بصوت مبحوح:

"لقد طلبت منا ان نساعدك جيدا، وقالت انها ستكون مطمئنة فى العالم الآخر اذا نحن تصرفنا هكذا واصبحنا ثوريين مثلك"...

وهذا، ان دل على شىء، فانما يدل على ان كل القدرة الروحية لدى امى لم تكن مكرسة الا للثورة حتى اللحظة الاخيرة من حياتها.

ذهبت بعد ذلك فورا لرؤية قبرها مع اخوى الصغيرين.

كان القبر على سفح هضبة تنتصب فيها شجرة دردار قديمة منفردة، وكانت تغطيه اعشاب لها شكل زخرفة البطيخ.

خلعت قبعتى العسكرية وانحنيت امام القبر باحترام مع اخوى.

(يا اماه، هذا انا، سونغ جو. ارجوك ان تسامحى هذا الابن غير الوفى. انى جئت اليك الآن لاننى رجعت متأخرا من منشوريا الجنوبية.)

وبينما كنت اقول ذلك فى نفسى وانا جاث على الارض، بدأ تشول جو يحفر بيديه طرف القبر المغطى بالعشب، وكانت الدموع تتساقط من عينيه دون توقف.

فصرخت به مستغربا:

"ماذا تفعل؟"

ولكن اخى لم يجب على سؤالى، بل دفن فى الحفرة رزمة الادوية التى حملتها معى من ليانغجيانغكو.

ان تصرفه الصامت هذا قد اطلق العنان للاحزان التى كانت تملأ قلبى كالدخان. فطرحت نفسى فوق القبر وبكيت طويلا بحرقة. ويمكننى القول اننى تحولت من الثورى الى انسان عادى.

وفى هذه اللحظة، شعرت كما لو ان كل الاشياء فى هذا الكون قد تجسدت فى هذا القبر لتبكى المأساة التى يمثلها فقدان امى. لكن السماء الخريفية الزرقاء اللامتناهية كانت تطل على الارض من فوق رأسى بسعادة كعادتها. فتساءلت فى نفسى: كيف يمكن لهذه السماء ان تحافظ على هدوئها امام فجيعتنا.

هكذا فقدت امى الحبيبة. وقد حلت هذه الفاجعة فى احد ايام الصيف الكئيب لعام ١٩٣٢ الذى يصادف الذكرى الثانية والعشرين لتاريخ دمار البلاد. لو لم يلحق الدمار ببلادنا لعاشت امى عمرا اطول. لقد كان سبب مرضها هو المشقات التى نتجت عن نكبة فقدان ارض الوطن.

حقا، كانت جهود امى التى نذرتها من اجل اولادها تفوق الوصف. واذا حسبت اخلاصى لامى بعشرة، فان محبتها لى تساوى الفا او عشرة آلاف.

فى اثناء ممارستى النشاط السرى، حدث لى ان وقعت فى حصار العدو فى مدينة فوسونغ مع اربعة او خمسة اعضاء من اتحاد الشباب الشيوعى. وكان علينا ان نفلت من المدينة المسورة خارقين شبكة الحصار حتى لو غامرنا بخوض المعركة، الا اننا لم نكن نملك الاسلحة. فطلبت من امى ان تذهب الى رفاقى فى وانليهى وتحضر بعض الاسلحة .

فوافقت على طلبى بكل سرور.

"ممكن تماما. سأذهب لاحضارها".

وهكذا ذهبت امى الى وانليهى ثم عادت الى البيت بسلام ومعها مسدسان. وحينذاك، قام رفاقى فى وانليهى، وبناء على طلب امى، بتهيئة المسدسين بحيث يمكنها اطلاق الرصاص منهما بمجرد الضغط على الزناد عند الضرورة. وقد دخلت امى من بوابة المدينة وهى تخبئ هذين المسدسين بين اضلاع لحم بقر. وقد سألها احد حراس البوابة وهو يشير الى طست اللحم.

"ما هذا؟"

فردت عليه بهدوء: "انه لحم بقر".

واكتفى رجال الشرطة برفع قطع الورق التى تغطى الطست وسمحوا لها بالمرور.

دهشت حين رأيت المسدسين محشوين بالرصاص ومجهزين لاطلاق النار بفك جهاز الامان.

"يا للهول! كدت تعرضين نفسك لمصيبة. لماذا حشوت هذين المسدسين بالرصاص؟"

"انا طلبت ذلك من رفاقك حتى استطيع اطلاق الرصاص على الاعداء اذا ما حاولوا تفتيش هذا الطست. فربما كان سينقض على اثنان او ثلاثة من الاعداء على الاكثر. كنت مصممة على ان اطلق الرصاص حتى ولو على واحد منهم قبل ان اضحى بنفسى".

كانت هذه كلمات تعبر عن مضمون روحها النبيلة التى يستعصى علينا ان نتصورها على الاطلاق بتجاربنا او اسلوب تفكيرنا البسيط. لقد كانت تعبيرا عن الشجاعة والمحبة الحقيقية اللتين لا يمكن لاحد محاكاتهما دون التفهم والتعاطف الغيور مع قضية ابنائه .

فى احد الايام، عندما كنا نعيش فى غرفة من منزل ما تشون ووك فى مدينة جيوآنتو، كان رفاقى يصلحون المسدسات عندما انطلقت فجأة بطريق الخطأ رصاصة وجرحت امى فى ساقها. وكان الجرح يشكل خطرا على حياتها ما لم يتم علاجه كما يجب.

لم يعد بامكان امى منذ ذلك اليوم الخروج من الغرفة. واذا ما سألها احدهم عن سبب تلك الاصابة، اجابته بأن عظم رجلها اصيب بخلع عندما وقعت وهى تخرج الماء فى الصباح. ولزمت الفراش وهى تتدثر بلحاف، ولكنها لم تدع طبيبا لمعالجتها. وقد اعتنى بها ومرضها عمى هيونغ كوون سرا. ورغم تلك الحالة التى وصلت اليها، فانها لم توبخنا، ولم تبد اى استياء من الرفيق الذى تسبب فى اطلاق تلك الرصاصة الطائشة.

ولشدة ضيق ذلك الرفيق من خطأه، حاول مرة ان ينتحر.

عندما سمعت امى بذلك، استشاطت غضبا ووبخته قائلة: "لا تكن احمق. لقد وقع هذا الحادث لانك ماتزال غرا فى استخدام المسدس. لحسن الحظ انه لم تقع مصيبة. فكيف تنتحر بسبب هذا الامر التافه وانت رجل كامل ومكتمل؟ اياك ان تفكر بهذا، وما عليك الا ان تحافظ جيدا على السر. لانه اذا شاع الخبر، فان نكبة ستحل بكم وبأهل هذا البيت. ولن تستطيعوا بعد ذلك انجاز قضيتكم العظيمة."

كانت امى تخشى ان تكشف الشرطة وجود اسلحة لدينا اكثر من خشيتها على ساقها الجريحة.

لم تبح اسرة ما تشون ووك ايضا بسر تلك الحادثة.

كان من افضل سجايا امى انها تحب رفاقى كما تحب اولادها. فكانت تعاملهم كما تعاملنى. وعندما كانوا يزورون بيتنا، كانت تمدهم بالنفقات اللازمة لنشاطاتهم مما كانت تكسبه من عملها فى الغسل والخياطة للآخرين. فعمال محطة قطع الاخشاب والشغيلة المياومون الذين كانوا يتجولون بحثا عن جذور الانسام (الجنسنغ)، كثيرا ما كانوا يأتون

بالاقمشة القطنية ويطلبون من امى ان تصنع لهم الثياب. فكانت تكسب من هذه الخدمات سبعين او ثمانين زيانا فى اليوم، وربما تكسب يوانا واحدا فى احسن الاحوال. ومع انها عاشت حياة فقيرة الا انها لم تكن تحسب للنقود حسابا. فقد كانت تأخذ من تلك النقود ما يكفى لشراء الارز الذى لا بد منه ولنفقات الرحيل الى مكان آخر وقيمة ايجار البيت. ثم تنفق ما تبقى بسخاء على رفاقى. فتشترى لهم عدة غونات من الشعيرية ولحم الخنزير وتطبخ لهم الشوشبرك الصينى وحساء فتائل العجين المسلوقة عندما يزورون بيتنا، وتقدم لهم كذلك ما تدخره من نقود ليستخدموه فى نشاطاتهم.

فكان رفاقى يقولون لها بقلق: "يا اماه، كيف ستدبرين معيشة الاسرة اذا كنت تقدمين لنا كل ما تملكين، خصوصا وان حياتكم بحد ذاتها فقيرة؟"، فكانت ترد عليهم: "عندما يموت الانسان لا يكون السبب هو قلة النقود وانما انتهاء اجله."

ومع ان رفاقى كانوا يبقون فى بيتنا شهورا، الا انها لم تكن تظهر ادنى قدر من الاستياء، بل كانت تعاملهم دوما كما تعامل اولادها. لهذا السبب، فان الرفاق الذين شاركوا فى الحركة الشبابية فى منشوريا واقاموا عدة ايام فى بيتنا، لم يكونوا ينادونها "يا ام سونغ جو"، بل "يا امنا."

وليس من المبالغة القول ان امى قد امضت حياتها فى تهيئة الطعام للثوريين. فعندما كان والدى على قيد الحياة، كان عليها ان تقوم على خدمة الوطنيين دون ان تتمكن من الذهاب الى سهرة عائلية واحدة. وعندما عاشت فى رينتشيانغ، كان عليها ان تعد الطعام كل ليلة تقريبا للزائرين. فما ان نستلقى فى الفراش ونتدثر باللحاف، حتى يطرق الباب عدد من اصدقاء والدى ويدخلون وهم يقولون مازحين: "أتنامون بهدوء فى هذه الحقبة الحرجة؟" وعندئذ يتعين على امى ان تنهض لتعد الطعام من جديد. وكان اولئك الضيوف ينامون فى احدى غرف البيت.

لقد اسهمت امى كذلك فى الثورة دون ان تتوقف عن تقديم الرعاية للثوريين. فقد بدأت نشاطاتها الثورية حين كانت تعيش فى فوسونغ، حيث انتسبت الى فرع منطقة بايكسان لجمعية التربية النسائية فى منشوريا الجنوبية، وعملت على تنوير النساء والاطفال. وبعد موت زوجها، شاركت فى عمل جمعية النساء.

لقد اسهم تأثير والدى وتأثيرى انا بالذات ايضا فى تطورها من امرأة تساعد الثورة الى مشاركة مباشرة فيها. ولكن يمكن التأكيد ان تأثير لى كوان رين عليها ايضا كان كبيرا جدا.

فعندما اقامت لى كوان رين فى بيتنا، اشركت امى فى مهمات جمعية التربية النسائية فى منشوريا الجنوبية.

لو لم تكن لدى امى الا الامومة لما استطعت ان اتذكرها بهذه المحبة الدافئة. ان ما بذلته امى لى لم يكن مجرد امومة، بل كان محبة حقيقية وثورية، جعلتنى اعى من خلالها اننى ابن البلاد قبل ان اكون ابنها، وانه على ان اكون مخلصا للامة قبل اخلاصى لابوى. لقد كانت حياتها بكاملها كتابا مدرسيا تعلمت منه المفهوم الحقيقى للحياة والثورة.

واذا كان والدى معلما غرس فى نفسى صلابة الروح الثورية لتحقيق استعادة البلاد مهما كلف الامر، حتى ولو تطلب ذلك مواصلة النضال جيلا بعد جيل، فقد كانت امى معلمة مشكورة عرفتنى على مبادئ النشاطات الثورية المتمثلة فى انه على المرء الذى اختار طريق الثورة ان يسعى جاهدا فقط من اجل بلوغ اهدافه حتى النهاية، دون ان يسمح للمشاعر بالسيطرة عليه او ان يهتم بالامور الجانبية.

اذا ما كانت محبة الوالدين والاولاد عمياء لا هدف لها، فلا يمكن القول انها محبة وطيدة. فما لم تكن الروح التى تؤججها حقيقية وسامية، فانه لا يمكن لها ان تكون محبة ابدية وكاملة. ان الروح التى كانت تدعم بقوة محبة امى لى ووفائى لها فى عصر فقدان البلاد ذاك، هى الروح الوطنية. ومن اجل محبة الوطن تحديدا، ضحت امى حتى بحقها الامومى فى مطالبة ابنائها بالوفاء لها.

غادرت توتشيديان دون ان اتمكن حتى من وضع لوحة على قبر امى. وبعد التحرير فقط، تم وضع لوحة تحمل اسمها. وقد فعل ذلك اهالى محافظة آنتو تكريما لذكراها. ونقشوا على اللوحة كذلك اسماء ابنائها الثلاثة.

وبعد التحرير، تم نقل رفاتها الى قرية مانكيونغداى، الى جانب رفات والدى، عملا بوصيتها.

حتى بعد عودتى الى الوطن، لم استطع ان اهتم لبعض الوقت برفات والدى اللذين دفنا فى ارض الغربة، ذلك لان الوضع كان معقدا جدا، وكان على انجاز مهمات كثيرة. ولم تكن رفات والدى وحدهما هى المدفونة فى جبال وسهول منشوريا التى امضيت فيها شبابى، بل كذلك رفات رفاق لا حصر لهم استشهدوا وهم يشقون الطريق معى وسط بحر نيران الثورة. وكان ابناء اولئك الرفاق مايزالون احياء. فقررت انه لا يمكن نقل رفات والدى قبل ان اعيد رفات رفاق السلاح الشهداء واحضر ابناءهم الى الوطن المحرر مثلما

اوصونى قبل موتهم.

فى هذا الوقت بالذات، زارنى زانغ تشول هو ليقنعنى بنقل قبرى والدى الى مسقط رأسيهما.

قال لى انه سيتحمل مسؤولية نقل قبريهما فيما اتكفل انا باختيار موقع مناسب فى مانكيونغداى لدفن رفاتهما فيه. ومن بين الاشخاص الذين كانت لهم صلة بى منذ فترة منشوريا، كان زانغ تشول هو الشخص الوحيد الذى يعرف موقع قبرى والدى. وقد تجشم عناء كبيرا لنقلهما.

حين كنت اخوض النضال المسلح، حاول العدو بعناد نبش قبرى والدى. الا ان السكان فى فوسونغ وآنتو حموهما باخلاص واعتنوا بهما عناية كبيرة فى السر، الى ان تحرر الوطن. فالسيد كانغ زى ها الذى كان معلمى فى مدرسة هواسونغ كان يعد القرابين مرتين فى السنة، فى عيدى هانسيك وتشوسوك، ويذهب الى قبر والدى فى يانغديتشون بصحبة زوجته واولاده لاحياء ذكراه ونزع الاعشاب من حوله.

بوفاة امى، اصبحت ولى امر اخوى الصغيرين وكبير الاسرة. بيد ان الثورة حرمتنى من ان اؤدى ايا من هذين الدورين. فقد وجدت نفسى مضطرا الى ترك اخوى اللذين كانا يبكيان حزنا فى وادى سياوشاهى، حيث تتلوى عيدان القصب بكآبة، لامضى بخطى متثاقلة، ودون اى وعد محدد بالعودة، نحو ارض منشوريا الشمالية القاسية.

٨ـ على هضبة لوزوكو

اضحى دخول الجيش اليابانى الى مدينة آنتو مسألة ساعات. فقد اعد الاقطاعيون الموالون لليابان حتى الاعلام لاستقبال اليابانيين. ولم يعد بمقدور جيش الانقاذ الوطنى البقاء فى ليانغجيانغكو لوقت اطول. كما صدر الامر الى فوج مينغ بالتراجع نحو لوزوكو ووانغتشينغ حيث توجد جبال وهضاب.

ونظرا للتبدل المفاجئ فى الوضع، قررنا ايضا مغادرة آنتو مع جيش الانقاذ الوطنى. وتم اتخاذ هذا القرار فى اجتماع للجنة العمل مع الجنود عقد فى ليانغجيانغكو. كان توجهنا العام هو نقل قاعدة نشاطاتنا الى وانغتشينغ، على ان نستقر، مؤقتا، فى لوزوكو حيث تتمركز وحدات جيش الانقاذ الوطنى المنسحبة، ومواصلة العمل هناك مع الوحدات المناهضة لليابان. كما ان وحدة القائد يو انسحبت، هى الاخرى، الى لوزوكو.

عندما كنا مشغولين بالاستعدادات للانتقال الى منشوريا الشمالية، جاء اخى الصغير تشول جو الى ليانغجيانغكو من اجل الالتقاء بى.

"يا اخى، انا ايضا اريد الانضمام الى وحدتك. لم اعد استطيع العيش بدونك فى وادى توتشيديان".

هكذا صارحنى من تلقاء نفسه قبل ان اسأله عن سبب زيارته. وفهمت انا ايضا سبب رغبته فى الذهاب مع وحدتنا. فبالنسبة لمراهق مرهف الحساسية فى مثل سنه، كان من غير الممكن تحمل العيش لايام لانهائية فى وادى سياوشاهى، حيث توفيت امه، وهو يتناول طعاما يقدمه له الآخرون.

"اذا ما غادرت انت ايضا وادى توتشيديان، فماذا سيحل بأخينا يونغ جو؟ سيكون من العسير عليه تحمل الوحدة".

"يزعجنى ان يعيلنا اناس آخرون نحن الاثنين. اما اذا بقى اخى الاصغر وحده، فاننا سنخفف بذلك من اعباء اولئك الناس".

فكرت بان تشول جو على حق، ولكننى لم استطع الموافقة على طلبه. فمع انه كان فى

السادسة عشرة من عمره، الا انه كان قادرا على التأقلم من الحياة العسكرية فى الوحدة اذا ما اعطيت له البندقية. فقد كان ممتلئ الجسم وطويل القامة بالقياس الى سنه. ولكن عظامه لم تكن قد تصلبت كما يجب، وهو ما يمكن ان يجعله عبئا على جيش حرب العصابات. اضف الى ذلك انه كان يتحمل مسؤولية ثقيلة فى توطيد عمل اتحاد الشباب الشيوعى فى منطقة آنتو.

"اذا ما قدمت الى هذا الطلب بعد عامين او ثلاثة اعوام، فسأقبل طلبك على الفور. ولكننى لا استطيع تلبية رغبتك فى الوقت الحاضر. ارجوك ان تنتظر بضعة اعوام اخرى متحملا المصاعب والوحدة التى تعيشها. ارجوك ان تدفع عمل اتحاد الشباب الشيوعى على نحو رائع، وانت تعمل فى الوقت نفسه اجيرا فى بيت آخرين او عاملا موسميا. يجب عليك الا تستهين بالنشاطات السرية لانها لا تقل اهمية عن النضال المسلح. فاهتم الآن بعمل اتحاد الشباب الشيوعى، وسأقبلك فى الجيش الثورى عندما يحين الوقت".

سعيت الى اقناع تشول جو بمختلف الوسائل كيلا يصر على طلبه. وذهبت معه اخيرا الى الحانة القائمة على ضفة البحيرة. كان المحل باردا وغير مريح. وكانت الريح تنفذ من شقوق النوافذ وتهز شرائط الورق التى تغطيها محدثة اصواتا كئيبة.

طلبت خمرا وشيئا نأكله معها. فقدم الينا صحنان من جبنة فول الصويا المتجمدة وزجاجة خمر وضعت بين الصحنين.

حينذاك، ترقرقت الدموع فى عينى تشول جو. ولانه يعرف انى لا اشرب الخمر، فقد ادرك ما يعنيه تناول تلك الكأس.

"يا تشول جو، ارجوك ان تعذرنى لعدم قبولى طلبك. لا تظننى ارفض وجودك الى جانبى. ان الالم يمزق قلبى حين اجد نفسى مضطرا لابقائك هنا. ولكن، يا تشول جو، علينا ان نفترق ثانية، وانا آسف على ذلك".

بفضل ما شربته من الخمر، استطعت ان اقول دفعة واحدة كل ما كان يصعب على النطق به وانا صافى الذهن. ولكننى لم اتمكن مع ذلك من كبح الدموع التى ملأت عينى.

فخرجت من الحانة كى لا يرانى تشول جو وانا ابكى، ولكنه نهض وتبعنى، تاركا قدح الخمر الذى يريد تناوله.

"اننى افهمك يا اخى".

قال تشول جو هذه الكلمات المقتضبة، ودنا من ورائى وامسك يدى بصمت للحظات.

هكذا، فارقت اخى الصغير ولم التق به مرة اخرى بعد ذلك ابدا.

كلما تذكرت شاطئ البحيرة العابس والحزين فى ذلك الخريف، يعترينى شعور عميق بالندم لانى لم اشد على يد اخى الصغير لوقت اطول وبحرارة اشد عندما امسك يدى وافلتها بصمت قبل فراقنا. ومازلت افكر حتى اليوم بانه كان فراقا شديد الكآبة.

ربما لو قبلت طلب تشول جو فى ذلك الوقت، لما كانت عاجلته المنية قبل ان يبلغ العشرين من عمره. لقد عاش متأججا من شعلة نار، وانطفأ مثلها ايضا.

لم يكن قد اتم العاشرة من عمره عندما انتسب الى منظمة ثورية. وكان فى فوسونغ مسؤول الدعاية فى اتحاد ساينال للاحداث، ثم اصبح امينا للجنة اتحاد الشباب الشيوعى فى منطقة سياوشاهى.

وبعد فراقنا فى ليانغجيانغكو، قام تشول جو باعداد عدد كبير من اعضاء اتحاد الشباب الشيوعى وارسلهم الى الجيش الثورى الشعبى الكورى. كما تطوع من تلقاء نفسه للقيام بعمل شاق مع الوحدات المناهضة لليابان. واشترك مع جنود تلك الوحدات ايضا فى الهجوم على مدينة داديانجى. وقيل ان الوحدة المناهضة لليابان التى يقودها دو يى شون والتى كان تشول جو على اتصال بها، قد قاتلت بشرف ضد قوات تشينتاو التأديبية التابعة للجيش اليابانى.

وبعد ذلك، عندما تولى المسؤولية الجسيمة برئاسة قسم العمل مع الوحدات المناهضة لليابان فى آنتو، قام تشول جو بالاتصال من احدى هذه الوحدات التى يقودها سو كوى وو، وكانت ترابط فى ساسومبى التابعة لتشانغتشايتشون فى بوياندونغ بمحافظة آنزى. وقد كان سو كوى وو قائدا متقلبا ومتعنتا، ومع انه كان ينوى النضال ضد اليابانيين، الا انه كان يبدى عداء اعمى نحو الشيوعيين الكوريين رغم اقامته علاقات ودية مع الكوريين فى اول الامر.

الا انه بدأ يعامل الشيوعيين الكوريين بفتور بعدما انتزعت عضوات جمعية النساء المناهضات لليابان فى بوياندونغ فتاة كورية عضوة فى اتحاد الشباب الشيوعى كان يحتجزها لجعلها محظية له. وقد جرى احتجاز هذه الفتاة عندما ذهبت الى تلك الوحدة المعادية لليابان مع افراد الفرقة الفنية بهدف القيام بالدعاية. ولم يكن بامكان اى امرأة تقع فى قبضة سو كوى وو ان تنجو بنفسها ما لم تشبع نزواته.

كثيرا ما كان سو كوى وو يستبدل محظياته.

بعد انتزاع الفتاة منه، اصبح من الصعب على الكوريين ان يقتربوا من وحدته. بل ان الذين كانوا يتعاملون معه بلا تكلف فى الماضى، لم يعد بامكانهم الاقتراب منه. وقد دفعته غرامياته الخبيثة تلك الى اصدار الاوامر لمرؤوسيه بملاحقة الكوريين واضطهادهم.

فى هذا الوقت بالذات، زار اخى الصغير تشول جو وحدة سو كوى وو بصحبة الرفيق ريم تشون تشو الطبيب التقليدى الكوريوى.

"سمعنا ايها القائد، انك مريض جدا، فجئنا لنعودكم ونعبر لكم عن تمنياتنا بالشفاء".

ومع ان تشول جو بادره بهذه التحية المهذبة وبلغة صينية سليمة، الا ان سو كوى وو لم يزعج نفسه حتى بمجرد النظر اليهما. فهو لم يكن يريد رؤية الكوريين او التحدث معهم.

"لقد جئت بطبيب تقليدى جيد عساه يشفى مرضكم. الا تريد ان يعالجك؟"

عندئذ فقط ابدى سو كوى وو شيئا من الاهتمام بما قاله تشول جو، وقال انه اذا كان طبيبا ماهرا حقا، فانه موافق على الخضوع للفحص الطبى.

وبعد عدة ايام من العلاج بالوخز بالابر، اعرب عن رضاه، لانه بدأ يشعر بالصفاء فى ذهنه بفضل علاج الطبيب ريم، وتخلص من الصداع الذى كان يسبب له آلاما لا تطاق.

وقد وفرت هذه الحادثة فرصة سعيدة لتشول جو، اذ اصبح بامكانه العمل بطريقة شرعية بين جنود وحدة سو كوى وو.

وبعد ذلك، انضم سو كوى وو الى فيلق الناحية الذى اقوده، وجرى تعيينه قائدا للفوج العاشر، حيث قاتل جيدا حتى النهاية. على الرغم من ان هذا الرجل كان يقول فى احد الاوقات انه لا يستطيع العيش يوما واحدا دون افيون ونساء، واقترف الكثير من الاعمال الطائشة، فقد استطاع بعد التحاقه بالجيش الثورى ان ينضم كذلك الى الحزب الشيوعى.

وعندما هنأته باسم الوحدة بانتسابه الى الحزب، قال لى: "ايها الرفيق قائد الجيش، عندما انضممت الى الحزب اليوم، فكرت بأخيك. فلولا مساعدته ما كان بامكانى الاحتفال بمثل هذا اليوم السعيد". ثم روى لى كيف جاء تشول جو بالطبيب ريم تشون تشو لعلاجه من مرضه وكيف ساعده بصبر ومثابرة كيلا ينحرف من درب النضال المناهض لليابان. وقد روى ذلك كله بطريقة احسست معها باننى استمع الى حكاية خرافية قديمة.

فى حزيران عام ١٩٣٥، استشهد تشول جو وهو يقاتل ببطولة قرب تشيتشانغتسى. وقد علمت بهذا الخبر الفاجع حين كنت على ضفاف بحيرة جينغبوهو. وربما هذا هو السبب الذى يجعلنى افكر بأخى حتى اليوم كلما ارى نهرا كبيرا او بحيرة.

ومع موت تشول جو، اصبح اخى الاصغر يونغ جو يتيما تماما ولا معيل له. ومنذ ان انتقلت اسرة كيم زونغ ريونغ الى قاعدة حرب العصابات فى تشيتشانغتسى، كان عليه ان يحصل على قوته بالعمل فى بيوت الآخرين كخادم او مرب للاطفال. وحيث ان جيش كوانتونغ اليابانى كان يسعى حينذاك بصورة مسعورة للقبض على كل من له علاقة بى لكى يستخدمهم فى ارغامى على "الاستسلام"، فقد اضطر اخى الاصغر الى استبدال اسمه ومنشأه العائلى والعيش حياة تشرد فى مدن وارياف الصين ومقاطعات شمالها الشرقى الثلاث. وهكذا وصل ايضا حتى بكين حيث اقام فيها لبعض الوقت.

بعد تحرير البلاد، استطعت قراءة بعض المعلومات المتعلقة بمطاردة اخى الاصغر فى طيات الوثائق التى تركتها الشرطة اليابانية عند هربها.

عندما كان يعمل فى مصنع سينجينغ للبيرة، غلبه الحنين الى مسقط رأسه، فسافر الى الوطن حيث بقى نحو ثلاثة اشهر. وقد ظهر فى مانكيونغداى آنذاك مرتديا بدلة سوداء وحذاء ابيض.

كان مظهره وقورا ومهيبا لدرجة ان جدى فكر بان حفيده الاصغر قد حصل على منصب رفيع وثروة كبيرة. حينذاك، قال يونغ جو لجده وجدته انه يتعلم فى معهد عال فى تشانغتشون لكى لا يسبب لهما القلق. ولان الشرطة كانت تلاحقه وتوزع صورته على مراكزها، فانه لم يستطع البقاء فى مانكيونغداى بعد ان جاء الى مسقط رأسه. وكان عليه ان يلوذ ببيت عمته الكبرى الى ان رحل الى منشوريا ثانية.

غادرت مفرزة جيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان المؤلفة من اربعين مقاتلا ليانغجيانغكو وتقدمت شمالا باتجاه نانهوتو عبر تونهوا وايمو، متسلقة الجبال الوعرة. وفى اثناء ذلك، قامت وحدتنا بنشاطات سياسية فى قرية بويرهى المشهورة التى عشت فيها حياة "الاجير" لبضعة ايام، ثم هاجمت الوحدة بعد ذلك بالقرب من هاربالنغ فى محافظة تونهوا قافلة نقل للجيش اليابانى كانت معبأة لمشروع مد السكك الحديدية ما بين تونهوا وتومين. وبعد هذه المعركة، قابلت كو زاى بونغ فى توداوليانغجى بمحافظة تونهوا.

كان كو زاى بونغ قد نقل مسرح نشاطه من سيداوهوانغكو الى توداوليانغجى بعد ازدياد القمع المعادى. واشتغل هناك معلما فى مدرسة الفلاحين التى تديرها منظمة سرية. وكانت المسافة بين توداوليانغجى وحاضرة محافظة تونهوا لا تتجاوز الثلاثين رى. وقد التقيت حينذاك بام كو زاى بونغ ايضا.

لقد وزعنا على كل البيوت دقيق القمح الذى غنمناه فى الهجوم على قافلة القوات اليابانية، ثم تناولنا مع الاهالى الاطعمة المطبوخة منه. اما اقمشة القطن التى غنمناها فى هذه المعركة فقدمناها الى مدرسة الفلاحين لصنع ملابس لطلابها.

وحين غادرت وحدتنا توداوليانغجى، واصلت تقدمها باتجاه الشمال، ونفذت فى اثناء الطريق مهمات مشتركة مع الوحدات المناهضة لليابان فى غواندى ومنطقة نانهوتو، ثم ذهبنا بعد ذلك الى منطقة وانغتشينغ، فاطلعنا على عمل منظمات الحزب واتحاد الشباب الشيوعى والتنظيمات الجماهيرية. والتقينا فى الوقت نفسه مع شخصيات من مختلف قطاعات السكان. ويمكن القول ان تلك التحركات كانت بمثابة عمل تحضيرى لاقامة قاعدة نشاطاتنا فى وانغتشينغ.

وحتى فى هذا المكان الجديد، لم نخفف من وتيرة العمل مع الوحدات المناهضة لليابان. فقد توجهت الى ليشوكو لزيارة وحدة غوان باو تشوان التى كانت المفرزة الخاصة برئاسة لى كوانغ قد تعرضت لها بتهور للحصول على بضع بنادق. ولكن غوان باو تشوان هذا لم يكن موجودا، فقد تخلى عن مناهضة اليابان واخفى اثره تماما. واقول بصراحة اننى كنت افكر لو التقيت به، ان اعتذر اليه باسم الرفاق فى وانغتشينغ عما فعلوه، واناقش معه الاجراءات لشن النضال المشترك، وذلك من اجل تصفية الخلاف والتناقض المؤقتين اللذين نشآ من قبل بين الوحدات المسلحة الكورية والصينية.

ومع ان غوان باو تشوان كان قد لاذ بالفرار، الا اننى كنت ارغب على الاقل فى مقابلة ما تبقى من وحدته، ولهذا بعثت مراسلا للبحث عنهم. وهكذا جاءنا نحو مئة جندى مناهض لليابان ليعرفوا اى نوع من القوات هى وحدة كيم إيل سونغ التى ضربت الجيش اليابانى فى حاضرة محافظة تونهوا.

فالقيت امامهم خطابا صريحا. اعترفت فيه اولا بان العمل الذى اقدمت عليه المفرزة الخاصة فى وانغتشينغ ضد جنود قائد الكتيبة غوان من اجل انتزاع السلاح هو تصرف غير ودى. ثم انتقلت للحديث عن النضال المشترك للشعبين الكورى والصينى ومهام الوحدات المناهضة لليابان.

كان لهذا الخطاب اصداء ايجابية بين الجنود المناهضين لليابان. واعترف ضابط يدعى كاو شان بانه كان يفكر ايضا بالتخلى عن المقاومة المناهضة لليابان كما فعل غوان باو تشوان، ولكنه مصمم الآن على مواصلة الطريق الصحيح. وقد قاتل فيما بعد جيدا فى

الجبهة المناهضة لليابان منفذا ما تعهد به. هكذا، تحققت بسهولة المصالحة بيننا وبين الوحدة المناهضة لليابان، بعد تلك المشكلة التى سببت الكثير من اوجاع الرأس فى وانغتشينغ.

وعقدنا اجتماعا للجنة الجنود المعادين لليابان فى لوزوكو بهدف تصويب الانحرافات اليسارية التى ظهرت فى العمل مع الوحدات المناهضة لليابان وبغية ضم اكبر عدد من تلك الوحدات الى الجبهة المشتركة المناهضة لليابان. فى ذلك الوقت، كانت وحدات جيش الانقاذ الوطنى المحتشدة فى حاضرة محافظة دونغنينغ تعد العدة للانسحاب الى مناطق الصين الداخلية عبر الاراضى السوفييتية. فبذلنا جهدنا للحيلولة دون حدوث ذلك بأى ثمن، وضم تلك الوحدات بمتانة الى الجبهة المناهضة لليابان. ولو لم نحقق ذلك الهدف لواجهت نضال حرب عصاباتنا مصاعب خطيرة، ولكان بوسع القوات "التأديبية" المعادية المنتشرة فى كل الانحاء لسحق الوحدات المناهضة لليابان ان تركز قواها لخنق جيش حرب العصابات بضربة واحدة وهو مايزال فى مرحلة صباه، ولا يزيد عدده على بضع مئات من الجنود. وكان ميزان القوى بين العدو وبيننا سينقلب الى غير صالحنا بصورة قاطعة.

فى تلك الفترة، شدد الجيش اليابانى هجماته على القوى المعارضة له لكى يحقق خطته باحتلال كل المدن الصغيرة فى منشوريا. بل وكان ينوى كذلك احتلال حواضر جميع المحافظات.

لقد حضر هذا الاجتماع ثلاثون او اربعون شخصا، منهم لى كوانغ وتشين هان جيانغ ووانغ ريون تشينغ وهو جى مين وجو باو جونغ وانا نفسى. وكنت انا ولى كوانغ نمثل الجانب الكورى، فيما كان تشين هان جيانغ ووانغ ريون تشينغ وهو جى مين وجو باو جونغ يمثلون الجانب الصينى.

كان البند الرئيسى فى جدول اعمال الاجتماع هو مسألة الاجراءات الرامية للحيلولة دون فرار جيش الانقاذ الوطنى وتعزيز الجبهة المشتركة المناهضة لليابان.

جرى فى البداية تحليل الخطأ الذى ارتكبته وحدة وانغتشينغ لجيش حرب العصابات.

وكانت نقطة بداية ذلك الخطأ هى "حادثة كيم ميونغ سان" التى وقعت فى وحدة وانغتشينغ. فقد كان الكورى كيم ميونغ سان يخدم فى "فوج الدفاع" فى ايام تشانغ سو ليانغ، ثم تمرد مع ستة جنود صينيين وانتقل الى وحدة وانغتشينغ لجيش حرب العصابات فى اعقاب حادثة ١٨ ايلول. ولانه كان صيادا مشهورا، فقد اصبح مقاتلا جيدا كذلك. وعندما

انتقل الى جانبنا ابتهج الرفاق فى وحدة وانغتشينغ قائلين انه كنز سقط عليهم من السماء.

وذات يوم، حدث ان تناول احد اولئك الجنود الصينيين الستة فى مطعم داكانجى طبقا من الارغفة المحلاة دون ان يدفع ثمنه وهو فى طريقه الى منطقة يسيطر عليها العدو للقيام بمهمة استكشافية. لم يكن يملك نقودا لدفع الثمن. وحين عاد الى وحدته اعترف بما اقدم عليه بصراحة .

الا ان العناصر اليسارية التى كانت تحتل مواقع مهمة فى اللجنة الحزبية بالمحافظة اعدمت ذلك الجندى رميا بالرصاص، ملصقة به تهمة العنصر المضر الذى شوه سمعة جيش حرب العصابات. وقد اعدم اكثر من عشرة جنود صينيين فى وانغتشينغ تنفيذا لتوجيهات القسم العسكرى للجنة الحزبية فى المحافظة.

وامام اجواء الرعب تلك، هرب بقية الجنود الصينيين الذين جاؤوا مع كيم ميونغ سان وانتقلوا الى وحدة غوان باو تشوان المرابطة قرب ماتشون. وحين سمع غوان باو تشوان قولهم ان جيش حرب العصابات يعدم الصينيين رميا بالرصاص، احس بالخطر ونقل وحدته الى واد بعيد جدا عن المنطقة التى يرابط فيها جيش حرب العصابات. وراح يترصد الفرص لقتل الشيوعيين الكوريين.

فى يوم الاحتفال بذكرى ثورة اكتوبر، احتشد اهالى وانغتشينغ فى مكان الحفلة وهم يحملون اسلحة بدائية مثل الرماح والهراوى لكى يضيفوا مزيدا من الحماس على جو الاحتفال.

وقد اخطأ غوان باو تشوان التقدير وظن ان ذلك الحشد هو جزء من الاستعدادات لمهاجمة وحدته، فسيطر عليه الغضب وامر باعدام عدد من الكوريين رميا بالرصاص، وكان منهم هونغ هاى ايل وون هونغ كوون وكيم وون سيك، وكان هذا الاخير هو رئيس اركان وحدته والعامل السرى المكلف بتثقيف الجنود ودفع حركة الجبهة المتحدة. فكان تصرفه ذاك ضربة مفاجئة ينطبق عليها المثل القائل: "حين ترتفع العصا تقابلها الهراوة."

وبعد ذلك، تخلت وحدة غوان باو تشوان عن النضال وتفسخت الى جماعات صغيرة بدأت تنزل الى المنطقة التى يسيطر عليها العدو. جردت وحدة وانغتشينغ جنود وحدة غوان من الاسلحة عدة مرات بدعوى الحيلولة دون استسلامهم. ووصل بها الامر الى اعدام بعض المنشقين لانهم رفضوا تسليم اسلحتهم باذعان.

وقد شكل هذا الحادث حافزا لفلول وحدة غوان باو تشوان لشن عمليات انتقام ضد

الشـيوعيين الكـوريين. فـاذا مـا صـادفت شـبابا كـوريين تشـتبه بـان لهـم علاقـة بالحركـة الشيوعية، كانت تعدمهم دون تسامح. وقد عرض ذلك وحدة وانغتشينغ لحرب العصابات التى لم تكن قد مرت الا عدة اشهر على تشكيلها، لخسائر بشرية كثيرة بسبب الحصار الذى فرضته عليها الوحدات المناهضة لليابان.

ان السذاجة والطيش اللذين ظهرا فى هذا التعامل مع الوحدات المناهضة لليابان، قد اضعفا بصورة مفاجئة العلاقات بين الكوريين والصينيين وجرا الثورة الكورية الى حافة هاوية تصعب النجاة منها.

لقد وجه المشتركون فى الاجتماع انتقادا صارما الى آمرى وحدة وانغتشينغ لحرب العصابات الذين مازالوا يتحدثون عن الاجراءات الانتقامية حتى بعد احباطهم العلاقات مع الوحدات المناهضة لليابان دون وعى خطورة خطأهم. ومن خلال مناقشات مستفيضة استمرت لعدة ساعات، تم التأكيد مجددا على مبادئ وقواعد العمل التى ينبغى الالتزام بها فى العمل مع جيش الانقاذ الوطنى، كما تم التوصل الى فهم مشترك بهذا الخصوص.

وكانت المسألة الاخرى التى ناقشناها هى طريقة تقييد جيش الانقاذ الوطنى لابقائه فى منشوريا وجعله يستمر فى النضال المناهض لليابان.

على الرغم من ان جيش الانقاذ الوطنى كان يضم عشرات آلاف الجنود فى ذلك الوقت، الا انه كان يرى انه لا يملك القدرة على مواجهة الجيش اليابانى. ولانهم تقبلوا نظرية "القوة المطلقة" المزعومة التى روجها اليابانيون انفسهم، فقد اعترفوا فعلا بانه لا وجود فى العالم لقوة قادرة على مقاومة اليابان، ولا وجود كذلك لجيش قادر على مواجهة الجيش اليابانى. وكانت النتيجة انهم كادوا يتخلون عن النضال. واصبح همهم الوحيد هو البحث عن طريقة للالتجاء الى المناطق الآمنة فى عمق الاراضى الصينية عبر شانهايكوان، حيث لم تصل نيران الحرب، وعدم وقوعهم قتلى او اسرى فى يد الجيش اليابانى.

بدأ الجيش اليابانى فى منطقة تشينتاو بتوجيه هجومه الرئيسى الى وحدة وانغ دى لين. واذا ما شن هذا الهجوم بكل ابعاده، فقد يؤدى ذلك الى سقوط لوزوكو ايضا فى قبضة العدو فى وقت قريب.

قرر المشتركون فى الاجتماع الدفاع عن لوزوكو مع جيش الانقاذ الوطنى مهما كلف الامر. وكان ذلك يتطلب اقناع وانغ دى لين بالعدول عن خطته بالانسحاب الى اراضى الاتحاد السوفييتى. فقد كانت خطة جيش الانقاذ الوطنى تتلخص فى الوصول الى عمق

الاراضى الصينية عبر الاتحاد السوفييتى. واصبح اجتياز الحدود ما بين الاتحاد السوفييتى ومنشوريا توجها شائعا بين قادته وجنوده. وهذا ما اقدمت عليه وحدتا لى دو وما تشان شان للفرار الى عمق الاراضى الصينية.

وكان السبيل الوحيد لوقف هذا التشتت هو خوض معركة ناجحة ضد الجيش اليابانى لنستأصل بذلك من رؤوس اولئك الناس الوهم والخوف من "الجيش الامبراطورى الذى لا يهزم". وكان جو باو جونغ هو الشخص المناسب بين المشتركين فى الاجتماع لاقناع وانغ دى لين. لانه كان يعمل مستشارا له بتفويض من الكومنترن.

فأوصيت جو باو جونغ بان يسعى الى اقناع وانغ دى لين بأى ثمن، ليوقف انسحابه وينضم الى الجبهة المشتركة مع جيش حرب العصابات.

"يمكننا ان نشن حرب عصابات طويلة الامد بالاعتماد على الكوريين المقيمين فى منشوريا الشرقية. ولكن المشكلة هى جيش الانقاذ الوطنى. فيجب عليك ان تقنع وانغ دى لين بكل السبل ليبقى هنا ويواصل المقاومة حتى النهاية. انهم يريدون الذهاب الى الاتحاد السوفييتى، ليس للقيام بالثورة الاشتراكية فى سيبيريا، وانما للهرب عبر الاتحاد السوفييتى الى عمق الاراضى الصينية".

هز جو باو جونغ رأسه، متعللا بان تحقيق هذه المهمة هو امر شبه مستحيل .

"اظنكم تقولون هكذا لانكم لا تعرفون جيدا جيش الانقاذ الوطنى من الداخل. انه فى الواقع، مجموعة من الجبناء والحمقى الذين ترتعد فرائصهم ويهربون اذا ما رأوا طائرة يابانية تلقى المنشورات. من المستحيل خوض معركة بهم. لم ار فى حياتى اناسا رعديدين مثلهم. ومن الوهم التفكير بمحاربة الجيش اليابانى بالتحالف مع جيش الانقاذ الوطنى".

ولم يكن المصرون على استحالة تحقيق الجبهة المشتركة من امثال جو باو جونغ واحدا او اثنين فقط. وهكذا ظهر خلاف فى الآراء وجرى انتقاد المصرين على وجهة النظر تلك. وكان كل واحد فى تلك اللحظة يظن نفسه بطلا وعبقريا وقائدا. وحيث ان ما يسمى بلجنة العمل مع جنود جيش الانقاذ الوطنى كانت هيئة مؤقتة، مؤلفة من العاملين السريين فى مناطق مختلفة، فلم يكن لها مسؤول يمكن اعتباره قائدا لها.

ومع ذلك، فقد ترأست الاجتماع مما اتاح توجيه اعماله وفق الاساليب المعهودة.

ولم يكن السبب فى رئاستى الاجتماع هو منصبى الرفيع، وانما لان الرفاق الصينيين انتخبونى قائلين اننى مجرب فى العمل مع جيش الانقاذ الوطنى.

كان هذا هو اجتماع لوزوكو، آخر اجتماع للجنة العمل مع جنود جيش الانقاذ الوطنى. اذ تم حل هذه اللجنة بعد انتهاء الاجتماع.

وبمقتضى قرار اجتماع لوزوكو، اتفقت انا ولى كوانغ وتشين هان جيانغ وجو باو جونغ وهو جى مين على العمل مع وحدة وانغ دى لين ووحدة وو وى تشينغ ووحدة تشاى شى رونغ على التوالى. وكان وو وى تشينغ وتشاى شى رونغ مرؤوسين لوانغ دى لين.

وبعد فترة قصيرة، ابلغنا تشين هان جيانغ بخبر مشجع يقول ان وحدة وو وى تشينغ قد وعدت بالعمل حسب توجهات اجتماع لوزوكو.

بينما كنت منصرفا الى العمل مع وحدة وانغ دى لين، اندفع الجيش اليابانى الى منطقة لوزوكو. لقد ادرك العدو انه اذا تمكنت وحدتنا من تشكيل الجبهة المشتركة مع وحدة وانغ دى لين فان الوضع سيصبح خطرا عليه الى حد كبير. ولهذا سارع الجيش اليابانى بشن هجومه بقوات هائلة. فهرب وانغ دى لين من لوزوكو دون ان يفكر بالقتال. لقد انسحبت قوات كبيرة قوامها عشرات آلاف الجنود صوب الحدود بين الاتحاد السوفييتى ومنشوريا، وكأنها اوراق الخريف تذروها الزوبعة، هربا من اعصار النار.

فلم يكن فى مقدورنا مطلقا ان ندافع عن لوزوكو بقوات جيش حرب العصابات وحدها التى لا يتعدى افرادها بضع عشرات من الجنود. ووجدنا انفسنا مضطرين الى التراجع نحو محافظة دونغنينغ مع جيش الانقاذ الوطنى. وكنا مصممين على وقف هروب ذلك الجيش حتى ولو لحقنا به الى هذه المحافظة. وقد عانينا فى الطريق الكثير من المصاعب والشدائد لانه كان علينا ان نخوض اشتباكات عنيفة بقواتنا القليلة ضد قوات معادية كبيرة. وحيث ان ذلك كله جرى وسط برد شهر كانون الاول القارس، فقد مات عدد كبير من الجنود المناهضين لليابان بسبب التجمد.

وبينما نحن نمضى مع وحدة وانغ دى لين، كنت اسعى لاقناعه. ولو انه تقبل نصائحى عندئذ، لاستطعنا تشكيل جبهة مشتركة، وخضنا على اساسها بنجاح النضال المسلح المناهض لليابان فى منطقة شمال شرقى الصين. بيد ان وانغ دى لين رفض نصيحتى وذهب الى عمق الاراضى الصينية عبر الاتحاد السوفييتى.

تخلينا نهائيا عن التفاوض مع وانغ دى لين وغيرنا وجهة مسيرتنا الى منطقة وانغتشينغ. وقد احسست بخيبة الامل والاسى عندما اضطررت الى الرجوع دون التوصل الى هدفنا من المكان الذى يشكل الحدود المنشورية – السوفييتية، بعد ان قطعنا مئات الريات من

لوزوكو. وفكرت عندئذ: "اذا كان جيش الانقاذ الوطنى الذى يضم عشرات آلاف الجنود قد لاذ بالفرار ولم يجرؤ على مقاومة الجيش اليابانى، فكيف ستتمكن وحدتنا من تجاوز هذا الشتاء ولم يبق فيها سوى ثمانية عشر شخصا؟ وكيف سنتمكن من تجاوز هذه المحنة القاسية؟"

ان الثمانية عشر شخصا لا يشكلون سوى مجموعة صغيرة اشبه "بقطرة فى البحر"، كما اعتاد اليابانيون القول بعنجهية.

كانت هناك اسباب عديدة لتقلص تعداد وحدتنا من اربعين الى ثمانية عشر شخصا. فقد استشهد بعضنا فى المعارك وغادر آخرون الصفوف بسبب مرضهم. وسرحنا بعض الرجال لاسباب صحية واعدنا عددا آخر الى بيوتهم لانهم اظهروا عدم القدرة على مواصلة النضال. وكان اقل الرجال صمودا هم المسنون المنحدرون من جيش الاستقلال وبعض الشباب الريفيين.

فلم يبق فى صفوفنا فى نهاية الامر الا الرفاق الذين ناضلوا فى منظمة اتحاد الشباب الشيوعى منذ ايام جيلين. وبينما كنت اقود اولئك الثمانية عشر شخصا نحو وانغتشينغ وانا اشق الطريق وسط ما لا حصر له من المخاطر، ادركت من جديد بان من تفولذوا فى الحياة التنظيمية وحدهم هم من يستطيعون الحفاظ على ايمانهم حتى اللحظة الاخيرة واداء واجبهم الاخلاقى كثوريين مهما كانت الظروف ومهما تعاظمت الخطوب.

وفى الطريق الى وانغتشينغ، التقينا بجندى اتصال لدى وو وى تشينغ ورافقناه. كان اسمه مينغ جاو مينغ.

فى بداية الامر، قبض جنودنا عليه للتحقق من شخصيته. فقد كان الجواسيس اليابانيون فى كل مكان، مما فرض علينا التعامل بحذر مع الغرباء. ولكن مينغ جاو مينغ كان يحمل وثيقة تثبت عضويته فى الجمعية المناهضة لليابان صادرة بمقتضى الاتفاق بين لجنة العمل مع جنود جيش الانقاذ الوطنى والوحدات المناهضة لليابان. وكان قد تم توزيع مثل هذه الوثيقة على رجال جيش حرب العصابات وعلى جنود الوحدات المناهضة لليابان. وكان قد تم الاتفاق بين الطرفين على مساعدة وحماية كل من يحملها. وكان مينغ جاو مينغ يحمل معه كذلك طلبا من وو وى تشينغ الى وانغ دى لين لارسال التعزيزات اليه. فاقتنعنا تماما بانه جندى اتصال لدى وو وى تشينغ، وانه ذاهب الى تيانتشياولنغ.

وكان مينغ بدوره قد تعرض لصعوبات اضطرته الى اتخاذ هذا الطريق:

"لقد ذهبت اول الامر الى دونغنينغ لنقل هذه الرسالة، ولكن رحلتى كانت دون جدوى لان وانغ دى لين كان قد لاذ بالفرار. وعندما رجعت الى لاوموجوهى، علمت ان وو وى تشينغ قد انسحب بدوره نحو هونغشيلاجى مبقيا على كتيبة واحدة فقط فى لاوموجوهى. ولكن، قيل ان هذه الكتيبة قد غادرت هى الاخرى الى سياوسانتشاكو (تيانتشياولنغ). وانا ذاهب الآن للبحث عنها. وقد صممت على اى حال على النضال ضد اليابانيين حتى موتى."

كانت روح العداء لليابان لديه راسخة جدا. وبعد ان ابدى اسفه لعدم وجود شخص قادر على الامساك بزمام الوضع فى مقاطعات شمال شرقى الصين الثلاث، سألنى قائلا:

"من الذى سينتصر برأيك ايها القائد؟ نحن ام اليابانيون؟"

"من المؤكد اننا نحن الذين سننتصر. لقد قال احد الكتاب الغربيين ان الانسان ولد ليكون منتصرا وليس مهزوما. وانا وانت نشق طريقنا الآن بين هذه الثلوج الكثيفة من اجل احراز النصر. أليس كذلك؟"

قررت ان ابحث مع مينغ جاو مينغ عن آمر الكتيبة ذاك الذى رحل الى جهة سياوسانتشاكو. وعلقنا مستقبل الجبهة المشتركة على تلك الكتيبة، مفكرين بالسعى لاقناعها بكل الوسائل بمواصلة القتال على الاقل.

بقى مينغ جاو مينغ معنا حتى وانغتشينغ وشاركنا فى معركة الدفاع عن ياوينغكو. لقد كان رفيقا لا ينسى، مد لنا يد العون فى اصعب الاوقات وشاطرنا المصير نفسه. وفى عام ١٩٧٤، ارسل مينغ جاو مينغ الى رسالة يتذكر فيها بتأثر بالغ لقاءنا على هضبة لوزوكو.

من خلال تلك الرسالة، عرفت ان جندى اتصال وو وى تشينغ الذى اقام صداقة معنا فى تلك الايام المشؤومة، مازال على قيد الحياة وانه يشتغل فى مزرعة تعاونية فى تونهوا.

ان احرج موقف مررنا به وقع فى لاوهيشان، على ما اذكر. فقد عانينا مشقات كثيرة قبل وصولنا الى هناك، ولكننا لم نكن نشعر بالعزلة لان جيش الانقاذ الوطنى كان يرافقنا، بالرغم من انه كان يبدو اشبه بجماعة من الرعاع. ولكن، بعد ان هرب جميع جنود ذلك الجيش الى الاراضى السوفييتية، لم يبق فى تلك الهضبة الشاسعة سوانا نحن الثمانية عشر شخصا. وحيث ان جو باو جونغ ذهب الى مكان آخر مع اولئك الجنود الذين خلفهم وانغ دى لين وراءه عندما اجتاز الحدود، فقد وجدنا انفسنا فى وحدة وعزلة تامتين.

كانت الطائرة المعادية تحوم فى السماء وتلقى منشورات تنصحنا فيها "بالاستسلام"،

بينما كانت قوات الجيش اليابانى "التأديبية" تحاصرنا من الجهات الاربع. وكان البرد القارس الذى لا مثيل له حتى فى اكثر مناطق بلادنا ارتفاعا، وطبقات الثلج الكثيفة التى تصل حتى خصورنا، تحول دون تقدم مسيرتنا. وكانت المؤن التى جمعناها حفنة حفنة تنفد بعد ان ادخرناها بتناول ما نحصل عليه كل يوم من بدائل مؤقتة. كما ان البزات العسكرية التى كنا نرتديها منذ شهر ايار فى سياوشاهى، تحولت هى الاخرى الى اسمال بالية تظهر جلودنا من تحتها.

فى هذا الوقت بالذات، حالفنا حظ كالمعجزة عندما التقينا عجوزا طيبا كنيته "ما"، وهو الذى انقذنا من ذلك المأزق الحرج. حدث ذلك فى اليوم الثلاثين من الشهر الاخير فى السنة القمرية. كان عجوزا بلا اى انتماء سياسى او فكرى، ولكنه كان يبصق على سياسة الكومنتانغ ويصفها بالسيئة. ولم يكن يتعاطف فى الوقت نفسه مع الشيوعيين. وبكلمة واحدة، كان متشائما جدا. ولكنه كان مع ذلك رجلا نزيها وكريم النفس، لا يمكنه الاحساس براحة الضمير ما لم يمد يد المساعدة الى الآخرين.

كان لدى العجوز "ما" منزلان. وقد اقمنا نحن فى المنزل الذى يقع الى اسفل، بينما كان يقيم فى المنزل الاعلى عدد من العسكريين الذين انفصلوا عن جيش الانقاذ الوطنى. وكانوا فى غالبيتهم معادين للسوفييت بقوا فى منشوريا لانهم رفضوا اجتياز الحدود لكون الاتحاد السوفييتى دولة شيوعية. وكان بينهم كذلك عدد من مرؤوسى آمر الكتيبة غواك الذى تركه وو وى تشينغ فى لاوموجوهى عند رحيله.

ما ان وصلنا الى هناك، حتى ذهب مينغ جاو مينغ الى البيت الآخر لكى يستطلع، على حد قوله، نوايا اولئك الرجال. وقد طلبت منه ان يرى اذا كانوا يوافقون على الانضمام الينا والعمل بصورة مشتركة معنا. فاقترح ان يذهب هو اولا ليتحرى ما الذى يفكرون به، خصوصا وانه يعرف الكثيرين من مرؤوسى آمر الكتيبة غواك، فاذا ما رأى ان هناك بارقة امل، اذهب اليهم عندئذ بنفسى لاتفاوض معهم رسميا.

ولكن مينغ جاو مينغ رجع الينا وكتفاه متهدلان وقال لى بكآبة:

"انهم لا يصلحون لاى شىء، وخصوصا للجبهة المشتركة. فهم يتفقون فيما بينهم ليتحولوا الى قطاع طرق".

واخبرنا العجوز "ما" من جهته بانهم يدبرون مكيدة لانتزاع اسلحتنا. اى انهم ينوون توسيع صفوف عصابتهم اللصوصية بانتزاع الاسلحة منا.

وبوصول الوضع الى هذا الحد، كان لا بد لنا من ان نقلق بعمق على مصائرنا ومستقبل الثورة.

حين كان يزدحم حولنا آلاف وعشرات آلاف جنود الوحدات المناهضة لليابان، كنا مفعمين بالثقة بالانتصار الفورى فى القتال ضد الجيش اليابانى، ولكن بعد ان هرب جنود تلك الوحدات، ولم يبق فى صفوفنا سوى ثمانية عشر شخصا فقد بتنا مرتبكين لا نعرف كيف نتوجه. وحتى لو وصلنا الى وانغتشينغ، فما الذى يمكننا القيام به ونحن لا نملك اكثر من عشر بنادق؟ وهناك فى آنزى بضع عشرات اخرى من البنادق على احسن تقدير، والانكى من ذلك ان هؤلاء الجنود الضالين، الجهلة الافظاظ، يتآمرون لانتزاع اسلحتنا. فما العمل؟ كنا على هضبة مجهولة فى لوزوكو، ولكن طريق عودتنا الى وانغتشينغ اضحت غامضة ومبهمة. كيف نتصرف الآن؟ هل نلقى اسلحتنا ونعود الى النضال السرى ام نواصل النضال المسلح، حتى وان كان شاقا؟

اذا ما قلت اننى لم امر بمثل هذه اللحظات من التردد، فهذا يعنى انى اشوه الواقع وازيف التاريخ. لست اخفى ترددى ذاك وليس لدى سبب لاخفائه. ولم تقتصر اعراض البلبلة على وحدى آنذاك، وانما ظهرت على بقية افراد الجماعة.

حتى الفولاذ يتغير اذا ما تأكسد. هذا قانون. والانسان ليس فولاذا، بل هو كائن اضعف واكثر تبدلا منه. ولكن، يمكن القول ان الانسان اكثر ثباتا من الفولاذ، ذلك لان الفولاذ لا يستطيع ان يمنع ظاهر التأكسد من تلقاء ذاته، اما الانسان فلديه القدرة على التحكم بتبدلاته الفكرية وتنسيقها بنفسه. فالمشكلة ليست فى التردد بحد ذاته، وانما فى كيفية تجاوزه. واذا كان الانسان هو ملك الكائنات، فلانه هو الوحيد الذى يملك القدرة على ضبط نفسه، واذا كان الثورى هو الانسان العظيم، فلانه كائن ثابت ومبدع ومتفان، يعرف كيف يصنع ما يحتاجه من لا شيء، وكيف يحول العسير الى يسير.

كنت مشوشا، لا اعرف ما يتوجب على عمله. ولكننى كنت اعرف انه لو انطبقت السماء على الارض، فانه لا بد لنا من مواصلة النضال المسلح، لكن المقاتلين الذين بقوا لدى كانوا شبانا لم يبلغوا العشرين من عمرهم. اما بالنسبة لى انا نفسى فلا يمكن القول ايضا اننى املك تجربة كافية. حين كنا نتجول فى شوارع جيلين ونحن نكتب المنشورات ونلقى الخطب، كنا جميعنا ابطالا دون استثناء. ولكننا فى هذه الاوضاع لم نكن الا مبتدئين. واثناء قيامنا بالعمل السرى كنا نجد وسائل كثيرة للعمل، ولكننا حين فقدنا الجيش الصديق الذى

يعد بعشرات الالوف، ووجدنا انفسنا وحيدين على هذه الهضبة المقفرة الا من بعض الجنود المنشقين والطارئين، واجهتنا مهمة صعبة الحل تتمثل فى شق طريقنا بقوى الثمانية عشر شخصا.

كان الفارون من الجيش المقيمون فى البيت المجاور يفكرون فى التحول الى قطاع طرق، اما نحن فلم يكن بامكاننا سلوك ذلك السبيل على الاطلاق. كان علينا ان نتصل بالجماهير المنظمة لنجد طريقة للخروج من الموقف الصعب، ولكننا علمنا ان اقرب قرية مأهولة بالكوريين كانت تبعد عنا حوالى ٢٠٠ رى. ولم يكن هناك واد واحد على امتداد هذا الطريق المؤدى الى القرية الا وفيه قوات يابانية.

كانت هناك مجموعة من الاسئلة والافكار تؤرقنى على الدوام:

هل الثورة شاقة الى هذا الحد؟ لقد كنا نحلم بانجازها دون صعوبة خلال سنتين او ثلاث سنوات، ولكن كيف امكن لثورتنا ان تقف الآن على شفير الهاوية؟ هل ستنتهى على هذه الهضبة المهجورة والمقفرة وحدتنا التى انطلقت من آنتو بخطوات عسكرية منتظمة على انغام البوق؟

كم من الايام والليالى قضيناها دون طعام تقريبا، ودون نوم، من اجل تشكيل هذه الوحدة؟ ألست انا من لم استطع ان اكون الى جانب امى فى لحظاتها الاخيرة فى الحياة ومن ذرفت الدموع لفراق اخوى الصغيرين الحبيبين من اجل تنظيم الوحدة، او لم يضح من اجلها ايضا تشا كوانغ سو وتشاى تشانغ غول بحياتهما وشبابهما؟ لقد استشهد تشا كوانغ سو اثناء قيامه بعمل استطلاعى فى تونهوا. وعندما فكرت فى الطريق الذى قطعناه وذاك الذى علينا ان نسلكه، شعرت بثقل شديد فى قلبى، وكأن كوكب الارض كله يضغط عليه.

بينما كنت اجلس امام الموقد فى المطبخ متأملا ومنساقا للذكريات، اقترب العجوز "ما" منى بصمت وسألنى:

"هل انت المسؤول؟"

"نعم، يا جدى".

"لماذا تملأ الدموع عينيك اذن؟"

"ربما بسبب العاصفة الثلجية التى تصفعنا".

هذا ما اجبته به، لكننى كنت اذرف الدموع قلقا على مستقبلنا.

تأملنى العجوز لبعض الوقت وهو يداعب لحيته الطويلة، ثم قال:

"يبدو لى انك قلق من الاوغاد المقيمين فى البيت المجاور ولكن، لا تشغل بالك الى هذا الحد. سوف ادلكم على مكان آمن هذه الليلة، حيث يمكنكم ان تستريحوا لعدة ايام باطمئنان. فاذا استرحت نحو عشرين يوما ودرست واكلت جيدا، فان ذهنك سيعمل بصفاء مثل جى كاليانغ".

وفى الليل، ايقظنا من نومنا العميق لكى يقدم لنا خبزا محليا اعده للاحتفال بعيد رأس السنة الجديدة. ثم، دلنا بعد ذلك على كوخ يبعد عن بيته اكثر من ٥٠ رى، وسط غابة كثيفة لا يمكن حتى لطائرة ان تكتشف وجوده.

كان الكوخ مؤلفا من غرفة واحدة لا تكاد تتسع لحصيرة، وبجواره مخزن صغير رأينا فيه غزالا وبضعة ارانب برية مجمدة اصطادها العجوز بالمصايد، واكياسا من القمح والذرة وحجرى رحى.

"صحيح ان الغرفة ضيقة، الا انها يمكن ان تكون اقل ازعاجا ووافية بالغرض لتجاوز الوضع العصيب الذى تمرون به اذا ما فرشتم ارضيتها بالتبن. اختبئوا هنا واستعيدوا عافيتكم. اما بالنسبة لاخبار العالم الخارجى فسأنقلها اليكم كل بضعة ايام. وعندما ترغبون فى الذهاب من هنا، سأكون دليلكم".

وبينما كان يقول ذلك، اشعل النار فى الموقد. فشعرنا بامتنان لم نستطع معه جميعنا كبح دموعنا. فليس من المألوف ان يحالف الحظ المرء فى هضبة موحشة، فيلتقى بمحسن نزيه مثل العجوز "ما". فكان بيننا من قال مازحا ان "السماء" تحمينا.

اقمنا فى ذلك الكوخ اكثر من نصف شهر. وقد انتهزنا هذا الوقت لاستعادة عافيتنا والقيام بالدراسة وصيد الغزلان.

كان العجوز "ما" يحتفظ بعدد كبير من الكتب فى الكوخ. وكان بينها روايات وكتب سياسية وسير رجال عظماء. وبالرغم من انه كان يعيش على الصيد فى ذلك المكان الجبلى النائى، الا انه كان شخصا واسع الاطلاع. وبما اننا قرأنا تلك الكتب بالتناوب فقد اهترأت اوراقها واغلفتها.

بعد قراءة كل كتاب، كنا ننظم جلسة لعرض الانطباعات او مناظرة حول موضوعه. وكان كل واحد يحاول تبرير رأيه بحماس، مستشهدا حتى بأقوال لماركس ولينين. وكان من الشائع فى ذلك الحين ان يحفظ الشباب مقولات مؤسسى الماركسية او بعض العبارات

الجميلة لمشاهير الكتاب عن ظهر قلب، وحيثما اجتمعوا كانوا ينتقدون حتى صون يات صن. فقد كان من الشائع ايضا عبادة احدى الشخصيات وتوجيه الانتقاد الى شخصية عظيمة يبجلها العالم بأسره.

فى ذلك الحين، كان كل شخص يرى نفسه اعظم من الآخرين. وكان الجميع يعتقدون انهم شخصيات بارزة وابطال.

ناقشنا فى ذلك الكوخ ايضا توجه نشاطاتنا المقبلة بصورة جدية: هل نتفرق ونعود الى بيوتنا او نتجه نحو القرية المأهولة بالكوريين فى وانغتشينغ لكى نجمع فيها عناصر المفرزة الخاصة ونوسع صفوف الوحدة لنواصل النضال؟

وقد اعرب الجميع عن استعدادهم لمواصلة النضال، باستثناء شخص واحد انضم الينا فى هايلونغ، قد صارحنا بانه لا يستطيع ان يستمر فى النضال المسلح معنا لاسباب صحية. والحقيقة ان بنيته الجسدية لم تكن تؤهله لخوض عمليات حرب العصابات .

تفهمنا وضعه ولم توجه اليه اى ملاحظة او اعتراض.

"من الافضل لمن لا يستطيعون الذهاب معنا ان يقولوا ذلك هنا بصراحة. فالثورة لا تتحقق بالقسر والاكراه. ولا يمكن انجازها بالقوة الجبرية او التهديد. لذا، يمكن لكل من يريد الذهاب ان يذهب، وليبق هنا من يريد مواصلة النضال".

اعربت عن رأيى بهذه الكلمات بصفتى قائد الوحدة. وتركت لهم متسعا من الوقت ليفكروا ويتخذوا قرارهم.

وبعد عدة ايام، اجتمعنا ثانية لكى نسمع الى قرار كل واحد من الجنود. فأقسم ستة عشر شخصا من بينهم على المضى فى النضال حتى ولو ضحوا بحياتهم على هذا الطريق. وطلب اثنان فقط السماح لهما بمغادرة الوحدة.

وقد كرر الرفيق القادم من هايلونغ طلبه السابق. ورجانا الا نعتبره جبانا. ولم نستطع رفض طلبه. لكننى قلت له:

"اذا كان من الصعب عليك البقاء معنا، فيمكنك الذهاب الى بيتك. لن نناقشك فى ذلك. ولكننا لن نتركك تذهب وانت فى هذه الحالة. لقد تحولت بزتك العسكرية الى اسمال بالية واصبحت تبدو مثل شحاذ. كيف تريد الظهور امام والديك بهذا المظهر المزرى؟ لا مانع لدينا فى مغادرتك. لكنك يجب ان تذهب الى قرية يقطنها كوريون لصنع ثياب جديدة والحصول على ما تحتاجه من نفقات لرحلتك".

واعرب الرفيق الآخر عن رغبته فى تلقى التعليم فى الاتحاد السوفييتى.

"اذا ما ذهبت الى الاتحاد السوفييتى دون توصية من احد، فمن يدرى اذا كانوا سيوفرون لك امكانية الدراسة ام سيرسلونك للعمل. أليس من الافضل ان تذهب معنا الى وانغتشينغ للعمل فيها الى ان تقوم بالاتصالات اللازمة، ثم تذهب بعد ذلك للدراسة بتوصية من المنظمة".

وافق الاثنان على ما قلته، واكدا انهما سيتصرفان وفق ما اشرت اليه.

بعد ذلك، استطعنا مغادرة هضبة لوزوكو دون مصاعب بفضل مساعدة العجوز "ما" الذى قادنا حتى جوانجياولو فى محافظة وانغتشينغ. والحقيقة ان ذلك العجوز كان شخصا ودودا ودقيقا وكريما. وبعد عدة سنوات، عندما بلغ نضال حرب العصابات ذروته، واصبحنا نضرب الاعداء بلا هوادة داخل قواعد حرب العصابات وخارجها، ذهبت الى هضبة لوزوكو حاملا معى كمية من الاقمشة والمؤن، ولكن العجوز "ما" كان قد توفى.

مازالت صورة العجوز "ما" حية فى ذاكرتى حتى اليوم، مثلما رأيته قبل ستين عاما. ذات مرة، اشرت على الكتاب بان يبدعوا اوبرا او مسرحية تكون الشخصية الرئيسية فيها هذا العجوز الاصيل. فقصة العجوز "ما" القديمة يمكن لها ان تكون مادة رائعة لعمل اوبرى او مسرحى.

لقد كان بقاؤنا احياء فى ذلك الشتاء، وعدم موتنا جوعا او بردا او مصرعنا برصاص العدو معجزة من المعجزات. وحتى اليوم مازلت اتساءل احيانا: ما هى القوة التى جعلتنا ننهض من تحت المحن؟ ما هى القوة التى منحتنا الحماسة لمواصلة رفع راية النضال المناهض لليابان وتحقيق الانتصار دون ان تراودنا على الاطلاق مشاعر الانهزام او التخلف؟ وأرد على نفسى بكل فخر: "ان تلك القوة هى الشعور بالواجب تجاه الثورة."

لو لم نكن نملك ذلك الاحساس بالمسؤولية لسقطنا فى هوة من الثلوج ولم نستطع ان ننهض ثانية منها على الاطلاق.

حينذاك، كنت على قناعة من اننا اذا استسلمنا للهزيمة فلن تنبعث كوريا الى الابد. ولو فكرنا ان ثمة آخرين قادرين على انقاذ كوريا بعد موتنا لما استطعنا النهوض من بين الثلوج ولبقينا مدفونين فى هضبة لوزوكو.

ملاحظات

١– **حكومة شنغهاى المؤقتة:** اسسها الاستقلاليون الكوريون المناهضون لليابان فى مدينة شنغهاى بالصين، فى نيسان عام ١٩١٩.

٢ – **سينغمان رى (١٨٧٥ – ١٩٦٥):** كان عضوا فى مجلس وزراء حكومة شنغهاى المؤقتة. وقد ناصر مذهب الوصاية. تقلد منصب الرئاسة فى جنوبى كوريا منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٠، حيث اطاحت به انتفاضة ١٩ نيسان الشعبية، فهاجر الى الولايات المتحدة.

٣ – **الحملة "التأديبية" الكبرى فى عام كيونغسين:** عمليات الذبح والتنكيل التى قام بها الامبرياليون اليابانيون فى منطقة تشينتاو دون تمييز ضد الكوريين فى عام ١٩٢٠.

٤ – **معركة تشينغشانلى:** معركة جرت فى تشرين الاول عام ١٩٢٠ فى قرية تشينغشانلى بمحافظة هيلونغ، بمقاطعة جيلين فى الصين. وقد ابادت وحدات جيش الاستقلال التى كانت تعمل فى منطقة تشينتاو اعدادا كبيرة من الجنود الامبرياليين اليابانيين الغزاة فى هذه المعركة.

٥ – **معركة فينغويكو:** معركة جرت فى حزيران عام ١٩٢٠، فى فينغويكو بمحافظة وانغتشينغ فى مقاطعة جيلين فى الصين. وقد تعرض المعتدون اليابانيون لضربات قاسية امام جيش الاستقلال الكورى بقيادة هونغ بوم دو.

٦ – **جماعة هوايو:** نظم الشيوعيون الكوريون الاوائل هذه الرابطة فى اوائل عقد العشرينات،

وقد سميت هوايو، اى يوم الثلاثاء، لان ماركس ولد فى يوم الثلاثاء.

٧ – **تشاى دوك سين (١٩١٤ – ١٩٨٩):** ابن تشاى دونغ او، مدير مدرسة هواسونغ التى تعلم فيها الرئيس كيم ايل سونغ. هاجر الى الصين بعد احتلال الامبريالية اليابانية لكوريا وبعد تحرير البلاد، تولى فى جنوبى كوريا مناصب قائد فيلق فى الجيش ووزير الخارجية وسفير فى المانيا الغربية. ثم هاجر الى الولايات المتحدة ابان حكم باك زونغ هى. واستقر فيما بعد فى جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية، حيث عمل نائبا لرئيس لجنة التوحيد السلمى للوطن ورئيس اللجنة المركزية لحزب تشوندو تشونغو الدينى.

٨ – **جماعة م . ل:** جماعة الفئويين التى الحقت اضرارا فادحة بالحركة الشيوعية والحركة العمالية فى كوريا، بعد تنظيمها فى اواسط العشرينات من القرن الماضى.

٩ – **اوجيين بوتيه (١٨١٦ – ١٨٨٧):** شاعر يمثل ادب كومونة باريس. انضم الى الاممية الشيوعية الاولى عند تأسيسها، وعند اعلان كومونة باريس، كان احد اعضائها. الف كلمات النشيد الاممى "انترناسيونال" و"المنتفض" واشعارا اخرى.

١٠ – **لى سانغ هوا (١٩٠١ – ١٩٤٣):** شاعر كوري مشهور انحدر من دايكو فى محافظة كيونغسانغ الشمالية. انتمى فى اول الامر الى المدرسة الادبية البرجوازية، ولكنه ما لبث ان انضم الى "كاف" المنظمة الادبية التقدمية على اثر انتفاضة اول آذار الشعبية. وهو مؤلف "أيأتى الربيع ايضا الى الحقول المغتصبة؟"، "اغنية البحر"، "الروح تنتظر العاصفة" وما اليها.

١١ – **را دو هيانغ (١٩٠٢ – ١٩٢٧):** اصله من سيؤول. كتب اعمالا ابداعية فى اثناء عمله كمراسل لصحيفتى "كيمونغ" و"سيداى ايلبو". انتمى فى اول الامر الى منظمة ادبية برجوازية، وبعد انتفاضة اول آذار الشعبية، ابدع اعمالا تنتقد مجتمع ذلك العصر. نشر اكثر من عشرين رواية قصيرة، منها "ابن الخادم"، "قبل البحث عن الأنا"، "طاحونة الماء"، "الابكم سام ريونغ"، كما اصدر ثلاث روايات طويلة.

١٢ – **تشـاى سـو هـاى (١٩٠١ – ١٩٣٢):** ولـد فـى سـونغزين (مدينـة كـيم تشـايك حاليـا)، بمحافظة هامكيونغ الشمالية. درس الادب بنفسه منذ نعومة اظفاره. عاش حياة متشردة لبعض الوقت فى منشوريا. وبعد عودته الى الوطن، الف عديدا من الروايات، مثل "الوطن"، "هروب"، "جوع ومجزرة"، و"موت باك دول". ساهم عام ١٩٢٥ فى تأسيس "كاف".

١٣ – **"حادثـة هيسـان":** موجتـا اعتقـالات كبيـرة، احـداهما فـى خريـف ١٩٣٧ والثانيـة عـام ١٩٣٨، قام بهما رجال الشرطة والجيش اليابانيون فى مناطق حوض نهر آمروك لاكتشاف وقمع المنظمات الثورية الكورية واعضائها.

١٤ – **حواضر الأقضية الستة**: هي حواضر ستة أقضية على ضفاف نهر دومان في محافظة هامكيونغ الشمالية، وتضم: موسان وهويريونغ و زونغسونغ وكيونغواون وكيونغهونغ. في عهد سلالة كوريا الملكية الإقطاعية، جرىإعداد هذه الأماكن لتكون ست قواعد
للجنرال كيم زونغ سو الذي كان يتولة مسؤولية الحراسة لحدود البلاد.

١٥ – **مجموعـة تونغـوى:** احـدى منظمـات حركـة الاسـتقلال الكوريـة، تأسسـت فـى اوائـل العشرينات فى محافظة هوانرين بشمال شرقى الصين، وذلك بدمج جمعية القوم الكورى، وقيادة جيش استعادة الوطن وتنظيمات عديدة اخرى.

١٦ – **جماعة سيؤول:** احدى فئات الحركة الشيوعية الاولى فى كوريا، التى ظهرت الى حيز الوجود بانقسام "رابطة سيؤول الشبابية" فى العشرينات من القرن الماضى.

١٧ – **المقاطعـات الشـرقية الـثلاث:** هـى مقاطعـات شـمال شـرقى الصـين الـثلاث: جيلـين وهيلونغكيانغ وفينغتين (لياونينغ حاليا).

١٨ – **اغتيال تشانغ تسو لين بتفجير القطار الذى يستقله:** حادث دبرته الامبريالية اليابانية لاتخاذه ذريعة للاعتداء على منشوريا. ففى حزيران عام ١٩٢٨، وبينما كان تشانغ تسو لين عائدا بالقطار من بكين الى شنيانغ، جرى تفجير القطار فوق احد الجسور بالقرب من شنيانغ، وهكذا تم اغتيال ذلك القائد العسكرى.

١٩ – **توفو (٧١٢ – ٧٧٠):** شاعر مشهور في عهد سلالة تانغ بالصين.

٢٠ – **"مناهج سونجى القتالية":** أقدم كتب العلوم العسكرية المتداولة فى الصين. ويعتقد ان مؤلفه هو سون وو من بلاد وو.

٢١ – **"تاريخ الممالك الثلاث":** كتاب تاريخى عن عصر الممالك الثلاث فى الصين، الفه تشين شو، من بلاد تسين.

٢٢ – **"دونغكوك بيونغكام":** كتاب عسكرى كورى، صدر عام ١٤٥٠. ويعالج هذا الكتاب التاريخ الحربى من حيث الاساس.

٢٣ – **"بيونغهاك زينام":** كتاب عسكرى كورى تم تأليفه عام ١٧٨٧. وهو يتناول اساسا طرق التدريب او المناورات.

٢٤ – **حرب ايمزين الوطنية:** بدأت باعتداء اليابان على كوريا، ودامت سبع سنوات (١٥٩٢ – ١٥٩٨). وتسمى كذلك حرب ايمزين العدوانية اليابانية.

٢٥ – **كيم زوا زين (١٨٨٩ – ١٩٣٠):** ولد فى هونغسونغ بمحافظة تشونغتشونغ الجنوبية،

وشارك فى حركة استقلال كوريا. فى عام ١٩١٣، انضم الى جماعة استعادة كوريا. وعندما هاجر الى منشوريا اسس الهيئة العسكرية والادارية لجيش الطريق الشمالى مع سو ايل وآخرين. شغل مناصب مهمة فى مجموعة سينمين، وكان يقوم فى الوقت نفسه بعمليات عسكرية ضد اليابان.

٢٦ – **"عن الحرب" لكلاوزفيتس:** كتاب الفه كلاوزفيتس (١٧٨٠ – ١٨٣١) وهو من اصل بروسى، وقد كتب هذا العمل عندما كان مديرا لكلية برلين للقوات البرية. وحلل فيه مختلف الحروب التى خاضها نابوليون الاول. وصدر الكتاب عام ١٨٣٢.

٢٧ – **هو زون (١٥٤٥ – ١٦١٥):** طبيب كورى مشهور. الف كتاب "دونغوى بوكام" وهو موسوعة طبية مؤلفة من خمسة وعشرين مجلدا، وموزعة الى خمسة اقسام.

طبع: جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية